مجموع كتب

المرشد الكامل

محمد اليعسوبي

النقشبندي الداغستاني

قدس الله سره ت 1361 هـ

ترجمة الشيخ محمد العسلي قدس سره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على رسوله محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد : فهذه نبذة يسيرة عن سيرة رجل من رجال تاريخ طريق التصوّف في ديار داغستان ، أَلَا وهو الشيخ الكامل ، والقطب الحقيقي ، المرشد في الطريقة النقشبندية والشاذلية محمّد ابن العالم نور محمد العسلي قدس سره .

مولده : ولد قدس سره في قرية عَسَبْ من قضاء شمويل في جبال داغستان سنة أربع وثلاثمائة وألف هـ . ١٣٠٤

نشأته : وكان من صباه محباً للعلم ، رحيماً للصغار ، موقّراً للكبار ، وكان حسن الخلق ، عنده فهم وذكاء ، ذا علم كامل ، كان أناس من قريته متحيِّرين مما يرونه من سلوكه الحسن .

تعلُّمه وتلقِّيه : بدأ بدراسة العلم في صباه عند أبيه ، ثم تابع الدراسة عند العلماء من القرى المجاورة ، وكان متعلِّماً في قرية هُؤُورْ وهُلُوقْ وبَقْلُخْ وغيرها ، وكان يهتمُّ بالعلم كثيراً ، ويحثُّ عليه الناس .

تسليكه الروحي : دخل دِبِيرَصُلْ مُحَمَّدْ أوَّلاً تحت تربية الشيخ عبد الرحمن العسوي قدس سره في صغر سنّه ، ثم بعد انتقاله إلى رفيع الأعلى سلك على يد الشيخ حسن حلمي القحي قدس سره ، وقبل السفر إلى الحج نذر الحاج عبد الرحمن العسوي كُتبه للشاب الصغير دِبِيرَصُلْ مُحَمَّدْ ؛ لعلمه بأن له شأناً كبيراً في المستقبل . وفي سنة ١٩٠٥م توفِّي مُروِّج الطريقة في الجبال الأوارية الحاج عبد الرحمن العسلي عند رجوعه من الحج ، ودفن في جدة قرب أمِّنا حواء . رزقنا الله من بركاته . آمين . وكان محمد أفندي من أسبق مريدي الشيخ حسن أفندي قدس سره ، ولذا لقّبه قدس سره بِيَعْسُوبِ أهل الإرادة ، بمعنى أنه هو الذي يتعهَّد سائر

مريديه ، بمثابة رئيس النحل لسائر النحل ، وكان عمره عند ما أجيز له أربعون سنة ، وبذلك أصبح من أصغر من أجيز لهم . وقد أمضى عمره في الإرشاد خمسة عشر أو سبعة عشر سنة .

من كراماته : صحب واحد من مريدي الشيخ دِبِيرَصُلْ محمد اسمه عَلِلْ محمد معه ، وعندما كان محمد يمشي خلف أستاذه تفكَّر في أنه ربما يعجبه صحبة من يرتدي الملابس الجميلة ، فأما أنا فملابسي عتيقة ، فاطلع الأستاذ على خاطره وقال في الحال ملتفتاً إليه : يعجبني القبر المعمور من داخله لا من خارجه .

وفاته : توفي رحمه الله سنة واحدة وستين وثلاثمائة وألف ١٣٦١ هـ .

وقد حبسته الحكومة الْبَلْشِوِكِيَّةُ مع شيخه حسن حلمي قدس سرهما في سنة ١٩٣٧م ؛ وتوفِّي في سنة ١٩٤٢م في سجن مدينة دِرْبِنْتْ مظلوماً ، وبعد سبعة عشر سنة من موته في سنة ١٩٥٩م نقله من دِرْبِنْتْ إلى قرية غزانش الأعلى ، ودفن في مقبرة قريتهم عند قبر قطب الأنام الشيخ سيف الله قدي قدس سره . وقد ترك مصنّفات جميلة ، منها ؛

١ « الأجوبة البهية في إثبات شفاعة خير البرية » .

٢ « الأجوبة العسلية في ردِّ شبهات الوهابية » .

٣ « الفرائد الوهبيَّة في ردّ شبهات الوهابية » .

٤ « الأجوبة الوهبية للمسائل الوهميَّة » .

٥ « كنوز الأمان من فتن الزمان » .

٦ « القصيدة في أشراط الساعة » .

رحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جنته ، والحمد لله رب العالمين

الأجوبة البهيّة
في
إثبات شفاعة خير البريّة

ألَّفه

العلامة الجليل المرشد محمد بن نور محمد
النقشبندي الشاذلي الداغستاني
المتوفى سنة ١٣٦١ هـ

دار الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وعليه التكلان

الحمد لله الذي خصّ أوليائه بالكرامة والاستقامة ، وجعلهم لنبيّه المبعوث بالرحمة والإنابة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي قائلها يوم الحسرة والندامة وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله الشفيع المشفَّع في عرصات القيامة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين فازوا بالسلامة .

وبعد : فلقد كتب واحدٌ من الطائفة الوهّابية إلى واحد[٢] من العلماء المحققين الذي دخل في طريق القوم ، وتعلّق بزيل واحد منهم هذه الأيات المذكورة بعدُ اعتراضاً على حاله وذبّاً له ولسائر الإخوان من سنة

---

* وسمعت سيدي عليّاً الخواص رحمه الله يقول : اجتمع أصحاب سيدي الشيخ سالم أبي النجا الفَوي بمدينة فُوة بالبحيرة وهو محتضر ، وكانوا سبعمائة رجل ، فقالوا له : أَوْصنا في هذا الوقت وصية موجزة نحفظها عنك ، فسكت ، ثم قال : اعلموا يا إخوَاننا إنّ كلّ مَا في الوجُود يقابلكم بشاكلة ما برز منكم من الأعمال الظاهرة والباطنة فانظروا كيف تكونون ، قلت : وهذا كلام في غاية النفاسة ، فمن تأمّله لم يضف قط إلى الزمان وأهله شيئاً إلا على وجه الاستناد لأجل إقامة الحدود والتكاليف كما أشار إليه حديث : « الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها إلا ذكر الله ، وما والاه وعالم أو متعلم » . انتهى . « لواقح الأنوار » للإمام الشعراني في ٣٤٩ عبارته .

مهم

واعلم يا أخي أن روح تلاوة القرآن هو الحضور مع الله تعالى فيه ، لكن يحتاج من يشهد هذا المشهد إلى سلوك على يد شيخ صادق حتى يصير لا يتشتت قلبه بتلاوة القصص التي في القرآن عن شهود صاحب الكلام ، فيجمع في شهوده سماع كلام الله القديم في حال كونه حكاية عن كلام الخلق الحادث ، وهو مشهد عزيز لم أر له ذائقا إلى وقتي هذا والله غفور رحيم . « لواقح الأنوار » عبارته ١٠ .

٣ ، ٥ ، ١٣ ، ١٦ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ ، وآخر الأربع من الشهر ، لا تسافر في هذه الأيام . من خطه قدس سره ، وادع للكاتب .

(٢) وهو العالم المحقق محمد علي الأرمي .

الرسول الكريم ، وطعناً على المشائخ العظام ، وإيذاءً للأولياء الفخام الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وإيهاماً لمن لا يعلم أحوالهم وحقيقة أقوالهم أنهم على الحقِّ واليقين ، وأنَّ الأولياء والمشائخ وسائر العلماء الفقهاء حتى الأئمة المجتهدين ومقلديهم على الضلالة والطغيان ، وأنّ الدين الخالص هو ما أخذوه من الكتاب والسنة بأفهامهم السقيمة ، وخواطرهم الرديئة ، حتى أنهم يفسِّرون القرآن والحديث بآرائهم الكاسدة الفاسدة ، ويأذنون لكُلِّ مَن تبعُوهم لذلك ، ويظنون أنهم صاروا بذلك مجتهدين لا مقلّدين ، فما أعظمَ مُصيبةً حَلّت الأمّة المحمدية بشوم هؤلاء القوم المذكورين ، ومع ذلك أنهم يدَّعون بأنهم مصلحون ، ألا إنّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، فالحكم لله العلي العظيم ، فإذا كان الحال كذلك أردت كتبة الأجوبة للمسائل المذكورة نصرةً لأولياء الله الكرام ، وراجياً لشفاعتهم في عرصات القيامة ، لاسيّما لالتماس البعض المذكور بالحال والمقال مني ذلك ، ظنّاً منه أنِّي قادرٌ له ، وللقرع بأسماعنا من ينقل أقوالهم(١) وينشرها بين الناس ، ويعتقد في الباطن أنهم خيار العلماء ، ولا يرى ما دسّوا في أقوالهم وعقائدهم ، وبه زاد عزمي على ذلك ، وقلت : حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وأفوِّض أمري إلى الله إن الله بصيرٌ بالعباد .

---

(١) أي أقوال الوهابية . (**هامش الاصل**) .

※ **أخذ علينا العهود** إذا ألَّفنا كتاباً أو ألقينا درساً أن لا نبالغ في تحقيق الألفاظ ، ولا في مراعاة حلاوة تركيبها هروباً من مضاهاة كلام الله عزَّ وجلَّ في الفصاحة والتناسق ، وخوفاً على أنفسنا من وقوع الإعجاب بذلك ، فيهلك أحدنا ولا يشعر ، ثم لا يخفى أنه ليس المقصود من كلامنا في العلم إلا إيضاح معاني مشكلاته لا غير ، وكان سيدي علي الخواص يقول : ينبغي للعالم إذا ألَّف كتاباً أن يتنزَّل في العبارة حتى يفهم كلامه أدنى العوام ؛ لأنه أكثر نفعاً وإيضحاًحتى يجد الشارح لكلامه توريكاً عليه واستدراكاً ومطعناً ، وهذا ما درج عليه السلف الصالح والله تعالى أعلم . « بحر الورود » ع ٣٥٠ من هامش « لواقح الأنوار » .

وتلك الآيات المسؤولة هذه ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ ﴾ وقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞ ﴾ وقوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ إلى ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍ ﴾ فأخبر سبحانه ليس للعباد شفيع من دونه ، بل إذا أراد الله سبحانه رحمة عبده أذن هو لمن شفع فيه كما قال تعالى ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ ﴾ وقال ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾ وقال تعالى ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ ونظيره وقوله تعالى إخباراً عنهم ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ قال الرازي : ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا عظَّموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله . « سراج » عبارته . ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ .

وعن الحسن : زعم أقوام على عهد رسول الله ﷺ أنهم يحبّون الله ، فأراد أن يجعل لقولهم تصديقاً من عملهم ، فمن ادَّعى محبّته وخالف سنة رسول الله ﷺ فهو كذاب ، وكتاب الله يكذِّبه . وإذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفِّق بيديه مع ذكره ، ويطرب ، وينعر ، ويصعق ، فلا شكَّ أنه لا يعرف الله ، ولا يدري ما محبة الله ، وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته إلا لأنه تصوّر في نفسه الخبيثة صورة مستلمحة معشَّقة ، فسماها الله بجهله وإدعائه ، ثم صعق وصعق العامة حواليه ، قد ملؤوا أذقانهم بالدموع لما رأوه من حاله « سراج المنير » عبارته انتهت الأسئلة .

وأقول – وبالله التوفيق ، وبيده أزمَّة التحقيق – اعلم : أيها الأخ المرجوّ الاستقامة لا بدَّ لنا قبل الخوض في الإجابة من تبيين أقوال الوهابية ومعتقداتهم ، وما يقوله أهل السنة في حقِّهم كي تكون على بصيرة في

الجواب لكون المسؤلات جزأ مما يُخالفون لأهل السنة والجماعة ؛ اللهم أمِتْنَا علىَ السنة والجماعة والشوق إلى لقائك يا ربّ العالمين ولأجله رتبت الكتاب على الأبوَاب الآتية كي يسهل الإطلاع على مرامه في ضمن بابه ، وسمّيته بـ « **الأَجْوِبَة البَهِيَّة في إثباتِ شفاعة خَيْر البَرِيَّة** » . أرجو الله تعالى أن ينفع به لأهل الإرادات وأرباب الإخلاصَات .

الباب الأول في بيان أحوال الوهابية ، وما ورد في حقهم من الكتاب والأحاديث ، وبيان أقوالهم المخالفة لأهل السنة والجماعة ، وطعنهم على الأولياء والمشائخ .

الباب الثاني في بيان اعتراضات ابن تيمية وأتباعه المبتدعة على متأخِّري الصوفية والمشائخ والأجوبة عنها ، وعدم الانتفاع بعلومهم ، وكون الاعتراض عليهم سمّاً قاتلاً ، وبيان ما ورد في منكر المشائخ والأولياء .

الباب الثالث في بيان كون الحقيقة عين الشريعة ومشروعية الانتساب إلى المشائخ ، ومسنونية التعلم منهم ، وكون المشيخة والمريدية مأموراً بهما في الشريعة ، وبيان النص له من القرآن والحديث خلافاً لمن يوهم عدم ورودهما في الكتاب والسنة مع دلائل النقشبندية لِما يلقِّنونه من الكتاب وبيان عدم خروج شيء منها عن الشريعة ، وبيان كون الشريعة والطريقة توأمَانِ ، مع بيان فريضة تعلّم علم الباطن ووجوب اتخاذ الشيخ وأخذ الطريقة ، والقائلين به .

الباب الرابع في ذكر تفصيل العلوم ؛ معروفها وقديمها ومُحْدَثها ومنكَرها ، وبيان تبديل ألفاظها مع بيان فضيلة علم التصوّف والباطن والعلماء العاملين والأولياء ، ووجوب احترامهم أحياء كانوا أو مَيِّتين .

الباب الخامس في بيان استحالة خروج شيء من أقوال المجتهدين عن الشريعة ، وبيان اجتماعهم برسول الله ﷺ لتصحيح الأحاديث التي ضعَّفها المحدِّثون من طريقهم وإبطال دعوى الوهابية على الاجتهاد .

الباب السادس في جواز (سيّدنا) في الصلاة على نبينا عليه الصلاة والسلام خلافاً للوهّابية .

الباب السابع في أجوبة المسؤلات ، وإثبات الشفاعة للنبي ﷺ ، والأولياء ، والصالحين .

الباب الثامن في جواز التوسل بالنبي ﷺ والأولياء والمشائخ .

الباب التاسع في جواز الاستغاثة بهم رضوان الله تعالى عليهم ، وأفاض علينا من فيوضاتهم ، وأنار بواطننا بأنوار معارفهم ، آمين يا مجيب .

الباب الأوّل

في بيان أحوَال الوهابية ، وما ورد في حقّهم . . .إلخ .

اعلم أيها الأخ المرجوّ للاستقامة أن الوَهابية قوم منسُوبون إلى محمد بن عبد الوَهّاب النجدي ، تلميذ الشيخ جمال الدين الأفغاني[1] ، وسبق على شيخه في الاعتزال ، وعلى أضرَابه من معاصريه ؛ رشيد رضا صاحب مجلّة « المنار » وأمثالهم ، وهم الذين اتّبعُوا على بدعات ابن تيميّة ، وتلميذه ابن القيّم الجوْزية . ذكر صاحبُ « المدائح النبويّة » أنّ قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ صريح في حقهم ، وقال : وَقدْ جاء في القرآن ذِكْرُ فسَادِهِم وَزَعْمِهِمُ الإصْلاح في سُورةِ « الزمراء » .

نقل السيُوطي في تفسير « درّ المنثور » عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه سئل عن هؤلاء القوم ، فقال : لم يأتوا بَعْدُ . وذكر ذلك البيضاوي في

(١) فيه سبق القلم ، لأن محمد بن عبد الوهاب مات سنة ١٢٠٦ ، وأما جمال الدين أفغاني فإنه ولد سنة ١٢٥٤ ، بل تلميذ الأفغاني محمد عبده المصري .

تفسيره ، وقال الشهاب في « حاشيته » : إنه نقله عن تفسير « ابن جرير » قلت : لا شكّ أنّ المنافقينَ المذكورين في هذه الآية السابقة واللاحقة ، والخوارج الذين خرَجُوا على سيّدنا علي ﷺ وغيره من أمة الإسلام متصفون بهذه الأوصَاف الذميمة ، إلاّ أنهم لم يدَّعوا أنهم مُصلحون لدين الإسلام ، ويلقبُوا أنفسهم بهذا اللقب ، مثل هذه الفرقة الضالة ؛ من فرقة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده المصْري . فمُطابقة الآية لهذه الفرقة أكثر من مطابقتها للمنافقين والخوارج ، وإن شملتهم جميعاً أحكامها . وتسمية هؤلاء أنفسهم المصلحين تبعُوا فيها فرقة البرتشانت النصرانية ، فإنهم سمّوا أنفسهم المُصلحين لدين النصَارى بتركهم العمل على ما زاد على التورية والإنجيل ، ورفضهم كلام أئمة النصارى الأقدمين أصحاب المجامع وغيرهم ، فتبعهم من المسلمين هؤلاء الضالّون ، فرفضوا مذاهب الإسلام ، وادَّعوا الاجتهاد المطلق ، وأنهم قادرون على أخذ الأحكام من الكتاب والسنة ، مع أنهم من أجهل الجهال في دين الله ، وأفسق الفساق ، ولكنهم كانوا مَظهراً لمعنى هذه الآية القرآنية بعد أربعة عشر قرناً من نزولها ، كما أنهم كانوا مظهراً لتصديق قوله ﷺ « لتتبعنّ سنن من قبلكم شبراً بشبر وذِرَاعاً بذراع ، حتى لو دخلُوا جحر ضبٍّ لدخلتموه » فهذا الحديث الصحيح ينطبق على هذه الفرقة الضالة تمام الانطباق « مدائح النبوية » عبارته ٢٥٧ .

وقال النبهاني فيه أيضاً : وقَدْ جَاءَ فِي ٱلْأَخْبارِ وَصْفُ مُرُوقهم مِنَ الدين مثلُ السَهْمِ للجِهَة الأُخرَى ؛ وفي الحديث « يَمْرُقُونَ مِنَ الدِينِ مُرُوقَ السَهْمِ مِنَ الرَمِيَّةِ » أي يجوزونَه ويخرقونه ويتعدَّونه كما يخرق السهم الشيء المرميّ به ويخرج منه . وعن علي ﷺ أُمرت بقتال المارقين يعني الخوارج .

مهم

وهؤلاء خوارج هذا الزمان ، خرجوا على أئمة الإسلام ؛ أصحاب المذاهب الأربعة ، وخالفوهم في الأحكام ، كما أن أولئك خرجوا أيضاً على أمراء المُؤمنين وخالفوا أئمة الدين ، **وهؤلاء لم يكتفوا حتى دعوا صبيان المدارس لرفض المذاهب الأربعة** ، ودعوى الاجتهاد ، والاستهانة بأئمة الدين وعلماء المسلمين ؛ أحياءً وأمواتاً ، فصار يخرج التلميذ من المدرسة يبغض الإسلام وما ينسب إليهم من الأحكام . منه عبارته في ٣٥٧ ، كما شاهدناه في الذين ظهروا الآن في أطراف ناحيتنا ، فيقولون حين أخبرهم العلماء ما في كتب الأئمة ؛ أصحاب المذاهب ومقلديهم : هل لذلك دليلٌ من الكتاب والسنة مع أنهم لا يفهمون شيئاً منهما ، ولا من أقوال الأئمة المجتهدين ، بل أورثوا هذا القول من أشياخهم ، فإنهم يعلّمون العربيّة لمن عندهم من صبيان المدارس ، ويقرؤون عليهم الحديث والقرآن بتفسيرهم وفق آرائهم الفاسدة ، وبما خطر في قلوبهم السفيهة ، ولا ينظرون إلى كتب التفسير ، ولا يعتبرون ما فيها ، بل يقولون في المحافل : إنّ الله تعالى لم يأمرهم باتباع الأئمة . ويستدلّون لبعض الأشيآء على غير فهم وعلم ببعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ليُوهموا العوام أنهم إنّما يأخذون من الكتاب والسنة ما يلفّقونه من الأحكام ، كذا ذُكر في « المدائح » راجعه في ٤٠١ .

ولم يَدْر هؤلاء القوم أنهم لا يفهمون كلام الشارع بشدّة رؤية نفوسهم ، ولم يروا الفرق بينهم وبين الأئمة المجتهدين الماضين مع أن كلام الشارع لاَ يفهم إلاّ مَنْ دخل حضرته ، قال الإمام الشعراني في « كشف الغمة » **إنّ كلام الشارع لا يفهم إلاّ مَن دَخلَ حضرته** .

ومعلوم أن حضرته محرّمة على محبّ الدنيا ، **فَلا يَدْخل حضرته إلا من تساوى عنده الذهبُ والترابُ في عدم ميل القلب إلى جمعه ، وفي عدَم فَرْحه به** . انتهى عبارته راجعه في ٥ ج١ . فليعتبر المنصف

هل كان هؤلاء المنكرون كذلك ، كلا فكلا ، بل أنهم عاكفون على جمعه من أين حصل ليلاً ونهاراً ، وقلوبهم مظلمة باستيلاء حبّه وبتدبير تحصيله ، ولا يفرقون بين الحلال والحرام ، وهم منهمكون كل الآنات في تحصيل الشهوات النفسانية والمأرب الشيطانية ، وقال تعالى في حقِّ أمثالهم ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ انتهى . ومع ذلك يعترضون على أوراد المشائخ الصوفية ، ويقولُون : هل لذلك دليل من الكتاب والسنة مع أنها عين الكتاب ولبّ السنة ، ولا يكون كلامهم في شيء سواها من المنكرات ، ولا يَرَوْنَ غيرها ، وإنما أورادهم جرُّ الدخان وشرب المسكرات والتخيل في النساء الأجنبيّات والنظر إليهنّ وقت الملاقات ، وهذه الأوراد عندهم حلال ، ولا يحتاجون فيها إلى الدليل من الكتاب والسنة ، ولا يعتبرون غيرها من منكرات الخلائق ، فليت شعري هل لهم لذلك دليل من الكتاب والسنة .

فذكرا النبهاني على الآية المذكورة في موضع آخر ؛ أي آية ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ . . .إلخ . وهي لعمري أنه باهرة ومعجزة ظاهرة مطابقة ما قبلها وما بعدها من الآيات لأوصاف الفرقة الخاسرة ، **وكنت كلما قرأت هذه الآيات يخطر ببالي أنها موافقة لأوصاف هؤلاء الجماعة** المفسدين الذين يزعمون إصلاح الدين ، فلما رجعت التفسير المذكور ، ورأيت قول سلمان المسطور تيقَّنت أنهم هم المراد ، وإن شملت ما قبلهم من يدعون الإصلاح وهم أهل الفساد . انتهى عبارته في ٤٠٢ راجعه .

وقال فيه أيضاً في حق مخالفتهم لأهل السنة والجَماعة :

وَيَعتقدون الأَنْبِياء كغيْرِهِمْ سَواءٌ عقِيبَ الْمَوْتِ لا خَيْرَ وَلا شرّاً
وَقَدْ عَذَرُوا مَنْ يَسْتغيث بِكَافِرٍ وما وَجَدُوا لِلْمُسْتغِيثِ بِهِمْ عُذْراً

ورد في « صحيح البخاري » أنّ النبي ﷺ أشار إلى المشرق وهو في المدينة المنورة ، وقال : « من ههنا يطلع قرن الشيطان » . وبلاد نجد

واقعة في جهة الشرق من المدينة المنورة . انتهى عبارته في ٣٨٦ . أي : عذروا[١] من يستغيث بكافر من الأحياء ، ومنعوا الاستغاثة بالأنبياء والأولياء بعد موتهم ، **فكان الكافر الحيّ عندهم أحسن حالاً من الأنبياء بعد موتهم** . نعوذ بالله من غضب الله ، وإذا ضلّت العقول على علم فماذا تقوله النصحآء . انتهى منه في ٣٨٦ .وفيه أيضاً في موضع آخر أنّ الوهابيّة منسوبُون إلى محمد بن عبد الوهاب النجدي التابع لابن تيمية في بدعه التي خالف بها أئمة الاسلام ، وزاد عليه : أنّه كفّر كلَّ من يستغيثون بالأنبياء والأولياء الكرام كما ذكر العلمآء الأعلام راجعه في ٣٧٠ عبارته .

وفيه في موضع آخر أيضاً أنّ هؤلاء القوم استولى الشيطان على قلوبهم ، فخيّل لهم أن الشريعة المحمّدية ودين الإسلام هو كلّ ما يفهمونه من الكتاب والسنة بعقولهم القاصرة وأفهامهم الفاسدة ، حتى لو أدَّى ذلِكَ إلى الاستهانة بالنبي ﷺ فضلاً عن الصحابة وأئمة الدين من السابقين واللاحقين . انتهى . راجعه في ٣٨٣ .

فذكر العلامة ابن حجر الهيتمي في « الفتاوى الحديثية » **أنه لم يقصر اعتراض ابن تيميَة على متأخري الصوفية ، بل اعترضَ علي مثل عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهما** كما سنذكره في الباب الثاني .

وفيه[٢] أيضاً ما معناه : أن رشيد رضا قرين محمد بن عبد الوَهاب لم يصدّق الحديث الوارد عن النبي ﷺ في سجُود الشمس له ، بل قال : إنه مخالف للواقع المشاهد ، وصرّح بأنّ ذلك لا يقبل التأويل ، وأنه لم يجب له جوَاباً إلاَّ أن قال : والأنبياء غير معصومين من الإخبار عن الشيء بخلاف حقيقته ، فأوضح بذلك أنّ مراده في عبارته الأولى تكذيب

---

(١) **علّه** : عدروا .

(٢) **أي** : في « المدائح النبوية » .

النبي ﷺ ، وأن تكذيبه على رأيه لا محذور فيه ؛ **لأنّ الأنبياء على زعمه الفاسد غير مَعصومين من الكذب** ، فتكذيبه له ﷺ كفرٌ صريح لا يقبل التأويل . راجعه في ٣٨٤ .

وفيه أنهم يعتقدون أنّ الله تعالى منحصر في جهة العلو . بهذا الاعتقاد يستحقون اطلاق الشرك عليهم . راجعه في ٣٨٧ ففيه البسط الشافي . قال الشيخ النبهّاني فيه واعلم أنّ هؤلاء المفتونين **يدَّعون الاجتهاد المطلق ، واستنباط الأحكام من الكتاب والسنة** ، **ويرفضون المذاهب الأربعة مع جهلهم المركَّب وفسقهم المحقَّق** ، وتهتُّكهم في أنواع المعَاصي ؛ من الكبائر والصغائر وسائر الآثام ، وتركهم مَا عَدَا الشهادتين من أركان الإسلام ، فلا صلاة ، ولا زكوة ، ولا حج ، ولا صيَام ، ومع كونهم كالأنعَام أو أضلّ من الأنعام يدَّعي كل واحد منهم أنه من أئمة الإسلام ، ويدعو الناس إلى الاجتهاد في الدين حتى العوَام ، وهم مع كلّ ذلك لا يتقيَّدون بالحلال والحرام ، وإنما دينهم كلام في كلام ، وصارت أحكام الدين عندهم كل ما خطَر ببالهم ، ووافق أغراضهم ، وجرى على ألسنتهم وأقلامهم من الألفاظ المنمقة والمعاني الملفّقة التي تلقَّفوها من مقالات الفلاسفة وكتاب الإفرنج ، ممَّا لا يوافق دين الإسلام ولا يقوله من عنده في هذا الدين المبين أدنى إلمام ، فينشرونه في كتبهم وجرَائدهم بصفة ترضى إخوانهم مراق المدارس وفساق العوام الذين لا يبالون بالإسلام ، ولا بأحكام الإسلام ، **وقد يستدلُّون على غير فهم وعلم ببعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ليوهموا العوام أنهم إنما يأخذون من الكتاب والسنة ما يلفقونه من الأحكام** .

مطلب

ونصحي للمسلمين

فنصحي لكلّ المسلمين أن لا يلتفتوا إلى كلامهم ، ويعتقدوا أنهم في هذا العصر من أعدى عداة الإسلام ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ونسأله تعالى لنا ولجميع المسلمين حسن الختام . انتهى عبارته في ٤٠١ كذا في « السفر الأسنى في الرابطة الحسنى » .

مهمّ

في مقابح محمد بن عبد الوهّاب

وذكر في « الدرر السنية » من مقابح محمد بن عبد الوهاَب الذي هو رئيس الوهَابية أنه كان ينهى عن الصلاة على النبي ﷺ ، ويتأذّى من سماعها ، وينهى عن الإتيان بها ليلة الجمعة ، وعن الجهر بها على المنابر ، ويؤذي من يفعَل ذلك ، فأمرَ بقتله فقتل ثم قال : إنّ الربابة في بيت الخاطئة ؛ يعني : الزانية أقلّ إثماً ممّن ينادي بالصلاة على النبي ﷺ في المنابر ، ويلبّس على أصحابه بأنّ ذلك كلّه محافظة على التوحيد ، فما أفظعَ قولَه ، وما أشنع فعلَه ، وأحرق « دلائل الخيرات » وغيرها من كتب الصلاة على النبي ﷺ ، ويتستَّر بقوله : إنّ ذلك بدعة ، وإنه يريد المحافظة على التوحيد ، وكان يمنع أصحابه من مطالعة كتب الفقه والتفسير والحديث ، **وأحرق كثيراً منها ، وأذن لكلّ من اتبعه أن يفسر القرآن بحسب فهمه ، حتى همج الهمج من أتباعه ، فكان كل واحد منهم** يفعل ذلك ، ولو كان لا يحفظ القرآن ولو شيئاً منه ، فيقول الذي لا يقرأ : منهم لآخر يقرأ اقرأ عليّ حتى أفسّر لك ، فإذا قرأ عليه يفسّره برأيه ، وأمرهم أن يعملوا ويحكمُوا بما يفهمُونه ، وجعل ذلك مقدّماً

على كتب العلم ونصوص العلماء وكان يقول في كثير من أقوال الأئمة الأربعة : ليست بشيء . وتارة يتستَّر ويقول : إنّ الأئمة على حقٍّ . ويقدح في أتباعهم من العلمآء الذين ألَّفوا في المذاهب الأربعة وحرّروها ويقول : إنهم ضلوا وأضلّوا .

وتارة يقول : إنّ الشريعة واحدة ، فما لهؤلاء جعلُوها مذاهب أربعة ؛ هذا كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ لا نعمل إلا بهما ، ولا نقتدي بقول مصري وشامي وهندي ؛ يعني بذلك أكابر علماء الحنابلة وغيرهم ممن لهم تأليف في الردِّ عليه ، **فكان ضابط الحق عنده ما وافق هواه ، وإن خالف النصوص الشرعية وإجماع الأمة ، وضابط الباطل عنده ما لم يوافق هواه** ، وإن كان على نصّ جليّ أجمعت عليه الأمة .

وكان ينتقص النبي ﷺ كثيراً بعبارات مختلفة ويزعم أن قصده المحافظة على التوحيد .

فمنها : أن يقول : إنه طارش . وهو في لغة أهل المشرق بمعنى الشخص المرسل من قوم إلى آخرين ، فمراده أنه ﷺ حامل كتب ، أي : غاية أمره أنه كالطارش الذي يرسله الأمير أو غيره في أمر لإِنَاس ليبلِّغهم إياه ، ثم ينصرف

ومنها : أنه كان يقول : نظرت في قصة الحديبية ، فوجدت بها كذا وكذا كذبة . . .إلى غير ذلك مما يشبه هذا ، حتى أن أتباعه كانوا يفعلون مثل ذلك ، ويقولون مثل قوله ، بل أقبح مما يقول ، ويخبرونه بذلك ، فيظهر الرضا ، وربما أنهم قالوا ذلك بحضرته فيرضى حتى أنّ بعض أتباعه كان يقول : عصاي هذه خير من محمد ؛ لأنّها ينتفع بها في قتل الحيّة ونحوها ، ومحمّد قد مات ، ولم يبق فيه نفع أصلاً ، وإنما هو طارش وقد مضى ، قال بعض من ألّف في الرد عليه : إن ذلك كفر في المذاهب الأربعة بل هو كفر عند جميع أهل الإسلام . انتهى عبارته في ٣٣ .

وفيه في موضع آخر بعد ذكر فتنه وبلاياه : **وهذه بلية ابتلى بها عباده ، وهي فتنة من أعظم الفتن التي ظهرت في الإسلام ، طاشت من بلاياها العقول** ، وحار فيها أرباب العقول ، لَبَّسوا فيها على الأغبياء ببعض الأشياء التي توهمهم أنهم قائمون بأمر الدين ، وذلك مثل أمرهم البوادي بإقامة الصلوات والمحافظة على الجمعة والجماعات ، ومنعهم من الفوَاحش الظاهرة ؛ كالزنا واللواط وقطع الطريق ، فآمنوا الطرق ، وصاروا يَدْعون الناس إلى التوحيد ، فصارت الأغبيَاء الجاهلون يستحسنون حالهم ، ويغفلون ويذهلون عن تكفيرهم المسلمين ، فإنهم كانوا يحكمون الناس بالكفر منذ ستمائة سنة ، وغفلوا أيضاً عن استباحتهم أموال الناس ودمائهم ، وانتهاكهم حرمة النبي ﷺ بارتكاب أنواع التحقير له ولمن أحبّه ، وغير ذلك من مقابحهم التي ابتدعوها ، وكفروا الأمة بها ، وكانوا إذا أراد أحدٌ أن يتبعهم على دينهم طوْعاً أو كرهاً يأمرونه بالإثبات بالشهادتين أولاً ، ثم يقول له : اشهد على نفسك أنك كنت كافراً ، واشهد على والديك أنهما ماتا كافرين . انتهى راجعه عبارته في ٣٧ .

وفيه بعيد هذا وكان يقول لأتباعه : إني أتيتكم بدين جديد . ويظهر ذلك في أقواله وأفعاله ولهذا كان يطعن في مذاهب الأمّة وأقوال العلماء ، **ولم يقبل من دين نبينا ﷺ إلا القرآن ، ويؤوّله حسب مراده**[١] **مع أنه إنما قبله ظاهراً فقط لئلا يعلم الناس حقيقة أمره** ، فينكشفوا عنه بدَليل أنه هو وأتباعه إنما يؤوّلونه على حسب ما يوافق أهوائهم لا بحسب ما فسره به النبي ﷺ وأصحَابه والسلف الصالح وأئمة التفسير فإنه كان لا يقول بذلك ، ولا يقول بما عدا القرآن من أحاديث النبي ﷺ وأقاويل الصحَابة والتابعين والأئمة والمجتهدين ، ولا بما استنبطه الأئمة من القرآن والحديث ، ولا يأخذ بالإجماع وبالقياس ، وكان يدَّعي الانتساب إلى مذهب الإمام أحمد رضي الله عنه كذباً وتستّراً وزوراً ، والإمام أحمد بريىء منه ؛

---

(١) كما هو دأب الوهابية .

ولذلك انتدب كثير من علماء الحنابلة المعاصرين له للرّدّ عليه ، وألَّفوا في الردِّ عليه رسائل كثيرة حتى أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ألَّف رسالة في الردِّ عليه كما تقدم

مهم

وتمسّك في تكفير المسلمين بأيات نزلت في المشركين ، فحملها على الموحِّدين ، وقد روى البخاري عن عبد الله عن عمر رضي الله عنهما في وصف الخوارج « أنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعَلُوها في المؤمنين » . وفي رواية أخرى عن ابن عمر عند غير البخاري أنه ﷺ قال « أخوف ما أخاف على أمتي رجل متأوِّل للقرآن يضعه في غير موضعه » فهذا وما قبله صادق على ابن عبد الوهاب ومن تبعه .

وأعجب من ذلك كلّه أنه يكتب إلى عماله الذين هم من أجهل الجاهلين : اجتهدوا بحسب فهمكم وانظروا واحكموا بما ترونه مناسباً لهذا الدين ولا تلتفتوا لهذه الكتب فإنّ فيها الحق والباطل . وقتل كثيراً من العلماء والصالحين وعوام المسلمين لكونهم لم يوافقوه على ما ابتدعه .

وكان يقسم الزكاة على ما يأمره به شيطانه وهواه . وكان أصحابه لا يتخذون مذهباً من المذاهب ، **بل يجتهدون كما أمرهم ، ويتستَّرون ظاهراً** بمذهب الإمام أحمد ويلبِّسون بذلك على العامة .

وقد اعتنى كثير من العلمآء من أهل المذاهب الأربعة للردّ عليه في كتب مبسُوطة عملاً بقول النبي ﷺ « إذا ظهَرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » وبقوله ﷺ « ما ظهر أهل بدعة إلاَّ ظهر الله فيهم حجة على لسان من شاء من خلقه » فلذلك انتدب للرد عليه علماء المشرق والمغرب من جميع المذاهب ، والتزم في الرد عليه بأقوال الإمام أحمد وأهل مذهبه ، وسألوه عن مسائل يعرفها أقلّ طلبة العلم فلم يقدر على الجوَاب عنهَا ؛ لأنه لم يكن له تمكّن في العلوم . انتهى . راجعه في ٣٨ عبارته .

ذكر في « المدائح النبوية » كانت الحكُومة المصريّة نفت الشيخ محمد عبده من القطر المصريّ ، فجاء إلى بلاد الشام ، وأقام فيها عدة سنوات تمكن في أثنائها من بذر ضلاله في نفوس بعض الجهال من أبناء المدارس وطلبة العلم ، وكان ينتقل من بلدة إلى بلدة ، فأثّر تأثيراً سيِّئاً ، وكان قد نفى من علماء مصر العاملين وصلحائها الكاملين الشيخ محمد عبد الجواد وأخوه الشيخ أحمد ، فسكنوا في بيروت كالشيخ محمّد عبده فأقبل على هذين الأخوين الصالحين جمهُور المسلمين إقبَالاً عظيماً ، ونفروا من الشيخ محمد عبده نفوراً كبيراً ، وكان معروفاً عندهم بعدم التقوى ، فلا يزالون يعترضون على أفعاله وأحوَاله المخالفة للدين التي لا تليق فضلاً عن العلماء بعوَام المسلمين ، ومع ذلك فقد أقبل عليه فساق المسلمين ومراقهم ، وغير المسلمين من الدروز والنصارى والمبتدعين فصَار يحبّهم ويحبّونه ، وهكذا أصحابه في مصر من هذا القبيل ، ولم نسمع برجل صالح وقعت بينه وبينه أدنى محبّة .

مهم

وقد أجمعَ كلّ الناس على اختلاف الملل والنحل أنه وشيخه الأفغاني وجميع تلاميذه ومحبّيه لم يكن أحد منهم من صلحاء المسلمين ؛ يعني الصلاح المعروف في دين الإسلام من العمل بالفرائض والمندوبات ، وترك المحرّمات والمكروهات ، وهو وهم جميعاً لا يعتبرون الصلاح في العالم وغيره منقبة ، بل بالعكس ينسبُون الصلحاء إلى الغفلة وقلة العقل ، ولا يرون لهم أدنى مزية ، ولذلك ترى جماعة يبالغون بالثناء عليه بحيث يجعلوُنه فريد العصر مع مشاهدتهم تركه الصلاة والصوم والحج وغير ذلك مِنْ فرائض الإسلام معَ شربه الخمر ، ومعاشرته لنساء النصارى ، وغير ذلك من المحرّمات وقد تمكن بدهَائِه[١] وقوّة شيطانه أن يرسخ

---

(١) أي بلائه .

في أذهانهم استحسان الفسوق والمروق من الدين واستقباح الصلاح واتباع سبيل المؤمنين ، ولذلك لا تجدُ أحداً منهم ملازماً للصلوات ، مثابراً[1] على الطاعات تاركاً لأنواع الفسوق والمحرّمات ، فهؤلاء هم الذين يدَّعون الاجتهاد ، ومن لا يدعيه من المسلمين معدود عندهم من المغفلين الأوغاد ، ولا يعجبُهم إلاّ أمثالهم ؛ أهل الزيغ والفساد التاركون لشرائع الإسلام المجاهرون بالفسق والزنْدقة والإلحاد ، ومع كل هذا يَعْتقدون في أنفسهم أنهم على الحق ، وجميع الأمة من أهل المذَاهب الأربعة على الباطل ، فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلي هؤلاء اللئام الذين كاد بهم الشيطان في هذا الزمان المسلمين والإسلام . انتهى عبارته ٣٦٨ .

ومن أعجب العجائب أنَّ أتباعه الذين ظهروا الآن في أطراف ناحيتنا لا ينظرون إلى كتب تفاسير الأئمة ، ولا يقبلون ما فيها معلّلين بعدم صحة العمل على آراء الناس وتفاسيرهم ، ومع ذلك يكون بأيدي كلّهم تفاسير محمد عبده المذكور الذي فسّر للقرآن برأيه ، وأوّله به ، فلا يكون العمل به عملاً بالرأي عندهم ، بل يقدمونه على الحديث وسائر كتب الأئمة والمشائخ ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، والسلام على من اتبع الهدى ، وقبل النصح ، وسلّم القوس إلى باريها .

وفي « الدرر السنية » في موضع آخر أنّ النبي ﷺ أخبر عن هؤلاء الخوارج في أحاديث كثيرة فكانت الأحاديث من أعلام نبوّته ﷺ ؛ لأنها من الإخبار بالغيب ، وتلك الأحاديث كلها صحيحة بعضها في « صحيح البخاري » وبعضها في غيرها .

فمنها قوله ﷺ « الفتنة من ههنا ، الفتنة من ههنا » ، وأشار إلى المشرق ، وقوله ﷺ « يخرج ناس من قبل المشرق ، ويقرؤون القرآن ، لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، لا

(١) أي مواظباً .

يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه ، سيماهم التحليق » . انتهى . والفوق : بضم الفاء موضع الوتر ، وقوله ﷺ « سيكون في أمتي اختلاف وفرقة ، يحسنون القيل ويسيئون الفعل ، يقرؤون القرآن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، لا يرجعون حتى يعُود السهم إلى فوقه ، هم شرّ الخلق والخليقة » . . .إلخ .

وقوله ﷺ « سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون قول خير البرية ، يقرؤون القرآن ، لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » . . .إلخ . وقوله ﷺ « رأس الكفر نحو المشرق ، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل » وقوله ﷺ « من هاهنا جائت الفتن » وأشار نحو المشرق . انتهى عبارته ٤١ .

مهم

في منكرات الوهّابيَّة أعذنا الله تعالى بفضله آمين

وفيه أيضاً في موضع آخر : وأما ما نقل عن بعض العلماء أنّه استصوب من فعل النجدي جمع البدو على الصلاة ، وترك الفواحش الظاهرة ، وقطع الطريق ، والدعوة على التوحيد ، فهو غلط ، حيث حسن للناس فعله ، ولم يطلع على ما ذكرناهُ من منكراته ، وتكفير الأمة من ستمائة سنة ، وحرْق الكتب الكثيرة وقتله كثيراً من العلماء وخواص الناس وعوامهم ، واستباحة دمائهم وأموَالهم ، وإظهار التجسيم للباري تبارك وتعالى ، وعقده الدروس لذلك ، وتنقيصه النبي ﷺ ، وسائر الأنبياء والمرسلين والأولياء ، ونبش قبورهم ، وأمره في الإحساء أن تجعل بعض قبور الأولياء محلاًّ لقضاء الحاجة ، ومنع الناس من قرائة « دلائل الخيرات » ، ومن الرواتب والأذكار ، ومن قراءة مولد النبي ﷺ ، ومن الصلاة على النبي ﷺ في المنابر بعد الأذان ، وقتل من فعل ذلك ، وكان يعرض لبعض الغوغاء الطغام بدعوة النبوّة ، ويفهمهم ذلك من فحوى

كلامه ، ومنع الدعآء بعد الصلاة ، وكان يقسم الزكاة على هواه ، وكان يعتقد أنّ الإسلام منحصر فيه وفيمن تبعه ، وإنّ الخلق كلّهم مشركون ، وكان يصرِّح في مجالسه وخطبه بتكفير المتوسِّل بالأنبياء والملائكة والأولياء ، ويزعمُ أنّ مَنْ قال لأحد مولانا أو سيّدنا فهو كافر ، ولا يلتفت إلى قول الله تعالى في سيّدنا يحي ﴿وَسَيِّدًا﴾ ، وإلى قول النبي ﷺ للأنصار « قوموا لسيّدكم » يعني : سعد بن معاذ رضي الله عنه ، ويمنع من زيارة النبي ﷺ ، ويجعله كغيره من الأموات ، وينكر علم النحو واللغة والفقه ، والتدريس بهذه العلوم ، ويقول : إنّ ذلك بدعة . ثم قال السيد علوي الحدّاد في كتابه المتقدم ذكره : **والحاصل** أنَّ المحقَّق عندنا من أقواله وأفعاله ما يوجب خروجه من القواعد الإسلامية لاستحلاله أموالاً مجمعا على تحريمها ، معلومة من الدين بالضرورة ، بلا تأويل سائغ مع تنقيصه الأنبيآء والمرسلين والأولياء والصالحين . وتنقيصُهم تعمّداً كفرٌ بإجماع الأئمة الأربعة . انتهى راجعه في ٤٣ .

مات محمد عبده مفلوجا بلسانه ، وكذا مات جمال الدين الأفغاني مفلوجاً بلسانه

وفي « المدائح النبويّة » في ٣٧٢ إنه مات في الإسكندرية مفلوجاً بلسانه ، وكذا مات جمال الدين الأفغاني في القسطنطية مفلوجاً بلسانه ، وعظم الداء فيهما حتى قطع لسان كل منهما ، ولم يحصل فائدة حتى ماتا شرَّ ميتةٍ على أسوء الأحوال ؛ ونسأل الله العافية ، ومع ذلك لم يعتبر بهما هؤلاء الجهال الذين اتبعوهما على الضلال والإضلال . انتهى عبارة . قال بعد ذلك :

وَلَوْ لاَ حَدِيثُ الْمُصْطَفَي لأُسَامة ... يَقُولُ بِهِ هَلاَّ شققتَ لَهُ الصَّدْرَا

لَمَا صَحّتِ الدَّعْوَى بِإسْلاَمِ بَعْضِهِمْ ... لَدَيَّ وَمَا اسْتَبْعَدْتُ عَنْ بَعْضِهِمْ كُفْراً

ورد في الحديث الصحيح أنّ أسامة بن زيد أخبر النبي ﷺ بعد رجوعه من سرية كان أرسله معها لقتال بعض المشركين بأنه قتل رجلاً منهم بعد أن شهد أن لا إله إلا الله ، فغضب ﷺ ، فاعتذر أسامة بأنَّ ذلك الرجل إنما قالها لخوفه من القتل ، فقال له ﷺ : « هلاّ شققت عن صدره » ، يعني : كان يجب عليه أن يعامله بالظاهر من إسلامه ، ويَكِلَ أمر سريريته إلى الله تعالى ، فكذلك نحن نعامل هؤلاء المبتدعين ؛ جماعة محمد عبده وجمال الدين معاملة المسلمين ، ونكل سرائرهم إلى الله تعالى حتى يثبت كفرهم . راجعه في ٣٧٣ .

وعبارة صاحب « الدرر السنية » فيه في موضع آخر : فهؤلاء المنكرون للتوسل والزيارة فارقوا الجماعة والسواد الأعظم ، وعمدوا إلى آيات كثيرة من آيات القرآن التي نزلت في المشركين ، فحملوها على المؤمنين الذين تقع منهم الزيارة والتوسل ، وتوسَّلوا بذلك إلى تكفير أكثر الأمة من العلمآء والصلحآء والعباد والزهاد وعوام الخلق ، وقالوا : إنهم مثل المشركين الذين قالوا ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ . وقال فيه أيضاً بعيد ذلك : ومما يعتقد هؤلاء المنكرون للزيارة والتوسل منع النداء للميِّت والجماد ، ويقولون : ذلك كفر واشراك وعبادة لغير الله تعالى . انتهى في ٢٣ ، كما سنذكرها مع الأجوبة لها إن شآء الله تعالى في باب الأجوبة .

قال العلامة ابن حجر الهيتمي في « الفتاوى الحديثية » بعد ذكره اعتراضات ابن تيمية على متأخِّري الصوفية فيا ويح مَنْ هؤلاء خصماؤه يوم القيامة ، وهيهات أن لا يناله غضب ، وأنّى له بالسلامة ؟ ! وكنت ممن سمعه وهو على منبر جامع الجبل بالصالحية ، وقد ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : إنّ عمر له غلطات وبليّات ، وأيّ بليّات . وأخبرني عنه السلف أنّه ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مجلس آخر فقال : إنّ عليّا أخطأ أكثر من ثلثمائة مكان . فيا ليت شعري من أين يحصل لك الصواب

إذا أخطأ علي بزعمك ، كرّم الله وجهه ، وعمر بن الخطاب . . . إلى آخر ما قاله ونذكره تماماً في الباب الثاني إن شاء الله تعالى . راجعه في ٨٥ .

وقال فيه بعيد هذا : **واعلم أنّه** خالف الناس في مسائل ، نبّه عليها التاج السبكي وغيره ، **فممّا خرق فيه الإجماع** قوله في : (**عليّ الطلاق**) ، **إنه لا يقع عليه ، بل عليه كفارة يمين** ، ولم يقل بالكفارة أحد من المسلمين قبله ، وأنّ طلاق الحائض لا يقع ، وكذا الطلاق في طهر جامع فيه ، وأن الصلاة إذا تركت عمداً لا يجب قضاؤها ، وأن الحائض يباح لها الطواف بالبيت ولا كفارة عليها ، وأن الطلاق الثلاث يرُدُّ إلى واحدة ، وكان هو قبل ادِّعائه ذلك نقل إجماع المسلمين على خلافه ، وأنّ المكوس حلال لمن أقطعها ، وأنها إذا أخذت من التجار أجزأتهم عن الزكاة ، وإن لم تكن باسم الزكاة ولا رسمها ، وأنّ المائعات لا تنجس بموت حيوان فيها كالفأرة ، وأنّ الجنب يصلّي تطوعه بالليل ولا يؤخره إلى أن يغتسل قبل الفجر وإن كان بالبلد ، وأن شرط الواقف غير معتبر ، بل لو وقف على الشافعية صرف إلى الحنفية وبالعكس ، وعلى القضاة صرف إلى الصوفية ، في أمثال ذلك من مسائل الأصول مسألة الحسن والقبح ، التزم كل ما يرد عليها ، وأنّ مخالف الإجماع لا يكفر ولا يفسق ، وأن ربنا سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوّاً كبيراً محلّ الحوادث ، تعالى الله عن ذلك وتقدّس ، وأنه مركَّب تفتقر ذاته افتقار الكل للجزء ، تعالى الله عن ذلك وتقدَّس ، وأنّ القرآن محدث في ذات الله ، تعالى عن ذلك ، وأن العالَم قديم بالنوع ، ولم يزل مع الله مخلوقاً دائماً ، فجعله موجباً بالذات لا فاعلاً بالاختيار ، تعالى الله عن ذلك ، **وقوله** بالجسمية ، والجهة ، والانتقال ، وأنه بقدر العرش ، لا أصغر ولا أكبر ، تعالى الله عن هذا الافتراء الشنيع القبيح ، والكفر البواح الصريح ، وخذل متَّبعيه ، وشتَّت شمل معتقديه ، وقال : إنّ النار تفنى ، وإنّ الأنبياء غير معصومين ، وإنّ رسول الله ﷺ لا جاه له ، ولا يتوسل

به ، وإنّ إنشآء السفر إليه بسبب الزيارة معصية لا تقصر الصلاة فيه ، وسيحرم ذلك يوم الحاجة ماسَّةٌ إلى شفاعته ، وإن التوراة والانجيل لم تبدّل ألفاظهما ، وإنما بدّلت معانيهما . انتهى راجعه في ٨٥ .

وفيه في موضع آخر ما حاصله : ليس العجب من انكار المعتزلة الكرامات : فإنهم قد خاضوا فيما هو أقبح منه ، وأنكروا النصوص المتواترة المعنى ؛ كسؤال الملكين ، وإنما العجب من قوم تسموا بأهل السنة ، وزعموا أنهم من حملة تلك المنة ، ومع ذلك يبالغون في الإنكار ، لأن كلمة الحرمان حقت عليهم . انتهى راجعه . عصمنا الله من أمثاله ، وهدانا إلى الصراط المستقيم ، وحشرنا مع النبيين والصديقين والشهداء ، وأفاض علينا من فيوضات المشائخ . أمين .

الباب الثاني

في بيان اعتراضات ابن تيميّة وأتباعه المبتدعة على متأخري الصوفية والمشائخ ، والأجوبة عنها ، وعدمٍ الانتفاع بعلومهم ، وكون الاعتراض عليهم سمّاً قاتلا ، وبيان ما ورد في منكري المشائخ والأولياء ؛ أفاض الله علينا من أنوار معارفهم ، وحرسنا من موجبات الحرمان عن شفاعتهم آمين .

أقول – وبالله التوفيق وبيده مقاليد الأمور – : قال العلامة المحقق الحافظ ابن حجر الهيتمي في « فتاوى الحديثية » إنه سئل نفع الله به بما لفظه : لابن تيمية اعتراض على متأخِّري الصوفية ، وله خوارق في الفقه والأصول ، فما محصّل ذلك . فأجاب بقوله : **ابن تيمة عبدٌ خذله الله وأضلّه وأعماه وأصَمَّه وأذلّهُ** . وبذلك صرّح الأئمة الذين بيَّنوا فساد أحواله

وكذب أقواله ، ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتَّفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد أبي الحسن السبكي ، وولده التاج ، والشيخ الإمام العزَّ بن جماعة ، وأهل عصرهم وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية ولم يقصر اعترضه على متأخري الصوفية ، بل اعترض على مثل عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

والحاصل : **لا يقام لكلامه وزن ، بل يرمى في كل وعر وحزن ، ويعتقد فيه إنه مبتدع ضال ومضلّ** وجاهل غال ؛ عامله الله بعدله ، وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته وفعله آمين ، وحاصل ما أشير إليه في السؤال أنه قال في بعض كلامه : إنّ في كتب الصوفية ما هو مبنيّ على أصول الفلاسفة المخالفين لدين المسلمين ، فيتلقَّى ذلك بالقبول من يطالع فيها من غير أن يعرف حقيقتها ؛ كدعوى أحدهم أنه مُطلع على اللوح المحفوظ ، فإنه عند الفلاسفة كابن سينا وأتباعه النفس الفلكية ، ويزعم إن نفوس البشر تتصل بالنفس الفلكية ، أو بالعقل الفعال يقظة أو مناماً ، وهم يدَّعون أنَّ ما يحصل من المكاشفة يقظة أو مناماً هو بسبب اتصالها بالنفس الفلكية عندهم ، وهي سبب حدوث الحوادث في العالم ، فإذا اتصلت بها نفس البشر استنقش فيها ما كان في النفس الفلكية ، وهذه الأمور لم يذكرها قدماء الفلاسفة ، وإنما ذكرها ابن سينا ومن يتلقى عنه ، ويوجد من ذلك في بعض كلام أبي حامد وكلام ابن عربي وابن سبعين ، وأمثال هؤلاء تكلّموا في التصوّف والحقيقة على قاعدة الفلاسفة لا على أصول المسلمين ، ولقد خرجوا بذلك إلى الإلحاد كإلحاد الشيعة والاسماعيلية والقرامطة والباطنية بخلاف عباد أهل السنة والحديث ومتصوّفتهم ؛ كالفضل وسائر رجال الرسالة ، وهؤلاء أعظم الناس إنكاراً لطرق من هو خير من الفلاسفة ؛ كالمعتزلة والكرامية ، فكيف بالفلاسفة .

وأهل التصوّف ثلاثة أصناف ؛ قوم على مذهب أهل الحديث والسنة كهؤلاء المذكورين ، وقوم على طريقة بعض أهل الكلام من الكرامية وغيرهم ، وقومٌ خرجوا إلى طريق الفلسفة مثل مسلك من سلك رسائل إخوان الصفا ، وقطعة توجد في كلام أبي حيان التوحيدي ، وأما ابن عربي وابن سبعين ونحوهما فجاؤا بقطع فلسفية ، غيّروا عباراتها ، وأخرجوا في قالب التصوّف ، وابن سينا تكلَّم في آخر الإشارات على مقام العارفين بحسب ما يليق بحاله ، وكذا معظم من لم يعرف الحقائق الإيمانية ، والغزالي ذكر شيئاً من ذلك في بعض كتبه ، لا سيما في الكتاب « المضنون به على غير أهله » و« مشكاة الأنوار » ونحو ذلك ، حتى ادَّعى صاحبه أبو بكر بن العربي فقال : شيخنا دخل في نظر الفلاسفة وأراد أن يخرج منهم فما قدر ، لكن أبو حامد يكفِّر الفلاسفة في غير موضع ، وبيَّن فساد طريقتهم ، وإنها لا تحصِّل المقصود واشتغل في آخر عمره بالبخارى ، ومات على ذلك ، وقيل : إنه رجع عن تلك الكتب ، ومنهم من يقول : إنها مكذوبة عليه ، وكثر كلام الناس فيه لأجلها ؛ كالمأزريّ والطرطوشي وابن الجوزي وابن عقيل وغيرهم . انتهى حاصل كلام ابن تيمة ، وهو يناسب ما كان عليه من سوء الاعتقاد حتى في أكابر الصحابة ، ومن بعدهم إلى أهل عصره ، وربما أداه اعتقاده ذلك إلى تبديع كثير منهم ،

ومن جملة من نتَّبعه الولي القطب العارف أبو الحسن الشاذلي نفعنا الله بعلومه ومعارفه في حزبه الكبير « حزب البحر » وقطعة من كلامه كما تتبع ابن عربي وابن الفارض وابن سبعين وتتبع أيضاً الحلاج الحسين بن منصور ، ولا زال يتبع الأكابر حتى تمالأ عليه أهل عصره ففسَّقوه وبدَّعوه ، بل كفَّره كثير منهم ، وقد كتب إليه بعض أجلاء أهل عصره علما ومعرفة سنة خمس وسبعمائة : من فلان إلى الشيخ الكبير العالم إمام عصره بزعمه .

أما بعد : فإنا أحببناك في الله زمانا ، وأعرضنا عمَّا يقال فيك إعراض الفضل إحسانا إلى أن ظهر لنا خلاف موجبات المحبة بحكم ما يقتضيه العقل والحسّ وهل يشك في الليل عاقل إذا غربت الشمس ، وأنك أظهرت أنك قائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والله أعلم بقصدك ونيتك ، ولكن الإخلاص مع العمل ينتج ظهور القبول ، وما رأينا آل أمرك إلاَّ إلى هتك الأستار والأعراض باتباع من لا يوثق بقوله من أهل الأهواء والأغراض ، فهو سائر زمانه يسب الأوصاف والذوات ، ولم يقنع بسبِّ الأحيآء حتى حكم بتكفير الأموات ، ولم يكفه التعرّض على من تأخر من صالحي السلف ، حتى تعدّى إلى الصدر الأوَّل ، ومن له أعلى المراتب في الفضل ، فيا ويح من هؤلاء خصماؤه يوم القيامة ، وهيهات أن لا يناله غضب ، وأنَّى له السلامة ، وكنت ممن سمعه وهو على منبر جامع الجبل بالصالحيّة ، وقد ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : إن عمر له غلطات وبليات وأيّ بليات ، وأخبرني عنه السلف أنه ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مجلس آخر فقال : إنّ عليّاً أخطأ في أكثر من ثلثمائة مكان ، فيا ليت شعري من أين يحصل لك الصواب إذا أخطأ علي بزعمك كرم الله وجهه وعمر بن الخطاب ، والآن قد بلغ الحال إلى منتهاه ، والأمر إلى مقتضاه ، ولا ينفعني إلا القيام في أمرك ودفع شرّك ، لأنّك قد أفرطت في الغيّ ، ووصل آذاك إلى كل ميّت وحيّ ، وتلزمني الغيرة شرعاً لله ولرسوله ، ويلزم ذلك جميع المؤمنين ، وسائر عباد الله المسلمين ، بحكم ما يقوله العلماء ، وهم أهل الشرع وأرباب السيف الذين بهم الوصل والقطع إلى أن يحصل منك الكفُّ عن أعراض الصالحين رضي الله عنهم أجمعين . عبارته ٨٥ ، وعبارته من موضع آخر .

وينبغي للإنسان حيث أمكنه عدم الانتقاد على السادات الصوفية نفعنا الله بمعارفهم ، وأفاض علينا بواسطة محبّتنا لهم ما أفاض على خواصهم ، ونظمنا في سلك أتباعهم ، ومنَّ علينا بسوابغ عوارفهم أن يسلم لهم أحوالهم ما وجد محملاً صحيحاً يخرجهم عن ارتكاب المحرّم .

وقد شاهدنا من بالغ في الانتقاد عليهم مع نوع تعصّب فابتلاه الله بالانحطاط عن مرتبته ، وأزال عنه عوائد لطفه ، وأسرار حضرته ، ثم أذاقه الهوان والذلة ، وردّه إلى أسفل سافلين ، وابتلاه بكل علّة ومحنة ؛ فنعوذ بك اللهم من هذه القواصم المرهفات ، والبواتر المهلكات ، ونسألك أن تنظمنا في سلكهم القويّ المتين ، وأن تمنّ علينا بما مننت عليهم حتى نكون من العارفين والأئمة المجتهدين ، إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير . انتهى عبارة ابن حجر راجعه في ٥٩ .

وفيه في موضع آخر وسئل في التصوُّف : ما ملخص ما يقولون في ابن عربي وابن الفارص وطائفتهما ، هل هم محِقّون أم مبطلون ، وما الدليل على ذلك ، أوضِحُوا لنا الجواب ، وابسطوه بسطاً شافياً . فأجاب : ملخَّص ما نعتقده في ابن عربي وابن الفارض وتابعيهما بحق الجارين على طريقتهما من غاية إتقان علوم المعاملات والمكاشفات ، ومن غاية الزهد والورع والتجرّد والانقطاع إلى الله في الخلوات ، والدأب على العبادات ونسيان الخلق جملة واحدة ، ومعاملة الحق ، ومراقبته في كل نفس ، كما تواتر كل ذلك عن هذين الرجلين العظيمين أنهم أخيار أولياء أبرار ، بل مقرَّبون ، ومن رِقِّ السوى أحرار ، لا مرية في ذلك ولا شك إلا عند من لا بصيرة له ، وكفاك حجة على ولايتهما تصريح كثير من الأكابر بها ، وبأنهما من الأخيار المقربين ؛ كالشيخ العارف الإمام الفقيه المحدث المتقن عبد الله اليافعي نزيل مكة المشرفة وعالمها ، ومن ثمَّ قال الأسنوي في ترجمته فاضل الاباطح وعالمها وقال : الحمد لله الذي ابتدأ كتبنا بالشافعي وختمها باليافعي . وكالشيخ الإمام المجمع على جلالته وعلمه بمذهب مالك وغيره وعلى معرفته التاج بن عطاء الله وناهيك بـ« حِكَم »ه ، وَ« تنويرُهُ »[1] دليلٌ على ذلك ، حتى قالوا : كادت « الحكم » أن تكون قرآنا يتلى ، وكالشيخ الإمام العلامة المحقق الشافعي الأصولي التاج السبكي ، وشيخنا خاتمة المتأخرين وواسطة عقد

(١) اسم كتابه قدس سره . **(هامش الاصل)** .

المحققين زكريا الأنصاري، وكالشيخ العلامة البرهان بن أبي شريف، وناهيك أيضاً بهذين العالمين. انتهى «فتاوى الحديثية» عبارته ٣٧.

وفيه بسط طويل، لكن اقتصرت على هذا المذكور لكون الكفاية فيما ذكر للمنصف المخلص المحقّ، وأما المتعصّب المنكر فلا ينفعه النصيحة ولو تليت عليه الآيات حرفاً حرفاً إلا إن لحقته العناية الإلهية.

مهم

وفيه بعيد هذا: **ولقد تواتر وشاع وذاع أنّ مَنْ أنكر على هذه الطائفة لا ينفع الله بعلمه ويبتلى بأفحش الأمراض وأقبحها**. ولقد جرّبنا في كثير من المنكرين حتى إن البقاعي غفر الله له كان من أكابر أهل العلم، وكان له عبادات كثيرة وذكاء مفرط وحفظ باهر في سائر العلوم، لا سيَّما علم التفسير والحديث، ولقد صنّف كُتباً كثيرة أبى الله أن ينفع أحداً منها، وله كتاب في مناسبات القرآن نحواً من عشرة أجزاء لا يعرفه إلا الخواص بالسماع، وأما غيرهم فلا يعرفونه أصلاً، ولو كان هذا الكتاب لشيخنا زكريا أو غيره ممّن يعتقد [في الأولياء] لكان يكتب بالذهب؛ لأنه في الحقيقة مثله، لكن ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾، ولقد بالغ البقاعي في الإنكار، وصنَّف فيه مصنفات، كلها صريحة في غاية التعصّب والميل عن سبيل الاستقامة، ومن ثم جوزي بما مرّ، وبأقبح منه، وهو أنه ضبط عليه في مناسباته، فحكم بتكفيره، وأهدر دمّه، ولم يبق من ذلك إلا إزهاق روحه لولا استعان ببعض الأكابر، حتى خلصه من تلك الورطة، واستتيب في الصالحية وجدّد إسلامه. راجعه، وفيه بسط طويل عبارته ٣٩.

مهم

وفيه أيضاً في موضع آخر: وليس العجب من إنكار المعتزلة الكرامات، فإنهم قد خاضوا فيما هو أقبح من ذلك، وأنكروا النصوص المتواترة المعنى عن النبي ﷺ كسؤال الملكين، وعذاب القبر، والحوض،

والميزان ، وغير ذلك . . .إلخ . وإنما العجب من قوم تسمَّوا بأهل السنة وزعموا أنهم من حملة تلك المنة ، ومع ذلك يبالغون في الإنكار ؛ لأنّ كلمة الحرمان حقَّت عليهم إلى أن ألحقتهم بأهل البوار ، وأوجبت لهم نوعاً من أقسام الوبال والخسار .

وهؤلاء

وهؤلاء أقسام ؛ فمنهم من ينكر على مشائخ الصوفية ومتابعيهم ، ومنهم من يعتقدهم إجمالاً ، وإنّ لهم كرامات ، ومتى عيِّن له أحد منهم أو رأى كرامة أنكر ذلك ؛ لما خيَّل له الشيطان أنهم انقطعوا ، وأنه لم يبق إلا متلبِّس مغرور احتوى عليه الشيطان ولبَّس عليه ، وهؤلاء من العناد والحرمان بمكان أيضاً ، وقد قرر ابن الجوزي من الوقوع في خطرهم إلا أنْ تكون له نية صالحة كقصده قمعَ مبتدعة في زمانه ، وذلك أنه صنَّف كتاباً سمّاه « تلبيس إبليس » تكلم فيه على شيوخ الصوفية وطريقهم وزعم أنّ إبليس لبس عليهم ، قال اليافعي : ولم يدر أنه هو الذي لبَّس عليه في كلامه هذا واعتقاده فيهم وهو لا يشعر ،

والعجب كلّ العجب

والعجب كل العجب منه في إنكاره سادات ؛ ما بين أوتادٍ وأبدال وصديقين وعارفين بالله ، قد ملؤا الوجود كرامات وأنوار ومعارف ، أعرضوا في بدايتهم عما سوى الله ، فحصل لهم في نهايتهم من فضل الله ما لا يعلمه إلا الله ،

مهم

فقول الصغير منهم : وقفت على قلبي عشرين سنة ما جاذبه شيء لغير الله إلاّ رددته ، هذا وهو يطول كلامه بحكاياتهم ، وينفق بضاعته بمحاسن صفاتهم ، فهلاَّ أخلى كتابه من ذكرهم إخلاء عاماً ، ولا يكون ممن يحلّونه عاما ويحرِّمونه عاماً .

أما علم أنّ علماء أعلام الأئمة من المجتهدين ومن بعدهم من الأئمة لم يزالوا قديماً وحديثاً يعتقدون الصوفية ويتبرَّكون بهم ويستمدون منهم ، ولقد وقع للتقي ابن دقيق العيد أنه قال في حق فقير كان يعتقده ويخضع له : **هو عندي خيرٌ من مائة فقيه ، أو من ألف فقيه** وكذلك النووي رضي الله عنه كان يعتقد الشيخ يس المزين ، ويقبل إشارته حتى أنه أمره بالسفر ، وردّ ما عنده من الكتب المستعارة قبل موته بقليل ، ففعل وسافر من دمشق لبلده نَوَى فتوفّي بها بين أهله ، وكذلك العز بن عبد السلام كان يبالغ في تعظيم الصوفية . انتهى عبارته ٢١٨ .

وسمعت شيخنا يقول : إنّ ابن الجوزي المذكور رجع عن الإنكار وتاب على يدي الشيخ محي الدين عبد القادر الكيلاني كذا ذكروه في كتبهم . انتهى . وقال الشيخ الرملي في حقِّ ابن تيمية في « النهاية » مثل ما قاله الحافظ ابن حجر ؛ مِنْ أنّه ضالّ مضلّ . راجعه في ١١٣ ج ٦ .

وقال شيخنا قدس سره أيضاً في كتابه « السفر الأسنى في الرابطة الحسنى » مخاطباً لبعض المنكرين : أيها الولد إنّ الكتب من كتب أئمتنا كثيرة فيا ليتك تقصر النظر إليها ، ففيها ما يكفيك في الدين والدنيا ولا تنظر إلى كتب هؤلاء القوم الذين صرفوا آيات القرآن عن مصارفها وحملوها إلى مقاصدهم الفاسدة الكاسدة ، ويا ليتك تنظر إلى غيرها من الكتب التي ردّ مؤلفوها جميع ما أثبته أولئك القوم المخطؤون كـ« شواهد الحق » وكتب الإمام السبكي ، و« الفتاوى الحديثية » و« الفتاوى الكبرى » لابن حجر وغيرها ، وأرجو الله أن ينصرف همتك إلى أحسن الأحوال ، وأن يخرجك عن هذه الورطات ، وهو على ذلك قدير وبالإجابة جدير . انتهى راجعه في ١٦ عبارته .

وذكر فيه أيضاً في موضع آخر بعد ذكر اعتراضات المنكر عليه : ولعلّ هذا القائل قد رأى ما قاله البعض بأن ليس لأهل الطريقة سند ،

ولم يدر أنَّ لهم سندا صحيحاً ، وأنهم لم يخترعوا شيئاً مَّا برأيهم ، **ولا يخفى أنه لا يلزم من عدم كون الشخص لا يعرف السند عدم كونه معلوماً عند غيره ، ولا يحيط بجميع ما ورد كل أحد وما يجهله أحدٌ يعلمه غيره فانظر ماذا ترى في جميع ما دوّنته في هذه الكراسة ولا تقف ما ليس لك به علمٌ** . واعلم إنّ نور الله لا يطفئ بنفح ، بل يؤيّد دينه ولو كره المبطلون وينصر من ينصره ، ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ . .الآية .

الطريقة وما يستعمله المشائخ أنوارٌ

والطريقة وما يستعمله المشائخ كلها أنوار ، والمنكرون يريدون إطفائها والله متمّ نوره ، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ الآية . واعلم أنّ المنكر المتعصّب لو كان بذل جهده وطاقته لإطفاء ظلمات الخلق وتصفية كدورات الناس ، وأنكر بدل هذا الإنكار على شارب المسكر وشارب الدخان والحشيش ومرتكب الحرام والمكروه والخسيس وغيرهم من اللمم والفواحش لكان خيراً له وأصلح لدينه ودنياه وآخرته ، لكنّه التجأ على هؤلاء السادات ، وأنكر جميعهم من أولهم إلى آخرهم ، واجتهد في ردّ الناس عن الخيرات ، وأدخلهم بقوله في زمرة المشركين عفى الله عنه وعنا .

وأيضاً قد كان في ديارنا متشيخون كذابون يفعلون ما لا أصل له ، ويعلِّمون الناس أموراً مخترعة ، ويتصدَّرون للإرشاد بأنفسهم بلا إجازة من المشائخ ، وقد عمّت بهم البلوى في الدين والدنيا بحيث لا يخفى على عاقل ، ومع ذلك سكت هذا المنكر وأضرابه عن إظهار الحق وإبطال الباطل ، ولم يقل لهؤلاء القوم ولو حرفاً مَّا على قصد النصيحة ، بل دارهم ما كان في دارهم ، ووافقهم في أغراضهم الباطلة . وأمّا نحن وإن كنّا ناقصين فقد سلكنا في مسالك الطريقة إلى مقام المشرب المحمدي ، وأجازنا مشائخنا ، ولا نفعل شيئاً ما يخالف أصولهم ، فالإنكار علينا

والسكوت عن هؤلاء ليس من الإنصاف ، **ولا عجب! ولم يخل عَصْرٌ من الأعصار إلا وفيه الحساد والمعاندون لهذه الطائفة ، لكنّ الله تعالى أيّدهم بفضله وزاد أنوارهم** . انتهى عبارته . وقال قدس سرّه فيه أيضاً في موضع آخر : **فهذا الحقير المرشد** المجازي كالقاضي الضروري يقول : ما قاله هذا القطب وإن كان خالفاً عن التخلُّق بأدنى شيء مما ذكره ، بيد أنه قد أجازه مشائخه في تلقين الأذكار في الطريقة النقشبندية والشاذلية والقادرية ، واحد منهم في الثلثة ، واثنان في النقشبنديّة خاصة ، وله في فنون العلوم النقلية والعقلية وعلوم التفاسير والأحاديث فنًّا بعد فنٍّ إجازة صحيحة ، وقد أمره أولئك المشائخ بالأمر الأكيد بالاجتهاد لهدايةٍ الخلق إلى طريق الحق ، وإن طلب منهم بجهده بإلقائهم هذا الثقل عن ظهره وتركهم إياه في قعر بيته لا يَدري ولا يُدرى ، وقد قال مرة لشيخه : يا أستاذي لو أنك تتركني على حالي ، وتأخذ منّي الإجازة ، وتنفي بعد ذلك أملاكي وأموالي وتؤويني إلى كهف من الكهوف بحيث لا مال ولا بنون لكان أحبّ إليّ . فأجاب بعد ذلك : لا يجوز لك أن تترك الإرشاد إلا تعلّمهم الاستغفار المحض ، ومجرّد ذلك شيء عظيم . انتهى راجعه عبارته ٧١ . أقول : كيف لا يقول مع أنّ ما يحمله يكون ثقلاً عظيماً لا يطيق حمله إلا من وفَّقه الله لذلك .

وسمعته قدس سره يحكي عن شيخه العسلي إنه كان لا يطيق التوجُّه على المريدين في يوم واحد أكثر من ستة رجال وسمعته أيضاً يقول إن شيخه المذكور مرض مرّة مدة ثلثة أشهرٍ بسبب توجّهه إلى إمرأة واحدة ،

وسمعته أيضاً يقول : إن الشيخ لا يدرك[١] أحوال المريدين إلا بعد مفارقة روحه عن الجسد وانسلاخه من الاختيار ،

---

(١) **أي** : لا يعلم أحوالهم إلا بعد فنائه عن ما سوى الله تعالى . فافهم .

وسمعته أيضاً يقول : إن سبب تغيير المتشيخين أصول الطريقة لعدم طاقتهم على التوجُّه على كل الحاضرين عندهم كما هو شرط في الطريقة النقشبندية ، كما قاله الشيخ العبودي قدس سره بنفسه للشيخ العسلي كذا في « تنبيه السالكين » راجعه .

وسمعته قدس سره يقول أيضاً إن شيخه العسلي كان يقول : سُ چِ خُلِوْ عَدَبْ أُنْتِ كَمُنْكِ دُنْ وُكُلَرُ هِبْ أُنْتِ دِصَ اُنْتِ لُِنْكِ رِكُّلَرُ (عجم) .

وسمعته أيضاً يقول : إنّ شيخه المذكور كان يقول : إنّ ما يحمله لا يطيق حمله على أهل بلدة كبيرة . انتهى .

وأما شيخنا قدس سره قد سبق في تحمّل الأثقال ، وحمل مشقة التوجُّه عليه وعلى المشائخ القبليّين ، فسمعته يقول كثيراً إنّه توجَّه مرة في مدة حياة شيخه العسلي على مائة رجل ولم يمسّ على رأسه وجع ولا ثقل . وبهذا كان شيخه المذكور يحكي للحاضرين لديه متعجِّباً على ذلك ،

وأما في الحال وفي هذا الزمان قد يتفق له أكثر من مائة رجل ولا يرجع أحدٌ من عنده بلا توجُّه ، ومع ذلك لا يخفى عليه شيء من أحوال المريدين ، فللّه الحمد على ذلك ولا نحصي ثناء عليه . انتهى .

وقال الشعراني في « المنن الكبرى » بعد ذكره مَنْ يتحملون البلايا من المشائخ : فعلم أنّ أهل هذا المقام لم يزل أحدهم مريضاً لتواصل وجود البلاء في الوجود على اختلاف طبقاته ، فلا يستريح إلا في وقت لم يتوجَّه إليه مكروب ، ولم يبلغه أن أحداً في بلاء ولا عقوبة يتعيّن عليه مساعدته فيها ، هذا هو حظه من الراحة في الدنيا .

ومن أعظم علامة على صاحب هذا المقام الصداع والضارب الشديد في رأسه حتى يحسُّ بأن شخصاً ذا قوة شديدة يضرب رأسه

بطبر ، أو دق قماق ليلاً ونهاراً ، أو أنّ رأسه مرضوض بين حجري معصرة ، فيتمنّى الموت فلا يجاب ، وقال بعد ذلك : ويقع لي بحمد الله تبارك وتعالى مثل ذلك كثيراً ، فربما أتوني بالطبيب ، فيصف لي دواء ، فيطول جولسه عندي ساعة ، فأشفي من المرض كأن لم أكن مريضاً ، فيتعجّب الطبيب من ذلك . راجعه ، وفيه بسط طويل عبارته ١١٠ ج ١ .

وقال شيخنا أيضاً في « السفر الأسنى » : إخواني إني أريد أن أكون في قعر حجرتي بغلق الباب ، ولا أطلب المريدين أصلاً ، لكنهم لا يتركوني على حالي ظناً منهم أني أهل لذلك ، مع أني في اعتقادي لست بمقام مريد ، فضلاً في مقام الشيخ ، ولا يكون لي بدٌّ من تعليمهم وتلقينهم ، مع ما فيَّ من المخالفة ، ولولا أنهم يعتقدونني لما نزلو بساحة داري ، ولو لم يكن ظنهم في الله حسنا بأن الله تعالى يدخلهم في فضله بواسطتي لما طلبوا مني السلوك ، فبناء على ذلك ألقِّنهم الاستغفار والصلوات ألفاً ألفاً في المَلَوَيْن ، أو خمسمائة منها على وفق حال المريدين ، وأعلِّمهم كيفية الرابطة الشريفة كما علَّمني أشياخي ، وأتركهم على تلك الحالة مدة شهر أو شهرين ، ثم بعد حصول الاستعداد ألقِّنهم الذكر القلبي بلفظة (الله الله الله) ، وآمرهم بعدم غفلتهم عن تخيُّل جريان هذا الذكر المذكور المبارك قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، **وأعلّمهم أن الغفلة من أعظم الذنوب عند أهل الله ، وأحثُّهم على الاستغفار عن الغفلة كما يستغفرون عن المعصية** ، فهذا أقلُّ ما آمرهم وأرشدهم إليه ، ومَنْ آثر منهم الآخرة على الدنيا ، وأراد أن ينيب إلى الله ، ولازم الذكر ، وترك الهوى ألقِّنه الذكر على اللطائف بالترتيب بعد حصول النتيجة على ما هو معلوم عند أهله ، فيسري ذكره على جميع أجزاء البدن ، ويحصل له سلطان الذكر ، ثم بعد ذلك ألقِّنهم النفي والإثبات ، فإذا حصل لهم نتيجة أعلّمهم المراقبة ، ثُمَّ وثُمَّ إلى آخر ما نعلم من أمور الطريقة . انتهى ، راجعه في ٧٢ عبارته .

مهم

يجب على الشيخ . . .إلخ .

وقوله قدس سره : (مع أني في اعتقادي لست بمقام مريد فضلا في مقام الشيخ) . . .إلخ . وهذا القول منه موافق لما قاله المشائخ العارفون من أنه يجب على الشيخ المرشد أن يرى نفسه أقلّ من كلّ أحدٍ حتى من مريديه ، وأعصى وأفسق منهم ، بيد أنه ينصحهم امتثالاً بالأمر الإلهي مع شهود أنهم أحسن منه حالاً . انتهى . كذا في « تنبيه السالكين » .

والمتكبّر عند الله لا يصلح أن يكون داعيا

وفيه بعيد ذلك نقلاً من « المنن الكبرى » : وسمعت سيّدي أفضل الدين رحمه الله يقول : متى رأى الفقير أنّ له تلميذا دونه في الدرجة فقد ادَّعى الكبر ، والمتكبّر عند الله لا يصلح أن يكون داعياً له ، فقلت له : فمن يخلص من ذلك ؟ فقال : أن ينصح أخاه مع شهوده أن أخاه أحسن حالاً منه وأكثر طاعة منه . انتهى عبارته في ١٢٦ . وراجع « المنن » في ١٥٠ ج ١ وفيه بسط طويل .

ينبغي لكلّ ذي عقل

وفي « الفتاوى الحديثية » للحافظ ابن حجر أنه سئل رضي الله عنه عن قوم من الفقهاء ينكرون على الصوفية إجمالاً وتفصيلاً ، فهل هم معذورون أم لا ؟ فأجاب بقوله : ينبغي لكل ذي عقل ودين أن لا يقع في ورطة الإنكار على هؤلاء القوم ، فإنه السمُّ القاتل كما شوهد ذلك قديماً وحديثاً ، وقد قدَّمنا صحة قصة ابن السقا المنكر على وليّ الله ، فأشار إليه أنه يموت كافراً ، فشوهد عند موته - بعد تنصّره لفتنته بنصرانية أَبَتْ منه إلاَّ أن يتَنصَّر - مستقبل الشرق ، وكلَّما حوِّل إلى القبلة يتحوّل إلى الشرق حتى طلعت روحه وهو كذلك ، وإنه كان أوجه أهل زمانه علماً

وذكآء وشهرة وتقدّماً عند الخليفة ، فحلّت عليه الكلمة بواسطة إنكاره وقوله عن ذلك الوليّ (لأسألنّه مسألة لا يقدر على جوابها) وتقدَّم أيضاً أنّ الإمام أبا سعيد بن أبي عصرون إمام الشافعيّة في زمنه صدر منه لذلك الوليّ نوع قلّة أدب ، فوعده بأن يغرق في الدنيا إلى أذنيه ، فولاه نور الدين الشهيد الأوقاف بدمشق ، وكان كذلك ، وأنّ إمام العارفين وتاج الخلفآء الوارثين محي الدين عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ؛ وهؤلاء الثلاثة جاءوا للوليّ معا فوقع للأوَّلين ما ذكروا ، وأما الشيخ عبد القادر لمَّا تأدّب معه دعا له ، ووعده بالولاية القطبية ، وأن قدمه سيصير على عنق كلّ وليّ لله تعالى ، فانظر شؤم قلة الأدب وفائدة الأدب والاعتقاد ، وجآء عن المشائخ العارفين والأمّة الوارثين أنهم قالوا : **أقلّ عقوبة المنكر على الصالحين أن يحرم بركتهم . قالوا : ويخشى عليه سوء الخاتمة ؛** نعوذ بالله من سوء القضآء .

وقال بعض العارفين : من رأيتموه يؤذي الأوليآء ، وينكر مواهب الأصفيآء ، فاعلموا **أنه محارب لله مبعّدٌ مطرودٌ عَنْ حقيقة قرب الله ،** وقال الإمام المجمع على إمامته وجلالته ابو تراب النخشبي رضي الله عنه : **إذا ألف القلوب الإعراض عن الله صحبته الوقيعة في أولياء الله تعالى** . وقال الإمام العارف شاه بن شبحاع الكرماني : ما تعبّد متعبِّد بأكثر من التحبّب إلى أولياء الله ، لأنّ محبّتهم دليل على محبة الله عز وجلّ . وقال أبو القاسم القشيري : **قبول قلوب المشائخ للمريد أصدق شاهد لسعادته ،**

مهم

ومن ردَّه قلب شيخ من الشيوخ فلا محالة يرى غِبّ ذلك ولو بعد حين ، **ومن خُذل بترك حرمة الشيوخ فقد أظهر رقم شقاوته ، وذلك لا يخطئ** . ويكفي في عقوبة المنكر على الأوليآء قوله ﷺ في الحديث الصحيح « من أذى وليا لي فقد آذنته بالحرب » أي : أعلمته أنّي محارب

له ، ومن حارب الله لا يفلح أبداً ، وقد قال العلماء : لم يحارب الله عاصياً إلاّ المنكر على الأولياء وآكل الربا ، وكل منهما يخشى عليه خشية قريبة جدّا من سوء الخاتمة ، إذ لا يحارب الله إلا كافراً . انتهى عبارته ٢٣٧ .

وفيه بعيد هذا وذكر اليافعي أن جماعة من الفقهاء أنكروا على جماعة من الصوفية لحنهم في مواجيدهم ، فأعادوا تلك الكلمات في الحال وأعربوها بوجوه من الإعراب ، ثم أنشدواعقيب ذلك (شعر) :

لحنها معرب وأعجب من ذا إنّ إعراب غيرها ملحون

وقال بعض المشائخ لبعض الفقهآء المنكر عليه فعرض له أسد فمنعه منه : اشتغلتم بإصلاح الظاهر فخفتم الأسد ، واشتغلنا بإصلاح الباطن فخافنا الأسد ، وقال آخر لمن أنكر عليه قراءته : إن كنتُ لحنت في قراءة القرآن فقد لحنتَ أنت في الإيمان ، وذلك لما أنكر عليه ، وخرج قصده السبع ، فخشي عليه من خوفه لضعف إيمانه وقلّة يقينه بالله ، إذا السبع كلب من الكلاب ، ودابة من دواب البرّ ، لا يتحرَّك شيء منها إلا بإذن ربّ الأرباب . ووقع لصوفيّ أنه دخل بلداً ، فتخلّف فقيهاً عن زيارته ، فسأله أهلها أن يغاثوا لشدّة ما عندهم من الجدب ، فقالوا : سلوا فقيهكم ، فإن سقيتم بدعوته زرته ، فسألوه ، فقال : لا ، اسألوه هو ، فإن سقيتم بدعائه زرته ، فرجعوا إليه فدعا فسقوا في الحال فجآء فزاره . انتهى ، راجعه عبارته ٢٣٧ .

وفيه قبيل المذكور : قال سيّد الطائفة أبو القاسم جنيد قدس سرّه : التصديق بطريقتنا هذا ولاية . قال السهروردي : لأنّ الصوفية تميَّزوا بأحوال عزيزة وآثار مستغربة عند أكثر الخلق ، لأنهم مكاشفون بالقدر وغرائب العلوم وإشارتهم إلى عظيم أمر الله والقرب منه ، والإيمان بذلك إيمان بالقدرة ، ولهم علوم من هذا القبيل . فلا يؤمن بطريقتهم إلاّ مَنْ خصّه الله تعالى بمزيد عنايته ، فالمتشبّه صاحب إيمان ، والمتصوّف صاحب علم ، قال العارف بالله القطب الحقيقي أحمد ضيآء الدين .

واعلم أنّ الإنكار على السادات الصوفية والطريقة العلية المتَّبعين للسنة السنية والدافعين للبدعة الرديَّة ، خصوصاً أهل العلم النافع والعمل الرافع والمعارف والأسرار والكشف الصحيح والأنوار سمٌّ قاتلٌ وهلاك عظيم . وقد ورد به الوعيد الشديد ، وهو أمر خطير ، وهو علامة إعراض القلب عن الله وحشوه بالأمراض ، ويخشى على فاعله سوء الخاتمة ؛ والعياذ بالله ، وهو لا يصدر غالباً إلا من بعض المتفقِّهة القاصرين . انتهى « بروج المشيدة » عبارته من البرج الخامس عشر .

وفيه بعيد هذا : وقال عمر بن سعيد الفوتي الطوري الكدوي رحمه الله في كتابه « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم » في ٥١ في الفصل السادس : اعلم **أنّ المنكر على الأولياء ساقط من عين الله** ، وهالك في الدنيا والآخرة ، وأنه في لعنة الله ومحاربته . قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾ .

وروى البخاري عن أبي هريرة ﵁ أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى قال : من عادى ولياً لي فقد آذنته بالحرب » أي : أعلمته بأني محارب له عنه ، بمعنى أني مهلكه ، ثم قال بعد كلام : **تنبيه** قال الفاكهاني رحمه الله تعالى : من حاربه أهلكه ، وقال غيره : **إيذاء أولياء الله علامة على سوء الخاتمة** كأكل الربا ؛ عافا الله تعالى من ذلك . **فمن والى أولياء الله أكرمه الله** ، ومن عادى أولياء الله أهلكه الله . انتهى منه عبارته ، وفيه بسط طويل .

وقال شيخنا قدس سرّه في كتابه « السفر الأسنى » نقلاً من « جامع أصول الأولياء » **ما من نبيّ الاّ وله مِن هذه الأمّة وارثٌ** ، فكما أمر الله تعالى بالاعتقاد في الأنبياء والمرسلين كذلك يجب على كل مؤمن أن يعتقد في الأولياء وكراماتهم . راجع « شرح العقائد » . وأيضاً أنّ من لا

يعتقدهم يحتقرهم ، واحتقار أهل العلم من كبائر الذنوب ، هذا إن لم يستحلَّ أذاهم واحتقارهم عالماً بذلك ، وإلاَّ فهو مرتد يقتل بردّته إذا لم يتب ، كما هو مصرَّح في « تلخيص المراد » في ٣٠٥ ، وفيه أيضاً : قد جرّب أنّ مَنْ وقع في العلماء أو طلبة العلم امتحن بسوء الخاتمة ؛ والعياذ بالله . انتهى راجعه .

فينبغي أن يعلم المنكر المعترض أنّ إذايتهم إنما تكون بعدم محبتهم ، وعدم محبتهم إنما تكون بعدم اعتقادهم ، فوجب اعتقادهم ومحبّتهم ليحترز من الدخول في هذا الوعيد الشديد ، فكما يجب أن يحبّ رسول الله ﷺ ويعتقده ولا يبغضه فكذا يجب حبّ تابعيه وعدم بغضهم . انتهى راجعه عبارته ١٣ .

وفيه بعيد المذكور نقلاً عن « المنن الكبرى » وكان سيّدي علي ابن وفا رضي الله عنه يقول **التسليم للقوم أسلمُ ، والاعتقاد فيهم أغنمُ ، والإنكار عليهم سمّ ساعةٍ في إذهاب الدين** ، وربما تنصَّر بعض المنكرين ومات على ذلك ؛ نسأل الله العافية .

قال الإمام الشعراني رضي الله عنه : فإن أردت يا أخي عدم الإنكار فاجعل[(١)] مرآة قلبك ، فإنك تشهد الصوفية من خيار الناس ، ويقلُّ إنكارك ، وإلا فمن لازمك كثرة الإنكار ؛ لأنّك لا تنظر في مرآتك إلا صورتك . انتهى راجعه في ١٣٩ عبارته . وذُكر فيه أيضاً بعيد المذكور كلُّ ما وقع لمنكري شيخه العسلي من المصائب والبلايا . راجعه في ١٤ . فإن رجعت إلى « تنبيه السالكين » ترى العجب ؛ رزقنا الله محبتهم واعتقادهم ، وعصمنا الله تعالى من محاربته تعالى علينا بقلة اعتقادنا فيهم ، آمين .

قال الإمام الرباني في « الدرر المكنونات » بعد كلام طويل : وإن كان الاعتراض مقدار حبة خردل فإنه لا نتيجة للاعتراض غير الحرمان ،

---

(١) فاجل – عله صواب . **(هامش الاصل)** .

وأشقى الخلائق وأبعدهم عن السعادة الذين يرون عيوب هذه الطائفة . راجعه في ٣٤٧ من الجزء الأول .

وفي « الفتاوى الحديثية » للحافظ ابن حجر : **ومن فتح باب الاعتراض على المشائخ ، والنظر في أحوالهم وأفعالهم ، والبحث عنها ، فإن ذلك علامة حرمانه وسوء عاقبته وإنه لا ينتج قط** . ومن ثم قال : من قال لشيخه (لم) لا يفلح أبداً . انتهى عبارته ٥٦ ، وإن أردت الزيادة راجع إلى « لواقح الأنوار القدسية » و« اليواقيت » في ٢٣٨ من الجزء الثاني و« لطائف المنن » و« طبقات الكبرى » للشعراني و« البهجة السنية » و« خلاصة الأدب » و« تلخيص المعارف » و« البروج المشيدة » . . .إلخ . . . إلخ .

تتمّة

قال العلامة ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » : وإيّاك أن تصغي إلى ما في كتب ابن تيمية وابن القيم[1] الجوزية وغيرهما ممَّن اتَّخذ إلهه هواه وأضلّه الله ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يَهْدِيه من بعد الله ، وكيف يجاوز هؤلاء الملحدون الحدود ، وتعدّوا الرسوم ، وخرقوا سياج الشريعة ، فظنُّوا بذلك أنهم على هدى من ربهم ، وليسوا كذلك ، بل هم على أسوء الضلال ، وأقبح الخصال ، وأبلغ المقت والخسران ، وأنهى الكذب والبهتان ؛ فخذل الله متَّبعهم وطهَّر الأرض من أمثالهم . انتهى عبارته في ١٤٥ .

وقال شيخنا في « السفر الأسنى » نقلاً عن كتاب « شواهد الحق » : يجب عليك الحذر التام من مطالعة كتب الإمام ابن تيمية وجماعته المتعلقة بالعقائد . انتهى عبارته ١٠٥ .

---

(١) وفي « المقالات الزينية » ما حاصله : إن ابن قيم من الحشوية ، وأمَّا ابن الجوزي فقد خرج منهم وتاب على يد الشيخ عبد القادر الكيلاني ﷺ . فراجعه . (قحي) . (هامش الاصل) .

مهم

مات ابن تيمية في الحبس

وقال قبله وبعده كلاماً كثيراً في حقِّه ، وذُكر واتُّفق على حبسه الحبس الطويل ، فحبسه السلطان ، ومنعه من الكتابة في الحبس ، وأن يدخل عليه بدواة ، ومات في الحبس ، ثم حدث من أصحابه من يشيع عقائده ، ويعلّم مسائله ، ويلقِّن ذلك إلى الناس سرّاً ، ويكتمه جهراً ، فعمَّ الضرر بذلك . . إلخ عبارته ١٠٥ .

وحاصل ما أجاب المحقِّق العلامة الحافظ ابن حجر عمَّن سأل عن شطحات الصوفية : إنّ ما وقع لهم رضوان الله عليهم من الشطحات للأئمة العلماء العارفين الحكماء الذين حماهم الله بالسلامة من حرمان الإنكار ، ومنَّ عليهم بالاعتقاد في أوليائه ، وحمل ما صدر عنهم على أحسن المحامل وأقومها ، عنها أجوبة مسكتة ، وتحقيقات مبهِّتة لا يهتدي إليها إلا الموفَّقون ، **ولا يعرض عنها إلاّ المخذولون ، فاحذر أن تكون ممَّن يتحسَّى كأس سم الإنكار ، فيهلك لوقته ، وبادر إلى السلامة** من غضب الله ومحاربته ومقته ، فقد قال على لسان الصادق المصدَّق « من عادى لي ولياً » . . .إلخ .

مهم

ولم ينصب الله المحاربة لأحد إلاّ للمنكرين على أوليائه

قال الأئمة : ولم ينصب الله المحاربة لأحد من العصاة إلا للمنكرين على أوليائه ، وآكلي الربا ، ومن حاربه الله لا يفلح أبداً .

أحد تلك المسالك أنّ تلك الكلمات حكاية عن حضرة الحقِّ ، ونطق عمَّا يليق وما شاهدوه من أنوارها ، وغلبة التجوّز في نحو ذلك من مقامات المحبة والعبودية ، والقرب يبسط لهم العذر ، ويرفع عنهم الإصر ، ممن اعتمد على هذا المسلك الشهاب السهروردي المجمع على إمامة في العلوم الظاهرة والباطنة في « عوارفه » حيث قال : وما حكي

عن أبي يزيد رضي الله عنه : (سبحاني) حاشا الله أن يعتقد في أبي يزيد أن يقول مثل ذلك إلاَّ على معنى الحكاية عن الله تعالى ، قال : وذلك مما ينبغي أن يعتقد في الحلاج رحمه الله في قوله : (أنا الحق) .

ثانيها إن ذلك وقع منهم في حال الغيبة والسكر الناشئين عن الفناء في المحبة والشهود لموارد الأحوال المزعجة للقلب الآخذة له من صحوه وتمييزه ، ألا ترى أنّ بعض الهموم أو الواردات الدنيوية إذا وردت على القلب أذهلته وأذهبت تميّزه لشدّة تمكُّنها منه ، واستغراقه في فكره وخطرها ، فإنه إذا كان في هذه الأمور السافلة التي لا تقاوم جناح بعوضة فكيف بواردات الحقِّ على القلوب ؟ ! . انتهى « فتاوى الحديثية » عبارته ٢٢٤ .

شعر أنشده أبو القاسم جنيد البغدادي قدس سره :

علم التصوّف علم ليس يعرفه	إلا أخو فطنة بالحقِّ معروف
وليس يعرفه من ليس يشهده	وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف

« قوت » عبارته ٥٩ ج١ .

وقال آخر :

إذا ما قال للخفاش قوم	بنور الشمس يبصر ما يكون
فليس مصدِّقاً هذا ولكن	يكذِّب أو يقول بهم جنون
وإن تعجب فمن يسألوه	أنوار الشمس تقلبه الجفون
واعجبُ منهم من قلدوه	وقالوا[1] بالظلام ترى العيون

انتهى عبارته .

---

(١) **لطيفة :** سأل الشعراني شيخه الخواص : لماذا يؤوّل العلماء الموهم الواقع من الشارع ، ولا يؤوِّلون الموهم الواقع من الولي ؟ فقال : لو أنصفوا لأوّلوا الواقع من الوليّ بالأولى ؛ لأنه معذور بضعفه في أحوال الحضرة ، بخلاف الشارع ، فإنه ذو مقام مكين ، وقد يقال : الشارع ينبغي المحافظة على الواقع منه ما أمكنٍ ، لأنه يقتدى به ، ولا كذلك الولي ، فإنه لا يحافظ على كلامه ، لأنه لا يقتدى به فإذاً لو هم أهدر . « باجوري » عبارته .

الباب الثالث

في بيان كون الحقيقة عين الشريعة ، ومشروعية الانتساب إلى المشائخ ، ومسنونية التعلّم منهم ، وكون التشيُّخ والمريدية مأموراً بهما في الشريعة ، وبيان النص له من القرآن والحديث خلافاً لمن توّهم ورودهما في الكتاب والسنة ، مع دلائل النقشبنديّين لما يلقّنونه من الكتاب ، وبيان عدم خروج شيء منها عن الشريعة ، وبيان كون الشريعة والطريقة توأمان ، مع بيان فرضية تعلّم علم الباطن ، ووجوب اتخاذ الشيخ وأخذ الطريقة والقائلين به .

اعلم أيها الأخ المرجّو الاستقامة إنّ الشيخ العلامة ابن حجر الهيتمي قال في « الفتاوى الحديثية » : وسئل نفع الله به عن حقيقة الفرق بين الشريعة والحقيقة . فأجاب بقوله : فرّق بينهما بفروق ؛ منها أن الحقيقة مشاهدة أسرار الربوبية ، و لها طريقة هي عزائم الشريعة ، ونهاية الشيء غير مخالفة له على ما يأتي ، فالشريعة هي الأصل ، ومن ثمّ شبهت بالبحر والمعدن واللبن والشجرة . والحقيقة هي الفرع المستخرج من الشريعة ، ومن ثم شبهت بالدُرِّ والتبر والزبد والثمرة ، ومعنى سلب المخالفة لهما المذكور أنه ليس بينهما اختلاف في مجاري أحكام العبودية ، وإنما يختلفان في مشاهدة أسرار الربوبية ، ولا شك أنّ أهلهما متفاوتون في الاعتناء والاهتمام بعلم صفات القلب والأخذ بعزائم الأحكام ، وليس ذلك اختلافاً بينهما .

مهم

علم صفات القلب فرض عين

وبيّن ذلك اليافعي رحمه الله تعالى بأنّ الشريعة علم وعمل ، والعلم ظاهر وباطن ، والظاهر شرعي وغيره ، والشرعي فرض ومندوب ، والفرض عين وكفاية .

والعين علم صفات القلب وعلم أصل وعلم فرع ، والعمل عزائم ورخص ، والحقيقة مشتملة أيضاً على قسمين ؛ علم وعمل ، والعلم وهبيّ وكسبيٌّ ، فالوهبيّ علم المكاشفة ، والكسبي فرض عين وفرض كفاية ، وفرض العين علم قلب وعلم أصل وعلم فرع ، فالكسبي الذي أحد علم نوعي قسمي الحقيقةِ هي علم الشريعة ، والعمل الذي هو العزائم مشتمل على سلوك طريق الحقيقة ، والطريقة مشتمل على منازل السالكين ، وتسمى مقامات اليقين ، والحقيقة موافقة للشريعة في جميع علمها وعملها وأصولها وفروعها وفرضها ومندوبها ، ليس بينهما مخالفة أصلاً ، نعم هنا شيئان ؛ أحدهما علم صفات القلب فأهل الحقيقة لهم به اعتناء واهتمام جدّاً ، وسلوك طريقتهم موقوف على معرفته وتبديل صفات الذميمة ، وأكثر أهل الشريعة يهملون ذلك ويتهاونون به مع كونه فرض عين في الشريعة والحقيقة بلا خلاف ، والثاني الرخص ، فأهل الحقيقة من حيث العلم والاعتقاد لا يشكون في حقيقتها ، وأنها من رحمة الله بعباده ، وأمّا من حيث عملهم فإنما يسلكون شوامخ عزائم الشريعة الغراء إلى الله بتوفيقه وعنايته وجميل لطفه وصيانته ، فمنهم من لا يقطعها إلا في سبعين سنة ، ومنهم من يقطعها في ساعة واحدة بحسب معونة الله وتسهيله . انتهى عبارته ٢٢١ .

وقال شيخنا في « البروج المشيدة » : وأما الإمام الرباني قدس سره لا يقبل أن يقال فيهما كلام مَّا يفهم المخالفة بينهما كما صرَّحه بذلك

في « مكتوباته » ، بل يقول : بأن الطريقة والحقيقة مكمِّلتان للشريعة كما هو مذكور في « البهجة السنية » ، وفي « جامع الأصول » : الحقيقة على وزن الشريعة والتفرقة بينهما كفر . انتهى عبارته .

وأما الانتساب إلى المشائخ فأمرٌ مشروع كما نطق به الكتاب والسنة قال تعالى في كتابه العزيز ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ . وقال في « عوارف المعارف » بَعْد ذكر حديث : « اتبعوا العلماء فإنهم سرج الدنيا ومصابيح الآخرة » : إنّ الآية المذكورة إشارة إلى ذلك ، فإن المشائخ لما اهتدوا أهِّلوا للاقتداء بهم ، وجعلوا أئمة المقتدين . انتهى عبارته .

وقال تعالى أيضاً : ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ . انتهى . و﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِی﴾ ، و﴿مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾ . . إلخ . ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ . . . إلخ . ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ إلخ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ . . .إلخ ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ إلى غير ذلك .

قال الشيخ إسماعيل حقي في « روح البيان » في تفسير آية ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِ﴾ . . .إلخ : وفي قوله[1] تعالى ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ﴾ . . . إلخ إشارة إلى أن المكوّنات على نوعين ؛ نوع منها ما خلق من غير شيء وهو الملكوت الذي هو باطن الكون ، والكون به قائم وهو قائم بيد القدرة كقوله تعالى ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ ونوع منها ما خلق من شيء وهو الملك الذي هو ظاهر الكون ، فكما أنّ النظر إلى الملك بحس البصر فالنظر إلى الملكوت بالعقل والقلب ، فنظر أرباب

---

(١) مقول القول (هامش الاصل) .

العقول فيه يفيد رؤية الآيات ، والاستدلال بها على معرفة الخالق وإثبات الصانع ونظر أصحاب القلوب فيه يفيد شهود شواهد الغيب بالولوج ليصير إيمانه إيقاناً ، بل عياناً ؛ كقوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ . . .إلخ .

وهذه الإرائة سنة إلهية قديمة للحق سبحانه ، يرى بها كل من جعله نبيّاً أو وليّاً ، ناسوت العالم وملكوته وجبروته ولاهوته سواء كان عالماً صغيراً أو عالماً كبيراً ، ولا تزال تلك السنة باقية إلى يوم القيامة ما دام لم ينقطع السير والسلوك إلى الحقِّ سبحانه ، فلولاها لِنَوع الإنسان لكان كسائر الحيوان ، إلاّ أنّ الله الرحمن مَنَّ بها على نوع الإنسان وسار وسلك بها من شاء من أهل عنايته إلى قِبَل الملك المنان ، حتى ترقَّى عن جميع الأكوان ، ونال الشهود والعيان ، ووصل إلى الحقِّ المحسان ، وأتاه كمال الإيقان وتمام والإحسان ، ثم جاء نَبِيّاً أو وليّاً لإرشاد الإخوان ، فقام بالحكمة والبيان ، وبيَّن الإسلام والإيمان ، ودعا إلى الله الحليم الحنان ، وبشَّر بالجنان ، وأنذر بالنيران ، **فمن أجاب نال اللطف والإحسان ، ومن لم يجب خسر خسراناً مبيناً** ، وقال عليه السلام عن عيسى« لن يلج ملكوت السموات والأرض مَنْ لم يولد مرّتين » فالولوج لأصحاب القلوب والمشاهدة ، والنظر لأرباب العقول والاستدلال كذا في « التأويلات النجمية » انتهى عبارته ٨٠٦ ج١ .

وأُولوا الأمر في الحقيقة المشائخ الواصلون

وفيه أيضاً في تفسير آية ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ ﴾ . . .إلخ بعد كلام طويل : ثم اعلم بأنّ المراد بـ﴿ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ ﴾ في الحقيقة المشائخ الواصلون ، ومَنْ بيده أمر التربية ، فإن أولي أمر المريد شيخه في التربية ، فينبغي للمريد في كل وارد حقٍّ يدق باب قلبه ، أو إشارة أو إلهام أو

واقعة تنبئ عن أعمال أو أحوال في حقِّه أن يضرب على محك نظر شيخه ، فما يرى فيه الشيخ من المصالح ويشير إليه أو يحكم عليه يكون منقاداً لِأَوَامره ونواهيه ؛ لأنه أولوا أمره .

وأما الشيخ فأولوا أمره الكتاب والسنة ، فينبغي له أن ما سنح له من العيب بوارد الحق من الكشوف والشواهد والأسرار والحقائق يضرب على محك الكتاب والسنة ، فما صدَّقاه ويحكمان عليه فيقبله ، وإلا فلا ، لأنّ الطريقة مقيّدة بالكتاب والسنة كذا ذكره الشيخ الكامل نجم الدين الكبرى في « تأويلاته » . انتهى عبارته ٤٥٥ من الجزء الأول من سوره « النساء » ، ثم اعلم أنه ورد « إنّ العلماء ورثة الأنبياء ، وإن علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل » .

وقال العلماء في تفسير الحديث المذكور : إن العلماء الجامعة للظاهر والباطن بمنزلة العصبات الكاملة من وراثة النبوّة ، فإذا كان الأمر كذلك يجب عليك الإطاعة على علماء الحقيقة والاقتداء بهم وُجُوبَ متابعة النبي عليه الصلاة والسلام بلا فرق ، لكونهم هم الوارثون الكاملون ؛ رزقنا الله تعالى متابعتهم ، وأنوار وراثتهم ، آمين . وقال فيه أيضاً على تفسير قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ :

ولا بدَّ للعبد من العروج من الخلق إلى الخالق ، ومن الحاجة التامة لنفسه إلى الغنى التام بالحق في تحصيل كل الخيرات ودفع كل الآفات ، فإذا فرَّ إلى الله ، ووصل إلى جماله ، وغرق في مشاهدة جلاله ، شاهد سرّ قوله تعالى ثمَّ ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ ﴾ .

وأوّل الأمر ترك الأموال ، ثم ترك الأولاد ، ثم ترك النفس ، فعند الأول يتجلَّى توحيد الأفعال ، وعند الثاني يتجلّى توحيد الصفات ، وعند الثالث يتجلّى توحيد الذات ، وهو أعلى الدرجات ، فعلى العاقل

إكثار ذكر الله ، فإنه سبب لتصفية الباطن وصقالة القلب ؛ وقال تعالى ﴿ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ **ولا فلاح أعظم من أن يصل الطالب إلى المطلوب**؛ اللهم اجعلنا مفلحين . انتهى عبارته ٢٢٠ من سورة « البقرة » .

والمقصود من سلوك طريق الصوفية حصول ازدياد اليقين بحقيقة المعتقدات الشرعية الذي هو حقيقة الإيمان ، وحصول اليسر في أداء الأحكام الشرعية ، لا أمرٌ آخر وراء ذلك ، كذا قال الإمام الرباني في بعض مكاتيبه راجع « الدرر المكنونات » في ١٩٠ من الجزء الأوّل .

وفيه في ١٠٢ : وكما أنّ المقصود من خلق الإنسان أداء العبادة المأمور بها كذلك المقصود من أداء العبادة تحصيل اليقين الذي هو حقيقة الإيمان ، ويمكن أن يكون قوله تعالى ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ رمزاً إلى هذا المعنى ، فإنّ كلمة (حتى) كما إنها تكون للغاية تكون للعلة أيضاً ؛ أي : لأجل أن يأتيك ، وكان الإيمان المتقدم على أداء العبادة صورة الإيمان لا حقيقته التي عبّر عنها باليقين ، قال الله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ ﴾ أي : الذين أمنوا صورة آمنوا حقيقة بأداء وظائف العبادة المأمور بها . انتهى عبارة « تنبيه السالكين » في ١٩٤ من الباب الثالث والعشرين .

ذكر الشيخ إسماعيل حقي المذكور قدس سره في « روح البيان » في تفسير الآية السابقة ؛ أي : آية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ . . .إلخ .

إنّ الله تعالى جعل الفلاح الحقيقي في أربعة أشياء : والإشارة في الآية أنّ الله تعالى جعل الفلاح الحقيقي في أربعة أشياء ؛

أحدها : الإيمان ، وهو : إصابة رشاشة النور في بدء الخلقة ، وبه يخلص العبد من حجب ظلمة الكفر ،

وثانيها : التقوى ، وهو منشأ الأخلاق المرضية ومنبع الأعمال الشرعية ، وبه يخلص العبد من ظلمة المعاصي ،

وثالثها : ابتغاء الوسيلة ، وهو : فناء الناسوتية في بقاء اللاهوتية ، وبه يتخلَّص العبد من ظلمة الوجود ، ويظفر بنور الشهود ، فالمعنى الحقيقي يا أيها الذين آمنوا بإصابة النور اتقوا الله بتبديل الأخلاق الذميمة وابتغوا إليه الوسيلة في إفناء الأوصاف وجاهدوا في سبيله ببذل الوجود لعلكم ينيل المقصود من المعبود . كذا في « التأويلات النجمية » . **واعلم أنّ الآية الكريمة صرّحت بالأمر بابتغاء الوسيلة ، ولا بدّ منها البتّة ، فإنّ الوصول إلى الله تعالى لا تحصل إلا بالوسيلة ، وهي علماء الحقيقة ومشائخ الطريقة** . والعمل بالنفس يزيد في وجودها ، **وأمّا العمل وفق إشارة المرشد ودلالة الأنبياء والأولياء فيخلصها من الوجود ، ويرفع الحجاب ، ويوصل الطالب إلى رب الأرباب .**

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي : كنتُ أنا وصاحب لي قد أوينا إلى مفازة لطلب الدخول إلى الله ، وأقمنا فيها ونقول : يفتحُ لنا غداً أو بَعْدَ غدٍ ، فدخل علينا يَوْماً رجلٌ ذو هيبة ، وعلمنا أنّه من أولياء الله ، فقلنا له : كيف حالك ؟ فقال : كيف حال مَنْ يقول : يفتح لنا غداً وبعد غدٍ ، يا نفس لم لا تعبدين الله لِلّهِ فتيقَّظنا وتبنا إلى الله ، وبعد ذلك فتح علينا ، فلا بدّ من قطع التعلُّق من كلّ وجه لينكشف حقيقة الحال .

مهم

وحكي أن خادم الشيخ أبي يزيد[1] البسطامي كان رجلاً مغربيّاً ، فجرى الحديث عنده في سؤال منكر ونكير ، فقال المغربي : والله إن يسألاني لأقولنّ لهما ، فقالوا له : ومن أين يعلم ذلك ؟ فقال : اقعدوا على قبري حتى تسمعوني ، فلما انتقل المغربي جلسوا على قبره ، فسمعوا المسألة ، وسمعوه يقول : أتسألونني وقد حملت فروة أبي يزيد على

(١) وهذه القصة مذكورة في « مصباح الظلام » فراجعه . **(قحي)** .

عنقي ؟ ! فمضوا وتركوه ، ولا تستبعد أمثال هذا ، فإن جواب المجيب المدقِّق يذهب معه من هذا ، فحصل مثل هذا الزاد . انتهى عبارته ٥٠ ج ١ من سورة « المائدة » .

وقال فيه أيضاً في تفسير قوله تعالى ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ نقلاً عن تفسير « القاضي » : إذا قاله العارف الواصل إلى الله كنى به : ارشدنا طريق السير لتمحو عنا ظلمات أحوالنا وتميط غواشي أبداننا ، لنستضيئ بنور قدسك فنراك بنورك ،

قال المولى الفناري : ومبناه أن السير في الله غير متناه كما قال قطب المحققين ، ولا نهاية للمعلومات والمقدورات ، فما دام معلوم أو مقدور فالشوق للعبد لا يسكن ولا يزول ، وأصل الهداية أن يعدّى باللام أو إلى ، فعومل معاملة اختار في قوله تعالى ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ ﴾ . و﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ استعارة عن ملَّة الإسلام والدين الحق ، تشبيهاً لوسيلة المقصود بوسيلة المقصد ، أو لمحلّ التوجُّه الروحاني بمحلِّ التوجه الجسماني ، وإنما الدين صراط ؛ لأنّ الله سبحانه وإن كان متعالياً عن الأمكنة ، لكنّ العبد الطالب لا بدّ له من قطع المسافات ، ومسِّ الآفات ، وتحمُّل المجافات ، ليكرم بالوصول والموافات ، ثم في قوله ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ مع أنه مهتد وجوه ؛

الأول : أن لا بدّ بَعْدَ معرفة الله تعالى والاهتداء بها من معرفة الخط المتوسِّط بين الإفراط والتفريط في الأعمال الشهوية والغضبية ، وإنفاق المال والمطلوب ، وأن يهديه إلى الوسط ،

والثاني : أنه وإن عرف الله بدليل ، فهناك أدّلة أخرى ، فمعنى ﴿ ٱهْدِنَا ﴾ عرفنا ما في كل شيء من كيفية دلالته على ذلك وصفاتك وأفعالك .

والثالث : إن معناه بموجب قوله تعالى ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ﴾ طلب الإعراض عما سوى الله ، وإن كان نفسه ، والإقبال بالكلية عليه ، حتى لو أمر بذبح ولده كإبراهيم عليه السلام ، أو بأن ينقاد للذبح كإسماعيل عليه

السلام ، أو بأن يُرمىَ نفسه في البحر كيونس عليه السلام ، أو بأن يتلمَّذ مع بلوغه أعلى درجات الغايات كموسى عليه السلام ، أو بأن يصبر في الأمر بالمعروف على القتل والشق بنصفين كيحيى وزكريا عليهما السلام فعل ، وهذا مقام هائل إلاّ أن في قوله ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ دون أن يقول : صراط الذين ضربوا وقتلوا تيسيراً مَّا وترغيباً إلى مقام الأنبياء والأولياء من حيث إنعامهم ، ثم الاستقامة الاعتدالية ثم الثبات عليها أمر صعبٌ ، ولذا قال النبي صل الله عليه وسلم : « شيبتني هود وأخواتها » حيث ورد فيها ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ ﴾ .

فإنَّ الإنسان من حيث نشأته وقواه الظاهرة والباطنة مشتمل على صفات وأخلاق طبعية وروحانية ، ولكلٍّ منها طرفَا إفراط وتفريط ، والواجب معرفة الوسط من كل ذلك والبقاء عليه ، وبذلك وردت الأوامر ونطقت الآيات كقوله تعالى ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً ﴾ . . .إلخ ، حرَّضه على الوسط بين البخل والإسراف . انتهى عبارته في ١٥ . وفيه بعيد هذا : والمستقيم على أقسام ؛ ومنها مستقيم بقوله وفعله وقلبه ، ومستقيم بقلبه وفعله دون قوله ، أي : لم يعلِّم أحداً ولهذين الفوز ، والأول أعلى ، ومستقيم بفعله وقوله دون قلبه ، وهذا يرجى له النفع بغيره ، ومنها مستقيم بقوله وقلبه دون فعله ، ومستقيم بقوله دون فعله وقلبه ، ومستقيم بقلبه دون قوله وفعله ، ومستقيم بفعله دون قوله وقلبه ، وهؤلاء الأربعة عليهم لا لهم وإن كان بعضهم فوق بعض .

وليس المراد بالاستقامة بالقول ترك الغيبة والنميمة وشبهها ، فإن الفعل يشمل ذلك ، وإنما المراد بها إرشاد الغير إلى الصراط المستقيم ، وقد يكون عرياناً مما يرشد إليه ، مثال اجتماعها **رجل تفقَّه في أمر صلاته وحققَّها ثم علّمها غيره فهذا مستقيم في قوله** ، ثم حضر وقتها فأداها على ما عليها محافظاً على أركانها الظاهرة ، فهذا مستقيم في فعله ، ثم علم إنّ مراد الله منه من تلك الصلاة حضور قلبه معه فأحضره ، فهذا مستقيم بقلبه ، وقس على ذلك بقية الأقسام .

إن أقسام الهداية ثلاثة

وفي « التأويلات النجمية » : إنّ أقسام الهداية ثلاثة ؛

الأولى : هداية العامة ، أي : عامة الحيوانات إلى جلب منافعها وسلب مضارها ، وإليه أشار بقوله تعالى ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ وقوله ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ .

والثانية : هداية الخاصة ، أي : للمؤمنين إلى الجنة ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ الآية .

والثالثة : هداية الأخص ، وهي هداية الحقيقة إلى الله بالله ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ وقوله ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ وقوله ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ وقوله ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ أي : كنت ضالاً في نية وجودك ، فطلبتك بجودي ، ووجدتك بفضلي ولطفي ، وهديتك بجذبات عنايتي ونور هدايتي إليَّ ، وجعلتك نوراً فأهدي بك إليَّ من أشاء من عبادي ، فمن اتبعك وطلب رضاك فنخرجهم من ظلمات الوجود البشري إلى نور الوجود الروحاني ، ونهديهم إلى صراط مستقيم كما قال تعالى ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ﴾ والصراط المستقيم هو الدين القويم ، وهو ما يدلُّ عليه القرآن العظيم ، وهو خلق سيد المرسلين ﷺ فيما قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ، ثم هو إما إلى الجنة ، وذلك لأصحاب اليمين كما قال تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ الآية ، وإما إلى الله تعالى ، وهذا للسابقين المتقرِّبين ؛ كما قال تعالى ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ وكل ما يكون لأصحاب اليمين يحصل للسابقين ، وهم السابقون على أصحاب اليمين بما لهم من شهود الجمال وكشف الجلال ، وهذا خاصة لسيِّد المرسلين ومتابعيه كما قال تعالى ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ انتهى عبارته ١٦ .

وقال فيه أيضاً في تفسير قوله تعالى ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ما حاصله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين ، الآية أي : أنعم الله على أسرارهم بأنوار العناية ، وعلى أرواحهم بأسرار الهداية ، وعلى قلوبهم بآثار الولاية ، وعلى نفوسهم في قمع الهوى وقهر الطبع وحفظ الشرع بالتوفيق والرعاية ، وفي مكايد الشيطان بالمراقبة والكلاية .

والنعم إما ظاهرة ؛ كإرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، وتوفيق قبول دعوة الرسل ، واتباع السنة ، واجتناب البدعة ، وانقياد النفس للأوامر والنواهي ، والثبات على قدم الصدق ، ولزوم العبودية .

وإما باطنة ؛ وهي : ما أنعم على أرواحهم في بداية الفطرة بإصابة رشاش نوره ، كما قال عليه السلام « إنّ الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره ، فمن أصاب ذلك النور فقد اهتدى ومن أخطأه فقد ضلّ » ، فكان فتح باب صراط الله إلى العبد من رشاش ذلك النور ، وأوّل الغيث رش ، ثم ينسكب ، فالمؤمنون ينظرون بذلك النور المرشوش إلى مشاهدة المغيث ، وينتظرون الغيث ويستعينون . انتهى عبارته ١٦ .

وفيه أيضاً ؛ أي : في « روح البيان » في تفسير قوله تعالى ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ :

واعلم أن ظاهر الخطاب مع أهل الكتاب ، وباطنه مع علماء السوء الذين يبيعون الدين بالدنيا ولا يعملون بما يعلمون ، فهم الذين يكفرون بما جاء به القرآن ؛ من الزهد في الدنيا ، والورع والتقوى ، ونهي النفس عن الهوى ، وإيثار ما يفنى على ما يبقى ، والإعراض عن الخلق ، والتوجُّه إلى الحق ، وبذل الوجود لنيل المقصود ، والله شهيد على ما تعملون ، حاضر معهم ، ناظر إلى نياتهم في أعمال الخير والشر ، فيجازيهم بها ، وهُمْ يصرفون بحرصهم على الدنيا واتباعهم الهوى المؤمنين الذين يتبعونهم بحسن الظن ويحسبون أنّ أعمالهم وأحوالهم

على قاعدة الشريعة ومنهاج الطريقة عن سبيل الله وطريق الحقِّ ، أمر الأنبياء بدعوة الخلق إليه ، وهم يطلبون اعوجاج طريق الحق بالسير في طريق الباطل ، وقد وصى الله المؤمنين بقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ الآية حتى لا يرتدوا عن طريق الهداية بَعْدَ الإيمان بالاتباع بسيرتهم وهواهم ، قال تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ .

قال بعض المشائخ : خير العلم ما كانت الخشية معه ، وذلك لأنّ الخشية إنما تنشأ عن العلم بصفات الحق ، فشاهد العلم الذي هو مطلوب الله الخشية ، وشاهد الخشية موافقة الأمر ،

مهم

فما أبعد هذا العلم

وأما العلم الذي تكون معه الرغبة في الدنيا والتملق لأربابها ، مصرف الهمة لاكتسابها والجمع والإدخار ، فالمباهاة والاستكثار وطول الأمل ونسيان الأخرة فما أبعد مَنْ هذا العلم علمه من أن يكون من ورثة الأنبياء ، وهل ينتقل الشيء الموروث الى الوارث إلا بالصفة التي كان بها عند الموروث ؟ ! .

مثل علماء هذا الزمان كشمعة

تضيئ على غيرها وهي تحرق

وما مثل من هذه الأوصاف أوصافه من العلماء إلا كمثل الشمعة تضيئ على غيرها وهي تحرق نفسها ، قال رسول الله ﷺ « يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه ، قلوبهم خربة من الهدى ، ومساجدهم عامرة بأبدانهم ، شرُّ مَن نظر السماء يومئذ علماؤهم ، منهم تخرج الفتنة ، وإليهم تعود »

وعن فضيل بن عياض : بلغنا أن الفسقة من العلماء ومن حملة القرآن يبدأهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان .

فعلى العاقل أن لا يغترَّ بظاهر حالهم ، بل ينظر إلى وهن اعتقادهم وفساد بالهم ، فيعتبر كلّ الاعتبار ، ويجتنب من هذا سيرتهم ، ويسلك طريق الأخيار ، ويعتصم الله بالانقطاع عما سواه ، ويتمسَّك بتوحيد[1] الحقيقي ، حتى يهتدي إلى الصراط المستقيم .

مهم

فمن انقطع له بالفناء في الوحدة كان صراطه صراط الله ، فلا يصدُّه عنه أحدٌ ولا يضره شيء ، ولا يضله كيد عدوّه وشره ، فإن من كان مع الله كان الله معه ، فهو حافظه وناصره ، وهذا الاستمساك ليس من شأن كل السلاك ، لكن الله تعالى قادر على أن يأخذ بيد عبده ويوصله إلى مراده ، وإذا صحَّ الطلب من العبد فلا يحرم الإجابة البتة ، فإن مَنْ طلب وجدَّ وجد ، ومن قرع باباً ولجَّ ولج ؛ عصمنا الله وإياكم من كيد الشيطان ومكر النفس الأمارة بالسوء كلّ آن ، آمين يا مستعان . انتهى عبارته ٣٥١ ج ١ من سورة « آل عمران » .

ويكفي دليلاً لمشروعية الانتساب إلى المشائخ الحديث المتّفق عليه الذي ذكره البخاري وغيره وهو « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » فإن جبرائيل عليه السلام تعقَّب الإحسان على الإسلام والإيمان في السؤال والجواب ، فإن مراد المشائخ من تسليك السالكين إيصالهم إلى مقام الإحسان المعبَّر عنه بمقام المراقبة والمشاهدة لا غير ؛ وقال الحافظ ابن حجر في « فتح المبين » بعد ذكر الحديث المذكور : فلما كثر تكرره وعظم ثوابه سأل عنه جبريل **ليعلمهم**

---

(١) بالتوحيد (علّه) .

بعظم ثوابه وكمال رفعته . انتهى . ومعلوم أن هذا المقام مما لا يحصل بدون التعلق إلى واحد من المشائخ إلا لمن سبقته العناية الإلهية وجذبته إلى جناب الحق تعالى .

وقال بعيد المذكور : وهذا من جوامع الكلم ؛ لأنه جمع مع وجازته بيان مراقبة العبد ربه في إتمام الخضوع والخشوع وغيرهما في جميع الأحوال ، والإخلاص له في جميع الأعمال ، والحث عليهما مع بيان سببهما الحامل عليها لملاحظة أنه لو قدِّر أن أحداً قام في عبادة ، وهو يعاين ربه تعالى لم يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن الصمت واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن الوجوه ، والثاني من لا ينتهي إلى تلك الحالة ، لكن يغلب عليه أن الحق سبحانه وتعالى مطَّلع عليه ومشاهد له . انتهى عبارته ٧٠ . ومثله في « شرح الشبرخيتي » على « الأربعين النووية » راجعه في ٦٠ .

وعبارة « المجالس السنية » عليها : هذا من جوامع كلمه ﷺ ؛ لأنه شمل مقام المشاهدة ومقام المراقبة ،

بيان ذلك وإيضاحه أنّ للعبد في عبادته ثلاث مقامات ؛ **الأول** : أن يفعلها على الوجه الذي يسقط معه الطلب ، بأن تكون مستوفية للشروط والأركان ، **الثاني** : أن يفعلها كذلك ، وقد استغرق في بحار المكاشفة ، حتى كأنه يرى الله تعالى ، وهذا مقامه ﷺ كما قال : وجعلت قرة عيني في الصلاة ، **الثالث** : أن يفعلها كذلك ، وقد غلب عليه أنّ الله تعالى يشاهده ، وهذا هو مقام المراقبة ؛ أي : إن لم تعبده وأنت من أهل الرؤية فاعبده وأنت بحيث تعتقد أنه يراك ، فكل من المقامات الثلاثة إحسان ؛ لأن الإحسان الذي هو شرط في صحة العبادة إنما هو الأول ؛ لأنّ الإحسان في الأخيرين من صفة الخواص ، ويتعذر من كثير . انتهى عبارته ١٩ . وقال صاحب « هدية الذاكرين » فيه : وأما الانتساب إلى المشائخ فأمر مشروع ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام :« اقتدوا بالذين من

بعدي أبي بكر وعمر ، واهتدوا بهدي عمار وتمسَّكوا بعهد أمّ عبد » أي عبد الله بن مسعود ، ولقوله ﷺ « العلماء ورثة الأنبياء » ، وقوله : « اتبعوا العلماء ، فإنهم سرج الدنيا ومصابيح الآخرة » ، لأنّ الانتساب بمعنى الاقتداء والاتباع لمن سلك سبيل الهدى وهدي إلى صراط مستقيم .

وأما الانتساب إلى المشائخ وغيرهم على وجه العرف القديم ، فهي كما قيل لمن آمن بمحمّد عليه الصلاة والسلام واتبعه محمّدي ، ومن اقتدى بمسلك أبي بكر الصديق في الذكر القلبي يقال له صدّيقي ، ومن كان على مسلك مجتهد باطني فيه مثل شاه نقشبند يقال له نقشبنديّ ، وكذا من اقتدى بأبي حنيفة في الأحكام والأعمال يقال له حنفي ، هكذا ورد في اصطلاح السلف وعرفهم . انتهى .

وفيه بعيد هذا :

وأما تعليم الذكر من المشائخ فأمرٌ مسنون ، وكذا تعليم المشائخ لغيرهم ، فقد علَّم النبي ﷺ الذكر الخفي القلبي أبا بكر الصديق رضي الله عنه والذكر اللساني عليّاً كرم الله وجهه ، وهما علّماه سائر الصحابة والتابعين ، قال ابن عساكر :

ألا إن الـحديث أجلُّ علم ... وأشرفه الأحاديث العوالي
وإنـك لن ترى للعلم شيئاً ... يـحـقِّـقـه كـأفواه الرجال
فكن يا صاح ذا حرص عليه ... وخـذه من الرجال بلا ملل
ولا تأخذه من صحف فترمي ... من التصحيف بالداء العضال

وروى أحمد والطبراني وغيرهما : إنّ النبي ﷺ لقّن أصحابه جماعة وفرادى ؛

فأما تلقينهم فرادى ! فقد روى يوسف الكُوراني وغيره بسند صحيح : إنّ عليّاً بن أبي طالب كرم الله وجهه سأل النبي ﷺ : دُلَّني

على أقرب الطرق إلى الله وأسهلها على عباد الله تعالى وأفضلها عند الله عزّ وجلّ ، فقال عليه الصلاة والسلام « يا علي عليك بمداومة ذكر الله تعالى في الخلوات والجلوات » ، فقال : كيف أذكر الله ؟ ، فقال ﷺ « غمِّض عينيك واسمع مني ثلاث مرات ، ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا أسمع » فقال عليه الصلوة والسلام : « لا إله إلا الله » ثلاث مرات مغمضاً عينيه رافعاً صوته ، وعلي رضي الله عنه يسمع ثم قال النبي ﷺ : « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله ، ولا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله » رواه مسلم وأحمد بن حنبل عن أنس ، وكذا تعليمه لغيره مثل أبي بكر الصديق .

وأما تلقينهم جماعة ، فقد أخرج أحمد بن حنبل في « مسنده » عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال : كنا عند النبي ﷺ ، فقال عليه الصلاة والسلام « هل فيكم غريب » - يعني : أهل الكتاب ، أو من لم يطَّلع بعدُ على أسرار الشريعة ، فقلنا : لا يا رسول الله ، فأمر بغلق الباب وقال « ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله » فرفعنا أيدينا ساعة وقلنا كذلك : لا إله إلا الله ، ثم وضع رسول الله ﷺ يده ووضعنا ، ثم قال « الحمد لله ، اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة ، وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة ، وإنك لا تخلف الميعاد » ثم قال « ألا أبشروا فإن الله عز وجل قد غفر لكم » قال المنذري إسناده حسن .

فأما تعلُّم الفرائض وتعليمها لأهلها ففرض ، والواجبات واجبٌ ، والسنن سنة ، قال ﷺ « لا ينبغي للعالم أن يسكت على علمه ، ولا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله ، بل لا بد أن يتعلم من أهله » ، قال تعالى ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ رواه الطبراني في « الأوسط » عن جابر رضي الله عنه ، وقال عليه الصلاة والسلام « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ، وقال عليه الصلاة والسلام « تعلَّموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة والوقار ، وتواضعوا لمن تعلمون منه » ، وقال عليه الصلاة

والسلام « تعلَّموا اليقين كما تعلَّموا القرآن حتى تعرفوه ، فإني أتعلَّمه » صدق نبي الله ؛ ولا يمكن تعلَّم العلم وأخذه في هذا الوقت عن الله تعالى أو عن النبي ﷺ بلا واسطة ، كذلك أجرى الله عادته بين عباده . انتهى عبارته ٤٢ .

وسنذكر إن شاء الله تعالى في البابي الآتي كون أرباب هذا العلم هم الذين ورثوا علوم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام مع ذكر أسمائهم من الصحابة والتابعين ، فلا بد لك من المراجعة إليه كي يزيل هواجس قلبك ، وتعْلم ورود هذا العلم من النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه والتابعين بلا انقطاع إلى يومنا هذا وإلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى .

وعبارة القطب الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي في كتابه « جامع أصول الأولياء » :

وأما التلقين وسنده ! فلما كانت الصحبة من لوازمه وشروطه ، وكان الانتساب إلى شيخ إنما يحصل بالتلقين والتعليم من شيخ مأذون ، إجازتُه صحيحة مستندة إلى صاحب طريق وهو إلى النبي عليه السلام ، وكان الذاكر لا يفيد فائدة تامة إلا بالتلقين والإذن ، بل جعله الأكثر شرطاً ، وكان الشيخ في الدين مقدّم النسب على الأب في الطين كما قال بعضهم :

نسب أقرب في شرع الهوى   بـيـنـنـا من نسب من أَبَوَي

وكان السالك لا بد له من مرشدٍ حسي كالشيخ ، أو معنوي كالإلهام وحسن التفقه في الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، مع التيقظ والاعتبار والتفكر بمساعدة التوفيق ، واللطف والعناية ، أو يغنيه الله عن ذلك كله بمنح من فضله ، وجذبة بها يصل من غير مشقة ، وجب ذكر الأسانيد في كل الطرق إلى الرسول عليه السلام .

واعلم أن من لا يعرف آباءه وأجداده في الطريق فهو مطرود ، وكلامه دعوى غير مقبولة ؛ وربما انتسب إلى غير أبيه ، فيدخل في قوله عليه السلام « لعن الله من انتسب إلى غير أبيه » ،**وقد أجمع السلف كلهم على أنّ من لم يصح له نسب القوم ، ولا أذن في أن يجلس للناس ، لا يجوز له التصدّر إلى إرشاد الناس ، ولا أن يأخذ عليهم عهداً ، ولا أن يلقِّنهم ذكراً ولا شيئاً من الطريق** ،إذ السر في الطريق إنما هو ارتباط القلوب بعضها ببعض إلى الرسول عليه السلام إلى حضرة الحق جل جلاله ، فمَنْ لم يدخل سلسلة القوم فهو غير معدودٍ منهم .فقد روى أحمد والطبراني وغيرهما أن رسول الله ﷺ لقن أصحابه جماعة وفرادى ؛ فأمّا تلقينهم جماعة فقد قال شداد ابن أوس كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم . . . إلى آخر الحديث المذكور آنفاً . انتهى عبارته ٢٢ .

وفيه بعيد هذا بعد ذكر الأحاديث المذكورة : فهذه نسبة علي في تلقين الذكر ، وأمّا النسبة الباطنية في تلقين الأذكار القلبية فذلك بإثبات من غير نفي بلفظ اسم الذات لقوله تعالى لرسوله ﷺ ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ وهذه نسبة الصديق الأعظم التي أخذها باطناً عن النبي عليه السلام ، وهذا هو الذكر الذي وقر في قلبه رضي الله عنه وعنا به لقول النبي عليه السلام عن ربه : « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة بل بشيء وقر في قلبه » . **وقد تفرعت نسبة جميع الطرق من هاتين النسبتين فهما أصلان ومعهما عون الرحمن** . انتهى عبارته ٢٢ .

وقال شيخنا حسن حلمي في « السفر الأسنى » بعد ذكره ما ورد في منكري المشائخ مخاطباً لمنكره فما لك أن تنكر جميع العلماء والصالحين وتعترض على أولياء الله المتقين ، أليس النبي ﷺ قد قال : « علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل ، ولكل نبي نظير في أمته ونظير أمتي العلماء » كما قال الله تعالى ﴿أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وقال النبي ﷺ « العلماء ورثة الأنبياء » ؟ ! .

الورثة على ثلاثة أقسام

ثم الورثة على ثلاثة أقسام ؛ **فالعلماء الظاهرية المحضة** بمنزلة ذوي الأرحام ، **والعلماء الباطنية** بمنزلة ذوي الفروض ، **والعلماء الجامعة للظاهر والباطن** بمنزلة العصبات الكاملة الأقراب فالأقرب ؛ القطب بمنزلة الابن الصلبي ، **وقطب الأنبياء** عليهم السلام محمد المصطفى ﷺ ؛ لأنه خاتم النبيين ، **وقطب الأولياء** علي رضي الله عنه ؛ لأنه خاتم الخلفاء الأربعة الكاملين .

فسلسلة التلقين الأصلي من نبينا محمد ﷺ إلى علي ، ومنه إلى المشائخ ، واحداً بعد واحد على ما بيّنه أحمد الزركراني في « رسالته » في الفصل الرابع ، وقال رحمه الله ما نصه : الفصل الثاني في بيان إثبات الطريقة بالتلقين بالكتاب والسنة وإجماع الخواص من لدن رسول الله ﷺ إلى وقت الساعة ، قال الله تعالى في أصحاب الصفة ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ سبب نزوله روي في بستان الشريعة أنّ عليّاً رضي الله عنه جاء إلى النبي ﷺ والتمس منه أقرب الطرق وأفضلها وأسهلها سلوكاً ، فتوجَّه النبي ﷺ فنزل الوحي بقوله تعالى ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ مقارناً بالعلم اللدني ، تنبيها على أنّ هذه الكلمة مفتاح خزائن الله وعلم الله ، ثم قعد جبرائيل مربعاً كالمعلّم ، فلقَّن النبي ﷺ لا إله إلا الله ثلاث مرات ، ثم أمره أن يلقِّن عليّاً ؛ لأنه أول من التمس منه التلقين ، ثم حضره أربعمائة من الصحابة فلقنهم جميعاً ، ثم قال ﷺ « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » ، وقال عليه السلام « لا تقوم الساعة على وجه الأرض حتى نفى من قال (الله الله) » يعني بالقلب الحي ، وينبغي أن يغمض عينيه ، وينصت حين التلقين والذكر ، فجميع المشائخ أخذوا أصولهم من النبي ﷺ ظاهراً وباطناً . انتهى عبارته ٦٧ .

وفيه بعيد هذا : فهذه نسبة علي كرم الله وجهه في تلقين الأذكار الجهرية « فتاوى خليلي » .

وأما النسبة الباطنية في تلقين الأذكار القلبية ؛ أي : سواء كان لفظة (الله الله) أو النفي والإثبات والمراقبة ، أو الحضور من غير حركة اللسان ، وهي نسبة الصديق الأعظم التي اختصَّ بها الصديق دون سائر الصحابة ، أخذها باطناً عن رسول الله ﷺ لقوله « ما صب الله في صدري شيئاً » إلخ وكذا قوله عليه السلام من ربه « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة بل بشيء وقر في قلبه » . فالحديث الأول دليل السادات النقشبندية لثبوت التوجه وإلقاء الذكر والمحبة والجذبة في قلب المريد ، ودليلهم أيضاً للذكر القلبي والحضور والمراقبة . انتهى عبارته ٦٨ .

وحاصل ما كتبه شيخنا إلى بعض الوهابية المنكر عليه من الدلائل القطعية من القرآن لكل ما يلقنونه من الأوراد ؛ قال : ايها الأخ الديني ! نأمر المريدين بالرابطة ، دليلنا لذلك قوله تعالى ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ الآية ، وقوله تعالى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ، ونأمر أيضاً بالاستغفار ، دليلنا له قوله تعالى ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ ، وقوله تعالى ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ الآية ، ونأمر بالصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام دليلنا لذلك قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ الآية ، ونأمر بذكر الجلالة بالنفي والإثبات دليلنا له قوله تعالى ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ إلخ ، وقوله تعالى ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ الآية ، وقوله ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ ، وقوله ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ ، وقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ ، وهكذا للمشائخ دلائل لما يستعملونه من المراقبات العديدة من الكتاب والسنة ، وللرابطة أيضاً عندهم دلائل منهما ومن الإجماع والقياس ، وقد كانت الصحابة ينعكس إليهم تجليات المراقبات كلّها بمجرّد الصحبة ، وكانوا لا يخفون منها شيئاً كما هو مذكور في « مكتوبات » الإمام الرباني .

فالحاصل أن ما يفعلونه مقتبس من مشكاة النبوة ، وهذه الطريقة عين طريقة الصحابة ، لا مخالفة بينهما ولو في أدنى شيء ، ولا يقبلون

شيئاً مخالفاً ، ولو تربّع متعاطيه في الهواء أو مشى على الماء ، ولعلّك لا تجد شيئاً مّا يفعله المشائخ إلاَّ موافقاً بالكتاب والسنة إن نظرت بالإنصاف بترك التعصّب وترك كتب ابن تيميّة وأتباعه المعتزلين عن عقائد أهل السنة والجماعة .

أيها الأخ ! أيّ شيء حملك إلى اقتدائهم ونظرك إلى كتبهم والعمل بما فيها والادّعاء بالاجتهاد المطلق الذي سُدّ بابه من زمان طويل إلى آخر ما كتبه قدس سره وقال ﷺ « المؤمن مرآة المؤمن » وقال أيضاً « اتقوا فراسة المؤمن » وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً « جالسوا العلماء ، وزاحموهم بركبكم ، فإنّ الله يحي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحي الأرض الميتة بوابل السماء » وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً « خير جلسائكم من ذكَّركم اللهَ رؤيتُه ، وزاد في علمكم منطقه ، وذكركم الآخرة عمله » انتهى راجع إلى « تنبيه السالكين » وفيه بسط لذيذ .

وفي « السفر الاسنى » بعد ذكر الأحاديث الواردة في التلقين : قال الشيخ سليمان الزهدي :

مهم

التوجه سحاب الفيوضات ، وقلوب المشائخ ميزان الحكمة

والحاصل أن التوجه الملقَّن المعنعن من النبي ﷺ إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه ، ومنه إلى المشائخ الكرام قدس سره سحاب الفيوضات ، وقلوب المشائخ ميزاب الحكمة والعرفان ، من انتظر بالصدق وصل ، ومن انتهى بالغفلة غفل . انتهى فراجع « صحيفة الصفا لأهل الوفا » لسليمان الزهدي .

وقال الشيخ الزهدي أيضاً : أول توجه من جبريل إلى النبي ﷺ ثلاث مرات ؛ مرة للتخلية ، ومرة للتحلية ، ومرة لإلقاء الوحي والرسالة في غار

جبل حراء ، وفي غار ثور توجَّه النبي ﷺ إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه ، وهو التوجه الواصل المعنعن إلى السادات النقشبندية . انتهى فراجع « بهجة السالكين » من هامشه في ٢٧ من « مجموعة الرسائل » ومثله ذكره في هامش « صحيفة الصفا » في ٦ ، فراجعهما .

وقال الشيخ سليمان الزهدي قدس سره بعد ذكره كلاماً : وما ذكر بلفظ منه لم يكن دليلاً لأصول الطريقة العلية ، بل بياناً على أن الطريقة عين الاتباع وعين الشريعة ، **وإنها تلقين خاص إلى أهله لا شعور للعوام على ذلك الأصول ، من أجل ذلك لا يحتاج السند والدليل من غيرهم ، فإن رجال الطريقة العلية ثقاة ، وصل هذه الأصول والتلقين من النبي** ﷺ **، ومنه إلى الرجال الثقاة** ذوي الجناحين المجردة عن الكدورات البشرية والنفسية ، وهم البررة الكرام صاحب الأمانة معنعناً مسلسلاً وصلة تامة إلى الآن ، وإلى آخر الزمان إن شاء الله تعالى . والأحاديث المذكورة من الكتب المعتبرة المشهورة بعضها من تفسير « روح البيان » ومن كتاب « كشف الأسرار » ومن « حكمة الإشراق » وأكثرها من « الجامع الصغير » ، وكلها مستندة في أصلها ، والسلام على من له الهداية والدراية ، راجع « مجموعة الرسائل » في ١٢ ، **فثبت بهذه المذكورات كون سلسلة السادات النقشبندية متصلة ، وكون الأحاديث الواردة في حق التعليم والتلقين صحيحة وحسنة ، فبطل به قول من كتب إلينا بما نصُّه** : يسلسل النقشبنديون سلسلتهم إلى النبي ﷺ ، وابي بكر رضي الله عنه ، وسلمان الفارسي رضي الله عنه ، ويقولون : إن النبي ﷺ لقَّن أبا بكر رضي الله عنه الذكر ممتازاً عمن سواه ، وأنَّ أبا بكر لقَّن أيضاً سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وأقول : لا بأس أنه مما يجوز أن يكون ، ولكن لا نقبل إلا بسند صحيح ، فهلا يأتي النقشبنديّون بسند نقبله . انتهى . ولعلّ هذا القائل قد رأى ما قال البعض بـ :أن ليس لأهل الطريقة سند ، ولم يدر أن لهم سنداً صحيحاً ، وأنهم لم يخترعوا شيئاً مَّا برأيهم ، ولا يخفى أنه لا يلزم من عدم كون

الشخص لا يعرف السند عدم كونه معلوماً عند غيره ، ولا يحيط بجميع ما ورد كلّ أحد ، وما يجهله أحدٌ يعلمه غيره ، فانظر ماذا ترى في جميع ما دوّنته في هذه الكراسة ، ولا تقف ما ليس لك به علم ، **واعلم أن نور الله لا يطفئ بنفخ** ، بل الله يؤيّد دينه ولو كره المبطلون وينصر من ينصره ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ الآية .

والطريقة وما يستعمله المشائخ كلها أنوار والمنكرون يريدون إطفاء نورها والله متم نوره ، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ الآية . انتهى عبارته .

وأمّا عدم خروج شيء من علماء الحقيقة والصوفية عن الشريعة فقد قال الإمام الشعراني في « اليواقيت » في المبحث الثامن والأربعين في بيان أن جميع أئمة الصوفية على هدى من ربهم ، وأن طريقة الإمام أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه أقوم طرق القوم كلّها لتحريرها على الشريعة تحرير الجوهر .

حقيقة الصوفي عالم عمل بعلمه

اعلم رحمك الله أن حقيقة الصوفي فقيه عمل بعلمه لا غير ، فأورثه الله تعالى بعلمه الاطلاع على دقائق الشريعة وأسرارها ، حتى صار أحدهم مجتهداً في الطريقة والأسرار ، كما هو شأن الأئمة المجتهدين في الفروع الشرعية ، ولذا شرعوا في الطريق واجبات ومحرمات ومندوبات ومكروهات وخلاف الأولى زائداً على ما صرّحت به الشريعة كما استنبط المجتهدون نظير ذلك ، وأبطلوا ؛ أي : مجتهدوا القوم العبادات بالإخلال بما أوجبوه وشرطوه أو بارتكاب ما حرّموه ، هذا شأنهم رضي الله عنهم ، **فما من أحدٍ منهم حقَّ له قدم الولاية إلا وهو مجتهدٌ في الطريق ليس عنده تقليدٌ** إلاّ لما صرّحت به الشريعة ، أو أجمع عليه الأمّة فقط ، فمن ادعى مقام الكمال وهو مقلد إمام فهو غير صادق . انتهى .

مهم

ثم ممَّا اختص به الصوفية عن غيرهم علمهم بالطريق الموصلة لهم إلى العمل بالكتاب والسنة ، فإذا قلت لهم : إن مقصودي أن أزهد في الدنيا بحيث لا يبقى عندي ميل عاديّ لها . يقولون لك : أكثر من ذكر الله ليلاً ونهاراً حتى يرق حجابك ، فتدرك الآخرة بعين بصيرتك ، وتنظر ما لمن يزهد في الدنيا من الدرجات والنعيم كما وقع لإبراهيم بن أدهم رضي الله عنه ، فإذا رأيت ذلك زهَدْت لا محالة في الدنيا ، ولو قال لك جمهور الناس : ارغب في الدنيا . لا تصغ لهم ، ولو أنك يا أخي قلت ذلك لعالم لقال لك : إن الله تعالى أمرك أن تزهد لا غير ، ولا يهتدي للطريق إلى ذلك ، فحكمه حكم طبيب يحفظ كتاباً في الطب ولا يعرف علاج المرض ، **فعلم أن سبب إنكار بعض الناس على الصوفية إنما هو لدقة مداركهم ، ولو أن المنكر لزم الأدب لسلم للقوم كل ما خالف فهمه مما لم يعارض كتاباً ولا سنة ولا إجماعاً** . وقد رأيت في كتاب « الرعاية » للشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء بمصر في عصره ما نصه : كل الناس قعدوا على رسوم الشريعة ، وقعد الصوفية على قواعدها التي لا تزلزل ، قال : ويؤيد ذلك ما يقع على يدهم من الكرامات والخوارق ، ولا يقع ذلك قط على يد عالم ولو بلغ في العلم ما بلغ ، إلا إن سلك طريقهم . انتهى عبارته ٢٤٠ ج ٢ .

وفيه بعيد هذا : وقد كان سيدي إبراهيم الدسوقي رحمه الله يقول : لو أنّ الفقيه أتى العبادات والمأمورات الشرعية بغير علّة كما أمره الله تعالى لَاستغنى عن الشيخ ، ولكنه أتى العبادات بعلل وأمراض ، فلذلك احتاج إلى طبيب يداويه ، حتى يحصل له الشفاء ، ومن ثم استغنى التابعون عن الخلوة والرياضة كما عليه تلامذة الأشياخ ، ولم ينقل عن أحد منهم أنه دوّن شيئاً في علاج الأمراض الباطنة لعدمها في عصرهم ، أو قلتها جدّاً ،

لا تكاد توجد ، وكان معظم اجتهادهم إنما هو في جمع أحاديث الشريعة والمطابقة بينها وبين الكتاب العزيز ، وهذا أهمُّ بيقين من اشتغالهم بعلاج أمراض لعلّها لا توجد ،

مهم

وقد حصل بذلك الجواب عن قول من قال : لأيّ شيء لم يدوّن الأئمة المجتهدون شيئاً مَّا في علم التصوّف ، أو يشتغلوا بالذكر لتتجلى قلوبهم كما يفعل الصوفية ، فإنه لا يقول عاقل قط عن أحد ؛ يعني : من الأئمة : إنه يعلم من نفسه عجباً أو رياء أو غلاًّ أو حقداً أو مكراً أو خديعة ولا يجاهد نفسه أبداً ، ولو أنهم علموا أنّ فيهم شيئاً من ذلك لقدَّموا علاجه على سائر الأعمال من باب (ما لا يتمُّ الواجب إلا به فهو واجب) ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ فافهم ،

فقد بان لك أنّ سائر أئمة الصوفية على هدى من ربهم **كالأئمة المجتهدين وإنه لا ينبغي لأحد أن ينكر عليهم كلامهم إلا بعد أن يدخل طريقهم** ، ويعرف مصطلحهم ، وجميع من شطح عن ظاهر الشريعة إنما هو دخيل فيهم ، أو غلب عليه حال ، أو كان مبتدأ في الطريق ، وأما الكاملون كالجنيد وأضرابه فطريقهم محررة على الأدب تحرير الذهب ؛ إذ هم حماة الدين رضى الله عنهم أجمعين . انتهى .

وفيه بعيد هذا : وكان أي : جنيد يقول : **علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة** . انتهى راجعه عبارته ٢٤١ من الجزء الثاني . فإن أردت الزيادة راجع في مقدمات « طبقات الكبرى » للشعراني وفي « الميزان » من الجزء الأول .

فإن قلت : فما حكم من أكل الحلال ، وترك المعاصي ، وسلك بنفسه من غير شيخ ؛ فهل يصل إلى هذا المقام من الوقوف على العين الأولى للشريعة .

فالجواب لا يصحُّ لعبد الوصول إلى المقامات العالية إلا بأحد أمرين ؛ إما بالجذب الإلهي ، وإما بالسلوك على يد الأشياخ الصادقين ، لما في أعمال العباد من العلل . انتهى راجعه في ١٨ .

وفيه بعد ذلك : فعلم من جميع ما قررناه **وجوب اتخاذ الشيخ لكلّ من طلب الوصول إلى شهود عين الشريعة الكبرى ، ولو جمع جميع أقرانه على علمه وعمله وزهده وورعه ، ولقبوه بالقطبية الكبرى ، فإنّ لطريق القوم شروطاً لا يعرفها إلا المحقِّقون منهم** دون الدخيل فيهم بالدعاوى ، وربما كان من لقبوه بالقطبية لا يصح أن يكون مريداً للقطب ، بل قال بعض المحققين : إن القطب لا يحيط بمقامات نفسه فضلاً عن غيره ، وذلك لأنّ صفات القطبية في العبودية تقابل صفات الربوبية ، كما لا تنحصر صفات الربوبية كذلك لا تنحصر صفات العبودية . انتهى ، والحمد لله رب العالمين عبارته ١٩ ج ١ .

وقال الغزالي قدس سره في نصيحة : أيها الولد !

مهم

اعلم أن التصوّف خصلتان ؛ الاستقامة والسكون من الخلق ، فمن استقام وأحسن خلقه بالناس ، وعاملهم بالعلم وبالحلم فهو صوفيّ . انتهى .

علم أحوال القلب فرض عين

وفيه أيضاً : إن أردت علم أحوال القلب فانظر إلى « الإحياء » وغيره من مصنفاتي ، فهذا العلم فرض العين ، وغيره فرض الكفاية ، إلا مقدار ما يؤدي فرائض الله تعالى وغيرها ؛ يوفّقك الله حتى تحصل جميع ما أخبرتك إن شاء الله تعالى ، فعلم مما ذكرناه استحالة خروج شيء من أحوال الصوفية وأفعالهم عن الشريعة ، وعلم أيضاً كون معنى الصوفيّ عالم عمل بعلمه .

مهم

مأخذ أعلام وألقاب الصوفية

وفي « الإتقان في علوم القرآن » للحافظ السيوطي في النوع الخامس والستين عند بيانه العلوم المستنبطة من القرآن : ونظر فيه أرباب الإشارات وأصحاب الحقيقة ، فلاح لهم من ألفاظه معان ودقائق جعلوها أعلاماً اصطلحوا عليها ؛ مثل الفناء والبقاء والحضور والخوف والهيبة والأنس والوحشة والقبض والبسط وما أشبه ذلك ، هذه الفنون التي أخذتها الملَّة الإسلامية منه[1] . انتهى . راجعه ، عبارته ١٢٧ ج ٢ .

فلم يبق وجه لإنكار المنكرين على السادات الصوفية سوى التعصّب على طبائعهم السقيمة ، وسوى كون علومهم علوماً فاتت منهم وحسدوهم بذلك ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ رزقنا الله الإنابة على معارفهم ، وهدانا إلى ما هداهم بفضله ، وأفاض علينا من فيوضاتهم ، آمين ، والسلام على كل من اتبع الهدى وقبل النصح واعطى القوس إلى باريه .

وأما كون الطريقة والشريعة توأمان فقد ذكره شيخنا في « تنبيه السالكين » والحافظ ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » وعبارة شيخنا فيه : اعلم أنّ الطريقة والشريعة توأمان كالروح والجسد أحدهما لتحصيل كمال الإخلاص ، الذي هو عمل القلب ، والآخر لتحصيل أركان الدين بكماله الذي هو العمل بالجوارح ، **فإن الروح بلا جسد ما له قيام ، وأن الجسد بلا روح ما له دوام** ، وذلك أمر مشترك بين المكلَّفين من الرجال والنسوان ، كذا قال سليمان الزهدي في « رسالته » وكل عمل ليس فيه الإخلاص والنية والحضور كوصيفة[2] ميتة ليس فيه روح ،

(١) **أي** : القرآن . **(هامش الاصل)** .

(٢) **أي** : جارية .

والأعمال المشروعة تحف يتحف بها العبد إلى الله تعالى ، والمهدي للجيفة الميتة مستهزئ للسلطان ، فيستحق سفك الدم ، فإذاً يجب على العبد أن يزكي القلب من الاخلاق المضادات للإخلاص والحضور ، وتزكيته منها موقوف على سلوك الطريق على يد شيخ عارف مأذون ولا يكون ذلك السلوك إلا بواسطة الذكر .

ومن شرطه أن يأخذ منه ؛ **لأنّ الذكر الذي أخذ منه يكون معه نور حاجب من الشيطان فيعمل في تنوير الباطن عمله** ، والذي أخذه من غير عارف لا يكون معه ذلك النور ، فلا يكون الذكر حجاباً ، بل يكون سبباً للهلاك ، ويكون حكمه كإلقاء السم ليداوى به المريض ، والله أعلم ، **وأمّا من أراد أن يخلص منها بغير سلوك الطريق المذكور فقد طلب المحال** ، ولذا ترى الأبرار وإن سعوا في الخلاص ، وتيسَّر لهم ذلك وقعوا في صفة أخرى وخصلة أقبح من الأولى كذا في « السير والسلوك » .

وقد كان سلطان العارفين وملجأ العلماء من المذاهب الأربعة المجتهدين وغيرهم عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه يجاهد نفسه بأنواع المجاهدات الشاقة والرياضات التامة ، ويلازم العلوم حتى صار متبحِّراً في المذاهب الأربعة وغيرها ، ومع ذلك وجد عباداته مخلوطة بالحظوظات النفسانية ، ولم يعرفها إلا بعد اتخاذ الشيخ ، كذا في « المنن » فراجعه ، وهكذا عدّ الإمام الغزالي علوم الفقهاء حجاباً لعدم وجوده فيها إخلاصاً ، ومن المعلوم أن العلم إنما يكون حجاباً لمن لم يخلص لله في تعلّمه وتعليميه ، وإلاّ فلا ، كذا في « المنن » في ٥١ ج ١ .

وقال في « الإحياء » ما معناه **لو سلم للإنسان من عمره لحظة خالصة لوجه الله نجا وذا لعزة الإخلاص** ، ولتعسُّر تنقية الأعمال من شوائب الرياء . انتهى . وفي « الطبقات » **لو صحّ للعبد في عمره نفس واحدٌ من غير رياءٍ ولا شركٍ لأثر بركات ذلك إلى آخر الدهر** . انتهى راجعه في ٩٦ من الجزء الأول عبارته ٢٣٠ من الباب السابع والعشرين راجعه .

وأمّا فرضية تعلّم علم الباطن ، ووجوب اتخاذ الشيخ وأخذ الطريقة والقائلين به فأذكر لك ما قاله الأئمة العظام والمشائخ الكرام في حقه : قال الإمام الشعراني في « لواقح الأنوار القدسية » .

وقد أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان له شيخا يرشده إلى زوال تلك الصفات التي تمنعه من حضرة الله تعالى بقلبه لتصح صلاته من باب (ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجبٌ) **ولا شك أنّ علاج أمراض الباطن كلّه واجب** ، كما تشهده الآيات والأحاديث الواردة في تحريمها ، والوعيد والعقاب عليها ، **فعلم أن كل من لم يتخذ له شيخاً مرشداً يرشد إلى الخروج عن هذه الصفات فهو عاصٍ** لله ولرسوله ، لأنه لا يهتدي لطريق العلاج ، ولو تكلَّف لا ينفع بغيرٍ شيخ ولو حفظ ألف كتاب ، فهو كمن يحفظ كتاباً في الطب ولا يعرف تنزل الدواء على الداء ، فكل من سمعه وهو يدرس في الكتاب يقول إنه طبيب عظيم ، ومن رآه حين يُسأل عن اسم المرض وكيفية إزالته قال إنه جاهل ، فاتخذ لك شيخاً ولا تعص ، وتفكَّر أبديّة الآخرة ، **وإياك أن تقول : إنّ طريق الصوفية لم يأت بها كتاب ولا سنة ، فإنها كفر ، فإنها كلها أخلاق محمدية وسيرة أحمدية وسنن إلهيّة** . انتهى نقله أحمد ضياء الدين في « المتممات » وفي « ترصيع الجواهر » في ٩ .

فنقول وبالله التوفيق أجمع العارفون على أنه لا يمكن سلوك طريق القوم من دون المرشد ، قال سيّدي عبد القادر الجيلاني : من لا يرى المفلح لم يفلح ، واستدلَّ على ذلك بقوله ﷺ « من استغنى برأيه ضل » ، وبقوله « المؤمن مرآة المؤمن » . انتهى . وعبارة شيخنا الأويسي النقشبندي الشاذلي القادري في « تنبيه السالكين » : الباب الثالث والعشرون في رد دعوى من يقول : لا يجوز اتخاذ الشيخ وأخذ الطريقة منه ، ويطعن على المريدين ، ويستهزئ بهم – والعياذ بالله – فتلك شأن بعض العلماء من ديار ولايتنا – سامحه الله ، وألهمه رشده ، وهداه إلى ما يرضاه – آمين .

وهي مما يتوجه إليه ضرره دنيا وأخرى ، لأنه قد ارتكب كبيراً ، وأنكر مجمعاً ، وصرح بالرأي قولاً ، كيف لا ؟ ! وقد قال بوجوب اتخاذ الشيخ على من ليس له قلب سليم أئمة من المذاهب الأربعة ، وأجمع عليه العلماء السلف والخلف ، حتى روي أنّ أبا حنيفة أخذ الطريقة عن تلميذه قبل وفاته بسنتين وقال حين وفاته : لو لا السنتان لهلك النعمان . وقد كان الإمام أبو حنيفة يرى بكشفه نجاسة الذنوب التي تسيل مع ماء الوضوء ، كما ورد في الحديث ، فلأجل ذلك قال بنجاسة الماء المستعمل كذا في « ميزان الشعراني » ، ومع ذلك أخذ الطريقة ، وكان الشافعي رضي الله عنه يجلس بين يدي شيبان الراعي كالصبي بين يدي المرضعة ، وكان الإمام ابن حنبل رضي الله عنه يقول لولده لما صحب أبا حمزة البغدادي وعرف أحوال القوم : يا ولدي عليك بمجالسة هؤلاء القوم ، فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد وعلوّ الهمة . انتهى بعضها منقول من « الفتاوى العمرية » ، وبعضها من « المتممات » ، وبعضها من « مكتوبات » الإمام الرباني ، فراجعهما ، وفي « الحديقة الندية » : اعلم – أسعدك الله بالتوفيق ، وحلاك بالتصديق – أنّ تعلّم علم الباطن ؛ من المهلكات والمنجيات وأداب السلوك والمعاملات فرض عين على كلّ من لم يرزق له قلباً سليماً بالجذب الإلهي والعلم اللدنيّ والنفس القدسية الفطرية ، وقليل مَّا هم ، وأحكام الدين إنما تبنى على الأكثر الأغلب ، وتعلّم علم الظاهر لا يغني عن استفادته ، كما ثبت ذلك عن كثير من العلماء الأكابر المتقدّمين والمتأخرين . انتهى .

وفي « لطائف المنن » وكان سيّدي عليّ الخواص رحمه الله يقول : لو أنّ عبداً قرأ ألف كتاب في العلم بغير شيخ يفهم معانيها فلا ثمرة لذلك عند القوم ، وسمعت سيّدي عليا الخواص رحمه الله يقول : من لم يكن له شيخ في هذا الزمان يخرجهم من ظلمات الشكوك والأوهام فبعيد أن يرز شيئاً من كمال الإخلاص في عبادة من العبادات الخالصة . انتهى منه

عبارته . ومراد جميع أشياخ الطرق بتسليكهم الناس أن يوصلوا المريد إلى مقام العمل بالإخلاص الذي كان عليه السلف أو بعضه لا غير كذا في « لطائف المنن » في ٤٧ .

وفيه أيضاً وقالوا : من لم يجد له شيخاً في بلده وجب عليه السفر في طلبه . انتهى عبارته . ومن وصايا الشعراني : فاطلب لك يا أخي شيخاً يبلغك هذه المآرب ولو كان بينه وبينك بعد المشرقين . انتهى من « المواهب البريقة » .

وفي شرح « تائية السلوك » في ٥٦ فمن لم يصاحب شيخ صدق ملقِّن يكون له الشيطان شيخاً ملقناً . انتهى . وقال العالم المحقق محمد على الچوخي في « فتاويه » مجيباً لمن سأله : الذي نفعله اتخاذ شيخ مرشد لنا إن ظفرنا به ولو بالسفر إليه بصرف ما يجب صرفه لسفر الحج . انتهى . وقال الشعراني في « المنن الكبرى » وطلب الإمام الغزالي له شيخاً يدُلّه على الطريق مع كونه حجة الإسلام ، وكذلك طلب الشيخ عز الدين ابن عبد السلام له شيخاً مع أنه لقِّب سلطان العلماء ، فكان شيخَ الإمام الغزالي الشيخُ محمد البازاغاني ، وشيخ الشيخ عز الدين الشيخ أبو الحسن الشاذلي ، وكان الإمام الغزالي يقول لما اجتمع بشيخه المذكور : **ضيَّعنا عمرنا في البطالة** ، يعني : بالنسبة لما ذاقه من أحوال أهل الطريقة ، وكان الشيخ عز الدين رضي الله عنه يقول : **ما عرفت الإسلام الحقيقي إلا بعد اجتماعي على الشيخ أبي الحسن الشاذلي** رضي الله عنه وأرضاه ، فإذا كان هذان الشيخان قد احتاجا إلى الشيخ مع سعة علمهما بالشريعة ، فغيرهما من أمثالنا من باب أولى ، وقد كنت قبل اجتماعي بأهل الطرق اتخذت أعمالي كلها وسائل إلى تحصيل أغراض ، فإن حصلت تلك الأغراض ثبتُّ على ذلك ، وإلا تحوّلت منه ، فلما اجتمعت بأهل الطريق قالوا لي : اجعل أعمالك كلها مقاصد لتحضر فيها مع الله تعالى ، ولا تتخذها وسائل ، فتموت ولا تصل إلى مقصودك ، فقربوا علي هذا الطريق ، فلو لم يكن في

الاجتماع بهم إلا هذه الخصلة لكان فيها الكفاية . انتهى . وقال فيه أيضاً : وممَّا منَّ الله تبارك وتعالى عليّ بعد المجاهدة **ظهور أن جميع ما كنت علمته من العلوم كلّها ليس فيه شيء من الإخلاص ، وإنما هو مخلوط بالحظوظات النفسانية** . انتهى عبارته ٥١ .

مهم

وجدنا علوم الفقهاء حجاباً فيا ليتنا . . إلخ .

وفيه قد بلغنا عن الإمام الغزالي رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة أنه لما دخل طريق القوم كان يقول : وجدنا علوم الفقهاء حجاباً فيا ليتنا لم نضيِّع عمرنا فيها . انتهى عبارته ٥٤١ .

ولهذا قال النووي إنما لم يظهر على العلماء كرامات كالعباد مع أنهم أفضل منهم ، لما يدخل عليهم من الرياء كذا في « بغية المسترشدين » في ٥ فراجعه . وفي « منية المتجرد » في ٦ : وقد بلغنا عن الإمام حجة الإسلام الغزالي رضي الله عنه أنه قال ؛ لما اشتغل بعلم النظر ، واشتغل بمجاهدة نفسه على مصطلح أهل الله : ضيَّعْنا عُمْرَنا كلّه في البطالة ، فيا خَيْبَةَ مَسْعَايَ في تلك الأيام ! ! . فقيل له :ألستَ قد صِرْتَ بذلك حجة الإسلام ؟ فقال : دعونا من هذه التُرَّهات ، أما بلغكم قوله عليه الصلاة والسلام « إن الله ليؤيّد هذا الدين بالرجل الفاجر » ! !

وقال : قد انكشف لي الآن أن جميع تلك الأسفار التي كنت أسافرها في تحصيل العلوم ، وجمعها ، وكتابتها ، وتأليفها ، إنما كان لحبّ المحمدة والثناء بها عليّ بين الناس ، ولأقَدّم بذلك على أقْرَاني ، وأهل عصري ، لا لله ؛ ولا لأجل أن أعمل بها ! ! .

فقيل له : أما كان أحدٌ ينهاك من مشائخك عن شيء من هذه النقائص التي انكشفت لك الآن ؟ ! . فقال : لا ، فربما كان الشيخ يَسْتَغِيبُ

أقرانه ، فنقع معه تبعاً له ، ما عدى شيخنا إمام الحرمين رضي الله تعالى عنه ، فكان مجلسه مُطَهَّراً من ذكر نقائص الناس رحمه الله ، انتهى .

وفيه أيضاً وكان الطيبي صاحب « حاشية الكشاف » يقول : لا ينبغي للعالم ولو تبحَّر في العلم حتى صار واحد أهل زمانه أن يقنع بما عَلِمَهُ ،**وإنما الواجب عليه الاجتماع بأهل الطريق ليدلُّوه على الصراط المستقيم** ، حتى يكون ممَّن يحدِّثهم الحقُّ في سرائرهم من شدة صفاء باطنهم ، وليُخَلِّصوه من الأدناس ، وأن يجتنب ما شاب علمه من كدورات الهوى ، وحظوظ نفسه الأمَّارة بالسوء ، حتى يستعدَّ لفيضان العلوم اللَدنيّة على قلبه ، والاقتباس من مشكاة أنوار النبوَّة . انتهى عبارة ٦ « تنبيه السالكين » في ١٩٠ راجعه في الباب الثالث والعشرين .

وفيه في أوائل الباب المذكور بعد ذكر كون أخذ الطريق والدخول في دائرة الشيخ فرض عين على من لم يرزق له قلباً سليماً : **أنّ تعلّم علم الظاهر لا يغني عن استفادته كما ثبت ذلك عن كثير من العلماء الأكابر المتقدمين والمتأخرين من الحنفيّة** ؛ كابن الهمام ، وابن الشبلي ، والشرنبلالي ، وخير الدين الرملي ، والحموي محشِّي « الأشباه » ، وأمثالهم .

ومن الشافعية ؛ كسلطان العلماء العزّ بن عبد السلام ، والإمام الغزالي ، وتاج الدين السبكي ، والسيوطي ، وشيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري ، والعلامة الشيخ ابن حجر الهيتمي المكي ، وأضرابهم .

ومن المالكية ؛ كالعارف أبي الحسن الشاذلي ، وخليفته الشيخ أبي العباس المرسي ، وخليفته الشيخ ابن عطاء الله الإسكندري ، والعارف ابن أبي جمرة ، وناصر الدين اللقاني ، والشيخ العلاَّمة المحقق العارف أحمد زروق البرنسي ، وغيرهم .

ومن الحنابلة : كالشيخ عبد القادر الجيلي ، وشيخ الإسلام الشيخ عبد الله الأنصاري الهرويّ ، والشيخ ابن النجار الفتوحي وغيرهم ، فإنّ هؤلاء العلماء الأجلَّة بعد التضلُّع من علوم الظاهر اشتغلوا بتحصيل علوم الباطن ، واستفادتها من أهلها بالصحبة والخدمة ، والسلوك ، وحسن الاعتقاد ، والإخلاص ، والتخلية عن الرذائل ، والتحلية بالفضائل ، انتهى . راجع « البهجة » في ٤ و« المتممات » في ١٦٢ .

قال الفخر الرازي : ولمّا قال الله تعالى ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ لم يقتصر عليه بل قال ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ وهذا[1] **يَدُل على أنّ المريد لا سبيل له إلى الوصول إلى مقامات الهداية والمكاشفة إلا إذا اقتدى بشيخ** يهديه إلى سواء الصراط ، ويجنِّبه عن الأغلاط والأضاليل ، وذلك لأنّ النقص غالب على أكثر الخلق ،وعقولهم غير وافية بإدراك الحقِّ ، وتمييز الصواب عن الغلط ؛ فلا بدّ من كامل يقتدي به الناقص حتى يتقوَّى عقل ذلك الناقص بنور عقل ذلك ،فحينئذ يصل إلى مَدارج السعادات ومعارج الكرامات . فراجع « تفسير الكبير » ؛ انتهى . من « فتاوى العمرية » انتهى عبارته في ١٨٤ .

فإن قيل : القرآن وعلم الشريعة قد بيَّنا سبيل الطرق ، والمرشد إلى هذا الطريق هو النبيّ ﷺ ولطف الله ، فكيف الاحتياج إلى اتخاذ الشيخ ؟

فالجواب : المرشد في الحقيقة هو القرآن ، وعلم الشريعة ، والنبي ﷺ ، ولطف الله ، لكنّ المريد في أوّل الأمر كالمريض الذي قرأ علم طبّ ، وجمع الأدوية والمعجونات لمرضه ، وزاد مرضه بها لكون بعض الأدوية مما يهلك بها الإنسان ، فاحتاج إلى غيره من الأطباء ، فكذلك الداخل في طريق السلوك يحتاج إلى الشيخ لإزالة المهالك المعنويّة . انتهى عبارته .

---

(١) كما مر نقلاً عن « روح البيان » تذكره . انتهى **(منه)** .

وفي « فتاوى العمرية » : إن قلت : إنّي لا أتخذ شيخاً ، بل أطالع كتب الشرع والتصوُّف ،وأتعلَّم غوائل النفس وأمراض القلب وعلاجها ! !
قلت : نعم ، ولكنّ اشتغالك بالذكر والفكر ونفي الخواطر خيرٌ لك من اشتغالك بمطالعة الكتب سنين عديدة .

قال حضرة خواجه نقشبند قدس سره الأمجد :**أقرب الطرق عندنا نفي الوجود** ، وإن كان الصلاة والصيام طريقاً إلى الوصول إلى الله تعالى ، لكن لا يتمُّ الوصول إلا بنفي الوجود ،

وقد قيل : وُجُودُكَ ذنب لا يقاس عليه ذنب آخرُ .

فلذلك كان للسالك من المدَد في الظاهر والباطن ما لا يجدُه في الصوم والصلاة ، انتهى « تنبيه السالكين » في ١٨٦ من الباب الثالث والعشرين .

وفيه أيضاً : في هذا الباب نقلاً عن « لطائف المنن » فربما كان الذي لا شيخ له على عبادة الثقلين ، ثم وقع في العجب آخر عمره فحبط عمله كلّه ، انتهى .

وفيه أيضاً : إنّ أوّل عمر الرجل دخوله في طريق القوم ،ومن لم يدخل فيها فكأنه لم يولد ، وهو بمثابة الأموات بالنسبة إلى أهل الطريق . وفي كلام عيسى عليه الصلاة والسلام للحواريِّين : بحق أقول لكم : لَنْ يلج ملكوت السماء من لم يُولد مرّتين ؛ أي : وهو إشارة إلى ما ذكرناه . انتهى .

وفيه أيضاً : وكان علي المرصفي رضي الله عنه يقول :**لو أنّ مريداً عبد الله تعالى حتى ملأ ما بين السماء والأرض بغير شيخ فهو كالهباء المنثور ، لجهله بمَعْرفة دسائس الأعمال الظاهرة ، فضلاً عن الباطنة** ،بل لا يعرف الطريق الموصلة إلى ذلك حتى يتطلَّب معرفة كيفية التطهُّر ، وذلك لأنّ معظمَ طريق القوم غيبٌ غير محسوس ، فلا يكاد يدرك دسائس أعماله إلاّ من كشفه الله حجابه . انتهى عبارته « تنبيه السالكين » .

وفيه بعد ذكر أقوال الأئمة ونصوص الكتب المعتمدة لوجوب اتخاذ الإنسان الشيخ وأخذ الطريقة : فهذه المذكورات قَطَرات من البحار ، ومن أراد الزيادة فعليه بكتب أهل التحقيق من الفقهاء الصوفية ، فقد بسطوا فيها الكلام ، وأثبتوا فيها الدلائل والنصوص ، بحيث لا يبقى إنكار ، ولا يأتي من بين يديها ولا من خلفها إشكالٌ ؛ كـ « التحفة » لابن حجر ، والرملي من كتاب « السير » ، و« فتاوى » ابن حجر من الخاتمة ، و« المتممات » ، و« جامع أصول الأولياء » ، و« الحديقة الندية » ، و« الحدائق الوردية » ، و« لطائف المنن » ، و« الميزان الكبرى » ، و« الميزان الصغرى » ، و« لواقح الأنوار القدسية » ، و« الأجوبة المرضية » ، وكتاب« اليواقيت والجواهر » للشعراني ، و« الفتوحات الإلهية » لزكريا الأنصاري ، و« الفتاوى العمريّة » ، و« الفتاوى الچوخيّة » ، فقد بسط مؤلفه رحمه الله تعالى فيه الكلام بأبلغ بسط ، و« النور الساطع » ، و« الأنوار القدسية » ، و« عوارف المعارف » ، و« الإحياء » ، و« البهجة السنيّة » ، و« المواهب البريقة » ، و« ترجمة الرشحات » ، و« النفائس السانحات » ، و« روح البيان » ، و« سلك العين » ، وشرحه ، و« تصديق المعارف » ، و« شرح تائية السلوك » ، و« بيان الأسرار » ، و« الخادمي على النصائح الولدية » ، و« الرسالة الخالدية » ، و« الذهب الإبريز » ، وغيرها ، فهذه الكتب المذكورة ممّا قلّبنا أوراقها إلا بعضاً منها ، ورأينا أعْيانها ،وتحقَّقنا بما فيها في تقرير هذه المسألة فليراجع المنصف إليها .

وقد قصَدْتُ مرة أنْ أحْصي ما أوصى به الشعراني في حقِّ اتخاذ الشيخ في كتابه « لواقح الأنوار » فلم أطِقْ على إحصائه لكثرته ، فهذا سلطان العارفين ، ومعتمد العلماء العاملين في المذاهب كلّها يُوصي بذلك ، **فكيف يسوغ لمن أضاع عمره في الغفلات ، وخرّب أوقاته في الفلوات ، وصار حَيْران والِهاً ينبغي أن يبكي على ما فرّط في حقِّ الله تعالى وحَقِّ عباده أن ينكر على ما أجمع عليه أصحاب هذه التأليفات ؟!** وما اتَّفق عليه علماء المذاهب الأربعة المتفقات قديماً وحديثاً ؟ ! رزقنا

الله والمنكرين التوفيق ، وهدانا وإياهم إلى سواء الطريق ، فكم وكم مرّات تكلَّم أبْعاضٌ من الفقهاء في حقِّ الفقراء الصادقين بما تقشعرُّ به جُلُودهم ، وكم وكم افتروا على هذه الطائفة النقشبندية بما لم يتحقَّق منهم من أكاذيب ؛ فغفر الله لنا ولهم .

مهمّ

والمقصود من سُلوك طريق الصوفية حصول ازدياد اليقين بحقِّيَّة المعتقدات الشرعيّة الذي هو حقيقة الإيمان ، وحصول اليسر في أداء الأحكام الشرعية لا أمْرٌ آخر وراء ذلك . كذا قال الإمام الربَّاني في بعض مكاتيبه في ١٩٠ من الجزء الأول .

ومع هذه النقول والصرائح من هؤلاء الأئمة العظام لا وجه لأحد من أبناء هذا الوقت أن ينكروا على ذلك إلا مَنْ أعمى الله بصيرته ، وغلظ غشاوة قلبه ، وصارت راناً كثيفاً ؛ كما قال تعالى ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم ﴾ الآية . وذلك بانغماسه في أفكار الدنيا الدنيئة وبما ارتكب عليه من الشهوات النفسانية والمألوفات العادية ، بحيث لا يقدر خروجه منها ومخالفته إيّاها ، ولأجله يقصد المحاربة على أولياء الله تعالى والإنكار على علومهم لكون العلم المذكور مما أعرض عنه أهل الزمان ، لأنه يؤدِّي إلى مخالفة أهوائهم ، وعلومهم الآن متابعة للهوى كما ورد عن ابن مسعود كذلك ؛ قال في « حياة القلوب » :

ولقد صدق ابن مسعود حيث قال : **أنتم اليوم في زمانٍ الهوى فيه تابع للعلم ، وسيأتي عليكم زمان العلم فيه تابع للهوى** . راجعه في ٢٩٥ من هامش « قوت القلوب » من الجزء الثاني ، وفيه أيضاً في ٢٨٩ من هامشه : فصل إن هذا العلم لا يريد معرفته من أهل زماننا إلا الواحد بعد الواحد ، وليس كل من يريده يعلمه ، ولا كل من يعلمه يعمل به ، فهو علم معروض لا يقبل ، ومتروك لا يستعمل ، ومن قبِله

لا يعقله ، ومن قبله وعقله فغايته المباهات به ، **فليس هذا العلم من علم زماننا ، ولا رغبة للناس اليوم فيه ، لأنه يؤدي بأهله إلى مخالفة هوى أنفسهم ومجاهدتها ، وينادي بالويل والثبور على أهل السوء .** انتهى عبارته (شعر) :

للهِ دَرُّ رِجَـالٍ وَاصَـلُـوا الـسَّـهَــرا ... وَاسْـتَعْذَبُوا الوَجْدَ وَالتَّبْرِيْحَ وَالفِكَرا

فَـهُـمْ نُـجُومُ الْهُدَي وَاللَّيْلُ يَعْرِفُهُم ... إِذَا نَـظَـرْتَـهُـم هُـمْ سَـادَةٌ بَـرَرَا

كُـلٌّ غَـدَا بِـاللهِ قَـلْـبـهُ مُـشْـتَـغِـلا ... عَـمَّـا سِـوَاهُ وَلِـلَّذَاتِ قَـدْ هَـجَـرَا

يُمْـسي وَيُصْبِـحُ فِي وَجْدٍ وَفي قَلَقٍ ... مِـمَّـا جَـنَـاهُ مِـن العِصيان مُنْذَعِرَا

يَقُـولُ يَـا سَـيِّـدِي قَدْ جِئْتُ مُعْتَرِفًا ... بِـالذَّنْبِ فَاغْفِرْهُ لِي يا خَيْر مَن غَفَرَا

وقال الإمام القطب الشعراني في « لواقح الأنوار القدسية » : وقد كان الإمام أبو القاسم الجنيد رحمه الله يقول : لا يكمل الرجل عندنا في طريق الله عز وجلّ حتى يكون إماماً في الفقه والحديث والتصوّف ، ويحقِّق هذه العلوم على أهلها . انتهى . فعلم أنه لا ينبغي لمن يدعي العلم بالشريعة أن يكتفي بما فهمه هو منها بغير شيخ كما وقع لبعض أهل عصرنا ، فإنه بمجرّد ما صار يفهم اشتغل بالتأليف ، وترك القراءة على العلماء ، فصار في جانب والعلماء في جانب وبعد عن معرفة الراجح عند علماء زمانه ، فخالفوه ، ولم ينتفع أحدٌ بعلمه ، ولو أنه صبر في القراءة على الأشياخ حتى أجازوه بالفتوى والتدريس لزكوه وأقبلت الناس عليه بعد مشايخه ، فاعلم ذلك .

وسمعت شيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله يقول : قلّ أن يجتمع في شخص في عصر من الأعصار علم الفقه والحديث والتصوّف ، قال : ولم يبلغنا أنها اجتمعت في أحد بعد الطيبي صاحب « حاشية الكشاف » إلى وقتنا هذا ، ومن اجتمعت فيه هذه العلوم الثلاثة فهو الذي ينبغي أن يلقَّب بشيخ أهل السنة والجماعة في عصره ، ومن لم

يلقبه بذلك فقد ظلمه ، فطالع يا أخي كتب أهل السنة المحمدية ، وكتب علمائها ، وكتب الأصوليين ، ورسائل الصوفية ، ولو سلكت الطريق على يد شيخ خوفاً من أن يزل لسانك بشيء من علوم الدائرة الباطنة فينكر عليك العلماء فيقل نفعك للناس بخلاف ما إذا عرفت سياج العلماء تصير تخرج لهم من العلوم ما يقبلونه ، وتكتم عنهم ما لا يقبلونه فإن ردَّ العلماء على الصوفية إنما هو لدقة مدارك الصوفية عليهم ، لا غير ، فلا يلزم من الرد عليهم فساد قولهم في نفس الأمر كما قال الغزالي رضي الله عنه : كنا ننكر على القوم أموراً حتى وجدنا الحق معهم قال تعالى ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ ، وقال تعالى ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ انتهى . ومما يؤيد كلام الغزالي رحمه الله قول الإمام أبو القاسم الجنيد رحمه الله : كان عندي وقفة في قولهم (يبلغ الذاكر في الذكر إلى حدّ لو ضرب وجهه بالسيف لم يحسّ) إلى أن وجدنا الأمر كما قالوا ، فعلم أن النفوس لم تزل تحتج وتميل في العمل إلى ما عليه الأكثر بحكم التقليد ، وتقدم العمل به لكثرة العاملين به ، بخلاف ما عليه البعض ، فإنه كالطريق التي سالكها قليل ، فلا يجدُ السالك فيها من يستأنس به في العمل ، فتصير عنده وحشة ، فتأمّل !

مهم

لا يكمل الرجل عندنا

وسمعت سيدي عليّاً الخواص رحمه الله يقول : يحكى عن سيدي إبراهيم المبتولي رضي الله عنه أنه كان يقول : لا يكمل الرجل[1] عندنا حتى يعلم حكمة كل حرف تكرر في القرآن ، ويخرج منه سائر الأحكام الشرعية

(١) فانظر إلى رفاعة علوم أرباب هذه الطائفة قدس الله أسرارهم كي تخلص من ورطة الإنكار عليهم ؛ عصمنا الله تعالى من ذلك ، وذلك من علامة سوء الخاتمة ، كما بينه في غير موضع . (منه) .

إذا شاء وسمعته ﷺ يقول : لا يبلغ العبد مقام الكمال حتى يكون إماماً في التفسير والفقه والحديث ، ويسلك الطريق على يد شيخ عارف بالله تعالى حتى يصير يعرف الطريق بالذوق لا بالوصف والسماع ، وهناك يدخل الحضرات المحمدية ، ويحكم أحكام الشريعة المطهرة ، ويميزها من سائر البدع ، لأن الكامل من شرطه أن لا يكون له حركة ولا سكون في ليل أو نهار إلاّ على الميزان الشرعي .

وسمعته يقول أيضاً : من شرط الكامل الإطلاع من طريق كشفه على جميع أقوال المجتهدين ، ويميز الرأي من أقوالهم ، ويعرف ما وافق الصواب في نفس الأمر من أقوالهم وما خالفه .

وسمعته أيضاً يقول : كان الأشياخ المتقدمون يقولون : لا يجوز لعبد أن يتصدَّر الطريق إلا إن علم من نفسه التقيُّد على الكتاب والسنة ، ويكون ظاهره محفوظاً من سائر البدع ، وذلك لئلا يقع في شيء من البدع ، فيتبعه المريدون عليه ، فيضل في نفسه ويضلّ غيره ، ويكتب من أئمة الضلال . وقد بسطنا الكلام على ذمّ الرأي في أوائل كتاب « مختصر السنن الكبرى » للبيهقي رحمه الله ، فراجعه .

وسمعت سيّدي عليّاً البنتيتي ﷺ يقول لفقيه : إياك يا ولدي أن تعمل برأي رايته مخالفاً لما صح في الأحاديث ، وتقول هذا مذهب إمامي ، فإنّ الأئمة كلهم قد تبرَّؤا من أقوالهم إذا خالفت صريح السنة ، وأنت مقلّد لأحدهم بلا شكّ ، فما لك لا تقلّدهم في هذا القول وتعمل بالدليل . . كما تقول بقول إمامك لاحتمال أن يكون له دليل لم تطلع أنت عليه ؟ ! وذلك حتى لا تعطل العمل بواحد منهما ،

مهم

ثم إنّ المراد بالرأي المذموم حيث أطلق في كلام أهل السنة أن لا يوافق قواعد الشريعة المطهرة ، وليس المراد كل ما زاد على صريح

السنة مطلقاً ، حتى يشمل ما شهدت له قواعد الشريعة وأدلّتها ، فإنّ ذلك لا يقول به عاقل ، ويلزم منه ردّ جميع أقوال المجتهدين التي لم تصرّح بها الشريعة ، ولا قائل بذلك ، وروى الإمام البيهقي في باب القضاء من « السنن الكبرى » : الرأي المذموم حيث أطلق فهو كل ما لا يكون مشبهاً بأصل قال ، وعلى ذلك يحمل كلّ ما ورد في ذم الرأي . انتهى راجعه في ٢٥٧ .

وإنّ لأمة أن يسنوا ما شاؤوا لكن فيما لا يخالف شرعاً مشروعاً .

فائدة نفيسة ذكرها الإمام الشعراني في « البحر المورود في العهود والمواثيق » أخذ علينا العهود أن لا نمكن أحداً من الإخوان أن ينكر شيئاً مما ابتدعه المسلمون على وجه القربة إلى الله تعالى ورأوه حسناً ، فإن كل ما ابتدع على هذا الوجه من توابع الشريعة ، وليس هو من قسم البدعة المذمومة في الشرع المشار إليه بقوله ﷺ « فإن كلّ محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » ولو كان كل ما سكت عنه الشارع رحمة كان مذموماً ، وسرى ذلك الذم إلى مذاهب المجتهدين ، ولا قائل به .

قلت : ودليلنا في هذا العهد قوله ﷺ « من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة » ، فأباح لأمّته أن يبتدعوا كلّ ما رأوه حسناً مما سكت عنه الشارع رحمة بأمته ، فمن وجد منهم قوّة على فعل ما سكت عنه فله فعله ولا حرج ، ثم يثاب عليه ، لكن ثواباً دون ثواب ما سنَّه الشارع فافهم ، وقد حكم رسول الله ﷺ لحكيم بن حزام بالخير حين أسلم ، وسأله عن أمور كان تبرَّر بها في الجاهلية ؛ من عتق ، وصلة رحم ، وكرم ، فقال : أسلمت على ما أسلفت من خير ، فسمّى ﷺ ذلك الفعل الذي فعله حكيم في الجاهلية على غير قدم الاتباع خيراً ، وأخبره أن الله تعالى جازاه به خيراً ، فعلم أن كلّ من كان على مكارم

الأخلاق من المسلمين فهو شرع من ربّه ، وإن لم يعلم هو بذلك ، ولم ينص عليه الشارع بخصوصه ، وأن للأمّة أن يسنوا ما شاؤا من القربات ، لكن فيما لا يخالف شرعاً مشروعاً ، هذا ، حظهم من التشريع ، فإن لم تفهم الشريعة هكذا فما فهمت إذا علمت ذلك ، فممَّا أحدثه المسلمون واستحسنوه قولهم : أمام الجنازة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أو وسيلتنا إلى الله يوم العرض على الله لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ، ونحو ذلك ، فمثل هذا لا يجب إنكاره في هذا الزمان ؛ لأنهم إن لم يشتغلوا بذلك اشتغلوا بحديث الدنيا ، وذلك لأنّ قلوبهم فارغ من ذكر الموت ، بل رأيت بعضهم يضحك أمام الجنازة ويمزح ، وإنما لم يكن الكلام والقرائة والذكر أمام الجنازة في عهد السلف لأنهم كانوا إذا مات لهم ميِّت اشتركوا كلّهم في الحزن عليه ، حتى كان لا يعرف قرابة الميت من غيره ، فكانوا لا يقدرون على النطق الكثير لما هم عليه من ذكر الموت ، بل خرست ألسنتهم عن كل كلام ، ولو قرآناً وذكراً ، فإذا وجدنا جماعةً بهذه الصفة فلك يا أخي علينا أن لا نأمرهم بقرائةٍ ولا ذكرٍ ، و**القاعدة** أنه إذا تعارض عندنا أمْرَانِ ارتكبنا أخفَّهما ، وقد بسطنا الكلام على ذلك في « رسالة الأدب » والله واسع عليم . انتهى عبارته في ٢٩١ من هامش « لواقح الأنوار » ومع هذا المذكور لا يقبل الوهابيون كل ما زاد على صريح الكتاب والسنة ، يعيبون على الأئمة المجتهدين الذين يفصّلون كلّ ما أُجْمِلَ من كلام الشارع عليه السلام وعلى أتباعهم الذين يفصّلون ما أجملوه ، ويحملون مجملات القرآن والسنة وفق أهوائهم النفسانية وأغراضهم الشيطانية ، ويُؤَوِّلون معاني الكتاب والسنة إلى مرادهم ، ويُخرجونهما من مراد الشارع ، ولا يطلعون إلى مراد الشارع ، ولا يقبلون كلام مَنْ يعرف مراده عليه الصلاة والسلام ، ويتكلمون خلف الأئمة والصالحين بكلماتٍ تكفر قائلَها .

السنة قاضية على الكتاب . .إلخ

وقال الإمام الشعراني في « الميزان » : السنة قاضية على الكتاب ولا عكس ، **من حيث أنها بيان لما أجمل في القرآن ، كما أنّ الأئمة المجتهدين هم الذين بيّنوا لنا ما في السنة من الإجمال ، كما أنّ أتباع المجتهيدين هم المبينون لنا ما أجمل في كلام المجتهدين** ، وهكذا إلى يوم القيامة .

وسمعت سيدي عليّاً الخواص يقول : لو لا أنّ السنة بينت لنا ما أجمل في القرآن ما قدر أحد على استخراج أحكام المياه والطهارة ، ولا عرف كون الصبح ركعتين والظهر والعصر والعشاء أربعاً ولا كون المغرب ثلاثاً ، ولا كان يعرف أحد فيما يقال في دعاء التوجه والافتتاح ، ولا عرف صفة التكبير ولا أذكار الركوع والسجود والاعتدالين ، ولا ما يقال في جلوس التشهدين ، ولا كان يعرف كيفية صلاة العيدين والكسوفين ولا غَيْرِهِمَا من الصلاة كصلاة الجنازة والاستسقاء ، ولا كان يعرف أنصبة الزكاة ولا أركان الصيام والحج والبيع والنكاح والجراح والأقضية وسائر أبواب الفقه ، وقد قال رجل لِعِمْرَانِ بْنِ حُصَيْنٍ : لا تتحدَّث معنا إلاّ بالقرآن ! فقال عمران : لَأَنَّك لَأَحْمَق ، هل في القرآن عدد ركعات الفرائض . انتهى عبارته .

الباب الرابع

في ذكر تفصيل العلوم معروفها وقديمها ومحدثها ومنكرها ، وبيان تبديل ألفاظها ، وبيان فضيلة علم الباطن ، والتصوّف ، والعلماء العاملين ، والأولياء ، ووجوب احترامهم حيّاً كانوا أو ميِّتين .

قال الشيخ أبو طالب المكي في « القوت » : اعلم أن العلوم تسعة ، أربعة منها سنة معروفة من الصحابة والتابعين ، وخمسة محدثة

لم تكن تعرف فيما سلف ، فأما الأربعة المعروفة فعلم الإيمان ، وعلم القرآن ، وعلم السنن والأثار ، وعلم الفتاوى والأحكام ، وأمّا الخمسة المحدثة فالنَّحْوُ ، والعروضُ ، وعلم المقاييس ، والجدل في الفقه ، وعلم المعقول بالنظر ، وعلم علل الحديث وتطريق الطرقات فيه ، وتعليل الضعفاء وتضعيف النقلة للآثار ، فهذا العلم من المحدث ، إلا أنه علم لأهله ، فيسمعه أصحابه منهم ، وقد كانوا يرون القصص بدعة وينهون عنه ويكرهون مجالس القصاص . انتهى عبارته في ١٦٦ من الجزء الأول .

وقال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في كتابه « إحياء علوم الدين » : اعلم أنّ منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالأغراض الفاسدة إلى معان غير ما أراد به السلف الصالح والقرون الأول ، وهي خمسة ألفاظٍ ؛ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة ، فهذه أسامٌ محمودةٌ ، والمتصفون بها أرباب المناصب في الدين ، ولكنها نقلت الآن إلى معانٍ مذمومةٍ ، فصارت القلوب تنفر عن مذمّة مَنْ يَتَّصِفُ بمعانيها لشيوع إطلاق هذه الأسامي عليهم .

مهم

ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول

اللفظ الأول : الفقه ، فقد تصرَّفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل ، إذ خصّصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوى والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها ، وحفظ المقالات المتعلقة بها ، فمن كان أشدّ تعمقاً فيها وأكثر اشتغالاً بها يقال هو الأفقه ،

مهم

ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقاً على علم طريق الآخرة ، ومعرفة دقائق آفات النفوس ، ومفسدات الأعمال ، وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا ، وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة ، واستيلاء الخوف على القلب ، ويدلّك عليه قوله تعالى : ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ ﴿إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ﴾ .

وما يحصل به الْإِنْذَارُ وَالتَّخويفُ هو هذا الفقه ، دون تفريعات الطلاق والعتاق وَاللِّعَانِ والسلم والإجارة ، فذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف ، **بل التجرّدُ له على الدوام يقسي القلب ، وينزع الخشية كما نشاهد الآن من المتجردين له** ، وقال تعالى : ﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا﴾ الآية ، وأراد به معاني الإيمان ، دون الفتاوى ، وَلَعمري إنّ الفقه والفهم في اللغة اسمان بمعنىً واحد ، وإنما يتكلم في عادة الاستعمال به قديماً وحديثاً ، قال تعالى ﴿لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ الآية . فأحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه ، فانظر إن كان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى ، أو هو نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم وقال ﷺ : « علماء حكماء » للذين وفدوا عليه انتهى « احياء » في ٢٦ .

وفيه بُعيد هذا فبان من هذا التخصيص تلبيس بعض الناس على التجرد له والإعراض عن علم الآخرة وأحكام القلوب ، ووجدوا على ذلك مُعيناً من الطبع ،

فإن علم الباطن غامض والعمل به عسير

فإن علم الباطن غامض ، **والعمل به عسير والتوصل به إلى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذّرٌ** ، فوجد الشيطان مجالاً لتحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص الاسم الذي هو اسم محمود في الشرع .

اللفظ الثاني : العلم ، وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله تعالى وبآياته وبأفعاله في عباده وخلقه ، حتى أنه لمّا مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رحمه الله : لقد مات تسعة أعشار العلم ، فعرَّفه بالألف واللام ، ثم فسره بالعلم بالله سبحانه ، وقد تصرفوا فيه أيضاً بالتخصيص ، حتى شهوده في الأكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها ، فيقال هو العالم على الحقيقة ، وهو الفحل في العلم ، ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعدّ من جملة الضعفاء ، ولا يعدّونه من زمرة أهل العلم ، وهذا أيضاً تصرّفٌ بالتخصيص ، ولكن ما ورد من فضائل العلم والعلماء أكثره في العلماء بالله تعالى وبأحكامه وبأفعاله وصفاته ، وقد صار الآن مطلقاً على من لا يحيط من علوم الشرع سوى رسوم جدليةٍ في مسائل خِلافيةٍ ، فيعدّ بذلك من فحول العلماء ، مع جَهْلِهِ بالتفسير ، والأخبار ، وعلم المذهب وغيره ، وصار ذلك سبباً مُهلكاً من أهل الطلب للعلم .

مهم

وكان التوحيد عندهم عبارة . . . إلخ . وهو أن يرى الأمور . . .

اللفظ الثالث : التوحيد ، وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ، ومعرفة طريق المجادلة ، والإحاطة بطرق مناقضات الخصوم ، والقدرة على التشدّق فيها بتكثير الأسئلة ، وإثارة الشبهات ، وتأليف الإلزامات على لقب طوائف منهم أنفسهم بأهل العدل والتوحيد ، وسمي المتكلمون العلماء بالتوحيد مع أن جميع ما هو خاصة هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شيء في العصر الأول ، بل كان يشتدّ منهم النكير على من كان يفتح باباً من الجدل والممارة ، فأما ما يشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التي تسبق الأذهان إلى قبولها في أول السماع فلقد كان معلوماً للكل وكان العلم بالقرآن هو العلم كلّه ،

وكان التوحيدُ عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلّمين ، وإن فهموه لم يتّصفوا به ، وهو أن يرى الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط ، فلا يرى الخير والشر إلا منه جل جلاله ، فهذا مقام شريف ، إحدى ثمراته التّوكلُ ، كما سيأتي بيانه في كتاب التوكل ، ومن ثمراته أيضاً ترك شكاية الخلق ، وترك الغضب عليهم ، والرضاء والتسليم لحكم الله تعالى ، وكانت إحدى ثمراته قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما قيل له في مرضهِ : أنطلب لك طبيباً ! فقال الطّبيبُ أمْرَضَني ، وقول آخر لما مَرِضَ فقيل له ، ماذا قال لك الطبيب في مرضك ، فقال : قال لي : إني فعَّالٌ لما أريد ، وسيأتي في كتاب التوكل شواهد ذلك . انتهى .

اللفظ الرابع : الذكر والتذكير فقال الله تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة ؛ كقوله صلى الله عليه وسلم : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قيل : وما رياض الجنة ؟ قال : مجالس الذكر » وفي الحديث : « إن لله تعالى ملائكة سياحين في الدنيا سوى ملائكة الخلق ، إذا رأوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضاً هلمّوا إلى بغيتكم فيأتونهم ، ويحفون بهم ، ويستمعون ، أَلاَ فاذكروا الله وذكّروا أنفسكم » فنقل ذلك إلى ما ترى أكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه ، وهو القصص والأشعار والشطح والطامات . انتهى عبارته . وفيه بعيد هذا حديث أبي ذر رضي الله عنه حيث قال : « حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة ، وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض ، وحضور مجلس علم أفضل من شهود أَلْفِ جنازةٍ ، فقيل يا رسول الله ومن قرائة القرآن ؟ قال : وهل تنفع قرائة القرآن إلا بالعلم » . انتهى .

اللفظ الخامس : وهو الحكمة ، فإن اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجِّم حتى الذي يدحرج القرعة على أكف السوادية في شوارع الطريق ، والحكمة هي التي اثنى الله عز وجل عليها فقال : ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ . وقال ﷺ « كل كلمة من الحكمة يتعلمه الرجل خيرٌ له من الدنيا وما فيها »

شر علماء السوء على الدين أعظم من شر الشياطين

فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارةً عنه ، وإلى ماذا نقل ، وقس به بقية الألفاظ ، واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء ، فإنّ شرهم على الدين أعظم من شرّ الشياطين ، إذا الشيطان بواسطتهم يتدرج إلى انتزاع الدين من قلوب الخلق ، ولهذا لما سئل رسول الله ﷺ عن شرِّ الخلق أبىَ وقال : « اللهم اغفر » حتى كرروا عليه ، فقال « هم علماء السوء » فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ، ومثار الالتباس ، وإليك الخيرة في أن تنظر نفسك فتقتدي بالسلف ، أو تَتَدَلَّى بحبل الغرور وتتشبه ما لخلف ، فكل ما اقتضاه السلف من العلوم قد اندرس ، وما أكبّ الناس عليه فأكثره مبتدَع ومحدث ؛ وقد صح قول رسول الله ﷺ « بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء » فقيل : ومن الغرباء : قال « الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتي ، والذين يحيون ما أماتوه من سنتي » . وفي خبر آخر : « هم المتمسِّكون بما أنتم عليه اليوم » ، وفي حديث آخر :« الغرباء أناس قليل صالحون بين ناس كثير ، من يبغضهم في الخلق أكثر ممن يحبهم ، وقد صارت العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ، ولذا قال الثوري رحمه الله : إذا رأيت العالم كثيرَ الأصدقاء فاعلم أنه مخلّط ، لأنه إذا نَطَقَ بالحق أبغضوه . « إحياء » عبارته مع الاختصار في ، ٣١ وفي ٢٨، وفي ٢٧، وفي ٢٦ ، من الجلد الأول ومثله في « قوت القلوب » .

فصل في فضيلة علم الباطن

وعبارة « حياة القلوب » : فإن علم الباطن وهو المسمّى بعلم القلب وبعلم التصوف علمٌ جليل شريف نفيس ، وهو أجلّ العلوم وأشرفها ، وهو الزبدة المخموضة من الشريعة ، لم تبعث الأنبياء عليهم السلام إلا لأجلها ، وقد حض الشرع عليه تحضيضاً كثيراً في الكتاب العزيز ، وفي السنة النبويّة ، وأكدّ في طلبه وتعلّمه وفي العمل به بعد أن بيّنه وقسمه وأجمله وفصّله ، وهو الطريق التي توصل إلى الله ، وبه تعرف كيفية المسير إليه والفرار إليه ، وبالعمل به تنال سعادة الأبد فيما سلف من الأيام ومضى من الأعوام . انتهى عبارته ٢٥٩ من هامش « القوت » من الجزء الأول .

وفيه بعيد هذا : الفصل الثاني في جلالة هذا العلم وشرفه وعظم قدره وبيان أنّ أهله هم الصفوة من بني آدم بعد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

اعلم أنّ علم الباطن وهو علم طريق الآخرة ، وهو العلم الذي درج عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وهو العلم الذي لم يبعث الله الأنبياء إلا لأجله ، وقد سماه الله تعالى في كتابه فقهاً وعلماً وضياءً ونوراً وهدىً ورشداً ، وهو مستخرج من القرآن أو السنة ، ومدلول عليه منهما تصريحاً وتلويحاً وكتابةً وإشارةً ، وغير ذلك من أصناف الدلالة ، قال الغزالي : علم الباطن وهو علم يقين المقربين ، وثمرته الفوز برضاء الله تعالى ، ونيل سعادة الأبد ، وبه تزكية النفس وتطهيرها ، وتنوير القلب وصَفَاؤُهُ بحيث ينكشف ذلك النور أموراً جليلةً ، ويشهد أحوالاً عجيبةً ، ويعاين ما عميت عنه بصيرة غيره ؛ من المعرفة الحقيقية بذات الله ، وبصفات الله التامات ، وبأفعاله ، وحِكْمَتِهِ في خلق الدنيا والآخرة ، والمعرفةِ بمعنى النبوّة ، والنبيّ ، ومعنى الوحي ، ومعنى لفظ الملائكة

والشياطين ، وكيفية مُعاَدَاتِ الشياطين للإنسان ، وكيفية ظهور الملك للأنبياء ، وكيفية الوحي ، والمعرفة بملكوت السموات والأرض إلى آخر ما ذكره . انتهى منه عبارته .

مهم

وفيه أيضاً بعيد هذا : وقال السادات الأئمة أرباب البصائر وأهل اليقين : المعرض عن علم طريق الآخرة ، وما به النجاة والفوز ، مع إقباله على العلوم الظاهرة والعمل بها أيضاً من الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذي بالجرب والدماميل ، والتهاون بإخراج المادة بالفصد والإسهال ، وعلماء الآخرة يدورون مع الأعمال الظاهرة بتطهير الباطن وقطع مواد الشرّ والآفات والأمراض بإفساد منابتها وقلع مغارسها ، وهي القلب . قال النبي ﷺ : « ألاَ إنَّ في الجسد لمضغةً إذا صلحت صلح الجسد كلّه ألا وهي القلب » **وأما بيان أنّ أهل العلم بالله وبطريق الآخرة هم الصفوة من بني آدم** بعد الأنبياء والرُّسُلِ عليهم السلام فنقول : إن أرباب هذا العلم هم الذين ورثوا علوم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، واقتفوا آثارهم ، وسلكوا طريقهم ، فرفضوا الدنيا ، وفرغوا عنها ، واجتهدوا في جهاد أنفسهم ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ ، وصبروا على مرارات الطريق ومشاق السير ، فكابدوا وحشة الطريق ، وصبروا على وعثاء السفر ، حتى وصلوا إلى مقصودهم ، وظفروا بالقرب من معبودهم ، فهم الفارون إلى الله عند ما سمعوا أمره بالفرار حيث قال الله تعالى ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ وهؤلاء عُبَّادُ الصحابة وزهادهم من أهل الصفوة وغيرهم ، ومن التابعين وتابعيهم ، فمن الصحابة ؛ حارثة ، والبراء بن مالك ، وأبو إسرائيل ، وحذيفة ، وأبي الدر داء ، وأبي ذرٍ ، وعكاشة ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وسلمان ، وصهيب ، وأبي رافع ، وبلال ، وخباب ،

ومن التابعين علي بن الحسين ابن زين العابدين ، وابنه محمد الباقر ، وابنه جعفر الصادق ، وأويس القرني ، وابن حازم ، وسلمة بن دينار ، والحسن البصري ، وعلقمة ، والأسود بن زيد ، وإبراهيم النخعي ، ومالك بن دينار ، ومحمد بن سرين ، وغيرهم مما لا يحصى عددهم ، وهم يزيدون على ألف وليٍّ .

ومن تابعيهم وهم مثل عبد الواحد بن زيد ، وعتبة الغلام ، والفضيل بن عياض ، وإبراهيم بن أدهم ، وداود الطائي ، وسفيان الثوري ، وأبي سليمان الداراني ، وابنه سليمان ، وذي النون الاخميمي ، وأخيه ذي الكفل ، وبشر ابن الحارث ، والسري السقطي ، والحارث المحاسبي ، وأبي القاسم الجنيد ، وإبراهيم الخواص ، وغيرهم ممن لا يحصى عددهم ، ومن أراد أن يطلع على أكثر مما ذكرنا فعليه بكتاب « حلية الأولياء » لأبي نعيم ، وكتاب « صفوة الصفوة » لابن الجوزي ، وغيرهما من الكتب .

واعلم أن الصوفية دخلوا مع الفقهاء والمفسّرين والمحدثين والمتكلمين في علومهم ، فسمعوا الحديث ، ونظروا في الأحاديث ، وقرأوا القرآن ، واشتغلوا بتدبره ، ونظروا في أصول الدين ، وعلم الفقه ، **فالبداية فقهيةٌ والنهاية صوفيةٌ** ومن لم يبلغ من الصوفية مبلغ الفقهاء وأصحاب الحديث ، ولم يحط بما أحاطوا به ، فإنه يرجع فيما وقع له من المسائل إلى العالمين بأحكام أفعال الجوارح الظاهرة ، وهم أصحاب العلوم الظاهرة ، والصوفية يلزمون أنفسهم بالأخذ بالأغلظ والأشق من أقوال العلماء في المسائل الخلافية ، ثم أنهم خصّوا مع ذلك بعلوم عاليةٍ ، وأحوالٍ شريفةٍ ومقاماتٍ رفيعةٍ ، فتكلّموا في علوم المعاملاتً وعيوب النفس وآفات القلب وشريف المقامات ؛ مثل اليقظة ، والإنتباه ، والتوبة ، والزهد ، والورع ، والصبر ، والرّضا ، والتوكّلِ ، وكيفية جهاد

النفس والهوى والشيطان ومعاداته ، والخشية ، والمراقبة ، واليقين ، وغير ذلك من المقامات والأحوال ، وفي معرفة النفس ، ورياضتها ، ودقائق الرياء ، والشهوة الخفية ، والشرك الخفي ، وكيفية الخلاص منها ، ولهم أيضاً علوم مستنبطة من أمور مشكلة على فهوم الفقهاء والمتكلِّمين وذلك مثل العوارض ، والعوائق ، وحقائق الأذكار ، وتجريد التوحيد ، ونعني بالتجريد التوحيد لا يشوب توحيده خاطر تَشْبِيهٍ أو تعطيل ، ومنازل التفريد وخبابات السر ، وتلاشي المحدث إذا قوبل بالقديم ، وعيون الأحوال ، وجميع المفترقات ، والإعراض عن الأعْرَاضِ ، وترك الاعتراض ، والتفويض ، فَهُمْ مخصصون بالوقوف على المشكل من ذلك بالمنازلة والمباشرة والهجوم ببذل المهج ، فَهُمْ حماة الدين وأعوانه ، وهم ورثة الأنبياء ، وهم نازلوا المقامات ، وباشروا الأحوال ، وقاسوا شدائد الطريق ، وركبوا المنازل ، وعبروا المفاوز ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ .

الفصل الثالث

في معنى التصوف وأحوال الصوفية وأدبهم مع الحق والخلق

قال الأئمة : أوّل التصوف علم ، وأوسطه عمل ، وآخره موهبة ، فالعلم يكشف عن المراد ، والعمل يعين على المطلوب ، والموهبة تبلغ غاية الأمل ، **وأهله** على ثلاث طبقات ؛ طبقة مريد طالب ، ومتوسط سالك ، ومنتهي واصل ، **فالمريد صاحب وقت ، والمتوسِّط صاحب حال ، والمنتهي صاحب نَفَسٍ ، وأفضل الأشياء عندهم عدُّ الأنفاسِ** ، فالمريد الطالب مَتْعوُبٌ ، والمتوسِّط السالك مطالب بآداب المنازل ، وهو صاحب تلوين ؛ لأنه يترقى من حال ، إلى حال وهو في الزيادة ، والمنتهي الواصل محمول ، قد جاوز المقامات ، وهو في محل التمكين ،

لا تغيّره الأحوال ، ولا تؤثر فيه الأهوال ، كما نقل في قصة يوسف عليه السلام عند زُلَيْخاَ ، كانت صاحبة تمكين في صاحب يوسف لم تؤثر فيها رؤية يوسف كما أثرت في اللاتي قطّعن أيديهن ، لأنها كانت أَتَمَّ حَالٍ في حبّه منهنّ في بلائها بحبّه ، وهذا قول الدقاق ، فمقام المريد المجاهدات والمكابدات وتحمل المشاق وتجرع المرارات ومجانبة الحظوظ ، ومقام المتوسِّط ركوبه الأهوال في طلب المراد ، ومراعات الصدق في الأحوال ، واستعمال الأدب في المقامات ، ومقام المنتهي الصحو والتمكين وإجابة الحق من حيث دعاه ، قد استوى في حقه الشدّة والرخاء والمنع والعطاء والعافية والبلاء ، قد فنيت حظوظه ، باطنه مع الحق وظاهره مع الخلق ، وكل ذلك منقول معلوم مشهور من أحوال النبي ﷺ وحركاته وسكناته في ابتداء أمره وانتهائه ، ومن أحوال الصحابة والنقباء والنجباء ، والأصفياء العلماء الحكماء أرباب البصائر واليقين مثل الحارث ، والبراء بن مالك ، وأبي ذر ، وعمار ، وبلال ، وصهيب ، وحذيفة ، ومحمد بن مسلمة ، وعكاشة بن محصن الأسدي ، وأبي الدرداء ، وحنظلة بن الراهب ، وأبي رافع مولى النبي ﷺ ، ورابضة ، وعَمْرُوبنُ ثعلبة ، وعمرو بن الأسد ، ومصعب ابن عمير ، والبراء معرور ، وسلمان الفارسي ، وابن الهَيْثَم بن التيهان ، وغيرهم من أصحاب الصفة ، وأصحاب بيعة العقبة ، وأهل بيعة الرضوان والخلصاء من المهاجرين والأنصار ،

كان النبي ﷺ قبل نزول الوحي عليه وبعده مختلياً في غار حراء ، ثم صار مع الخلق ، ولا فرق عنده بين الخلوة والجلوة ، وكذا أصحاب الصفة صار جماعة منهم بعد التمكين أمراء ؛ لأنهم تمكنوا في الإيمان بالله والمعرفة به والإخلاص له ، فلم تؤثر المخالطة بالخلق فيهم ، ولا في أحوالهم ، وهذه أحوال المشائخ من بعدهم .

مهم

واعلم أنّ التصوّف له ظاهر وباطن ، فَظَاهِرُهُ استعمال الأدب مع الخَلْقِ بالأخلاق الحسنة معهم ، وباطنه منازلة الأحوال والمقامات مع الحق ، فالظاهرُ علامةُ الباطنِ ، والباطنُ حقيقةُ الظاهرِ ، ألاَ ترى أنّ النبي ﷺ لما نظر إلى المصلي وهو يعبث فقال « لو خَشَعَ قلبُ هذا لخشعت جوارحه » قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾ .

أدب أهل الدنيا ، أدب أهل الدين ، أدب أهل الخصوصية

قال أبو نصر السراج : أدب أهل الدنيا بالفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم والتاريخ والشعر ، وأدب أهل الدين معرفة العلم به ، ورياضة النفس وتأديب الجوارح ، وتهذيب الطباع ، وحِفْظُ الْحُدودِ ، وترك الشهوات ، والمسارعة إلى الخيرات ، وأدبُ أهل الخصوصية من أهل الدين حفظ القلوب ، ومراعات الأسرار ، واستواء السر والعلانية ، والنظر إلى الأعداء بعين الرحمة ، كما كان دأبه ﷺ مع أعدائه ، ودأب سائر الأنبياء مع أعدائهم ؛ كسرت رباعيته ﷺ وشُجَّ وَجْهُهُ في بعض غزواته فجعل يمسح عن وجهه الدم ويقول : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » . ومسكه أعرابيٌّ بردائه ، وجذبه حتى أَثَّرَتْ حاشيةُ الرداءِ في عنقه ، وما كلمه بكلام خشن قط ، وقال : اعدل يا محمّد ، فقال ﷺ : « ويحك من يعدل إن لم أعدل خِبْت وخسرت إذا لم أعدل » ، وفي كتب السنة من هذا الباب شيء كثير ، ومرَّ المسيحُ على قوم من اليهود فقالوا له : شرّاً فقال لهم خيراً فقال له بعض الحواريين يقولونَ لك شرّاً وتَقول لهم خيراً فقال عيسى : كُلٌّ يُنفِقُ مما عنده . ولما فتح ﷺ مكة ودخلها جاءه أهلها فلما فتح رآهم مقبلين قال أقول كما قال أخي يوسف ﴿ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ إشارةً إلى اختلاف مسالكهم

اعلم أنّ مسالكهم مختلفة لاختلاف أحوالهم ومقاماتهم ، فمنهم من سلك طريق الزهد والعبادة ولازم الماء والمحراب واشتغل بكثرة الذكر والنوافل وواظب على الأوراد وهي أسلم الطرق ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ ،

ومنهم من سلك طريق الرياضات والمكابدة وقهر النفس بالمخالفة ، وهي أفضل الطرق ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ ،

ومنهم من سلك طريق العزلة والخلوة طلباً للسلامة من المخالطة ، وهي أصح الطرق ؛ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ ،

ومنهم من سلك طريق التجرد عن الخلق والتفرد بالحق والموالات في الله والمعادات فيه ، وهي أعضد الطرق ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ .

ومنهم من سلك طريق السياحة والأسفار ، والاغتراب ، عن البلدان ، وخمول الذكر ، وهي أوضح الطرق ؛ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ ﴾ ،

ومنهم من سلك طريق الخدمة وبذل الجاه للإخوان وإدخال السرور عليهم ، وهي أظرف الطرق ؛ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ ،

ومنهم من سلك طريق المجاهدات وركوب الأهوال ومباشرة الأحوال ، وهي أعز الطرق ؛ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ ﴾ ،

ومنهم من سلك طرق إسقاط الجاه عند الخلق وقلة الالتفات إليهم وترك الاشتغال بخيرهم وشرهم ونفعهم وضارهم ، وهو أوعر الطرق ؛ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ ، و﴿ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡ ﴾ ﴿فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ ﴾ ،

ومنهم من سلك طريق العجز والإنكسار ، وهي أقرب الطرق ؛ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ ،

ومنهم من سلك طريق التعلم وحفظ المسائل ومجالسة العلماء والأخبار والأحاديث وحفظ العلوم ، وهي أظهر الطرق ؛ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ . ولكل طريق من هذه الطرق أهل ، ولهم فيها آداب وشرائط ، ولهم أعلام ومناهل ، وكل سالك لطريق يحتاج فيه إلى موقف ودليل يأخذ به ليسلم من الحيرة والفتنة ، فإن لم يكن معه في سيره من يُعَرِّفُهُ كيفية السفر ويؤنسه وإلاَّ خيف عليه الرجوع والهلاك ، لِبَعْضِهِمْ إنّ فلاناً قد رجع فقال : ما أراه رجع إلا من وحشة الطريق وقلة سالك به . انتهى عبارته من هامش « القوت » من آخر الجزء الأول راجعه ٢٧١ .

الفصل الرابع

في عقيدتهم التي أجمعوا عليها وما أخذوا به من المذاهب

أما عقيدهم فعقيدة شيخ السنة أبي الحسن الأشعري وأصحابه من فاتحتها إلى خاتمتها ، وأما المذاهب التي أخذوا بها في الفروع ، فأوجبوا طلب العلم وتعلمه لقوله ﷺ : « العلم فريضة على كل مسلم » ، واختاروا من المذاهب في أحكام الفروع مذهب فقهاء أصحاب الحديث ، ويرون أن اختلاف الفقهاء في الفروع رحمة ؛ للحديث الوارد في ذلك ، وأوجبوا طلب الحديث وسماعه وحفظه وروايته وكتابته ، وعظّموا المحدثين ؛ لأنهم أساس الدين وحُرَّاسُ السنة الذابون عنهما ، وعظّموا الفقهاء والمتكلمين والمفسرين لقيامهم بعلوم الدين وإظهارهم العلوم الخفيّة ، وتقريرهم الأحكام بالأدلة ، وردهم على المبتدعين والمخالفين خصوصاً الشيخ أبا الحسن حتى قالوا : طريقة أبي الحسن الأشعري هي باب الفتح ، وقالوا : لا تنال حالة سنية إلا بطريقة سنية ، وعنوا بها طريقة أبي الحسن الأشعري . انتهى عبارته منه في ٦ من هامش الجزء الثاني من « القوت » .

وقال صاحب « كفاية الأتقياء » فيه : وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « من أحبّ أن ينظر إلى عتقاء الله من النار فلينظر إلى المتعلّمين ، والذي نفسُ محمّدٍ بيده ما من مُتَعَلِّم يختلف إلى باب العالم إلا كتب الله له بكل قدم عبادة سَنَةٍ ، وبنى له بكلّ قدم مدينةً في الجنة ، ويمشي على الأرض والأرض تستغفر له ، ويُمْسي ويُصْبِحُ مغفوراً له » ، وروي أن النبي ﷺ دخل المسجد فرأى مجلسين أحدهما يذكر الله تعالى فيه ، والآخر يتعلّمون فيه الفقه ، فقال رسول الله ﷺ : « كل المجلسين على خيرٍ وأحدهما أفضل من الآخر ، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه ، فإنْ شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل ، وإنما بعثت مُعَلِّماً ، فهؤلاء أفضل » ثم جلس معهم . وعن أنس بن مالك أنَّ النبي ﷺ قال : « إنّ باباً يتعلمه الرجل خير له من أن لو كان له أبو قُبيسٍ ذهباً فينفقه في سبل الله تعالى » .

قال ابن عطاء الله في « التنوير » : **اعلم أنّ العلم حيثما ذكر في الكتاب العزيز أو في السنة إنما المراد به العلم النافع الذي تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة** ،قال الله سبحانه وتعالى :﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ ، فبيّن أن الخشية تلازم العلم ، وفهم من هذا أنّ العلماء إنما هم أهل الخشية ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ﴾ ، ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ ، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ . وقوله ﷺ : « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم » وقوله : « العلماء ورثة الأنبياء » ، وقوله : « طالب العلم تكفل الله له برزقه » .

مهم

إنما المراد بالعلم في هذه المواطن العلم النافع القاهر للهوى القامع للنفس ، وذلك يتعيّن بالضرورة ؛ لأنّ كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ أجل من أن يحمل على غير هذا ، والعلم النافع هو الذي يستعان به على

طاعة الله تعالى ، ويلزمك المخافة من الله تعالى ، والوقوف على حدود الله تعالى ، وهو علم المعرفة بالله ، ويشتمل العلم النافع العلم بالله والعلم بما أمر الله به إذا كان تعلّمه لله . انتهى .

وقال ابن عباد في « شرح الحكم » قال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي ﷺ : **كل علم لا يورث صاحبه الخشية والتواضع والنصيحة للخلق** والشفقة عليهم ، ولا يحمله حسن معاملة الله تعالى وأداء الأمانة ومخالفة النفس ومباينة الشهوات فذلك العلم الذي لا ينفع ، وهو الذي استعاذ منه النبي ﷺ فقال : « أعوذ بك من علم لا ينفع » ووصف الله تعالى العلماء فقال ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ﴾ الآية .

وقال رجل للشعبي : أيها العالم : فقال أَسْكُتْ ، العَالِمُ مَنْ يخشى الله تعالى . وقال بعض السلف : من ازداد علماً فليزدد خشوعاً . وقال رجل للجنيد : أيّ العلم أنفع ؟ قال : ما دلّك على الله تعالى ، وأبعدك عن نفسك ، قال : والعلم النافع ما يدل صاحبه على التواضع ، وَدَوَامِ المجاهدة ، ورعاية السرِّ ، ومراقبة الظاهر ، والخوف من الله ، والإعراضَ عن الدنيا وعن طالبيها ، والتقلل منها ، ومجانبة أربابها ، وترك ما فيها على من فيها من أهلها ، والنصيحة للخلق ، وحسن الخلق معهم ، ومجالسة الفقراء ، وتعظيم أولياء الله تعالى ، والإقبال على ما يعنيه . انتهى « كفاية الاتقياء » عبارته ٧٨ .

وعبارة « لطائف المنن » للشيخ تاج الدين ابن عطاء الله السكندري : اعلم أن قوله : « العلماء ورثة الأنبياء » ، « علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل » ، « فإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم » ، « ألا إنّ الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها ، إلا ذكر الله ، وإلا عالم أو متعلّم » ، و« إن الملائكة لتضع » . . إلخ . وقوله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ ﴾ ، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ ، ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ .

وحيثما وَقَعَ العلمُ في كلام الله وكلام رسول الله ﷺ **فإنما المراد به العلم النافع المخمد للهوى القامع الذي تكتنفه الخشية وتكون معه الإنابة** وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ﴾ الآية ، فلم يجعل علم من لم يخشه من العلماء علماً .

مهمّ أيّ مهمّ

وقال داود عليه السلام : يا رب ما علم من لم يخشك ، وما خشيك من لم يطع أمرك : فشاهد العلم الذي هو مطلوب الله الخشية لله ، وشاهد الخشية موافقة الأمر ، مَا علمٌ تكون معه الرغبة في الدنيا وَالتَّمَلُّقُ لأربابها وصرف الهمة إلى اكتسابها والجمع والإدخار والمباهات والاستكثار وطول الأمل ونسيان الآخرة ، فما أبعد من هذا العلم علمه من أن يكون ورثة الأنبياء ، وهل ينتقل الشيء الموروث إلى الوارث إلا بالصفة التي كان بها عند الموروث عنه ، ومثل من هذه الأوصاف أوصافه من العلماء كمثل الشمعة تضيء على غيرها وهي تحرق نفسها ؛ جعل الله العلم الذي علمه من هذا وصفه حجة عليه وسبباً في تكثير العقوبة ، وَلا يَغُرَّنَّك انتفاع البادي والحاضر فقد قال ﷺ : « إن الله ليؤيّد هذا الدين بالرجل الفاجر » ومثل من تعلم العلم لاكتساب الدنيا وتحصيل الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة بملعقة من ياقوت ، فما أشرف الوسيلة ، وما أخس المتوسل إليه ، ومثل من قطع الأوقات في طلب العلم ، ومكث أربعين سنة يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل من قعد هذه المدة يتطهر ويجدّد الطهارة ، ولم يصل صلاة واحدة ، إذ مقصود العلم العمل ، كما أن المقصود بالطهارة وجود الصلاة ،

ولقد سأل رجل الحسن البصري عن مسئلة ، فأفْتَاه فيها ، فقال الرجل للحسن : قد خالفك الفقهاء . فزجره الحسن وقال : ويحك وهل رأيت فقيهاً إنّما الفقيه من فقه عن الله أمره ونَهْيَهُ .

وسمعت شيخنا أبا العباس رضي الله تعالى عنه : الفقيه مَنْ انفقأَ الحجاب عن عيني قلبه . وإذا عرفت أن الدعاء إلى الله لا يزال أبداً **فاعلم أنّ الأنوار الظاهرة في أولياء الله إنما هي من إشراق أنوار النُّبُوَّة عليهم ، فَمَثَلُ الحقيقة المحمدية كالشمس وأنوار قلوب الأولياء كالأقمار** ، وإنَّما أضاء القمر لظهور نور الشمس منيرةً نهاراً ، ومضيئَةً أيضاً ليلاً لظهور نورها في القمر الممدود منها ، فإذا هي لا غروب لها ، فقد فهمت من هذا أنه يجب دوام أنوار الأولياء لدوام نور رسول الله فيهم ، فالأولياء آيَاتُ الله يَتْلوُهَا على عباده بإظهاره إياهم واحداً بعد واحد ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ .

وسمعت شيخنا أبا العباس رضي الله تعالى عنه يقول في قوله عز وجل : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ أي : ما من وليّ الله إلا ونأتي بخير منه أو مثله . وقد سئل بعض العارفين عن أولياء الله ، أينقصون في زمن ؟ فقال : لو نقص منهم واحد ما أرسلت السماء قطرها ، ولا أبرزت الأرض نباتها ، وفساد الوقت لا يكون بذهاب أَعْدَادهم ولا بنقص أمدادهم ، ولكن إذا فسد الوقت كان من الله سبحانه وتعالى وقوع اختفائهم مع وجود بقائهم ، فإذا كان أهل الزمن معرضين عن الله تعالى مؤثرين لما سوى الله تعالى لا تنجع فيهم الموعظة ولا تُميلُهُمْ إلى الله التذكرة ، لم يكونوا أهلاً لظهور أولياء الله فيهم ، ولذا قالوا : **أولياء الله عرائس ، ولا يرى العرائس المجرمون** ، وقد قال ﷺ : « لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم » . فإذا كان الله سبحانه وتعالى وصانا على لسان نبيه ﷺ أن لا تُؤْتيَ الحكمة غير أهلها فهو أولى بهذا الخلق العظيم منا ، وقد قال ﷺ : « إذا رأيت هوى متبعاً وشحاً مطاعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بِخويصةِ نَفْسِكَ » فسَمِعوُا وصيَّةَ رسول الله ﷺ فَآثَروُا الخَفَاءَ ، بل آثر الله لهم ذلك مع أنه لا بد أن يكون منهم في

الوقت أئمة ظاهرون قائمون بالحُجَّةِ سالكون للمَحَجَّةِ ، لقول رسول الله « لا تزال طائفة من أمتي ظاهِرِينَ على الحقّ لا يضرهم من ناواهم إلى قيام الساعة » . وقد قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من مخاطبته لحميد بن زياد : اللهم لا تخل الأرض من قائم لك بحجتك ، أولئك الأقلّون عدداً ، الأعظمون عند الله قدراً ، قلوبهم معلقة بالمحل الأعلى ، أولئك خلفاء الله في عباده وبلاده ، واشَوْقاه إلى رؤيتهم .

وروى الإمام الرباني محمد بن علي الترمذي رضي الله تعالى عنه في كتاب « الختم » له يرفعه إلى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « أمتي كالمطر لا يدري أوله خير أم آخره » ، وروى أيضاً يرفعه إلى أبي الدرداء قال ، قال رسول الله ﷺ « خير أمتي أولها وآخرها أوسطها الكدر » وروى أيضاً يرفعه إلى عبد الرحمن بن سمرة قال : جئت مبشراً من غزوة مؤتة ، فلما ذكرت قتل جعفر وزيد وابن رواحه ومن معه بكى أصحاب رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام : « ما يبكيكم » فقالوا :وما لنا لا نبكى وقد قتل خيارنا وأشرافنا وأهل الفضل منا فقال عليه الصلاة والسلام : « لا تبكوا إنما مثل أمتي مثل حديقة قام عليها صاحبها فاجتلب رواكها ، وهيأ مسالكها ، وحلق سعفها ، فأطعمت عاماً فوجاً ثم عاماً فوجاً ، فلعل آخرها طعماً يكون أجودها قنواناً وأطولها شمراخاً ، والذي بعثني بالحقّ ليتخذن ابن مريم من أمتي خلفاء من حواريه » . وروى أيضاً يرفعه إلى سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : « إن في أصلاب أصلاب أصلاب رجال من أصحابي رجالاً ونساء يدخلون الجنة بغير حساب ، ثم تلا ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ الآية . وروى أيضاً يرفعه إلى رسول الله ﷺ أنه قال « في كل قرن من أمتي سابقون » .

واعلم - جعلك الله من خاصة عباده ، وعرَّفك لطائف وداده ، - أنه سواء منهم الظاهر والخفي والصديق والولي **فساد الوقت لا يكدر**

أنوارهم ، ولا يحبط مقدارهم ، لأنهم مع الموقت ، لا مع الأوقات ، فمن كان مع الموقت لا يتغيّر بتغيّر الوقت شيئاً ، ومن كان مع الوقت تغيّر بتغيّره ، وتكدّر بتكدّره .

مهم

الناس صنفان

وقد قال الإمام أبو عبد الله الترمذي رضي الله عنه : الناس صنفان صنف منهم عمال الله تعالى يعبدونه على البر والتقوى ، فهم محتاجون إلى خير الزمان وإقبال دولة الحق ، لأن تأيّدهم من ذلك ، وصنف منهم أهل اليقين يعبدون الله على صفاء ووفاء التوحيد من كشف الغطاء وقطع الأسباب ، فهم غير ملتفتين إلى إقبال الزمان وإدباره ، ولا يضرهم إدباره ، وهو قول رسول الله ﷺ « إن لله عباداً يغذوهم برحمته ، يحييهم في عافيته ، تمرّ بهم الفتن كقطع الليل المظلم لا تضرهم » ، وقوله ﷺ : « يكون في أمتي فتن لا ينجو منها إلا من أحياه الله بالعلم » قال الترمذي : يعني بالعلم العلم بالله فيما يرى ،

ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول : رجال الليل هم الرجال ، وإن أولياء هذا الوقت ليؤيدون بشئ من الغنى واليقين ، فالغنى لكثرة ما عند الناس من الإفلاس ، واليقين لكثرة ما عند الناس من الشكوك . وقال بعض العارفين : إنّ لله عباداً كلما اشتدت عليهم ظلمة الوقت قويت أنوارهم ، **فمثلهم كمثل الكواكب كلما قويت ظلمة الليل قوي إشراقها** ، وأين أنوار الكواكب من أنوار قلوب أوليائه ، أنوار الكواكب تتكدر ، وأنوار قلوب أوليائه لا انكدار لها ، وأنوار الكواكب تهدي إلى الدنيا وأنوار قلوب أوليائه تهدي إلى الله ، ولنا في هذا المعنى شعر :

أمرتقب النجوم من السماء　　نجوم الأرض أبهى في الضياء
فـتـلك تبيّن وقتاً ثم تخفى　　وهـذا لا تـكـدر بـالـخفاء
هداية فتلك في ظلم الليالي　　هـدايـة هـذه كشف الغطا

انتهى عبارته ٢٥ .

وفي « الفتاوى الحديثية » للشيخ العلامة ابن حجر ﵁ وسئل ﵁ : أيّما أفضل علماء الباطن أم علماء الظاهر ؟ فأجاب بقوله : إن أردت بعلماء الباطن ما هو المتبادر عند أهله ، وهم العارفون بالله الذين وفقهم الله لأفضل الأعمال ، وحفظهم من سائر المخالفات في كل الأحوال ، ثم كشف لهم الغطاء فعبدوه كأنهم يرونه ، واشتغلوا بمحبّته عما سواه ، وأطلعهم على عجائب ملكه وغرائب حكمه ، وقربهم من حضرة قدسه ، وأجلسهم على بساط أنسه ، وملأ قلوبهم بصفات جماله وجلاله ، وجعلها مطالع أنواره ومعادن أسراره وخزائن معارفه وكنوز لطائفه ، وأحيا بهم الدين ، ونفع بهم المريدين ، وأغاث بهم العباد ، وأصلح بهم البلاد ، وبعلماء الظاهر الذين علموا رسوم العلوم الكسبية ، وعويصات الوقائع الفعلية والقولية ، وغرائب البراهين العقلية والنقلية ، حتى حفظوا سياج الشرع من أن يلم به طارق ، أو يخرقه مبتدع مارق ، فالأولون أفضل وإن كان للآخرين فضل عظيم ، بل ربما كانوا أفضل من حيثية لا مطلقاً ، ومع ذلك فأفضلية الأولين على حالها ، إذ قد يكون في المفضول مزية ، بل مزايا ، هذا إن وجدت في هؤلاء صفة العدالة ، وإلا فلا مفاضلة ، إذ لا مشاركة بينهم وبين الأوّلين في شيء من صفات الكمال ، لأن رسوم العلوم الخالية عن الأعمال الصالحة في الحقيقة مقت أيَّ مقتٍ وغضب أيَّ غضبٍ ، ومن ثم جاء في الأخبار الصحيحة من عقاب العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم ما يدهش اللبّ ويحيّر الفكر ، هذا هو الحق في هذه المسالة خلافاً لمن أطلق الكلام في تفضيل أحد الشقين ، ولم يبح هذا

التفصيل الذي أبديته ، ولا يرد على ذلك ما وقع لموسى مع الخضر ﷺ بناء على ما عليه الجمهور من الصوفية أنّ الخضر وليّ ، لأنّ موسى أفضل منه إجماعاً ، لأنه امتاز على الخضر بخصوصيات لا تحصى ، وإنما غاية ما يتميز به الخضر أنه اطلع على جزئيات من عالم الغيب لم يطلع عليها موسى ، فتلمّذ له لأجلها ، وتأديباً من الله له إذا سئل : من أعلم الناس ؟ فقال : أنا ، ولم يردَّ العلم إلى الله ، فليست قضيتهما مما نحن فيه بوجه ، خلافاً لليافعي رحمه الله ، حيث جعلها دليلاً لتفضيل الأولين .

ومما يَدُلّ على أفضلية الأوّلين ما هو مقرر أنّ العلماء إنما يشرفون على قدر شرف معلومهم ، وشرف العلوم تابع لشرف غايتها ، **فعلوم المعارف المتعلقة بالله وأسمائه وصفاته أشرف العلوم** ، وأصحابها أشرف العلماء ، ويليها في الشرف علم الفقه ، لأنّ غايته معرفة أحكام الله وشرعه الذي تعبد به عباده ، وجميع العلوم وسيلة إلى هذين العلمين المشتملين على معرفة الله ومعرفة عبادته ؛ لأنّ الخلق لم يخلقوا إلا لذلك ؛ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ والعبادة تفتقر إلى المعرفة ، ومن فسرها بالمعرفة فهي مستلزمة للعبادة ، إذ من عرف الله عرف وجوب عبادته وطاعته .

ومما يوضح لك أنّ العلوم وسيلة لذينك العلمين أنها وسيلة لمعرفة الفقه الوسيلة لمعرفة العلم الوسيلة للعمل الوسيلة لطاعة الله وقربه الوسيلة لمعرفته ، فمن استعمل هذه الوسائل على وجهها وصل بها إلى المقصود الأعظم ، وإلاّ فهو الخاسر الهالك وإن كان بصورة عالمٍ .

ومما يَدُلّ أفضليّة علم المعرفة وغيرها أمور ؛ منها أن العلوم والمعارف اللدنية يختصّ بها الأولياء والصديقون ، والعلوم الظاهرة ينالها حتى الفسقة والزنادقة ، ومن ثم قال السُهْرَوَرْدي في « عوارفه » :

علوم الصوفية لا تحصل بمحبة الدنيا

وينبئك على شرف علم الصوفية وزهاد العلماء أن العلوم كلها لا يبعد تحصيلها مع محبّة الدنيا والإخلال بحقائق التقوى ، وربما كانت محبّة الدنيا عوناً على اكتسابها ، لأنّ الاشتغال بها مشاق على النفوس ، فجبلت على محبّة الجاه والرفعة ، حتى إذا استشعرت حصول ذلك بحصول العلم أجابت إلى تحمل التكلف وسهر الليل والصبر على الغربة والأسفار وفقد الملاذ والشهوات ، وعلوم هؤلاء القوم يعني : الصوفية لا تحصل بمحبة الدنيا ، ولا تنكشف إلا بمجانبة الهوى ، ولا تدرس إلا في مدرسة التقوى ؛ قال الله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ .

ومنها إن شرف العلم على قدر شرف انتفاع صاحبه ونفعه الغير به ، والعارفون هم الذين انتفعوا ونفعوا حقاً ، ويكفي في انتفاعهم تطهير قلوبهم مما سوى الله ، وامتلاؤها بمحبته ومعرفته ، ومن نفعهم إن بركتهم تغيث العباد ، ويرفع بها الفساد ، وإلا لفسدت الأرض ، ويقام بهم الدين ، ويرشد بهم المريدون إلى التطهير من كل خلق دنيء ، والترقي إلى التحلي بكل وصفٍ عليٍّ ، ومن ثم وقع لعارف أنّ تلميذه أراد الزنا ، فلمّا همّ سمع صوت شيخه من بلادٍ بعيد يقول : هكذا تفعل يا فلان ؟ ! ففرَّ هارباً .

ووقع آخر من تلميذه نظير ذلك أنه ما شعر إذ همّ إلا والشيخ قد لطمه لطمة أذهبت بصره ، فخرج ، وأمر من جاء به إلى الشيخ فقال : ادع الله بردّ بصري ، فإني تائب إلى الله تعالى فقال : نعم ، ولكن لا تموت إلاّ أعمى ، فدعا له فرد عليه بصره ، ثم عمي قبل موته بثلاثة أيام ، وكذلك وقع للشيخ أبي الغيث بن جميل اليمني رحمه الله تعالى أنه كان له تلميذ بالعجم همّ بالزنا بامرأة ، فضربه الشيخ بِقَبْقَابِهِ[١] مع زجرٍ وغضبٍ بحضرة الفقراء فلم يدروا ما الخبر حتى قدم الشيخ حبيب العجميّ بقبقاب الشيخ

---

(١) القبقاب النعل من خشب .

بعد شهر تائباً ، وكذلك وقع للجيلاني أنه رمى بفردتي قبقابه إثر وضوئه مع صرختين عظيمتين ، فلم تدر الفقراء ما الخبر حتى قدمت قافلة بعد ثلثة وعشرين يوماً ، فاخبروا أن عرباً نهبوا أموالهم واقتسموها وهم ينظرون ، فنذروا للشيخ بشيء إن نجوا منهم ، فسمعوا الصرختين ، وجاءهم العرب بأموالهم ، وأخبروهم أن فردتي القبقاب جائتا إلى كبيريهم فقتلتاهما ، فأخذوهما وهما مبلولتان وقدموا بهما .

ومنها ما ورد في فضل أويس القرني رضي الله عنه ونفعنا به ، وكونه أفضل التابعين في بعض روايات « صحيح مسلم » مع ما في التابعين من العلماء الكبار الذين لا يحصون .

ومنها أن ابن عبد السلام صرّح بتفضيل العارفين بالله تعالى ، ومن ثم لما سمع « إملاء » القطب أبي الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى على « رسالة القشيري » صار يقول : اسمعوا إلى هذا الكلام العجيب الغريب .

ومنها قول الأستاذ أبي القاسم جنيد نفع الله به : لو علمت تحت أديم السماء علماً أشرف من علمنا هذا لسعيتُ إليه وقصدته ، وقال الشهاب السهروردى : الإشارة في خبرٍ :« فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم » إلى هذا العلم الذي هو العلم بالله وقوّة اليقين ، دون علم البيع والطلاق والعتاق : قال وقد يكون الإنسان عالماً بالله ذا يقين وليس عنده علم من فروض الكفايات ، وقد كانت الصحابة رضي الله عنهم أعلم من علماء التابعين بحقائق اليقين ودقائق المعرفة مع أن في علماء التابعين مَنْ هو أقوم بعلم الفقه من بعض الصحابة ، قال : و **العلماء الزاهدون بعد الأخذ مما لا بدّ منه أقبلوا على الله ، وانقطعوا إليه ، وخلصت أرواحهم إلى مقام القرب ، وأفاضت على قلوبهم أنوار إلهيات تهيّأتْ به لإدراك العلوم الربانية والمعارف الإلهية** ، والله أعلم . انتهى كلام ابن حجر راجعه في ٢٢٠ كذا في « البروج المشيدة » في البرج الثامن راجعه .

ومن قبيل ما ذكرناه آنفاً من رمي القبقاب إلى التلامذة والأعراب ما ذكر في « سراج السعادة » في مناقب الشيخ القطب محمود أفندي الألمالي من رميه نواة الثمرة إلى الشيخ أحمد التلالي ، ووصوله إلى أنفه مع ما بينهما من بعد المسافة . فراجعه ، وفيه قصة طويلة ، انتهى . وذكرها أيضاً شيخنا في « سفر الأسنى » نقلاً عن بعض الفضلاء .

وأما الحكايات المذكورة في « رسالة القوم » من أنّ كلّ مسلك لا يكون يقدر على استنباط الأحكام والآداب من الكتاب والسنة لو فقدت جميع الكتب النقلية فليس بمسلك ، ومن كونهم يعطون كلّ جليس حقّه لا يعرفون من يفتح لهم على يدهم ، وكونهم يراعون تلميذهم وهو في الأصلاب ، ونظره أحوال مريده من حين كان في عالم الذّرّ ، وإن مَنْ جالس ولازم وراعى الأدب ظاهراً وباطناً انتفع من لحظه ، واسترزق من رزقه المكنون في لفظه من الأنوار والأسرار ، ووجد تأثير ذلك في الحال إلى غير ذلك **فإنما هي حكايات الكاملين من الرجال** أصحاب الأنفاس ومرائيهم ، **ولكن ليس الاقتداء مختصّاً بهم كما سنذكره الآن بهذه العبارات : وتخصيص** هؤلاء المذكورين بذلك[1] إنما هو لكونهم كانوا مجتمعين اجتماعاً مخصوصاً في عصرٍ واحد ، لا لنفي الاقتداء عن غيرهم ؛ إذ الجامعون بين العلمين كثيرونَ على أن تخصيص الاقتداء بالجامعين بين العلمين المذكورين إنما هو لبيان الأكمل ، إذ لا خلاف بينهم أن **جميع السالكين العارفين بالله تعالى يجوز الاقتداء بهم ، سواء حصل السلوك قبل الجذبة أو بعدها ، وسواء علموا جميع علوم الشريعة المفروضة والمندوبة أو لم يعرفوا سوى فرض العين** الذي لا بد لكلّ مكلّفٍ منه ، أو لبيان من يقتدى في العلمين . « فتاوى الحديثية » عبارته . **ومثله** من أنّ المتصدّي الآن لهذا الباب على غير بصيرة من أمره إن لم

---

(١) **أي** : الاقتداء .

يكن يرى ذلك ابتلاء من الله تعالى فهو قليل الأدب مع الله تعالى ، **ولذلك تراه يلقن الألف مثلاً أم أكثر ولا ينتج منهم واحدٌ كما هو مشاهدٌ** ،

واعلم أنه ليس في هذا الباب الذي خشينا عليه ترك الذكر والتلقين كما توهم ذلك الضعفاء ، بل المراد منه أن كلّ من يفتح له هذا الباب ينبغي له أن يرى ذلك بلاء ويعتقد أنه ليس بأهل للمشيخة والسلوك وإنّ في ذلك هلاكه ، **فينبغي لمن يلقن الناس الآن أن يراه ابتلاء من الله تعالى ، ويلقن على سبيل التشبه بالمتشبّهين** ، **(ست مرات)** . « أنوار القدسية » عبارته .

ومشائخ هذا الزمان يلقنون كذلك بلا خلاف ، وأنهم أشدّ خوفاً ممّن قبلهم إلى آخر ما كتبه . انتهى راجعه عبارته . وفيه أيضاً قبيل المذكور : وليس من شروط مشائخ الطريق أن يقدروا على عصمة أتباعهم من المخالفات ، فالمنصف يؤدي كل ذي حقٍّ حقّه ، فحقُّ الشيخ وأتباعه الراشدين الثناء الجميل عليهم ، فيلزمنا أن نؤديه إليهم ، وحق أولئك المارقين أن ننكر عليهم ، ونوجِّه المذام إليهم ، ونبيّن لهم الحلال والحرام ، وما هو مشروع في دين الإسلام ، فإذا قبلوا وتابوا حصل من إنكارنا عليهم المرام ، وإذا أصرّوا على ضلالتهم نُصرُّ على الاعتراض عليهم ، ولا عتاب حينئذ ولا ملام . انتهى « شواهد الحق » عبارته . وفيه أيضاً بعد ذكره حديث « لو اعتقد أحدكم في حجر نفعه » قال الشعراني في « العهود المحمدية » ، وقد حثنا الله تعالى على حسن الظن به بقوله : « أنا عند ظنّ عبدي فليظن بي خيراً » فمن لم يظنّ بالله خيراً فقد عصى أمر الله تعالى ، **وقد مشى الصادقون من المريدين على هذه القاعدة مع أشياخهم ، فإن ظنوا بشيخهم أنه يحميهم من إبليس بنظره حماهم ، وإن ظنوا أنه لا يقدر على حمايتهم فلا** يصحّ له حماية ، ولذا أمروا مريديهم أن لا يغفل عن شهود كونه معه ؛ لأنه ما دام يشهد شيخه ملاحظاً له فهو محفوظ من كل آفة ، ومتى غفل عن ذلك جائته الآفات

من كلّ جانب ، ومما جربنا نحن أنّ من كان اعتقاده فينا متوافراً مهما طلب من الحوائج قضي له ، ومن لم يكن اعتقاده فينا متوافراً لم تقض له حاجة ولو كنا أقطاباً ، فالمدار على حسن ظنّ المتوجه للشيخ ، لا على الشيخ ، وربما تقضى حاجة المعتقد ولم يكد يعلمها الشيخ إلاّ إن أعلمه بها المتوجه إليه . انتهى عبارته فراجعه في ١٣١ من هامش « لطائف المنن » . وفيه[١] **أيضاً : ومن المعلوم أنّ المريد المعصوم لا يكون أبداً** كما بيّنه مؤلّف « الحديقة الندية » ، ولا يخفى على الحقير أن حاله ناقص عن درجة المرشدين ،

وقد يعطي الكامل الاجازة للناقص

ولكن لما أجاز له المشائخ الكاملون لا بدّ له من امتثال أمرهم وإن كان ناقصاً ؛ لما أنهم قالوا :

وقد يعطي الكامل الإجازة للناقص ، لأنّ يده يده ، وتربيته تربيته كما هو مذكور في غير كتاب واحد ، وفي « البهجة السنية » وأمّا الإذن لهم من جناب حضرة شيخنا قدس سره بالإرشاد مع نقصان فهو جائز من الكامل المكمّل . انتهى عبارته ٤٤ . وفي « التحفة » ولم تكن الإجازة موقوفة على الكمال المطلق . انتهى عبارته . وكتب القاضي ببلات رحمه الله ما نصه هذا : ولا يأذن لأحد في الجلوس للمشيخة إلا بعد الإذن من رسول الله ﷺ « خالدية »عبارته . فيا عجباً على عظم هذا القول ، فالحمد لله على ذلك دائماً . انتهى من خطه « سفر الأسنى » عبارته .

وفي « تنبيه السالكين » : الباب الثالث في بيان جواز إقامة المأذون الناقص على مقام الإرشاد ، ولو لم يبلغ درجة الكمال ، قال في « الرسالة المدنية » :**لا يبلغ المريد درجة الكمال إلا أن يرى في جميع عباداته عيباً ، وأنها لا تليق إهداؤها إلى جناب الحقِّ جلّ جلاله** ، فحينئذ يجد

(١) **أي** : « سفر الأسنى » **(هامش الأصل)** .

معنى قوله تعالى : « من عرف نفسه عرف ربه » ، وهذا بعد اطمئنان النفس وتشرّفها بالإسلام الحقيقي ، فلا يصل السالك إلى هذه المرتبة إلاّ بعد الصحبة الصادقة مع الشيخ الكامل ، وبعد هذه المرتبة يستعدّ لتربية الطالبين وللتوجه ، وأما قبل هذا فمن قبيل خرط القتاد ، ومن قبيل جذب الألم إلى نفسه كما في أكثر مشائخ الوقت ، وليس هذا إلا إيلام النفس ، نعم إذا كان بإذن الشيخ الكامل فحينئذ تربية الشيخ لا تربيته ، إذا كان فانياً في شيخه حيث يدوم له نسبة حضوره ثم ، قال فيها أيضاً : **واعلم أنه يعطى الكامل للناقص الإجازة لتعليم الطريقة وهذا ليس بمناف للإفادة والاستفادة لأنّ يد الناقص يد الكامل لأنه واسطة في الجملة في ارتباط السالك فبمجرّد المحبة له يحصل له تربية النفس** ، فلذا يلزم عليه رعاية الأمرين فيه ، أحدهما محبة الشيخ المقتدى ، والآخر الاستقامة في الشريعة ، والتمسك بالسنة السنية ، فإذا لم يكن تقصيره في هذين الأمرين لا يحصل الضرر إليه . انتهى عبارته ٣٢ .

فائدة نفيسة غفل عنها أكثر الخلق

قد مرّ ما قاله القطب الشيخ خالد قدس سره ما لفظه : أم يشترط مع ذلك كلّه خوارق كونية إلخ . فالجواب : لا يشترط ذلك في الشيخ ، وقد سمعت شيخنا العسلي قدس سره يخبر نقلاً من كتاب يقول : لا يكون الشيخ شيخاً بكشفه الكرسي والعرشي والسموات السبع والأرضون السبع وما فيها ، بل الشيخ الذي يكشف له أحوال مريده . انتهى . وفي « الرسالة الخالدية » ما حاصله : **الكرامة ليست بشرط الولاية ولا مِنْ علامة الأفضلية** ، كما صرح به الشيخ ابن حجر في الخاتمة ، وربما تكون له تلك الكرامات ، لكنه غير مأذونٍ بإظهارها ، وقد يؤذن به ، لكن لا يعدّه مصلحة . انتهى عبارته راجع « سفر الأسنى » وفيه بسط ، انتهى ، والسلام .

ثم من الواجب على المريد احترام شيخه ومرشده ، وكل من تصل إليه بركته ، كيلا يقع فيما وقع فيه ابن السقا بمجرد تركه احترام الشيخ القطب يوسف الهمداني ، قد مرّ قصّته ، وأمّا تمام القصة فمذكور في « الفتاوى الحديثية » ويكفي لذلك شاهداً ما في الحديث الصحيح « من آذى ولياً لي فقد آذنته بالحرب » قد مرّ تفسيره وبيانه ، **فالعاقل من اشتغل بتدبير نفسه ولم يعترض الأولياء بما عنده من ظاهر علمه ، فإنّ لهم مقاماً يفنون في اسم الرحمن وذلك الغالب عليهم** ، ولا يجوز للشيخ أن يكون مرشداً أو هادياً إلاّ بعد فنائه في هذا الاسم الشريف ، لكن يطرأ عليهم حال يفنون في اسم (المنتقم) أو (القهار) ففي تلك الحالة يهلك كلّ من أنكر عليهم وآذاهم ، فالعياذ بالله ، وقد ينتقم الله لوليّه بغير علمه ، وقصته مذكورة في « السير والسلوك » راجعه ، وقال الشيخ القطب أحمد ضياء الدين في « جامع الأصول » : وأما حفظ حرمة المشائخ ، والتعظيم لهم ، وترك المخالفة ، فقال الله تعالى في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام : ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ ﴾ لمّا أراد الصحبة حفظ شروط الأدب فاستأذن فيها أوّلاً ، فشرط عليه الخضر أن لا يعارضه في شيء بقوله : ﴿ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ ﴾ ، ولما خالفه تجاوز عنه في المرة الأولى والثانية ، فلمّا انتهى إلى الثالثة وهي أول مراتب الكثرة سامه الفرقة بقوله : ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ وقال النبي ﷺ : « ما أكرم شاب شيخاً إلا قيّض الله من يكرمه عند كبر سنّه »

عقوق الأستاذين لا توبة له

وقال المشائخ : عقوق الأستاذين لا توبة له . وقال أبو سهل الصعلوكي : من قال لأستاذه : لِمَ ؟ لا يفلح . انتهى عبارته في ١٠٧، كذا ذكره الشيخ ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » وهكذا يجب احترامهم بعد موتهم بلا فرق مّا خلافاً للوهابية ، وقال الشيخ العلامة ابن حجر في

« التحفة » على قول النووي : (ولا يوطأ[1]) احتراماً له إلا لضرورة كأن لم يصل لقبر ميّته ، وكذا ما يريد زيارته ولو غير قريب فيما يظهر ، أو لا يتمكن من الحفر إلاّ به . والنهي في هذه كلها للكراهة ، وقال كثيرون للحرمة ، واختير لخبر مسلم المصرح بالوعيد عليه ، لكن أوّلوه بأن المراد القعود عليه لقضاء الحاجة ، ويقرب ندباً زائره من قبره **كقربه منه إذا زاره حياً احتراماً له** . انتهى راجعه في ٣٣١ ، وفي جواز تقبيل القبر خلاف ؛ اعتمد محمد رملي في شرحه تبعاً لوالده : إن قصد بالتقبيل التبرك لم يكره ، وقيل : بدعة مكروهة قبيحة ، راجع إلى « حاشية السيد عمر » في ٣٣١ . و« البجيرمي » في ٥١٩ . .و الخ .

وعبارة شرح « المنهج » : ويكره جلوس ، ووطأ عليه للنهي عنهما ، رواه في الأول مسلم ، وفي الثاني الترمذي ، وقال حسن صحيح . انتهى . والحكمة فيه توقير الميت واحترامه « بجيرمي » عبارته ٥٤٨ راجعه ، وفيه في موضع آخر على قوله (احتراماً) : ويؤخذ من هذا كراهة ما عليه زوّار الأولياء من دقهم التوابيت ، وتعلّقهم بها ، ونحو ذلك ، **والسنة في حقهم التأدب في زيارتهم وعدم رفع الصوت عندهم والبعد عنهم قدر ما جرت به العادة في زيارتهم في الحياة تعظيماً لهم وإكراماً** . انتهى عبارته في ٥٥١ .

---

(١) **أي** : على القبر .

الباب الخامس

في بيان استحالة خروج شيء من أقوال المجتهدين عن الشريعة ، وبيان اجتماعهم برسول الله ﷺ لتصحيح الأحاديث التي ضعّفها المحدثون من طريقهم ، وإبطال دعوى الوهابية على الاجتهاد

أقول وبالله التوفيق : اعلم أيها الأخ المخلص قال العلامة الشعراني في « الميزان » : وذلك أي ؛ استحالة خروج شيء من أقوال المجتهدين عن الشريعة ؛ لأنهم بنوا قواعد مذاهبهم على الحقيقة التي هي أعلى مرتبتي الشريعة كما بنوها على ظاهر الشريعة على حد سواء ، وأنهم كانوا عالمين بالحقيقة أيضاً خلاف ما يظنّه بعض المقلّدين فيهم ، فكيف يصح خروج شيء من أقوالهم عن الشريعة ؟ ! ، ومن نازعنا في ذلك فهو جاهل بمقام الأئمة ، فوالله لقد كانوا علماء بالحقيقة والشريعة معاً ، وإنّ في قدرة كل واحد منهم أن ينشر الأدلّة الشرعية على مذهبه ومذهب غيره بحكم مرتبتي هذه الميزان ، فلا يحتاج أحدٌ بعده إلى النظر في أقوال مذهب آخر ، لكنهم رضي الله عنهم كانوا أهل إنصاف وأهل كشف ، فكانوا يعرفون أنّ الأمر يستقرّ في علم الله تعالى على عدة مذاهب مخصوصة ، لا على مذهب واحد ، فأبقى كل واحد لمن بعده عدّة مسائل عرف من طريق كشفه أنها تكون من جملة مذهب غيره ، فترك الأخذ بها من باب الإنصاف والاتباع لما أطلعهم الله تعالى عليه من طريق كشفهم أنه مراد له تعالى لا من باب الإيثار بالقرب الشرعية والرغبة عن السنة ، كما اطلع الأولياء على قسمة الأرزاق المحسوسة لكل إنسان ، فانظر يا أخي في أقوال أئمة المذاهب تجد أحدهم إن خفف في مسألة شدّد في مسألة أخرى ، وبالعكس ، كما سيأتي بسطه في توجيه أقوالهم في أبواب الفقه إن شاء الله تعالى ،

وسمعت سيّدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : إنما أيّد أئمة المذاهب مذاهبهم بالمشي على قواعد الحقيقة مع الشريعة إعلاماً لأتباعهم بأنهم كانوا علماء بالطريقين ، وكان يقول : **لا يصحّ خروج قول من أقوال الأئمة المجتهدين عن الشريعة أبداً** عند أهل الكشف قاطبة ، وكيف يصح خروجهم عن الشريعة مع اطلاعهم على مواد أقوالهم من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة ، ومع الكشف الصحيح ، ومع اجتماع روح أحدهم بروح رسول الله ﷺ ، وسؤالهم عن كل شيء توقّفوا فيه من الأدلة ، **هل هذا من قولك يا رسول الله أم لا ؟! يقظة ومشافهة** بالشروط المعروفة بين أهل الكشف ، وكذلك كانوا يسألونه ﷺ عن كل شيء فهموه من الكتاب والسنة قبل أن يُدوّنوه في كتبهم ، ويدينوا الله تعالى به ، **ويقولون : يا رسول الله قد فهمنا كذا من آية كذا ، وفهمنا كذا من قولك في الحديث الفلاني كذا ، فهل ترتضيه أم لا ؟** ويعملون بمقتضى قوله وإشارته ، ومن توقف فيما ذكرناه من كشف الأئمة المجتهدين ، ومن اجتماعهم برسول الله ﷺ من حيث الأرواح قلنا له هذا من جملة كرامات الأولياء بيقين ، **وإن لم تكن الأئمة المجتهدون أولياء ، فما على وجه الأرض وليّ أبداً** ، وقد اشتهر عن كثير من الأولياء الذين هم دون الأئمة المجتهدين في المقام بيقين أنهم كانوا يجتمعون برسول الله ﷺ ، ويصدّقهم أهل عصرهم على ذلك ، كسيدي الشيخ عبد الرحيم القناوي ، وسيّدي الشيخ أبي مدين المغربي ، وسيدي أبي السعود ابن أبي العشائر ، وسيدي الشيخ إبراهيم الدسوقي ، وسيدي الشيخ أبي الحسن الشاذلي ، وسيدي الشيخ أبي العباس المرسي ، وسيدي الشيخ إبراهيم المبتولي ، وسيّدي الشيخ جلال الدين السيوطي ، وسيد الشيخ أحمد الزواوي البحيري ، وجماعة ذكرناهم في طبقات الأولياء .

ورأيت ورقة بخط الشيخ جلال الدين السيوطي عند أحد أصحابه ، وهو الشيخ عبد القادر الشاذلي مراسلة لشخص سأله في شفاعة عند السلطان قايتباي رحمه الله تعالى : اعلم يا أخي **أنني قد اجتمعت برسول الله ﷺ إلى وقتي هذا خمساً وسبعين مرة يقظة ومشافهة** ، ولولا خوفي من احتجابه ﷺ عني بسبب دخولي للولاة لطلعت القلعة ، وشفعت فيك عند السلطان ، **وأنّي رجل من خدام حديثه ﷺ** ، **وأحتاج إليه في تصحيح الأحاديث التي ضعّفها المحدثون من طريقهم** ، ولا شك أنّ نفع ذلك أرجح من نفعك أنت يا أخي . انتهى .

ويؤيد الشيخ جلال الدين في ذلك ما اشتهر عن سيّدي محمّد بن زين المادح لرسول الله ﷺ أنه كان يرى رسول الله ﷺ يقظة ومشافهة ، ولما حج كلمه من داخل القبر ، ولم يزل هذا مقامه حتى طلب منه شخص من النحرارية أن يشفع له عند حاكم البلد ، فلما دخل عليه أجلسه على بساطه فانقطعت عنه الرؤية ، فلم يزل يتطلب من رسول الله ﷺ الرؤية حتى قرأ له شعراً ، فتراءئ من بعيد فقال : تطلب رُؤيتي مع جلوسك على بساط الظلمة ، لا سبيل لك إلى ذلك ، فلم يبلغنا أنه رآه بعد ذلك حتى مات . انتهى .

وقد بلغنا عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي وتلميذه أبي العباس المرسي وغيرهما أنهم كانوا يقولون : **لو احتجبت عنا رؤية رسول الله ﷺ طرفة عين ما أعددنا من جملة المسلمين** ، فإذا كان هذا قول آحاد الأولياء ، فالأئمة المجتهدون أولى بهذا المقام ، وكان سيّدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول : **لا ينبغي لمقلّد أن يتوقف في العمل بقول من أقوال أئمة المذاهب ويطالبهم بالدليل على ذلك** ، **لأنه سوء أدب في حقهم** ، وكيف ينبغي التوقف عن العمل بأقوال بنيت على أصل صحيح الأحاديث وعلى الكشف الصحيح الذي لا يخالفه الشريعة أبداً ، **فإنّ علم الكشف إخبارٌ بالأمور على ما هي عليه في نفسها** ، وهذا إذا حققته وجدته لا يخالف الشريعة في شيء ، بل هو الشريعة بعينها ، **فإن رسول الله ﷺ لا**

يخبر إلا بالواقع؛ لعصمته من الباطل والظن. انتهى. وسيأتي بيان ذلك قريباً إن شاء الله تعالى.

وسمعت سيّدي عليّاً المرصفي رحمه الله تعالى يقول مراراً: كان أئمة المذاهب رضي الله عنهم وارثين لرسول الله ﷺ في علم الأحوال وعلم الأقوال معاً خلافاً لما يتوهمه بعض المتصوّفة، حيث قال: إن المجتهدين لم يرثوا من رسول الله ﷺ إلا علم المقال فقط، حتى إنّ بعضهم قال: جميع ما علّمه المجتهدون كلهم ربع علم رجل كامل عندنا في الطريق؛ إذ الرجل لا يكمل عندنا حتى يتحقق في مقام ولايته بعلوم الحضرات الأربع في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾، وهؤلاء المجتهدون لم يتحققوا بسوى علم حضرة اسم (الظاهر) فقط، لا علم لهم بعلوم حضرة الازل ولا الأبد، ولا بعلم الحقيقة. انتهى.
قلت: وهذا كلام جاهل بأحوال الأئمة الذين هم أوتاد الأرض وقواعد الدين والله أعلم.

وسمعت سيدي علياً الخواص أيضاً يقول :**كلّ مَن نوّر الله تعالى قلبه وجد مذاهب المجتهدين وأتباعهم كلها تتصل برسول الله ﷺ من طريق السند الظاهر** بالعنعنة، ومن طريق إمداد قلبه ﷺ لجميع قلوب علماء أمته، فما اتقد مصباح عالم إلا من مشكاة نور قلب رسول الله ﷺ فافهم.

وسمعته يقول مرة أخرى: ما من قول من أقوال المجتهدين ومقلّديهم إلا وينتهي سنده برسول الله ﷺ، ثم بجبريل، ثم بحضرة الله عز وجل التي تجل عن التكييف من طريق السند الظاهر والسند الباطن الذي هو علم الحقيقة المؤيدة بالعصمة، فمن نقل علمها على الحقيقة لم يصح منه خطأ في قول من أقواله، وإنما يقع الخطأ في طريق الأخذ عنها فقط، **فكما يقال: إنّ جميع ما رواه المحدثون بالسند الصحيح المتصل ينتهي سنده إلى حضرة الحق جل وعلا**، فكذلك يقال فيما نقله أهل الكشف الصحيح من علم الحقيقة، وذلك لأن جميع مصابيح علماء الظاهر والباطن قد اتقدت من نور الشريعة، فما من قول من أقوال

المجتهدين ومقلديهم إلا وهو مؤيد بأقوال أهل الحقيقة ، لا شك عندنا في ذلك . انتهى . وهذا سبب تأييدي لكلام أئمة الشريعة بتوجيهي لكلامهم بكلام أهل الحقيقة في كل مسألة من باب الطهارة إلى آخر أبواب الفقه كما سيأتي بيانه فيها إن شاء الله تعالى ، ولا أعلم أحداً سبقني إلى التزام ذلك في كتاب ، كل ذلك تقوية لقلوب الطلبة من مقلدي المذاهب ليعملوا بكلام أئمتهم على يقين وبيانٍ إذا رأوا الحقيقة تؤيد الشريعة المستنبطة وعكسه . انتهى .

وسمعت أخي الشيخ أفضل الدين وقد جادله فقيه في مسألة يقول : والله ما بنى أحد من أئمة المذاهب مذهبه إلا على قواعد الحقيقة المؤيدة بالكشف الصحيح ، ومعلوم **أنّ الشريعة لا تخالف الحقيقة أبداً** ، وإنما تتخلف الحقيقة عن الشريعة في مثل حكم الحاكم بشهادة شهود الزور الذين اعتقد الحاكم عدالتهم فقط ، فلو كانوا شهود عدالة ما تخالفت الحقيقة عن الشريعة وعكسه . انتهى راجعه في ٤٧ . وفيه بسط شاف .

فإن قلت : فما دليل المجتهدين في زيادتهم الأحكام التي استنبطوها على صريح الكتاب والسنة ، وهلاّ كانوا وقفوا على حدّ ما ورد صريحاً ، ولم يزيدوا على ذلك شيئاً ؛ لحديث « ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به ، ولا شيئاً يبعدكم عن الله إلا وقد نهيتكم عنه » **والجواب :** دليلهم في ذلك الاتباع لرسول الله ﷺ في تبيينه ما أجمل في القرآن مع قوله تعالى : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ فإنه لو لا بين لنا كيفية الطهارة والصلاة والحج وغير ذلك ما اهتدى أحد من الأمّة لمعرفة استخراج ذلك من القرآن ، ولا كنا نعرف عدد ركعات الفرائض ولا النوافل ، ولا غير ذلك مما سيأتي في الفصل الآتي عقبه إن شاء الله تعالى ، فكما أنّ الشارع بيّن لنا بسنّته ما أجمل في القرآن ، فكذلك الأئمة المجتهدون بينوا لنا ما أجمل في أحاديث الشريعة ، ولولا بيانهم لنا ذلك لبقيت الشريعة على إجمالها ، وهكذا القول في أهل كلّ دور بالنسبة للدور الذي قبلهم إلى يوم القيامة ، فإن الإجمال لم يزل سارياً في كلام علماء الأمة ، ولولا

ذلك ما شرحت الكتب ، ولا عمل على الشروح حواش كما مر ، فافهم . انتهى عبارته في ٣٨ . ثم اعلم أيها الأخ المخلص إن أردت أن تعرف حقيقة بطلان دعوى الوهابية على الاجتهاد لا بدّ لك من المراجعة إلى كتاب « شواهد الحق » ، و« حجة الله على العالمين » ، و« نور القايس » تشفي عليك[١] إن شاء الله تعالى ، بيد أني أورد لك نبذة يسيرة من أقوال الأئمة والمصنفين في حقِّ هذا الأمر لعلك ترضى ،

مسألة (ك) شخص طلب العلم ، وأكثر من مطالعة الكتب المؤلفة ؛ من التفسير والحديث والفقه وكان ذا فهم وذكاء ، فتحكّم في رأيه أن جملة هذه الأمة ضلّوا وأضلّوا عن أصل الدين وطريق سيّد المرسلين ، فرفض جميع مؤلفات أهل العلم ولم يلتزم مذهباً ، بل عدل إلى الاجتهاد ، وادّعى الاستنباط من الكتاب والسنة بزعمه وليس فيه شروط الاجتهاد المعتبرة عند أهل العلم ، ومع ذلك يُلزم الأمة الأخذ بقوله ، ويوجب متابعته ، فهذا الشخص المذكور المدّعي الاجتهاد يجب عليه الرجوع إلى الحق ، ورفض الدعاوى الباطلة ، **وإذا طرح مؤلّفات الشرع فليت شعري بماذا يتمسّك** ، فإنه لم يدرك النبي ﷺ ولا أحداً من أصحابه رضوان الله عليهم ، فإن كان عنده شيء من العلم فهو من مؤلفات أهل الشرع ، وحيث كانت على ضلالة فمن أين يقع الهدى ، فليبينه لنا ، فإن كتب الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم ومقلّديهم جلّ مأخذها من الكتاب والسنة ، وكيف أخذ هو ما يخالفها ، ودعواه الاجتهاد اليوم في غاية البعد ، كيف ؟ ! وقد قال شيخان وسبقهما الفخر الرازي : الناس اليوم كالمُجْمعين على أنه لا مجتهد ، ونقل ابن حجر عن بعض الأصوليين أنه لم يوجد بعد عصر الشافعي مجتهد . انتهى « بغية المسترشدين » عبارته راجعه في ٧ . وذكر في « شواهد الحق » ما حاصله : **من أقبح الجنون جنون من ادعى الاجتهاد في هذا الزمان** ، فإن أردت الزيادة راجع كتب الأصول والفقه ، خاصة إلى « البنان » « وآيات البينات » انتهى .

---

(١) **علّه** : عليلك .

الباب السادس

في جواز (سيدنا) في الصلاةِ على نبينا عليه الصلاة والسلام خلافاً للوهابية

أقول - لله الحمد والثناء وبيده أزمّة التوفيق - إنّ جواز (سيّدنا) في الصلاة عليه الصلاة والسلام يُعلم من صدارة[1] الأئمة والمشائخ الذين يجتمعون به ﷺ كتبهم بذكره قبل محمّد ، ومن قراءتهم صيغ صلواتهم قبالته ﷺ يقظة ومشافهة ، وإخباره ﷺ لهم ما فيها من ثوابها ، كما ذكر في ثواب صلاة الفاتح ، وقال صاحب « جواهر المعاني » فيه في ٩٥ ج :١ وأما فضل صلاة الفاتح لما أغلق . . .إلخ ، فقد سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول : كنت مشتغلاً بذكر صلاة الفاتح لما أغلق حين رجعت من الحج إلى تلمسان لِما رأيت من فضلها ؛ وهو أن المرة الواحدة بستمائة ألف صلاة كما في « وردة الجيوب » أنّ صاحبها سيدي محمد البكري الصديقي نزيل مصر وكان قطباً رضي الله عنه قال : إنّ من ذكرها مرة ولم يدخل الجنة فليقبض صاحبها عند الله تعالى ، وبقيت أذكرها إلى أن رحلت إلى تلمسان إلى أبي سمعون ، فلما رأيت الصلاة التي فيها المرة الواحدة بسبعين ألف ختمة من « دلائل الخيرات » تركت الفاتح لما أغلق . . .إلخ ، واشتغلت بها ، وهي : (اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تعدل جميع صلوات أهل محبتك ، وسلم على سيدنا محمد وعلى آله سلاماً يعدل سلامهم) لِما رأيت فيها من كثرة الفضل ، ثم أمرني ﷺ بالرجوع إلى صلاة الفاتح لما أغلق . . .إلخ ، فلما أمرني الرجوع إليه سألته ﷺ عن فضلها ، فأخبرني أولاً بأنّ المرة الواحدة منها تعدل من القرآن (ست مرات) ، ثم أخبرني ثانياً أنّ المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ، ومن كلّ ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير ، ومن القرآن (ستة آلاف مرة) ، لأنه من الأذكار ، انتهى ، راجعه . كذا ذكره شيخنا في « تلخيص المعارف » وفيه بسط طويل ، وقس عليه الباقي ، فمع هذا لا

---

(١) **علّه** : تصدير (**هامش الأصل**) .

وجه للإنكار على ذلك ، مع أن كرامات الأولياء حق . راجع إلى « شرح العقائد » ، و« شرح جمع الجوامع » ، ذكر صاحب شرح « سلك العين » كيفية الصلاة على النبي ﷺ ، وقال : كيفية الصلاة عليه : اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الأميّ وعلى آل محمد وأزواجه وذرّياته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آله وأزواجه وذرياته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

هذا داخل الصلاة ، وإن زاد خارجها (سيّدنا ومولانا) كان أكمل . انتهى عبارته . مسألة في « النهاية » : زيادة لفظ (سيّدنا) في الصلاة عليه ﷺ قال شيخنا : وينبغي زيادته مع إبراهيم إثمد العينين عبارته ١٩ . وعبارة « كاشفة السجا » شرح « سفينة النجا » : الأفضل الإتيان بلفظ السيادة ؛ لأنّ فيه الإتيان بما أُمِرنا وزيادة الإخبار بالواقع الذي هو أدب ، فهو أفضل من تركه ،

ولا يقال : امتثال الأمر أفضل ، لأنا . . . إلخ .

وقال السحيمي أيضاً : ولا يقال امتثال الأمر أفضل من الأدب لأنا نقول في الأدب ؛ امتثال الأمر وزيادة ، والظاهر أنّ الأفضل ذكره في غير (نبينا) . انتهى .

مهم

وأكمل الصلاة

وأكمل الصلاة على النبي وأفضلها سواء في الصلاة وخارجها كما نصّ على ذلك الرملي : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد . انتهى ، راجعه في ٦٣ .

قوله (على محمد) والأفضل الإتيان بلفظ السيادة كما صرح به جمع ؛ لأنّ فيه الإتيان بما أمرنا به وزيادة الإخبار بالواقع ، فهو أفضل من تركه . وأما حديث « لا تسيدوني في الصلاة » فباطل شرح محمد رملي « بجيرمي » عبارته ٢٤٤ ج١ . وعبارة « باجوري » : قوله (إن محمدا) الأولى ذكر السيادة ؛ لأنّ الأفضل سلوك الأدب ، خلافاً لمن قال : الأولى ترك السيادة اقتصاراً على الوارد ، والمعتمد الأول وحديث :« لا تسوّدوني في صلاتكم »بالواو لا بالياء باطل . انتهى عبارته ١٩١ ج١ .

وفيه على قوله (كما صليت على إبراهيم) وقد استشكل التشبيه في هذه الصيغة بأنّ سيّدنا محمد أفضل من سيّدنا إبراهيم ، فتكون الصلاة والبركة المطلوبتان له أفضل وأعظم من الصلاة والبركة الحاصلتين لإبراهيم ، فكيف يشبه ما يتعلق بالنبي بما يتعلّق بإبراهيم مع أنّ المشبه به يكون أعلى من المشبّه ، وأجيب عن ذلك بأجوبة ؛ منها إنّ التشبيه من حيث الكمية ؛ أي : العدد دون الكيفية ؛ أي : القدر ،

ومنها أن التشبيه راجع للآل فقط ، ولا يشكل بأنّ آل النبي ليسوا بأنبياء ، فكيف يساوون بآل إبراهيم وهم انبياء ، مع أنّ غير الانبياء لا يساوونهم مطلقاً ؛ لأنه لا مانع من مساواة آل النبي وإن كانوا غير انبياء لآل إبراهيم وإن كانوا انبياء بطريق التبعية له ﷺ ، وقولنا (في العالمين) متعلّق بمحذوف تقديره وأدم ذلك في العالمين ، وقولنا (إنك حميد مجيد) تعليل لذلك المحذوف ، أو لقولنا (صلّ) . . .إلخ . ومعنى (حميد) محمود ، ومعنى (مجيد) ماجد ؛ وهو من كمل شرفاً وكرماً ، وقد علمت أن المعتمد طلب زيادة السيادة ؛ لأنّ فيه سلوك الأدب خلافاً لمن قال بتركها امتثالاً للأمر . انتهى عبارته ١٦٢ ج١ .

قوله (على محمد) قال في « شرح الروض » قال في « المهمات » : واشتهر زيادة (سيّدنا) قبل (محمد) ، وفي كونه أفضل نظر في حفظي ، إنّ الشيخ عز الدين بناه على أنّ الأفضل سلوك الأدب أم امتثال الأمر ؟ فعلى الأول يستحبّ دون الثاني . انتهى ما في « شرح الروض » واعتمد

الجلال المحلي ؛ أي : في غير شرحه أن الأفضل زيادتها ، وأطال في ذلك ، وقال إن حديث « لا تسيدوني في الصلاة باطل » محمد رملي ابن قاسم عبارته ٨٦ ولا بأس بزيادة (سيّدنا) قبل (محمّد) « فتح المعين » عبارته ١٧٢ ج١ ، وقوله (لا بأس) وهي الأولى كما تقدم « إعانة » عبارته ١٧٢ ، وقوله (على محمد) والأفضل الإتيان بلفظ السيادة كما قاله ابن ظهيرة ، وصرح به جمع ، وبه أفتى الشارح ؛ لأنّ فيه الاتيان بما أمرنا به وزيادة الإخبار بالواقع الذي هو أدب ، فهو أفضل من تركه ، وإن تردّد في أفضليته الأسنوي ، وأما حديث « لا تسيدوني في الصلاة » فباطل لا أصل له كما قاله بعض متأخري الحفاظ ، وقول الطوسي : إنها مبطلة غلط « شرح محمد رملي سم » عبارة « شرح بأفضل » ولا بأس بزيادة (سيدنا) قبل (محمد) . انتهى .

وقال « المغني » ظاهر كلامهم اعتماد عدم استحبابها . انتهى . وتقدم عن شيخنا أنّ المعتمد زيادة السيادة ، وعبارة الكردي : واعتمد « النهاية » استحباب ذلك ، وكذلك اعتمده الزيادي والجلبي وغيرهم ، وفي « الايعاب » الأولى سلوك الأدب فيأتي (بسيدنا) وهو متّجه . انتهى . وقال عبد الحميد الشرواني : لأنّ فيه الإتيان . . .إلخ ، يؤخذ من هذا سنّ الإتيان بلفظ السيادة في الأذان ، وهو ظاهر ؛ لأنّ المقصود تعظيمه ﷺ بوصف السيادة حيث ذكر . انتهى « حميدية » عبارته ٦١٢ ، ومثله بلا فرق في « سليمان الجمل » في ٣٧٧ ج١ ، ولذلك أعرضت عن كتبته . انتهى . وفي « الشهاب » على قول المتن (لو اخل) . . .إلخ : هذا الإخلال حرام ، وإن أجزأ ، ومفارقته للفاتحة ظاهر ، وعن العلامة العبادي : أنه إن غير المعنى وتعمّد بطلت صلاته ، وإن لم يتعمد لم يجزئه ، فراجعه . وتشترط الموالاة فيه أيضاً ، وتعتبر بما مرّ في الفاتحة ، نعم لا يضر زيادة (ميم) في عليك ، ولا (ياء) نداء قبل (أيها) ولا (وحده لا شريك له) بعد (أشهد أن لا إله إلا الله) لورودها في رواية كما قاله شيخنا ، ولا زيادة (عبده) مع (رسوله) ، ولا زيادة (سيدنا) قبل (محمّد) هنا وفي الصلاة

عليه الآتية ، بل هو أفضل ؛ لأن فيه مع سلوك الأدب امتثال الأمر ، وأمّا حديث « لا تسيّدوني في الصلاة » فباطل باتفاق الحفاظ . انتهى عبارته راجعه في ١٨٢ ج١ وعبارة « مطالع المسرات » شرح « دلائل الخيرات » على (سيدنا) الصحيح جواز الإتيان بلفظ (السيّد والمولي) ونحوهما مما يقتضي التشريف والتوقير والتعظيم ، والصلاة على سيدنا محمد ﷺ ، وإيثار ذلك على تركه ، ويقال في الصلاة وغيرها إلا حيث تعبد بلفظ ما روى ، فيقتصر على ما تعبد به ، أو في الرواية فيؤتى بها على وجهها ، وقال البَرْزُلي ، ولا خلاف أن كلّ ما يقتضي التشريف والتوقير والتعظيم في حقِّه عليه الصلاة والسلام أنه يقال بألفاظ مختلفة ، حتى بلغها ابن العربي مائة فأكثر ، وقال صاحب « مفتاح الفلاح » : وإياك أن تترك لفظ السيادة ، ففيه سر يظهر لمن لازم هذه العبادة . انتهى عبارته ١١٠ ، وقال في « الرماح » : وإن شاء قال : سيدنا محمد رسول الله ﷺ بزيادة (السيد) فحسن . انتهى عبارته في ٢٢٥ ج١ .

نعم اختلف في زيادة (سيدنا) في الوارد من كيفية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، والأوجه أن يقتصر على لفظه حيث تعبّد به ، ويزاد حيث ما يراد الفضل في الجملة . انتهى . « رماح » نقله من « القواعد الزروقية » وفي « مطالع المسرات » شرح « دلائل الخيرات » عند قول المؤلف في الصلاة الحادية عشر (سيّدنا) الصحيح جواز الإتيان به أي بلفظ (السيد والمولى) ونحوهما مما يقتضي التعظيم في الصلاة على سيدنا محمد ﷺ ، وإيثار ذلك على تركه ، ويقال في الصلاة وغيرها حيث تعبّد به أو في الرواية فيؤتى على وجهها ، وقال البرزي : ولا خلاف في أن كلما يقتضى التشريف والتوقير في حقه ﷺ إنه يقال بالفاظ مختلفة حتى بلغها ابن العربي مائة فأكثر ، وقال صاحب مفتاح الفلاح : وإياك أن تترك لفظ السيادة . انتهى . وفي « فتح المبين شرح كنز الأسرار » وقال سيدي عبد الرحمن الفاسي في حاشية على « دلائل الخيرات » قال الآبي في « شرح مسلم » : وما يستعمل في هذا المقام من لفظ (المولى

والسيد) حسن وإن لم يرد ، واختار المحب اللغوي : ترك ذلك في الصلاة اتباعاً للفظ الحديث ، والإتيان به في غير الصلاة ، وقال ابن عبد السلام : الإتيان بهما يبنى على الخلاف ؛ هل الأولى امتثال الأمر أو سلوك الأدب .

مهم

وإنما لم يتلفظ ﷺ بـ(سيدنا) لكراهة الفخر

وسئل السيوطي عن حديث « لا تسيّدوني في الصلاة » فأجاب إنه لم يرد ذلك ، قال : وإنما لم يتلفظ به ﷺ لكراهته الفخر ، ولهذا قال : « أنا سيّد ولد آدم ولا فخر » وأما نحن فيجب علينا تعظيمه وتوقيره ، ولهذا أنهانا الله تعالى أن نناديه باسمه ، فقال : ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم ﴾ . وقال الخطاب الذي يظهر لي وأفعله في الصلاة وغيرها الإتيان بلفظ (السيد) واختار العارف بالله سيدي أحمد زروق ما اختاره المحبّ اللغوي صاحب القموس . انتهى . ثم قال : والذي جرى عليه عمل الأئمة زيادة السيادة في غير الوارد ، وتركها فيما ورد اتباعاً للفظه ، وفراراً من الزيادة فيه ، لكونه مخرج التعليم ، ووقوفاً عند ما حدّ لهم ، قلت ، هذا عين ما في « قواعد زروق » ثم قال الخطاب : وعلى هذا درج صاحب « دلائل الخيرات » رضي الله تعالى عنه ، فإنه أثبت اللفظ الوارد من غير زيادة سيادة ، وزيادتها في غير الوارد ، لكن هذا بحسب الوضع في الخط . أما من حيث الأداء ، فالأولى أن لا تعرى عنها في الوارد وغيره ،

السيادة عبادة

قال : وسئل شيخنا العياسي - حفظه الله تعالى - عن زيادة السيادة في الصلاة على النبي ﷺ ، فقال : السيادة عبادة . قال : قلت : وهو بيّن ؛ **لأنّ المصلي إنما يقصد بصلاته تعظيمه ﷺ ، فلا معنى**

حينئذ لترك التسييد؛ إذ هو عين التعظيم، وفي «الحكم» ما الشأن وجود الطلب، إنما الشأن أن ترزق حسن الأدب لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه. انتهى «رماح» عبارته ٢٢٦ ج١، وعبارة النبهاني في «أفضل الصلوات» اللهم صل على سيّدنا محمد كما صليت، وهي في الحديث بدون لفظ السيادة، قال الشمس الرملي في «شرح المنهاج»: الأفضل الإتيان بلفظ السيادة؛ لأنّ فيه الإتيان بما أمرنا به، وزيادة الإخبار بالواقع الذي هو الأدب، فهو أفضل من تركه، وأما حديث «لا تسيدوني في الصلاة» فباطل لا أصل له، كما قال بعض متأخري الحفاظ، وقال الإمام ابن حجر في «الجواهر المنظم»: وزيادة (سيّدنا) قبل (محمد) لا بأس به، بل هي الأدب في حقه ﷺ، ولو في الصلاة أي الفريضة. انتهى عبارته ٥٤.

وفي «كفاية الأتقياء» للسيد أبي بكر المعروف بالسيد بكري المكي: وينبغي للشخص إذا صلى عليه ﷺ أن يكون بأكمل الحالات؛ متطهراً، متوضئاً، مستقبل القبلة، متفكراً في ذاته السنية لأجل بلوغ النوال والأمنية، وأن يرتِّل الحروف، وأن لا يعجل في الكلمات، كما قال ﷺ «إذا صلّيتم عليّ فاحسنوا الصلاة عليّ، فإنكم لا تدرون لعلّ ذلك يعرض عليّ، فقولوا اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على سيّد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين سيّدنا محمد عبدك ورسولك إمام الخير، وقائد الخير ورسول الرحمة، اللهم ابعثه المقام المحمود الذي يغبطه فيه الأولون والآخرون». رواه الديلمي موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه، وقوله (المصطفى) أي: المختار من جميع الخلق ﷺ، فهو أفضل من الملائكة، والآل أي: والصلاة على الآل، واختلفوا في تفسيرهم على أوجه؛ فقال الشافعي والجمهور: هم بني هاشم وبني المطلب، وقيل: أولاد فاطمة رضي الله عنها، وقيل: كلّ مؤمن تقيّ، وقيل جميع أمة الإجابة، والذي اختاره بعض المتأخرين أنه لا يطلق القول فيه، بل يفسّر في كلّ مقام

بما يناسبه ، ففي قوله (اللهم صل على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد الذين أذهبتَ عنهم الرجس وطهّرتَهم تطهيراً) يفسّر بأهل بيته ، وفي قوله (اللهم صلّ على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد الفائزين برضاك) يفسّر بالمتقين ، وفي قوله (اللهم صل على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد) يفسر بجميع أمة الإجابة . انتهى عبارته راجعه في ٦ .

فعلم من هذه المذكورات جواز (سيّدنا) في الصلاة عليه ﷺ ، ولا ينكره إلا من طبع الله قلبه برقم القساوة ، وعمى بصيرته برؤية أنانيته ، ويجعله ﷺ كواحدٍ من بينهم ، كما قال في حقه عليه الصلاة والسلام كفّار مكة ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾ . انتهى والسلام على من اتبع الهدى وكشف عن قلبه الهوى ، وفي « درر السنية » في ٤٣ إنّ محمداً بن عبد الوهاب كان يزعم أن من قال لأحد (مولانا أو سيّدنا) فهو كافر ، ولا يلتفت إلى قول الله تعالى في سيّدنا يحيى عليه السلام ﴿وَسَيِّدًا﴾ . . إلخ ، ولا إلى قول النبي ﷺ : « قوموا لسيدكم » يعني سعد بن معاذ رضي الله عنه كما مر في الباب الأول . انتهى عبارته .

وسمعت أنّ بعض الوهابية كتب كتاباً إلى بعض العلماء بما حاصله : فإن كان ما ذكره المشائخ في ثواب صلاة الفاتح لما أغلق حقاً صادقاً كيف لم يبينه ﷺ زمن حياته ، مع أنه ﷺ لم يترك عطباً ولا رطباً إلا بيّنه . انتهى . فيعلم من تأمّل في هذا الكلام خرابة هذا القول ، وسوء عقيدة هذا الرجل - عصمه الله من نار أنانيته - لأنّ الأولياء الكرام - قدس الله أسرارهم ، ورزقنا فيوضاتهم - هم الذين فازوا بمحبته ﷺ بمتابعتهم الكاملة له ﷺ ظاهراً ، وباطناً ويرونه يقظة ومشافهة بفنائهم عن ذواتهم في ذاته ﷺ ، فهم يصلّون على النبي ﷺ بزيادة أوصاف لائقة بذاته الشريفة ﷺ ، ويخبرهم النبي عليه السلام بأن في صلاتك التي صلّيت عليّ من الأجر كذا وكذا كما يعلم ذلك من نظر في كتبهم ، وقد بيّنت قبل

في الباب الخامس مراجعتَهم إلى النبي ﷺ في كل شيء توقّفوا عليه[1] من المسائل المشكلة ، مع أن كرامات الأولياء حق صادق ، لعلك ترضى به وتذكِّر ما مرّ من أن أشقى الخلائق الطاعن في أولياء الله تعالى . . .وإلخ راجع إلى ما ذكرناه في الباب الثاني ، وعبارة وحيد دهره ومفتي عصره العالم محمد علي الچوخي في « فتاواه » مسألة يوجد في الكتب المتداولة المعتبرة عندنا أنّ من قرأ بيتاً كذا فله كذا ، وأنّ من خواص هذه الأبيات كذا وكذا ، وأكثرها في « شروح البردة » وشرح نظم اسماء الله الحسنى ونحوهما ، فكيف حصل لهم العلم بذلك ، والحال أنّ تلك الأبيات حادثة بعد زمن النبي ﷺ وزمن الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين رضي الله تعالى عنهم ، ومن أخبرهم بذلك ، وهل نزل بهم وحي به ؟

أقول – وبالله التوفيق – اعلم أن تلك المذكورات وأمثالها إنما هو بإخبار الأئمة الأخيار ، والأولياء الأبرار ، والأقطاب ، والنقباء ، والأوتاد ، والنجباء ، إمّا عن رؤية منام ، أو منحة إلهام ، أو من هاتف ، أو وارد ، أو فتح ، أو مكاشفة ، أو تلقين عن النبي ﷺ على طريق الاستفاضة الروحانية ، أو نحو ذلك مما ذكر في كتب السلوك والتصوف ، وبينه أئمة الهدى والتشوف ، فإنها وإن لم يثبت بها الأحكام الشرعية ، لكن يعمل بها في الفضائل العملية ، كما صرحوا به في غير موضع ، وفي غير كتاب ، والعلم عند الملك الوهاب ، غاية الأمر أنّ إظهار خواص الأشياء ونحوها لا يقدر عليه كل أحد كيف كان ، كما صرح به الإمام الحقي في تفسير سورة « طه » من « روح البيان » وكرامات الأولياء حق صادق ، يجب الاعتقاد به ، فلا يلزم به القول بعلمهم الغيب ونحوه ، كما صرح به غير واحد منهم ، فراجع ذلك ، وحرّر ، ولا تنكر ما نقل عنهم . انتهى عبارته ٤٧٥ راجعه في كتاب الجهاد ، والسلام .

---

(١) وفي « مشارق الأنوار » وكان الشيخ نور الدين الشوني يشاور رسول الله ﷺ في أموره ومن جملة ما شاوره فيه حفر البئر التي في زاويتنا . انتهى راجعه في ١٠٥ **(منه)** .

الباب السابع

في أجوبة المسئولات ، وإثبات الشفاعة للنبي ﷺ والأولياء والصالحين .

أقول – وبالله التوفيق ، ومنه الهداية إلى الصراط المستقيم – قد مرّت الآيات المسئولة في صدر الكتاب ، لكن نعيدها ثانياً لحاجة الإجابة عنها ، فالآية الأولى : قوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ ﴾ قال العلامة البيضاوي في تفسير هذه الآية : وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لأهل الكبائر ، وأجيب بأنها مخصوصة بالكفار للآيات والأحاديث الواردة في الشفاعة ، ويؤيده أن الخطاب معهم ، والآية نزلت ردّاً لما كانت اليهود تزعم أن أبائهم تشفع لهم ، كذا فسرها الشيخ أحمد الصاوي في تفسيره على « الجلالين » أي : لا تغني نفس مؤمنة عن نفس كافرة شيئاً من عذاب الله ، وأما قوله : « يحشر المرء مع مَنْ أحبّ » أي : إذا كان المحبّ مؤمناً ، والأصول لا تنفع الفروع إلا إذا كان مع الفروع إيمان ، قال تعالى ﴿ بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾ . قوله ﴿ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ ﴾ أي : النفس المؤمنة لا تقبل شفاعتها في النفس الكافرة . انتهى عبارته راجعه في ٢٦ مع الاختصار ، ومثله في تفسير الشيخ سليمان الجمل المسمى « بالفتوحات الإلهية » رجعه في ١٠٨ ، وعبارة « روح البيان » ﴿ لَّا تَجۡزِي ﴾ أي : لا تقتضى فيه ولا تؤدِّي ولا تغني ، فالعائد محذوف والجملة صفة يوم (نفس) مؤمنة (عن نفس) كافرة (شيئاً) ما من الحقوق التي لزمت عليها ، وهو نصب على المفعول به ، وإيراده منكراً مع تنكير النفس للتعميم ، والإقناط الكلي ؛ قال تعالى ﴿ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ ﴾ وكيف تنتفع وقد قال ﴿ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴾ الآية . وهذا في حق الكفار ، فأما المؤمن فقد استثناه فقال ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا

﴿مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ أي خال عن الشرك ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا﴾ أي من النفس الأولى المؤمنة ﴿شَفَٰعَةٌ﴾ إن شفعت للنفس الثانية الكافرة عند الله لتخليصها من عذابه . انتهى عبارته مع الاختصار ، راجعه في ٨٦

بَيْدَ أنّ العلامة الزمخشري رحمه الله تكلّم في هذه الآية على اعتزاله ، وعبارته في « الكشاف » فإن قلت : هل فيه دليل على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة ؟ قلت : نعم لأنه نفى أن تقضي نفس عن نفس حقاً أخلّت به من فعل أو ترك ، ثم نفى أن يقبل منها شفاعة شفيع ، فعلم أنها لا تقبل للعصاة . انتهى عبارته ٢١٤ . وقال محشّي « الانتصاف » : على هذا قال محمود رحمه الله : هل فيه دليل على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة ؟ ! . . إلخ . قال أحمد رحمه الله : **أما من جحد الشفاعة فهو جدير أن لا ينالها ، وأما من آمن وصدّقها وهم أهل السنة والجماعة** ، فأولئك يرجون رحمة الله ، ومعتقدهم أنها تنال العصاة من المؤمنين ، وإنما ادخرت لهم ، وليس في الآية دليل لمنكريها ؛ لأنّ قوله (يوماً) أخرجه منكراً ، ولا شكّ أنّ في القيامة مواطن ، ويومها معدود بخمسين ألْفِ سنة ، فبعض أوقاتها ليس زماناً للشفاعة ، وبعضها هو الوقت الموعود ، وفيه المقام المحمود لسيّد البشر عليه أفضل الصلاة والسلام ، وقد وردت آي كثيرة ترشد إلى تعداد أيّامها واختلاف أوقاتها ؛ منها : قوله تعالى ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ مع قوله ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ فيتعيّن حمل الآيتين على يومين مختلفين ووقتين متغايرين . انتهى عبارته ٢١٤ من هامش « الكشاف » .

قال العلامة سعد الدين التفتازاني في شرحه على « العقائد النسفي » **والشفاعة ثابتة للرسل والأخيار**[1] **في حق أهل الكبائر من المؤمنين** بالمستفيض من الاخبار خلافاً للمعتزلة ، وهذا مبني على ما سبق من جواز العفو والمغفرة بدون الشفاعة ، فبالشفاعة أولى ، وعندهم لما لم

---

(١) مثل الأولياء والعلماء والزهاد « حاشية رمضان » عبارة .

يجز العفو لم تجز الشفاعة ، لنا قوله تعالى ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ وقوله تعالى ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ فإن أسلوب هذا الكلام يدل على ثبوت الشفاعة في الجملة ، وإلا لما كان لنفي نفعها عن الكافرين عند القصد إلى تقبيح حالهم وتحقيق بأسهم معنى ؛ لأنّ مثل هذا المقام يقتضى أنْ يتوسّموا بما يخصّهم ، لا بما يعمّهم وغيرهم ، وليس المراد[1] أن تعليق الحكم[2] بالكافر يَدُلّ على نفيه عما عداه ، حتى يرد عليه إنما تقوم حجة على من يقول بمفهوم المخالفة ، وقوله عليه الصلاة والسلام « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » وهو المشهور ، **بل الأحاديث في باب الشفاعة متواترة المعنى** ، واحتجت المعتزلة بقوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ ﴾ ، وقوله تعالى عز وجل ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴾ ، والجواب بعد تسليم دلالتها على العموم في الأشخاص والأزمان والأحوال أنه يجب تخصيصها بالكفار جمعاً بين الأدلة ، ولما كان أصل العفو والشفاعة ثابتاً بالأدلّة القطعية من الكتاب والسنة والإجماع قالت المعتزلة بالعفو عن الصغائر مطلقاً ، وعن الكبائر بعد التوبة ، وبالشفاعة لزيادة الثواب ، وكلاهما فاسد ، أما الأوّل فلانّ التائب ومرتكب الصغيرة المجتنب عن الكبيرة لا يستحقان العذاب عندهم ، فلا معنى للعفو ، وأما الثاني فلانّ النصوص دالة على الشفاعة ، بمعنى طلب العفو عن الجناية . انتهى عبارته راجعه في ٢٥٠ من حاشية « رمضان » ، ومثله في شرح « جمع الجوامع » راجعه في ٤٣٥ من حاشية « العطار » ، وعبارة الشيخ حسن العدوي الحمزاوي في « مشارق الأنوار » : **وقد أنكر بعض المعتزلة والخوارج الشفاعة في إخراج من أدخل من المذنبين** ، وتمسكوا بظاهر قوله تعالى ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ ، وبقوله تعالى ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ ﴾ إلخ ، وأجاب أهل السنة بأنّ هذه الآيات في الكفار .

---

(١) من هذه الآية .

(٢) وهو : عدم نفع الشفاعة « حاشية رمضان » .

قال القاضي عياض : مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً ، ووجوبها سمعاً ؛ لصريح قوله تعالى ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ بأن يقول : لا إله إلا الله ،

مهم

والمعنى أنّ من مات على الإسلام فقد رضي الله قوله وأذن له أن يشفع في غيره وأن يشفع غيره فيه . « صاوي » من سورة « طه » عبارته راجعه في ٥٠ .

وقوله تعالى ﴿ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ وقوله تعالى ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ المفسر بها عند الأكثرين كما قدّمته ، وقد جائت الآثار التي بلغ مجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين . انتهى عبارته ٢٥٧ . **والآية** الثانية قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ،

فسّر ابن عباس في هذه الآية لقوله تعالى ﴿وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴾ أي للكافرين . انتهى . وفسّر الجلال المحلي لقوله تعالى ﴿وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴾ أي بغير إذنه وهو يوم القيامة . انتهى . وقال الشيخ سليمان الجمل على ذلك التفسير في « الفتوحات الإلهية » هو جواب سؤال كيف يصح نفي الشفاعة على سبيل الاستغراق ، وقد ثبت شفاعة الأنبياء يوم القيامة بالأحاديث كحديث أنس : سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة ، فقال « أنا فاعل » حسّنه الترمذي ،

وإيضاحه أنها مقيدة بآية ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ والنبي مأذون له أو يستأذن فيؤذن له . انتهى كرخي في ٢١٨ .

وفي « شرح العقائد » لرمضان أفندي على آية ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ ﴾ إلخ ، يعني : لا نسلِّم أوّلاً أنّ هذه الآيات تدل على عموم

الاشخاص وعموم الأزمان وعموم الأحوال ، لاحتمال أن يكون المراد بعض الاشخاص والأزمان والأحوال ، ولئن سلّمنا أن هذه الآيات تدل على عموم الاشخاص والأزمان والأحوال إلا أنه يجب تخصيصها بالكفار جمعاً وتلفيقاً بين الآيات الدالة على ثبوت الشفاعة ، وبين الآيات الدالة على نفيها ، لأنّ المعارضة في كلام الله غير جائزة . انتهى عبارته ٢٥١ .

وقال الزمخشري في تفسير الآية المذكورة ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ ﴾ إلخ على قوله تعالى ﴿ لَّا بَيۡعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ ﴾ حتى يسامحكم أخلاؤكم به ، وإن أردتم أن يحطّ عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعاً يشفع لكم في حط الواجبات ؛ لأنّ[1] الشفاعة ثمة في زيادة الفضل لا غير . انتهى عبارته وعبارة حاشية « الانتصاف » على قوله المذكور : قال محمود رحمه الله ومعناه إن أردتم أن يحط ما في ذمتكم . . .إلخ

مهم

قال أحمد رحمه الله : أمّا القدرية فقد وطنوا أنفسهم على حرمان الشفاعة ، وهم جدير أن يحرموها ، وأدلّة أهل السنة على إثباتها للعصاة من المؤمنين أوسع مِنْ أن تحصى ، وما أنكرها القدرية إلا لإيجابهم مجازاة الله تعالى للمطيع على الطاعة وللعاصي على المعصية ايجاباً عقلياً على زعمهم ، فهذه الحالة في إنكار الشفاعة نتيجة تلك الضلالة ، وقد تقدّم جواب عن التمسك باطلاق مثل هذه الآية في نفي الشفاعة ، ونعيده فنقول : إنّ أيام القيامة متعدّدة والشفاعة في بعضها ثابتة ، فكلّ ما ورد مفهماً لنفيها حمل على الأيام الخالية منها جمعاً بين الأدلة ، كما ورد قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ وورد ﴿ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ وورد ﴿ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا

---

(١) وهو رحمه الله نفي الشفاعة للمذنبين ، بقوله : لأنّ الشفاعة ثمة في زيادة الفضل ، لا غير كما هو مذهب المعتزله . انتهى (منه) .

﴿ يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ وورد ﴿ وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ ولا تخلص في أمثال هذه الآي باتفاق إلا الحمل على تعدد أوقات القيامة واختلاف أحوالها وأيامها ، وكذلك أمر الشفاعة سواء ؛ رزقنا الله الشفاعة وحشرنا في زمرة السنة والجماعة . انتهى عبارته ٢٧٨ . وقال الشيخ إسماعيل حقي في « روح البيان » في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا خُلَّةٌ ﴾ والخلّة تنقطع يوم القيامة بين الأخلاء إلاّ بين المتقين ؛ لقوله تعالى ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ .

وفيه بعيد ذلك قال الراغب : حثّ المؤمنين على الانفاق مما رزقهم من النعماء النفسيّة والبدنية الجارحية ، وإن كان الظاهر في التعارف إنفاق المال ، **ولكن قد يراد به بذل النفس والبدن في مجاهدة العدوّ والهوى وسائر العبادات** ، ولما كانت الدنيا دار اكتساب وابتلاء ، والآخرة دار ثواب وجزاء بيّن أن لا سبيل للإنسان إلى تحصيل ما ينتفع به في الآخرة ، فابتلي بذكر هذه الثلاثة ، لأنها أسباب اجتلاب المنافع المفضية إليها ، أحدها : المعاوضة ، وأعظمها المبايعة ، والثاني : ما تناوله بالمودّة ، وهو المسمّى بالصلاة والهدايا ، والثالث : ما يصل إليه بمعاونة الغير ، وذلك هو الشفاعة ، ولما كانت العدالة بالقول المجمل ثلاثاً عدالة بين الانسان ونفسه ، وعدالة بينه وبين الناس ، وعدالة بينه وبين الله ، فكذلك الظلم له مراتب ثلاث وأعظم العدالة ما بين العبد وبين الله وهو الإيمان ، وأعظم الظلم ما يقابله وهو الكفر ، ولذلك قال ﴿ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ أي المستحقون لإطلاق هذا الوصف عليهم ، بلا مشوبة ، فليسارع العبد إلى تقوية الإيمان بالإنفاق والإحسان . انتهى عبارته ٢٦٩ ج١ . والآية الثالثة قوله تعالى من ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ وفي « روح البيان » في تفسير هذه الآية بعد بيانه إعراب الآية ؛ والمعنى : لا أحد يشفع عنده في حال من الأحوال إلا في حال كونه مأذوناً له ، أوْ لا أحد يشفع عنده بأمر من الأمور إلا بإذنه ، والباء للاستعانة كما في ضَرَبَ

بِسَيْفِهِ ، فيكون الجار والمجرور في موضع المفعول به ، وكان المشركون يقولون : أصنامنا شركاء الله تعالى ، وهم شفعاؤنا عنده ، فوحّد الله نفسه بالنفي والاثبات ليكون المعنى في ثبوت التوحيد ونفي الشرك ، أي : ليس لأحد أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه ، **وقد أخبر أنه لا يأذن في الشفاعة للكفار ، وهو ردٌّ على المعتزلة في أنهم لا يرون الشفاعة أصلاً** ، والله تعالى أثبتها للبعض بقوله ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ .

وفي « التأويلات النجمية » هذا الاستثناء راجع إلى النبي عليه الصلاة والسلام ؛ لأن الله تعالى قد وعد له المقام المحمود ، وهو الشفاعة ، فالمعنى من ذا الذي يشفع عنده يوم القيامة إلا عبده محمد ، فإنه مأذون موعود ، يعينه الأنبياء بالشفاعة . انتهى . قال رسول الله ﷺ « أتاني آت من عند ربّي فخيرني بين أن أدخل نصف أمتي الجنة ، وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة » .

روي أن الأنبياء عليهم السلام يعينون نبينا ﷺ يوم القيامة للشفاعة ، فيأتى الناس إليه فيقول : « أنا لها » وهو المقام المحمود الذي وعده الله به يوم القيامة ، فيأتى ويسجد ويحمد الله بمحامد يلهمه الله تعالى إياها في ذلك الوقت ، لم يكن يعلمها قبل ذلك ، ثم يشفع إلى ربه أن يفتح باب الشفاعة للخلق ، فيفتح الله ذلك الباب ، **فيأذن في الشفاعة للملائكة والرسل والأنبياء والمؤمنين ، فهذا يكون سيد الناس** يوم القيامة ، فإنه شفع عند الله أن يشفع الملائكة والرسل ، ومع هذا تأدّب ﷺ ، وقال « أنا سيد الناس » ولم يقل سيّد الخلائق ، فيدخل الملائكة في ذلك مع ظهور سلطانه في ذلك اليوم على الجميع ، وذلك أنه ﷺ جمع له بين مقامات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم ، ولم يكن ظهر له على الملائكة ما ظهر لآدم عليهم من اختصاصه بعلم الأسماء كلها ، فإذا كان في ذلك اليوم افتقر إليه الجميع من الملائكة والناس من آدم فمن دونه في فتح باب الشفاعة ، وإظهار ما له من الجاه عند الله ، إذ كان القهر الالهي والجبروت

الأعظم قد أخرس الجميع ، فدلّ على عظيم قدره عليه السلام حيث أقدم مع هذه الصفة الغضبيّة الإلهية على مناجاة الحق فيما سأله فيه ، فأجاب الحق سبحانه كذا في « تفسير الفاتحة » للمولى الفناري عليه رحمة الباري .

فاعرف هذا فإنه من الغرائب

واعلم أنّ رسول الله ﷺ **أوّل من يفتح باب الشفاعة ، فيشفع في الخلق ، ثم الانبياء ، ثم الأولياء ، ثم المؤمنون ، وآخر من يشفع** هو أرحم الراحمين ، فإن الرحمن ما شفع عند المنتقم في أهل البلاء إلا بعد شفاعة الشافعين الذين لم تظهر شفاعتهم إلا بعد شفاعة خاتم الرسل إياهم ليشفعوا ، **ومعنى شفاعة الله سبحانه ، هو أنه إذا لم يبق في النار مؤمن شرعيّ أصلاً يخرج الله منها قوماً علموا التوحيد بالأدلة العقلية ولم يشركوا بالله شيئاً ، ولا آمنوا إيماناً شرعياً ، ولم يعملوا خيراً قط ،** من حيث ما تبعوا فيه نبياً من الأنبياء ، فلم يكن عندهم ذرة من إيمان ، فيخرجهم أرحم الراحمين ،

أفاده لي شيخي العلامة إفادة كشفية ، وصادفته أيضاً في تفسير الفاتحة للمولى الفناري ، اللهم اغفر وارحم ، وأنت أرحم الراحمين . انتهى عبارته ٢٧٣ .

والآية الرابعة ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ قال في حاشية « الانتصاف » في تفسير هذه الآية : قال : ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ أما قوم آمنوا إلا أنهم مفرطون . . .إلخ قال أحمد : وإنما كانت هذه الحالة لازمة لو قيل : وانذر به الذين يحشرون ، لأنه لو لا الحال لعمّ الأمر بالإنذار كل أحد ، والمقصود تخصيصه بالبعض وأما وقد قيل ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ فهذا الكلام مستقلٌّ

برأسه ، ومضمونه تخصيص اللإنذار المأمور به بالقوم الخائفين من البعث ، إمَّا لأنهم مقرون به ، وإمَّا لأنهم يحتاطون لأنفسهم ، فيحملهم الخوف على النظر المفضي إلى اليقين دون العتاة المصمّمين على الجحد ، **وليس كل خائف من البعث لا شفيع له ، فإنّ الموحدين أجمعين خائفون ، وهم مشفوع لهم** وإن عنى باللازمة التي لا ينفك ذو الحال عنها كالتي في قوله ﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ فإنما هو حينئذ يبنى على قاعدته في إنكار الشفاعة ، فكل خائف عنده لا شفيع له ، إذ لا يخاف إلا أصحاب الكبائر غير التائبين أو الكفار ، والكل عنده سواء لا شفيع لهم ، وحيث أثبت الشفاعة جعلها خاصة بزيادة الثواب ، فلا ينالها إلا مَنْ يستوجب على زعمه الثواب بعمله الصالح ، وتكون الشفاعة مفيدة للمزيد على ما يرضاه ، فهذا عنده لا يخاف من البعث ، لأنه يستوجب الجنة ، فمن ثم جعل الحال لازمة ، إذ الناس قسمان غير خائف فلا تناوله الآية ، وخائف فذلك إنما خاف لأنه استوجب العقاب ، فلا شفاعة تناله ، وهذه من دقائقه(١) الخفية ، ومكامنه المزوية ، فتفطَّنْ لها ، والله الموفق برحمته . انتهى .

والآية الخامسة قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍ﴾ والآية السادسة قوله تعالى ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗا﴾ ثم تعقب السائل على الآية المذكورة ونظيره قوله تعالى اخباراً عنهم ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ ، قال الرازي : ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله . « سراج » عـ انتهى عبارته رحمه الله وهداه الله إلى أقوم الطريق ،

---

(١) أي من دقائق الزمخشري التي تكلم فيها على الاعتراض .

أقول – وبالله التوفيق– قد علمت بطلان قول من نفى الشفاعة ، وكون نفيها في الأيام الخالية منها جمعاً بين الأدلة ، وكون الأنبياء والأولياء والصالحين يشفعون لأتباعهم وأحبائهم بشرط وجود الإيمان في الشافع والمشفوع ، وعدم نفع شفاعة الأصول للفروع إلا إذا كان مع الفروع إيمان كما يوضحه قوله تعالى ﴿قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ ولأجله أعرضت عن إطالة الكلام بتفسير الآيتين الأخيرتين ، وفسر حافظ السيوطي لقوله تعالى ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗا﴾ أي هو مختص بها ، فلا يملكها أحدٌ إلا بإذنه ، وقال الشيخ سليمان الجمل عليه : جواب : كيف قال ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗا﴾ **مع ما جاء في الأخبار إنّ للأنبياء والعلماء والشهداء والأطفال شفاعات** ، وايضاحه أنه مختص بها لا يملكها أحدٌ ، كما قال ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ وقال ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ ، لكن الذي هو مشروط في الآية شيئان الملك المطلق والعقل ، والشرطان مفقودان . انتهى كرخي عبارته ٦٣٥ ج٣ .

أما آية ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ فقد قال الشيخ ابن دحلان في « الدرر السنية » بعد ذكره بدعات الوهابية (وقالوا : إنهم مثل المشركين الذين قالوا ما نعبد هم إلا . .إلخ) : وقد علمت أن المشركين اعتقدوا ألوهية غير الله تعالى واستحقاقه العبودية ، وأما المؤمنون فلم يعتقد أحد منهم ألوهية غير الله تعالى واستحقاقه العبادة ، فكيف يجعلونهم مثل أولئك المشركين ؟ ! سبحانك هذا بهتان عظيم ، **ومما يعتقده هؤلاء المنكرون للزيارة والتوسل منع طلب الشفاعة** من النبي ﷺ ، ويقولون : إنّ الله تعالى قد قال في كتابه العزيز ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ وقال تعالى ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ فالطالب للشفاعة لا يعلم حصول الاذن للنبي ﷺ في أنه يشفع له ، فكيف يطلب منه الشفاعة ؟ !

ولا يعلم أنه ممن ارتضى ، وكيف يطلب الشفاعة ؟ ! **واحتجاجهم بهذا مردودٌ باطل** بالأحاديث الصحيحة الصريحة في حصول الإذن للنبي ﷺ بالشفاعة للمؤمنين ، وقد صحت الأحاديث بأنه ﷺ يشفع لمن قال بعد الأذان (اللهم رب هذه الدعوة التامة) إلى آخر الدعاء المشهور ، ولمن صلّى على النبي ﷺ يوم الجمعة ، ولمن زار قبره ﷺ ، وجاءت أحاديث كثيرة في أعمال من عملها حلت له الشفاعة ، ولو ذكرناها لطال الكلام ، وجائت أحاديث صريحة في شفاعته لعصاة أمّته ؛ كقوله ﷺ : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي » وذكر كثير من المفسرين في قوله تعالى ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ : **إن كلّ مَنْ مات مؤمناً كان ممن ارتضى ،** فيدخل في شفاعته ﷺ ، فثبت بهذا كله أن الشفاعة ثابتة ، ومأذون[1] للنبي ﷺ فيها لكلّ من مات مؤمناً ، فالطالب للشفاعة كأنه يتوسل إلى الله بالنبي ﷺ أن يحفظ عليه الإيمان إلى أن يتوفاه الله عليه فيدخل في شفاعة النبي ﷺ ويكون من أهلها ، **وهذا كلّه ظاهر ، لا يخفى إلا على من انطمست بَصِيرَتُه والعياذ بالله** . انتهى عبارته ٢٣ .

وفيه في موضع آخر ما حاصله : من سأل الشفاعة فإنه يكون مثل المشركين الذين يدعون مع الله إلهاً آخر ، ويقولون : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ ، فإن المشركين ما اعتقدوا في الأصنام التأثير ، وإنها تخلق شيئاً ، بل كانوا يعتقدون أنَّ الخالق هو الله تعالى بدليل قوله تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فما حكم الله عليهم بالكفر والإشراك إلا لقولهم ﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ فهؤلاء مثلهم . انتهى . **والذي أوقع المشركين فِي الشِّرْكِ وَالكُفْرِ ليس مجرّد قولهم** ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ **كما زعم هذا القائل ، بل اعتقادهم** أنّ غير الله قد يكون إلهاً يستحق العبادة ، وإن كانوا يعتقدون أن الخالق

---

(١) **علّه** : مأذون .

والمؤثر هو الله تعالى ، فلما اعتقدوا ألوهية غير الله واستحقاقه العبادة وأقيمت عليهم الحجة بأنهم لا يملكون ضراً ولا نفعاً ، ولا يخلقون وهم يخلقون ؛ قالوا ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ فاعتقاد الألوهية واستحقاق العبادة هو الذي أوقعهم في الشرك ، ولم ينفعهم اعتقادهم أن الخالق والمؤثر هو الله مع وجود اعتقادهم ألوهية غير الله واستحقاقه العبادة ، وأما المسلمون فإنهم بريؤون من ذلك ؛ إذ لا يعتقدون شيئاً يستحق الألوهية والعبادة غير الله ، فهذا هو الفرق بين الحالين ، وأما هؤلاء الجاهلون المُكَفِّرُونَ لِلْمُسْلِمِينَ فإنهم لما لم يعرفوا الفَرْقَ بين الحالتين ، تخبَّطوا وقالوا : إن التوحيد نوعان ؛ توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوصلوا بذلك إلى تكفير المسلمين ، فتأمّل فيما تقدم من النصوص يتضح لك الحال إن شاء الله تعالى ، وتعلم أنّ ما عليه السواد الأعظم هو الحق الذي لا محيص عنه ،

ومما يعتقده هؤلاء الملحدة المكفرة للمسلمين أنّ قصد الصالحين والاعتقاد فيهم والتبرك بهم شرك أكبر ، وهذا أيضاً باطل ، فإن رسول الله ﷺ أمر صاحبيه عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما أن يقصدا أويس القرني ، ويسألاه الدعاء والاستغفار ، كما في « صحيح مسلم » . انتهى عبارته ٣٠ ، وأما ما قاله الرازي من قوله (ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير مِنَ الْخَلْقِ بتعظيم قبور الأكابر . . إلخ) ، فَلَعَلَّهُ منقول من كتب ابن تيمية أو أتباعه المبتدعة المخالفين لأهل السنة في أكثر المسائل الاتفاقية ، وإلا فلا أعلم المنع من تعظيم قبور الأكابر ، مع أنك عرفت مما ذكرناه قبلُ وجوب احترامهم حياً كانوا أو ميتين ، ومرّت النقول لذلك من الكتب المعتمدة ، حتى جوّز العلماء المحققون تقبيل أعتاب قبور الأولياء إن قصدوا به التبرك ، راجع إلى « مشارق الأنوار » في ١٠٣ و« حاشية السيد عمر » في . . . من هامش « التحفة » ، وعلمت أيضاً كون شفاعة الأنبياء والعلماء والأولياء حقاً

مع تأويلات الآيات السابقة النافية للشفاعة ، فيخالف إجماع جماهر العلماء ، ويخرق ما اتفق عليه السواد الأعظم ، وثبت نقله من كتبهم رحمهم الله . انتهى .

والآية السابعة قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ وكتب بعده : وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله ﷺ أنهم يحبّون الله تعالى ، فأراد أن يجعل لقولهم تصديقاً من عملهم ، فمن ادعى محبّة ، وخالف سنة رسول ﷺ فهو كذاب ، وكتاب الله يكذبه . « سراج » عبارته انتهى . نعم هذا القول منه حق صادق ، لأنّ من أحبّ آخر يحبّ خواصه والمتصلين به من أحبابه ، ويكون نهاية مقصده إتمام حوائجه ، والسعي خلف مرامه ، بيد أنّ المذكور حجة على متمسّكه ، لأنه رحمه الله لا يكون تابعاً برسول الله ﷺ بمجرّد نقل أحاديثه وحفظ أقواله ﷺ الخالي عن العمل ، كما هو دأب الوهابية ، بل لا يتم المتابعة إلا باتباعه ﷺ قولا وعملا وخلقاً وحالا وسيرة وعقيدة ، وإذا تابعه حق المتابعة ناسب باطنه وسره وقلبه باطن النبي ﷺ ، بل مَثَلُ مثله ﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ . انتهى والسلام .

وقال أيضاً نقلاً عن « السراج » : وإذا رأيت[1] من يذكر محبّة الله ويصفق بيد مع ذكره ، ويطرب ، وينعر ، ويصعق ، فلا شك أنه لا يعرف الله ولا يدري ما محبّة الله ، وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته إلا لأنه تصوّر في نفسه الخبيثة صورة مستلمحة معشقة ، فسماها الله بجهله وادعائه وحمق العامة حواليه قد ملئوا أدقانهم بالدموع لما رأوه من حاله . انتهى عبارته .

أقول : والكلام في رقص الصوفية والتصفيق والطرب طويلٌ ، وفيه صنفوا الكتب ودونوها ، وأيّد كلّ واحد منهم ما هم عليه بالدلائل والصرائح ،

---

(١) **أي** مثل من ينقل الأحاديث الخالي عن العمل بها انتهى رحم الله إفلاسه .

فمنهم مَنْ يجوّزونه كالمشائخ القادرية مستدلين بما في « الصحِيحَيْن » « صحيح البخاري » و« صحيح مسلم » « إنه ﷺ وقف لعائشة رضي الله عنها يسترها حتى تنظر إلى الحبشة وهم يلعبون ويزفنون » ، والزفن : الرقص ، وهو مجرّد حركات على استقامة أو اعوجاج ، ويُفهَمُ من هذا الحديث من لعب الحبشة في المسجد ووقوفه ﷺ لعائشة رضي الله عنها لتنظر إلى الحبشة صِحَّتُه . انتهى ، وبما في الحديث إنّ جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه رقص بين يدي النبي ﷺ لما قال له : « أشبهت خلقي وخلقي » ولم ينكر عليه النبي ﷺ . انتهى « فتاوى الخليلي » عبارته . وقال الغزالي رحمه الله في « الإحياء » ما حاصله : إن كان سبب الرقص محموداً فالرقص محمود ، وإن كان مباحاً فالرقص مباح ، وإن كان مذموماً فالرقص مذموم . انتهى .

ومنهم من لا يجوّزونه أصلاً كالمشائخ النقشبندية قدس الله أسرارهم ؛ قال الإمام البركوي في « الطريقة المحمدية » الصنف التاسع في آفات بدن غير مختصة بعضو معيّن مما ذكر ، وهذه كثيرة جدّاً ؛ ومنها الرقص ، وهو : الحركة الموزونة ، والاضطراب ، وهو : غير الموزونة ، فكل لعب غير مستثنى ، ويدخل فيهما ما يفعله بعض الصوفية في زماننا ، بل هو أشد من كل ما عداه منهما ، لأنهم يفعلونه على اعتقاد العبادة ، فيخاف عليهم أمر عظيم ، قال الإمام أبو الوفاء بن عقيل : قد نَصَّ القرآن على النهي عن الرقص ، فقال : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ وذم المختال ، والرقصُ أشدُّ المرح والبطر ؛ وقال الطرطوسي حين سئل عن مذهب الصوفية : أما الرقص والتواجد فأوّل من أحدثه أصحاب السامري لمَّا اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار قاموا يرقصون عليه ويتواجدون ، فهو دين الكفار وعباد العجْلِ ، وقال في « التاتارخانية » : الرقص في السماع لا يجوز .

وفي « الزخيرة » أنه كبيرة . وقال الإمام البزازي رحمه الله في « فتاواه » : قال القرطبي ﷺ : إن هذا الغناء ، وضرب القضيب ، والرقص ، حرام بالإجماع عند مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد رحمه الله في مواضع من كتابه . وسيد الطائفة أحمد النسوي رحمه الله صرَّح بحرمته ،

مهم

ورأيت فتوى جلال الملة والدين الكيلاني رحمه الله أن مستحلَّ هذا الرقص فاسق إلى آخر ما في الكتاب ، ونظيره في كتاب « تنبيه المحام » وفي غيره كثير ، قيل : يرقصون رقص الفجار ، وينعقون مثل الحمار ، ويظنون أنهم على طريق الأبرار ، بل هم أضل من الكفار .

أقول : والسلامة في اتباع السلف ، وحقيقة العلم عند الله ؛ قال تعالى ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ ، ولذلك كتب الفقير جواباً للسؤال لا لأهل الجدال فإن زماننا زمان ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ والعاقبة للمتقين « مجموعة الرسائل » عبارته ١٠٤ . هذا المذكور في جواز الرقص وعدمه قليل من الكثير ، فإن أردت الزيادة راجع كتب القوم خاصة إلى « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » في الباب العشرين . انتهى . ثم ذكر الشيخ العارف الصمداني اسماعيل حقي في « روح البيان » في تفسير الآية المذكورة : نزلت حين دعا رسول الله ﷺ كعب بن الأشراف ومن تابعه إلى الإيمان ، فقالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه ، فقال تعالى لنبيه عليه السلام قل لهم إني رسول الله أدعوكم إليه فإن كنتم تحبّونه ﴿ فَاتَّبِعُونِى ﴾ على دينه وامتثلوا أمري ﴿ يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ ويرض عنكم ، والمحبّة ميل النفس إلى الشيء لكمال أدركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها إليه ، والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله ، وإن كلّ ما يراه كمالاً مِن نفسه أو غيره فهو من الله وبالله بإرادة

الطاعة ، وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول ﷺ في طاعته والحرص على مطاوعته . انتهى . وفيه في تفسير الآية المذكورة بعد ذكره تمام الآية : ودلت الآية على شرف النبي عليه السلام ، فإنه جعل متابعته متابعة حبيبه ، وقارن طاعته بطاعته ، فمن ادعى محبّة الله وخالف سنة نبيّه فهو كذاب بنص كتاب الله تعالى : كما قيل :

تعصي الآله وأنت تظهر حبه هـذا محال في الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته أن المحبّ لمن يحبّ مطيع

وإنما كان من ادعى محبة الله وخالف سنة رسوله كاذباً في دعواه لأنّ من أحبّ آخر يحبّ خواصه والمتصلين به ؛ من عبيده ، وغلمانه ، وبنيه ، وبنيانه ، ومحلّه ، ومكانه ، وجداره ، وكلبه ، وحماره ، وغير ذلك ، فهذا هو قانون العشق ، وقاعدة المحبّة ، وإلى هذا المعنى أشار المجنون العامري حيث قال :

أَمُرُّ علـى الديار ديار ليلى أقبِّل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حبّ الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

قال الإمام القشيري رحمه الله : قطع الله أطماع الكل أن يسلم لأحدهم نفسه إلا ومقتداهم سيد الأولين والآخرين ، وقال القاشاني : محبة النبي عليه الصلاة والسلام إنما تكون بمحبّته وسلوك سبيله قولا وعملا وخلقا وحالاً وسيرة وعقيدة ، ولا تتمشى دعوى المحبة إلا بهذا ، فإنه قطب المحبة ، ومظهرها ، وطريقته ﷺ المحبة ، فمن لم يكن له من طريقته نصيب لم يكن له من المحبة نصيب ، **وإذا تابعه حق المتابعة ناسب باطنه وسره وقلبه ونفسه باطن النبي وسره وقلبه ونفسه** ، وهو مظهر المحبته ، فلزم بهذه المناسبة أن يكون لهذا التابع قسط من محبة الله بقدر نصيبه من المتابعة ، فيلقي الله محبّته عليه ، ويسري من روح

النبي نور تلك المحبّة أيضاً إلى قلبه أسرع ما يكون ؛ إذ لو لا محبّة الله لم يكن محبّا له ، ثم نزل عن هذا المقام لأنه أعز من الكبريت الأحمر ، ودعاهم إلى ما هو أعم من مقام المحبة ، وهو مقام الإرادة فقال أطيعوا الله والرسول إن لم تكونوا محبين ، ولم تستطيعوا متابعة حبيبي ، فلا أقل من أن تكونوا مريدين مطيعين لما أمرتم به ، **فإنّ المريد يلزمه طاعة المراد وامتثال أمره** ، ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ أي إن أعرضوا عن ذلك أيضاً فهم كفار محجوبون . انتهى .

وروى البخاري عن عبد الله بن هشام أنه كان مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر رضي الله عنه ، فقال عمر : يا رسول الله أنت أحبّ إليّ من كل شيء إلا نفسي ، فقال عليه الصلاة والسلام : والذي نفس محمد بِيَدِهِ لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه ، فقال عمر : فإنه الآن والله أنت أحبّ إليّ من نفسي . فقال عليه السلام : الآن يا عمر صار إيمانك كاملاً .

وقال ﷺ « كلّ أمّتي يدخلون الجنة إلا من أبى ، قالوا : ومن يأبى ، قال : مَنْ أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى » . وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال : جائت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم ، فقال بعضهم : إنه نائم . وقال بعضهم : إنّ العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : إن لصاحبكم هذا مثلاً ، فاضربوا له مثلا ، فقالوا : مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة ، وبعث داعيا ، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة ، فقالوا : أولوها له يفقهها ، فقالوا : الدار : الجنة ، والداعي محمد ، فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ، ومن عصى محمدا فقد عصى الله ، ومحمدٌ فرق بين الناس ، فبمتابعة النبي ﷺ تحصل الجنة والقربة والوصلة .

روى أن محمود الفازي دخل على الشيخ الرباني أبي الحسن الخرقاني قدس سره لزيارته ، وجلس ساعة ، ثمّ قال : يا شيخ ما تقول في حق أبي يزيد البسطامي قدس سره ، فقال الشيخ : هو رجل من اتبعه اهتدى واتصل بسعادة لا تخفى . فقال : محمود : فكيف ذلك وأبو جهل رأى رسول الله ﷺ ولم يتخلص من الشقاوة ؟ ! فقال الشيخ في جوابه : إنّ أبا جهل ما رأى رسول الله ، إنما رأى محمد بن عبد الله ، حتى لو كان رأى رسول الله عليه السلام لخرج من الشقاوة ودخل في السعادة ، ثم قال : ومصداق ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ فالنظر بعين الرأس لا يوجد لهذه السعادة ، بل النظر بعين السر والقلب ، والمتابعة التامة تورث ذلك ، **وأمته** ﷺ **من اتبعه ، ولا يتبعه إلا مَنْ أعرض عن الدنيا** ، فإنه عليه السلام ما دعى إلا إلى الله واليوم الآخر ، وما صرف إلا عن الدنيا والحظوظ العاجلة ، فبقدر ما أعرضتَ عنها وأقبلت على الله وصرفت الأوقات لأعمال الآخرة فقد سلكت سبيله الذي يسلكه ، وبقدر ما اتبعته صرت من أمته ، وبقدر ما أقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله وأعرضت عن متابعته ولحقت بالذين قال الله تعالى فيهم ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ ولو خرجت عن مكمن الغرور وأنصفت من نفسك يا رجل - وكلنا ذلك الرجل- لعلمت أنك من حين تمسي إلى حين تصبح لا تسعى إلا في الحظوظ العاجلة ، ولا تتحرك إلا برجل الدنيا الفانية ، ثم تطمع في أن تكون غدا من أمته وأتباعه ، ويحك ما أبعد ظنّنا ، وما أفحش طمعنا ؛ قال الله تعالى ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ انتهى عبارته ٣٢٠ ج ١

ولما كانت هذه الآية المذكورة بعدُ مما يتمسك بها الوهابية لعدم نفع أحدٍ بعمل الغير ونفي الشفاعة أردتُ إيرادها هنا ؛ وهي قوله تعالى ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ قال الشيخ العلامة

سليمان الجمل في « الفتوحات الإلهية » : واستشكل هذا الحصر بالآية السابقة : ﴿ وَأَتْبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ ﴾ . . إلخ . وبالأحاديث الواردة كحديث « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث » إلى قوله « أو ولد صالح يدعو له » وأجيب بأنّ ابن عباس قال : إن هذه الآية منسوخة بتلك ، وتعقب بأنها خبرٌ ولا نسخ في الأخبار ، وبأنها على ظاهرها ، والدعاء من الولد دعاء من الوالد من حيث اكتسابه للولد ، وبأنها مخصوصة بقوم إبراهيم وموسى ، لأنها حكاية لما في صحفهم ، وأما هذه الأمة فلها ما سعت هي وما تسعى لها غيرها **لما صحَّ أن لكل نبي وصالح شفاعة ، وهو انتفاع بعمل الغير** ، ولغير ذلك ، ومن تأمّل النصوص وجد من انتفاع الانسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى ، فلا يجوز أن تؤوّل الآية على خلاف الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، وحينئذ فالظاهر أنّ الآية عامة قد خصصت بأمورٍ كثيرة . انتهى « كرخي » . وفي « الخازن » وفي حديث ابن عباس دليل لمذهب الشافعي ومالك وأحمد وجماهير العلماء أن حج الصبي منعقد صحيح يثاب عليه ، وإن كان لا يجزئه عن حجة الإسلام ، بل يقع تطوّعاً .

وقال أبو حنيفة لا يصح حجه ، وإنما يكون ذلك تمريناً له على العبادة ، وفي الحديثين الآخرين دليل على أنّ الصدقة عن الميت تنفع الميّت ، ويصل ثوابها ، وهو إجماع العلماء ، وكذا أجمعوا على وصول الدعاء ، وقضاء الدين للنصوص الواردة في ذلك ، ويصح الحج عن الميت حجة الإسلام ، وكذا لو أوصى بحج تطوّع على الأصح عند الشافعي ، واختلف العلماء في الصوم إذا مات وعليه صوم ، فالراجح جوازه عنه للأحاديث الصحيحة فيه ، والمشهور من مذهب الشافعي أنّ قرائة القرآن لا يصل للميت ثوابها ، وقال جماعة من أصحابه : يصل ثوابها . وبه قال أحمد بن حنبل .

وأما الصلوات وسائر التطوّعات فلا تصله عند الشافعي والجمهور ، وقال أحمد يصله ثواب الجميع . والله أعلم وقيل : أراد بالإنسان الكافر ؛ والمعنى : ليس له من الخير إلا لما عمل هو ، فيثاب عليه في الدنيا بان يوسع عليه في زرقه ويعافى في بدنه ، حتى لا يبقى له في الآخرة خير ، وقيل : إن قوله ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ هو من باب العدل ، وأما من باب الفضل فجائز أن يزيده الله ما يشاء من فضله وكرمه . انتهى . وفي « الخطيب » وقال ابن عباس : هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة ؛ أي : وإنما هو في صحف موسى وابراهيم عليهما الصلاة والسلام بقوله ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ فأدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء ، وقال عكرمة : إن ذلك لقوم موسى وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام ، وأما هذه الأمّة فلهم ما سعوا ، وما سعى لهم غيرهم ؛ لما روي أن امرأة رفعت صبيّاً لها قالت : يا رسول الله ألهذا حج ؟ فقال : نعم ، ولك أجر ، وقال رجل للنبي ﷺ : إنّ أمّي قتلت نفسها ، فهل لها أجر إن تصدّقت عنها ؟ قال : نعم .

مهم

قال الشيخ تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية : من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد خرق الإجماع ، وذلك باطل من وجوه كثيرة ؛

أحدها : أن الإنسان ينتفع بدعاء غيره ، وهو انتفاع بعمل الغير .

ثانيها : أنّ النبي ﷺ يشفع لأهل الموقف في الحساب ، ثم لأهل الجنة في دخولها ،

ثالثها : لأهل الكبائر في الخروج من النار ، وهذا انتفاع بسعي الغير

رابعها : أن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الأرض ، وذلك منفعة بعمل الغير

خامسها : أنّ الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيراً قط بمحض رحمته ، وهذا انتفاع بغير عملهم .

سادسها : إنّ أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم ، وذلك انتفاع بمحض عمل الغير .

سابعها : قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ فانتفعا بصلاح أبيهما ، وليس من سعيهما .

ثامنها : أن الميت ينتفع بالصدقة عنه ، وبالعتق بنص السنة والإجماع ، وهو من عمل الغير ،

تاسعها : أن الحج المفروض يسقط عن الميت بحجّ وليه بنصّ السنة ، وهو انتفاع بعمل الغير

عاشرها : أن الحج المنذور أو الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة ، وهو انتفاع بعمل الغير

حادي عشرها : المدين قد امتنع ﷺ من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة ، وقضى دين الآخر علي بن أبي طالب ، وانتفع بصلاة النبي ﷺ ، وهو من عمل الغير

ثاني عشرها : أن النبي ﷺ قال لمن صلّى وحده « ألا رجل يتصدّق على هذا فيصلّى معه » ؟ ! فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير .

ثالث عشرها : أنّ الإنسان تبرأ ذمّته من ديون الخلق إذا قضاها عنه ، وذلك انتفاع بعمل الغير ،

رابع عشرها : أنّ مَنْ عليه تبعات ومظالم إذا حلل منها سقطت عنه ، وهذا انتفاع بعمل الغير .

خامس عشرها : أنّ الجار الصالح ينفع في المحيا والممات كما جاء في الأثر ، وهذا انتفاع بعمل الغير .

سادس عشرها : أن جليس أهل الذكر يرحم بهم ، وهو لم يكن منهم ولم يجلس لذلك ، بل لحاجة عرضت له ، والأعمال بالنيات فقد انتفع بعمل غيره .

سابع عشرها : الصلاة على الميت والدعاء له في الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحي عليه ، وهو عمل غيره .

ثامن عشرها : أنّ الجمعة تحصل باجتماع العدد ، وكذلك الجماعة بكثرة العدد ، وهو انتفاع للبعض بالبعض .

تاسع عشرها : أنّ الله تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ قد رفع الله العذاب عن بعض الناس بسبب بعض ، وذلك انتفاع بعمل الغير .

عشرونها : أنّ صدقة الفطر تجب على الصغير وغيره ممن يمونه الرجل ، فإنه ينتفع بذلك من يخرج عنه ولا سعي له فيها .

حادي عشرونها : أنّ الزكاة تجب في مال الصبيّ والمجنون ، ويثاب على ذلك ، ولا سعي له ، ومَنْ تأمّل العلم وجد من انتفاع الإنسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى ، فكيف يجوز أن نتأوّل الآية الكريمة على خلاف صريح الكتاب والسنة وإجماع الأمة ؟ ! انتهى عبارته في ٢٤٦ من الجزء الرابع .

ثم لمّا فرغت من تفسير الآيات القرآنية في بيان معانيها وفق ما كان عليه أهل السنة والجماعة خلاف ما توهم بعض المعتزلة وتابعوهم من الطائفة الوهابية أردت إيراد الأحاديث الواردة في حقها كيلا يبقى فيك بعده ميل ما إلى مذهب أهل الاعتزال ، وإلى ما ذهب إليه الوهابية ؛ قال الشيخ الفاضل حسن العدوي الحمزاوي في « مشارق الأنوار » : الفصل السادس في الشفاعة العظمى ، وعدد شفاعاته ﷺ ، وبيان من يشفع من

الأخيار ، اعلم أنّ أول شفاعاته ﷺ الشفاعة لأهل الموقف في الانصراف ، وهي الشفاعة العظمى ، ففي حديث ابي سعيد الخدري أخرج الترمذي وحسنه ، وابن مرديه عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر ، فيفزع الناس ثلث فزعات ، فيأتون أدم فيقولون : أنت أبونا فاشفع لنا إلى ربك ، فيقول : إني أذنبت ذنباً اهبطت منه إلى الأرض ، ولكن ائتوا نوحا ، فيأتون نوحا ، فيقول : إني دعوت على أهل الأرض دعوة فأهلكوا ، ولكن اذهبوا إلى ابراهيم ، فيأتون إبراهيم ، فيقول : إني كذبت ثلاث كذبات ، ثم قال رسول الله ﷺ : ما منها كذبة إلا ما حل بها عن دين الله ، ولكن ائتوا موسى ، فيقول : إني قتلت نفساً ، ولكن ائتوا عيسى ، فيقول : إنّي عبدت من دون الله ، ولكن ائتوا محمداً ﷺ ، فيأتوني ، فأنطلق معهم ، فآخذ بحلقة باب الجنة فاقرعها ، فيقول : من هذا ؟ فأقول : محمد فيفتحون له ، فيقولون : مرحباً مرحباً فأخرّ ساجداً ، فيلهمني الله من الثناء والحمد والمجد ، فيقال : ارفع رأسك ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، وقل يسمع لقولك » فهو المقام المحمود الذي قال الله تعالى ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾ وقال القرطبي قوله « فيفزع الناس ثلث فزعات » إنما ذلك والله أعلم حين يؤتى بالنار تُجَرُّ بأزمتها ، فإذا رأت الخلائق فارت وشهقت » . انتهى .

قال الحافظ في « البدور » وذكر الغزالي في « كشف علوم الآخرة » أن بين إتيان أهل الموقف آدم واتيانهم نوحا ألف سنة ، وكذا بين كل نبي ، قال الحافظ ابن حجر في « شرح البخاري » : ولم أقف لذلك على أصل ، قال : وقد أكثر في هذا الكتاب من ايراد أحاديث لا أصول لها ، فلا تغترَّ بشيء منها ، وفي « المواهب اللدنية » عن الإمام البخاري من حديث ابن عمر قال : سئل رسول الله ﷺ عن المقام المحمود فقال : هو الشفاعة وفي

« البخاري » أيضاً عن ابن عمر أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثّاً ، كل أمة تتبع نبيها يقولون : يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة إلي ، » فذلك المقام المحمود ، قال الإمام الزرقاني (جثّاً) بضم الجيم وفتح المثلثة المخففة منوناً مقصوراً قال الحافظ : جمع جثوة كخطوة وخطا ، ويروى أيضاً بكسر المثلثة وشد التحية[١] جمع جاث ، وهو الذي يجلس على ركبتيه ، والمراد هنا أنهم يصيرون طوائف متميزاً بعضها عن بعضها ، كل طائفة تتبع نبيها ، قال الإمام ابن الجوزي : الأكثر على أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة العظمى ، وادعى الإمام فخر الدين الاتفاق عليه ، وهناك أقوال آخر ؛ قيل : هو إجلاسه عليه الصلاة والسلام على العرش ، وقيل إجلاسه على الكرسي ، وقال الإمام الطبراني : روي عن حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد ، فلا تتكلم نفس ، فأوّل مدعوّ محمد ﷺ فيقول : « لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ والخير في يديك والشر ليس إليك ، والمهتدي مَنْ هديت ، وعبدك بين يديك ، وبك ، وإليك ، ولا ملجأ منك إلا إليك ، تباركت وتعاليت سبحانك ربّ البيت » قال وهذا هو المراد من قوله تعالى ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ .

قال الإمام الزرقاني : فهذا الدعاء هو المقام المحمود على هذا القول .

قال الحافظ في « الفتح » ولا منافاة بين هذا وبين حديث ابن عمر المتقدم من أن المقام المحمود هو نفس الشفاعة ، وذلك لأنّ الكلام كان مقدّمة للشفاعة ، قال الإمام القسطلاني في « المواهب » : فإن قلت : إذا قلنا بالمشهور أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة ، فأيّ شفاعة هي ؟ فالجواب : أنّ الشفاعة التي وردت في الأحاديث في المقام المحمود نوعان ؛ الأوّل العامة في فصل القضاء ، والثاني : الشفاعة في إخراج المذنبين من النار ، لكن الذي يتجه رد هذه الأقوال كلها إلى الشفاعة العظمى العامة ، فإن اعطاءه ﷺ لواء الحمد وثناءه على ربه وكلامه بين

---

(١) **عله** : التحتية .

يديه وجلوسه على كرسيه كل ذلك صفات للمقام المحمود الذي يشفع فيه ليقضى بين الخلق ، وأمّا شفاعته ﷺ في إخراج المذنبين من النار فمن توابع ذلك ، وقد أنكرت بعض المعتزلة والخوارج الشفاعة في إخراج من أدخل من المذنبين ، وتمسكوا بظاهر قوله تعالى ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ وبقوله تعالى ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ . إلخ . مرّ جوابه ، فراجعه . انتهى عبارته۲٥۷ . وفي « مختصر تذكرة القرطبي » للإمام الشعراني : روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أما أهل النار الذين هم أهلها ، فإنهم لا يموتون فيها ، ولا يحيون ، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم ، أو قال : بخطاياهم ، فأماتهم الله حتى إذا كانوا فحماً أذن لهم في الشفاعة ، فجيءَ بهم ضبائر ضبائر ، فبثوا على أنهار الجنة ، فقيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم من الماء ، فينبتون نبات الحبة في حميل السيل ، فقال رجل من القوم : كأن رسول الله ﷺ قد كان يرعى بالبادية ، قال العلماء رحمهم الله : وهذه الموتة موتة حقيقية للعصاة من الموحدين حتى لا يحسوا بألم العذاب بعد الاحتراق إكراماً لنبيّهم ﷺ بخلاف الكفار ، فإنهم لا يموتون في النار ولا يحيون ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ نسأل الله العافية .

باب ترتيب الشفعاء

وفيمن يشفع لهم قبل دخول النار من أجل أعمالهم الصالحة ، والشافع في هؤلاء هم الصالحون وأهل المعروف روي أن رسول الله ﷺ قال : « **تصفد أهل النار فيقرفون ، فيمرّ بهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم : يا فلان أما تذكر رجلا سقاك شربة ماء يوم كذا وكذا؛ فيقول : إنك أنت هو؟ فيقول : نعم ! قال : فيشفع ، ويقول الرجل منهم : يا فلان ! لرجل من أهل الجنة أما تذكر رجلا وهب لك وضوء يوم كذا وكذا ؟ فيقول : نعم ! فيشفع له فيُشفَّع** . انتهى وخرجه ابن ماجه في « سننه » بمعناه .

وروى ابن ماجه عن عثمان ابن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يشفع يوم القيامة ثلاثة ؛ الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء ، وكان عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه يقول : يشفع نبيكم محمد ﷺ رابع أربعة ؛ جبريل ، ثم ابراهيم ، ثم موسى ، أو عيسى ، ثم نبيكم ﷺ ثم الملائكة ، ثم النبيّون ، ثم الصديقون ، ثم الشهداء ، ويبقى قوم في جهنّم ، فيقال لهم ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ إلى قوله ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : فهؤلاء هم الذي يبقون في جهنم . وروى الترمذي أنّ رسول الله ﷺ قال : « ليدخلنّ الجنة بشفاعة رجل من أمّتي أكثر من بني تميم ، قالوا : يا رسول الله سواك ؟ قال : سواي ، » وفي رواية البيهقي : « يدخل بشفاعة رجل من أمتي الجنة مثل أحد الحيين ربيعة ومضر ، قال رجل : يا رسول الله ما ربيعة من مضر ؟ قال : إنما أقول ما أقول ،

من أمتي من يشفع للقوم

وروى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال « إنّ من أمّتي من يشفع للقوم ، ومنهم من يشفع للعصبة ، ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخل الجنة » وفي رواية للبزار أن رسول الله ﷺ قال « إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة » وذكر القاضي عياض عن كعب رضي الله عنه أنه قال « لكل رجل من الصحابة رضي الله عنهم شفاعة » وروى عن عبد الرحمن بن زيد بن جابر أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال : « يكون من أمتي رجل يقال له صلة بن أشيم يدخل بشفاعته كذا وكذا » . انتهى . قلت : ولعل صلة هذا هو أحد الأربعة الذين كان الخليفة عيَّنهم للقضاء ، وقيل له : إن فاتك هؤلاء الأربعة فما بقي أحد يصلح للقضاء ، وكان من أكابر صالحي العلماء وهم أبو حنيفة ، وسفيان ، وصلة بن أشيم ، وشريك ، فلما بلغ ذلك

الإمام أبا حنيفة ﵁ أنا أخَمِّنُ لكم تخمينا أما أنا فأحبس ولا أبالي ، وأما سفيان فيهرب ، وأما شريك فيقع ، وأما صلة فيتحامق ويتخلّص ، وكان من تحامقه ﵁ أنه لما دخل على الخليفة لم يسلم عليه ، وقال له : إيش طبخت اليوم ، وكم لك من الحمار ؟ فقال له الخليفة : أخرجوه ! هذا لا يصلح للقضاء . انتهى والله أعلم ، فنسأل الله من فضله وإحسانه أن يلهم أحداً من الشافعين في ذلك اليوم أن يشفع فينا أنه غفور رحيم .

باب في الشافعين ، وذكر الجهنميين

الصيام والقرآن يشفعان

روى ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال : « إن الصيام والقرآن يشفعان للعبد ، يقول الصيام : رب منعته النوم والشراب بالنهار ، فشفِّعْني فيه ، ويقول القرآن : يا رب أسهرتُه ليلا فشفِّعْني فيه فيشفعان » . وروى ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال « إنّ المؤمنين الذين لم يدخلوا النار يشفعون في إخوانهم الذين دخلوا النار ، فيقولون : ربنا إخواننا الذين كانوا معنا في دار الدنيا يصومون معنا ، ويصلّون معنا ، ويحجون معنا ؟ ؟ فيقال لهم : أخرجوا من عرفتهم ! فتحرم صورهم على النار ، فيخرجون خلقا كثيراً ، منهم من أخذته النار إلى ساقه ، ومنهم من أخذته إلى ركبتيه ، فيقولون : ربنا لم يبق فيها أحدٌ ممن أمرتنا بإخراجه ، فيقول لهم : ارجعوا ! فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه ! فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً ، ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه ! فيخرجون خلقاً كثيراً . وفي رواية : « مثقال حبة من خردل فأخرجوه » الحديث . فيقول الله عزّ وجلّ : شفعت الملائكة ، وشفع النبيّون ، وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فَيَقْبِضُ قبضة من نار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط ، قد عادوا حمماً ، فيلقيهم في نهر

على باب الجنة يقال له نهر الحياة ، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ، » وفي رواية « فيخرجون كاللؤلؤ ، في رقابهم الخواتيم ، تعرفهم أهل الجنة ، ويقولون : هؤلاء الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ، ولا خير قدموه ، ثم يقول لهم : ادخلوا الجنة ، فما رأيتموه فهو لكم ، فيقولون : ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين ، فيقول : لكم عندي أفضل من هذا ، فيقولون : ربنا وأيّ شيء أفضل من هذا ؟ فيقول : رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبداً .

وفي الحديث « إنّ الله تعالى قال : وعزتي وجلالي لأخرجن يعني : من النار من قال (لا إله إلا الله) مرة في عمره ، ومات على ذلك » ، وروى الترمذي وصححه غيره أن رسول الله ﷺ قال « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » زاد في رواية لأبي داود الطيالسي « فمن لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة ؟ » وفي رواية « إنما تكون شفاعتي للمذنبين الخاطئين الملوثين » وفي رواية « نعم أنا لشرار أمتي ، قالوا : فكيف أنت لخيارهم يا رسول الله ؟ فقال : خيارهم يدخلون الجنة بأعمالهم ، وأما أشرارهم فيدخلون الجنة بشفاعتي » . انتهى . فنسأل الله تعالى من فضله أن يميتنا على التوحيد بمنه وكرمه . آمين . انتهى عبارته .٦٦ .

وفي « شرح المفروض » قبيل كتاب بيان أحكام الطهارة : وإن شفاعات الأخيار حقٌّ ؛ من الملائكة ، والصحابة ، والشهداء ، والأولياء ، وعاملي العلماء ، وسائر الصلحاء . وفي هذا حثّ النبي ﷺ بقوله « أكثروا من الإخوان ، فإنّ لكل واحد منهم شفاعة يوم القيامة » ومن ذلك ما في « الزواجر » عن الشيخين واللفظ لمسلم : « إذا خلص المؤمنون من النار فو الذي نفسي بيده ما من أحد منكم أشدّ مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله تعالى لإخوانهم الذين في النار » وفي رواية لهما « فما أنتم أشدّ منا في الحق ، قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ الجبار إذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم فيقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ،

ويصلون ، ويحجون ، فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار ، فيخرجون خلقاً كثيراً » إلى آخر الحديث . انتهى عبارته وفي « مختصر تذكرة القرطبي » للإمام الشعراني روى مسلم عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ وفيه بعد قوله (ومنهم المجازي) يعني : بعمله حتى ينجو حتى إذا فرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ، فمن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يقول (لا إله إلا الله) فيعرفونهم في النار بآثار السجود ، تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود ، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار ، قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة ، فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل السيل . الحديث .

وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال « إن قوماً يخرجون من النار يحترقون فيها إلا دارات وجوههم حتى يدخلوا الجنة . وفي هذا الحديث دليل على أنّ أهل الكبائر من الموحدين لا يسود لهم وجه ، ولا تزرق لهم عين ، ولا يغلّون بخلاف الكفار ، ويؤيده حديث الحكيم الترمذي عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال : « إنما الشفاعة لمن عمل الكبائر من أمّتي ثم ماتوا عليها ، فهم في الباب الأول من جهنم ، لا تسود وجوههم ، ولا تزرق أعينهم ، ولا يغلون بالأغلال ، ولا يقرنون بالشياطين ، ولا يضربون بالمقامع ، ولا يطرحون في الادراك ، منهم من يمكث فيها ساعة ثم يخرج ، ومنهم من يمكث فيها يوماً ثم يخرج ، ومنهم من يمكث فيها شهراً ثم يخرج ، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج ، وأطولهم فيها مكثاً من يمكث مثل الدنيا منذ خلقت إلى يوم أفنيت ، وذلك سبعة آلاف سنة » الحديث .

وذكر الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في كتابه « كشف علوم الآخرة » إنه يؤتى بأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ شيوخاً وعجائز وكهولا ونساء وشبابا ، فإذا نظر إليهم مالك خازن النار قال : من أنتم معاشر

الاشقياء؟ فإني أرى أيديكم لم تغل ، ولم توضع عليكم الأغلال ، والسلاسل ، ولم تسود وجوههم ، وما ورد عليّ أحسن منكم ، فيقولون : يا مالك نحن اشقياء أمة محمد ﷺ ، دعنا نبكي على ذنوبنا ، فيقول : لهم ابكوا ، فلن ينفعكم البكاء ، فكم من شيخ وضع يده على لحيته ويقول : وا شيبتاه ! وا طول حسرتاه ! وا طول مقاماه ! وا ضعف قوتاه ! وكم من كهل ينادي : وا مصيبتاه ! وا طول مقاماه ! وكم من شاب ينادي وا أسفاه ! وا شباباه على تغير حسناه ! وكم من امرأة قد قبضت على ناصيتها وشعرها وهي تنادي : وا سوأتاه ! وا هتك ستراه ! فيبكون ألف عام ، فإذا النداء من قبل الله تعالى : يا مالك أدخلهم النار الباب الأوّل منها ! فإذا همَّت النار أن تأخذهم يقولون : بأجمعهم (لا إله إلا الله) فتفرّ النار عنهم خمسمائة عام ، ثم يأخذون في البكاء ، فتشتدُّ أصواتهم ، وإذاً النداء من قبل الله تعالى : يا نار خذيهم ! يا مالك أدخلهم الباب الأوّل من النار ! فعند ذلك يسمع صلصلة كالرعد القاصف ، فإذا همّت النار أن تحرق القلوب زجرها مالك ، وجعل يقول : **لا تحرقي قلبا فيه القرآن ، وكان وعاء للإيمان** ، فإذا بالزبانية قد جاءوا بالحميم ليصبّوه في بطونهم ، فيزجرهم مالك فيقول : لا تدخلوا الحميم بطونا أخمصها رمضان ، ولا تحرق النار جباها سجدت لله تبارك وتعالى ، فيعودون فيها حمماً كالفاسق المحلولك أي : الأسود ، والإيمان يتلألأ في قلوبهم ، فنسأل الله تعالى من فضله أن لا يسلبنا التوحيد والإيمان إنه كريم منان آمين . انتهى عبارته في ٦٧ .

وفيه بعيد هذا وروى البخاري والترمذي وغيرهما أنّ رسول الله ﷺ قال ، « والذي نفسي بيده الله أرحم بعبيده من الوالدة الشفيقة بولدها » . انتهى عبارته٦٧ . وفيه أيضاً بعيد المذكور روى الشيخان وغيرهما أن رسول ﷺ قال : « حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات » . عبارته .

وفيه أيضاً بعيده قال العلماء : والمكاره كل ما يشق على النفس ويلائمها ، وتدعو إليه ويوافقها كترك الطهارة عند النوم في البرد ، وترك قيام الليل ، وترك التورع في المأكل والمنطق ، ونحو ذلك ، وأصل الحفاف هو الدائر بالشيء المحيط به الذي لا يتوصل إليه إلاّ بعد أن يتخطى ، وقد مثَّل النبي ﷺ المكاره والشهوات المحيطة بالجنة والنار .

قلت : **أجمع القوم على أنه لا بد لمن يريد ترك الشهوات وارتكاب الشدائد من السلوك على يد شيخ صادق يلطف كثافته ، ويرقق حجابه** حتى يشهد الجنة والنار كأنهما رأي عين ، وإلا فصاحب الحجاب لا يقدر على ترك الشهوات ولا ارتكاب المكروهات ، والله تعالى أعلم . انتهى عبارته ٦٨٠ ، قال اللقاني في « جوهرة التوحيد » :

وواجب شفاعة المشفَّع ... محمد مقدما لا تمنع

وغيره من مرتضى الأخيار ... يشفع كما قد جاء في الأخبار

قال الشيخ إبراهيم البيجوري عليه (قوله : لا تمنع) أي : لا تعتقد امتناع شفاعته ﷺ في أهل الكبائر وغيرهم ، لا قبل دخولهم النار ولا بعده ، وقصد المصنف بذلك الرد على المعتزلة ومن وافقهم في إنكارهم شفاعته ﷺ فيمن استحق النار أن لا يدخلها ، وفيمن دخلها أن يخرج منها ، وأما الشفاعة العظمى فلا ينكرونها ، وكذا الشفاعة في زيادة الدرجات ، وحديث « لا تنال شفاعتي لأهل الكبائر » موضوع باتفاق ، وبتقدير صحته محمول على من ارتد منهم ، قوله (وغيره من مرتضى الأخيار يشفع) بسكون العين للوزن أي : وغيره ﷺ ، **فمن ارتضاه من الأخيار كالأنبياء والمرسلين والملائكة والصحابة والشهداء والعلماء العاملين والأولياء يشفع في أرباب الكبائر على قدر مقامه عند الله تعالى** ، وشفاعة الملائكة على الترتيب ؛ فأولهم في الشفاعة جبريل ، وآخرهم فيها التسعة عشر التي على النار ، وقوله (كما قد جاء في الأخبار) أي : للنص الذي قد جاء في الأخبار الدالة على ذلك كما أجمع عليه أهل السنة والجماعة . انتهى عبارته ١٠١ .

وفي « مشارق الأنوار » والشفاعة وإن كانت واجبة شرعاً إلا أن لها دليلاً عقليا أيضاً ؛ لأنه من الجائز غفرانُ غير الكفر ، لأنه يجوز عقلاً وسمعاً عليه تفضلاً منه واحساناً غفران غير الكفر . كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ ولو في جميع كافة المسلمين ، وتخلف الوعيد لا يعدّ نقصاً ، بل من تمام الكفر ، وهذا هو التحقيق عند الاشاعرة ، وأما قول اللقاني

(وواجب تعذيب بعض ارتكب كبيرة ثم الخلود مجتنب)

فهو على طريق الماتردية من وجوب تحقيق الوعيد ، ولو في واحد من كل نوع ، فهي مرجوحة ، والصحيح أن تخلفه لا يعد نقصا ، بخلاف تخلف الوعد ، فلا يجوز ، بل يجب الوفاء به شرعاً ؛ بمعنى أنه ألزم نفسه ذلك تفضلاً منه ، لا بايجاب عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ .

وأخرج البيهقي عن ابن مسعود قال « يشفع نبيكم رابع أربعة ؛ جبريل ، ثم موسى ، أو عيسى ، ثم نبيكم ، لا يشفع أحد في أكثر مما يشفع فيه نبيكم ، ثم الملائكة ، ثم الصديقون ، ثم الشهداء ، وأخرج الترمذي والحاكم وصححه البيهقي عن عبد الله بن أبي الجدعا قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم ، قالوا : سواك يا رسول الله ؟ قال : سواي ، قال الغرباني : يقال إنه عثمان رضي الله عنه ، وفي رواية : أكثر من ربيعة ومضر ، وقال بعض شراح « الجامع الصغير » قيل : إنه أويس القرني . انتهى . وأويس القرني من ضمن الذين انتهى إليهم الزهد في التابعين ؛ قال البكريّ : قد انتهى الزهد في التابعين إلى ثمانية ، قال : واشتهر أنّ من ذكرهم على داء ، وكتب أسمائهم ، وعلقها على ذي علة ، يبرأ باذن الله ونظمها بعضهم :

ثمانية في التابعين قد انتهى إليهم جميع الزهد فافهم ترشد

هم الحسن البصري ومعروف عامر أبـو مـسـلـم ثـم الـربـيـع واسود
اويـس بـن حـبان[1] إذا ما ذكرتهم عـلـى عـلـة تـبـرأ وذكـرك يحمد

وذكر الإمام الشيباني في « حاشية الشفا » **أن من ذكرهم عند نومه حشر معهم ، ومن ذكرهم على وجع به شفاه الله** . انتهى . وأخرج البيهقي عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : يقال للرجل : يا فلان فاشفع ، فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة ، ولأهل البيت ، والرجل والرجلين على قدر عمله ، وأخرج أبو يعلى والطبراني عن أنس أن النبي ﷺ قال : يُعْرَضُ عليّ أهل النار يوم القيامة صفوفاً تمرُّ بهم المؤمنون ، فيرى الرجل من أهل النار الرجل من المؤمنين قد عرفه في الدنيا ، فيقول : يا فلان !

أما تذكر يوم بعثتني لحاجة كذا وكذا ؟ فيذكر ذلك المؤمن ، فيعرفه ، فيشفع له عند ربه ، فيشفعه فيه ، ورواية البيهقي زاد بلفظ « أما تذكر يوم صنعت إليك في الدنيا معروفاً » وأخرجه ابن ماجه بلفظ « يصف يوم القيامة صفوف ، ثم يمرُّ أهل الجنة فيمر الرجل على الرجل ، فيقول : يا فلان أما تذكر يوم ناولتك طهوراً ؟ فيشفع له ، ويمر الرجل على الرجل فيقول : أما تذكر يوم بعثتني لحاجة كذا وكذا فذهبت لك ؟ فيشفع له ، وأخرج ابن عاصم وأبو نعم عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ قال : يوفيهم أجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له من الناس فيمن صنع إليهم المعروف .

وأخرج البزار عن أبي موسى أن النبي ﷺ قال : « الحاج يشفع في أربعمائة من أهل بيته . »

---

(١) **قوله :** ابن حبان بحذف حرف العطف أي : وهرم ابن حبان ثم الذي رأيته في النسخ الصحيحة ابن حيان بالياء بدل الباء وصفا لهرم التابعي وأما ابن حبان فلعله عالم آخر غير هذا والله أعلم ، تبرّع الكاتب الطوخي .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » بسند مقارب عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « المرابط إذا مات في رباطه كتب له أجر عمله إلى يوم القيامة وعزى وربح عليه برزقه ، ويزوج بسبعين حوراء ، وقيل له ، قف اشفع إلى أن يفرغ الحساب . وأخرج الترمذي وابن ماجه عن علي قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ القرآن فاستظهره ، وأحل حلاله وحرّم حرامه أدخل الله به الجنة ، وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم وجبت لهم النار » وأخرج إسحاق بن راهويه في مسنده عن أم حبيبة قالت : كنا في بيت عائشة فدخل رسول الله ﷺ قال : ما من مسلمين يموت لهم ثلاثة من الولد أطفالاً لم يبلغوا الحنث إلاّ جيء بهم حتى يقفوا على باب الجنة ، فيقال لهم : ادخلوا الجنة ! فيقولون : أندخل ولم يدخل أبونا ؟ فيقال في الثانية أو الثالثة : ادخلوا الجنة وآباؤكم ، فذلك قوله تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ قال : نفعت الآباء شفاعة أبنائهم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأزواجه وذرياته وآل بيته كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ، وسلم وشرف وكرم وعظم . انتهى عبارته٢٦٤ . وفيه أيضاً بعيد هذا وذكر الشعراني في كتاب « الميزان » عند صورة الميزان واحتياط الأئمة الأربعة به كل واحد في جهة من جهات الأربعة ، وأتباعه خلفه ، قال : وقد ذكرنا في كتاب « الأجوبة عن أئمة الفقهاء والصفاء » **أن أئمة الفقهاء والصوفية كلهم يشفعون في مقلّديهم ، ويلاحظونهم عند طلوع روحهم ، وعند سؤال منكر ونكير لهم وعند النشر والحشر والحساب والميزان والصراط** ، فلا يغفلون عنهم في موقف من المواقف ، ولما مات شيخنا شيخ الإسلام الشيخ ناصر الدين اللقاني رآه بعض الصالحين في المنام ، فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : لما أجلسني الملكان في القبر يسألاني أتاني الإمام مالك فقال : مثل هذا يحتاج إلى سؤال في إيمانه بالله ورسوله ، تنحيا عنه ، فتنحيا عني ، وإذا كان مشائخ الصوفية يلاحظون مريديهم في جميع الأحوال والشدائد في الدنيا والآخرة فكيف بأئمة المذاهب الذين هم أوتاد الأرض وأركان الدين وأمناء الشارع على أمته رضي الله عنهم أجمعين .

فطب نفسا يا أخي ، وقرَّ عينا بتقليد كل إمام شئت منهم ، والحمد لله رب العالمين . انتهى عبارته٢٦٥ . قال البيجوري على قول اللقاني (فكل خير في اتباع من سلف) والمراد بمن سلف من تقدم من الأنبياء والصحابة والتابعين وتابعيهم ، خصوصاً الأئمة الأربعة المجتهدون الذين انعقد الإجماع على امتناع الخروج عن مذاهبهم في الإفتاء والحكم . عبارته ١١٤ .

الباب الثامن

في جواز التوسل بالنبي ﷺ والأولياء والصالحين

قال صاحب « نور الانصاف » فيه : وقد أطبق المسلمون من عهده عليه الصلاة والسلام على التوسل به والالتجاء في المهمات إليه صلوات الله عليه . انتهى . وفيه بعيد ذلك ومن الأخبار التي جاءت بالتوسل بالجناب النبوي عليه الصلاة والسلام حال حياته في الدنيا ما رواه جماعة ؛ منهم النسائي والترمذي في « الدعوات » والبيهقي عن عثمان بن حنيف « أن رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ فقال : ادع الله أن يعافيني ، قال إن شئت دعوت ، وإن شئت صبرت ، فهو خير لك ، قال : فادع ، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوئه ويدعو بهذا الدعاء ؛ اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيّك محمد ﷺ نبي الرحمة ، يا محمّد إني توجهت بك إلى ربّي في حاجتي لتقضى لي ، اللهم شفِّعه فيّ . فقام وقد أبصر . وقد توسل ﷺ بنفسه الطاهرة وبإخوانه الذين من قبله عليهم الصلاة والسلام ، وذلك فيما أخرجه الطبراني في « الكبير » و« الأوسط » عن أنس بن مالك ﵁ قال : لما ماتت فاطمة بنت أسد دخل عليها رسول الله ﷺ ، فجلس عند رأسها ، فقال : « رحمك الله يا أمي بعد أمي » وذكر ثناءه عليها ، وتكفنها ببرده ، قال : ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاما أسود يحفرون ، فحفروا قبرها ، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده ، وأخرج ترابه بيده ، فلما فرغ دخل

رسول الله ﷺ فاضطجع فيه ، ثم قال : « الله الذي يحي ويميت وهو حيّ لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ووسِّع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبله فإنك أنت أرحم الراحمين » وكبَّر عليها أربعا ، وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم .

أقول : فإذا توسل هو ﷺ بنفسه الطاهرة وبإخوانه الأنبياء الذين من قبله فكيف تمنع أمته من التوسل به ، وبإخوانه النبيين والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ؟ ! وأما التوسل به ﷺ بعد وفاته ؛ فقد سبق لك خبر الأعرابي الذي حثا على رأسه من تراب قبره ﷺ ، وخاطبه من قبره الكريم قائلاً : إنه غفر لك . وذلك بمشهد من الصحابة الكرام ، وقد رويت هذه القصة الشريفة بمحاضر أعيانهم وأكابر تابعيهم ، فما أنكرها منهم أحد ، مع أنهم أهل الحق ، ولا ينحرفون مقدار شعرة عن الصدق .

وروى الطبراني عن عثمان بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان رضي الله عنه في حاجة له ، فكان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته ، فلقي ابن حنيف ، فشكى إليه ذلك فقال له : ائت الميضاة فتوضأ ، ثم ائت المسجد فصل ركعتين ، ثم قل : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ نبي الرحمة ، يا محمد ! إني أتوجه بك إلى ربك لتقضى حاجتي ، وتذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ما قال ، ثم أتى باب عثمان رضي الله عنه فجاءه البوَّاب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان ، فأجلسه على الطنفسة فقال : حاجتك ؟ فذكر حاجته وقضاها له ، ثم قال : ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة ، وقال : ما كانت لك من حاجة فاذكرها .

أقول : كان ذلك ببركة توسله بنبينا المكرم الوجيه الوجه عند الله ﷺ ، **وقد أرشدنا المصطفى عليه الصلاة والسلام للتوسل والاستعانة بعباد الله الصالحين** ، وقد سبق لك أمره ﷺ لمن نفلت دابته أن يقول : يا عباد الله احبسوا ! (ثلاثاً) ولمن أراد عونا : يا عباد الله أعينوني ! وغير ذلك

من الأخبار الشريفة ، والأثار اللطيفة ، قال سيّدنا القطب أحمد عز الدين الصياد سبط الإمام الرفاعي رضي الله عنهما في « الوظائف الأحمدية » : ولا بدع ، فإن الله يفرِّج كروب المكروبين حرمة لأولياء الله وأحبابه ، ويقضى لهم بشفاعتهم عنده حوائجهم .

ونقل عن الخطيب البغدادي قدس الله روحه ما رواه بسند عن الحسن بن ابراهيم الخلال أنه قال : ما همّني أمرٌ فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به إلا سهل الله سبحانه لي ما أحبّ . وقال في « الوظائف الأحمدية » : **لا يخفى عليك أنّ جعل الوسيلة لله إنما هو من إعظام جانب التوحيد** ، فإنّ العبد يشهد سوء حاله وكثرة ذنوبه فلا يجد له وجهاً ولا سبيلاً للسؤال من ربه الفعال المطلق ، فتجمع همّته على جعل وسيلة لله من أوليائه وأحبابه اعترافاً بالذنب وانكسارا للرب وإعظاماً لقدرته وإيمانا بأنه هو الفعال لا غير ، وأحبابه الوسائل المرضية عنده لاتباعهم نبيه الكريم ، ولوقوفهم عند أمره العظيم ، ثم قال رضي الله عنه : وهذا أدب الأحمديين رضي الله عنهم ، فلا يخرقون لظاهر الشريعة سياجاً ، ويعتقدون بكرامات الأولياء ، ويجزمون بإكرام الله لهم ، وغيرته لأجلهم ، ولا يقولون بتأثير مخلوق .انتهى .

قلت : يريد أنهم لا يثبتون استبدادا في الأفعال لمخلوق إلا بقدرة الله تعالى وإذنه سبحانه ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ وقد ذكر الإمام ابن الجوزي في « صفوة الصفوة » إنّ ابراهيم الحربي كان يقول : **قبر معروف الكرخي الترياق المجرب** .

أقول : وذكر مثل هذا الخطيب البغدادي رحمه الله في « تاريخه » ، وصح أن الإمام الشافعي قال ، **قبر موسى الكاظم ترياق مجرب** ، وأمّا مَنْ أفرط واعتقد أن الأنبياء والأولياء والصالحين متصرِّفون مستبدّون قادرون بأنفسهم على الفعل والقطع والوصل ممكور مبعود . وقوله (مردود) وهو من الضلال بمكان والعياذ بالله .

وأما من فرَّطوا وقاسوا الأنبياء والأولياء والصالحين بالأصنام ، والمسلمين المستمدِّين منهم الذين اتخذوهم شفعاء إلى الله تعالى بعبدة الأوثان ، فهم أقبح من أولئك ، وأسوأ وأضلّ سبيلاً . ويقال بشأن مثلهم قول القائل : ويل لمن شفعاؤه خصماؤه ؛ اللهم إنا نعوذ بك من الشيطان الرجيم ، اهدنا الصراط المستقيم ، وملخَّص ما قاله شيخ الأمة مولانا وسيدنا السيّد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه في « برهانه » و« حكمه » وكثير من كتبه أنّ التوسل بالأولياء إنما هو بمحبة الله تعالى لهم ، ومحبّة الله لعباد الله الصالحين صفة له سبحانه ، ونعم الوسيلة إليه صفته جل وعلا ، وما بقي بعد هذا إلا العناد واختراع التأويلات الباطلة على غير المراد . انتهى عبارته ٨ . وعبارة الشيخ ابن دحلان في « الدرر السنية » : وأما التوسل ؛ فقد صحَّ صدوره من النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وخلفها ؛ أما صدوره من النبي ﷺ فقد صح في أحاديث كثيرة ، منها أنه ﷺ كان من دعائه « اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك » ، وهذا توسل لا شك فيه ، وصحَّ في أحاديث كثيرة أنه كان يأمر أصحابه أن يدعو به ، منها ما رواه ابن ماجه بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من خرج من بيته إلى الصلاة فقال : اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ، وأسألك بحق ممشاي هذا إليك ، فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة ، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك ، فأسألك أن تعيذني من النار ، وأن تغفر لي ذنوبي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . أقبل الله عليه بوجهه ، واستغفر له سبعون ألف ملك » . وذكر هذا الحديث الجلال السيوطي في « الجامع الكبير » وذكر أيضاً كثير من الأئمة في كتبهم عند ذكر الدعاء المسنون عند الخروج إلى الصلاة ، حتى قال بعضهم : ما من أحد من السلف إلا وكان يدعو بهذا الدعاء عند الخروج إلى الصلاة .

فانظر « بحق السائلين عليك » فإن فيه التوسل بكل عبد مؤمن ، وروى الحديث المذكور أيضاً ابن السني بإسناد صحيح عن بلال ﵁ مؤذن رسول الله ﷺ ، ولفظه : كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى الصلاة قال : بسم الله آمنت بالله ، وتوكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق مخرجي هذا ، فإني لم أخرج بطراً ولا أشراً ولا رياء ولا سمعة ، خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك ، أسألك أن تعيذني من النار ، وأن تدخلني الجنة . ورواه الحافظ أبو نعيم في « عمل اليوم والليلة » من حديث أبي سعيد بلفظ : كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى الصلاة قال : « اللهم إني أسألك بحق السائلين » إلى آخر الحديث المقدم .

ورواه البيهقي في كتاب « الدعوات » من حديث أبي سعيد أيضاً ، ومحلّ الاستدلال قوله « أسألك بحقِّ السائلين عليك » ، فعلم من هذا كله أن التوسل صدر من النبي ﷺ ، وأمر أصحابه أن يقولوه ، ولم يزل السلف من التابعين ومن بعدهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم إلى الصلاة ، ولم ينكر أحد في الدعاء به ، ومما جاء عنه ﷺ من التوسل أنه كان يقول في بعض أدعيته « بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي » قال العلامة ابن حجر في « الجوهر المنظم » رواه الطبراني بسند جيد ، ومن ذلك قوله ﷺ « اغفر لأمّي فاطمة بنت أسد ، ووسع عليها لحدها ومدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي » وهذا اللفظ قطعه من حديث طويل رواه الطبراني في « الكبير » « والأوسط » وابن حبان والحاكم ، وصححوه عن أنس بن مالك ﵁ قال : لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب ﵁ ، وكانت ربت النبي ﷺ دخل عليها رسول الله ﷺ عند رأسها ، وقال : « رحمك الله يا أمّي » ، وذكر ثنائه عليها وتكفنها ببرده ، وأمره بحفر قبرها ، قال : فلما بلغوا اللحد حفره ﷺ بيده ، وأخرج ترابه بيده ، فلما فرغ دخل ﷺ فاضطجع فيه ثم قال : « الذي يحي ويميت وهو حي

لا يموت اغفر لأمّي فاطمة بنت أسد ، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين » ، وروى ابن أبي شيبة عن جابر ﵁ مثل ذلك ، وكذا روى مثله ابن عبد البر عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » عن أنس ﵁ ، ذكر ذلك كله الحافظ جلال الدين السيوطي والنسائي والبيهقي والطبراني بإسناد صحيح عن عثمان بن حنيف ، وهو صحابي مشهور ﵁ « أنّ رجلا ضريراً أتى النبي ﷺ ، فقال : ادع الله أن يعافيني ، فقال : إن شئت دعوت وإن شئت صبرت وهو خير ، قال : فادعه ، فأمر أن يتوضأ فيحسن وضوئه ويدعو بهذا الدعاء ؛ اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمّد ! إني أتوجّه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى ، اللهم شفعه فيّ ، فعاد وقد أبصر . وفي رواية : قال ابن حنيف : فوالله ، ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كَأَنْ لَمْ يكن به ضرّ قط .

في الحديث التوسّل والنداء

ففي الحديث التوسل والنداء أيضاً ، وخرَّج هذا الحديث البخاري في « تاريخه » وابن ماجه والحاكم في « المستدرك » بإسناد صحيح ، وذكره الجلال السيوطي في « الجامع الكبير والصغير »

وليس لمنكر التوسل أن يقول : إن هذا إنما كان في حياة النبي ﷺ لأن قوله ذلك غير مقبول ؛ لأن هذا الدعاء استعمله الصحابة رضي الله عنهم والتابعون أيضاً بعد وفاته ﷺ لقضاء حوائجهم ؛ فقد روى الطبراني والبيهقي أنّ رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان ﵁ في زمن خلافته في حاجة ، فكان لا يلتفت إليه ولا ينظر إليه في حاجته ، فشكى ذلك لعثمان ابن حنيف الراوي للحديث المذكور فقال : ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد ، فصلّ ، ثم قل : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبي الرحمة ، يا محمّد ! إني أتوجه بك إلى ربك لتقضى حاجتي ، وتذكر حاجتك ، فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب عثمان بن عفان ﵁ ، فجاء البواب ، فأخذ بيده ، فأدخله على عثمان ﵁ ، فأجلسه معه ، وقال

له : اذكر حاجتك ، فذكر حاجته فقضاها ، ثم قال له ، ما كان لك من حاجة فاذكرها ، ثم خرج من عنده فلقي ابن حنيف فقال له ، جزاك الله خيراً ، ما كان ينظر لحاجتي حتى كلَّمْتَهُ لي ، فقال ابن حنيف : والله ما كلَّمته ، ولكن شهدت رسول الله ﷺ ، وأتاه ضرير فشكى إليه ذهاب بصره . . . إلى آخر الحديث المتقدم ،

فهذا توسل ونداء بعد وفاته ﷺ ، وروى البيهقي وابن أبي شيبة بإسناد صحيح أنّ الناس أصابهم قحط في خلافة عمر رضي الله عنه ، فجاء بلال بن الحارث رضي الله عنه وكان من أصحاب النبي ﷺ إلى قبر النبي ﷺ وقال : يا رسول استسق لأمّتك فإنهم هلكوا ، فأتاه رسول الله ﷺ في المنام وأخبره أنهم يسقون ، وليس الاستدلال بالرؤيا للنبي ﷺ ؛ **فإن رؤياه وإن كان حقا لا تثبت بها الأحكام** لإمكان اشتباه الكلام على الرائي ، لا لشك في الرؤيا ، وإنما الاستدلال بفعل الصحابي وهو بلال بن الحرث رضي الله عنه ، **فإتيانه لقبر النبي ﷺ ، ونداؤه له ، وطلبه منه أن يستسقي لأمّته دليل على أن ذلك جائز ، وهو من باب التوسل والتشفع والاستغاثة به ﷺ ، وذلك من أعظم القربات** ، وقد توسل به ﷺ أبوه آدم عليه السلام قبل وجود سيدنا محمد ﷺ حين أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها ، وحديث توسل آدم عليه السلام بالنبي ﷺ رواه البيهقي بإسناد صحيح في كتابه المسمّى « دلائل النبوة » الذي قال فيه الحافظ الذهبي : عليك به ، فإنه كله هدى ونور ، فرواه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا ربّ أسألك بحق محمد إلا ما غفرت لي ، فقال الله تعالى : يا آدم كيف عرفت محمّداً ولم أخلقه ، قال : يا رب إنك لما خلقتني رفعت رأسي ، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحبّ الخلق إليك ، فقال الله تعالى : صدقت يا آدم ، إنه لأحبُّ الخلق إليّ ، وإذا سألتني بحقه فقد غفرت لك ، ولو لا محمد ما خلقتك » رواه الحاكم وصححه والطبراني ، وزاد فيه : وهو آخر الأنبياء من ذرّيتك ،

وإلى هذا التوسل أشار الإمام مالك ﵁ وهو بالمسجد النبوي فقال لمالك[1] : يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعوا أم أستقبل رسول الله ﷺ وأدعو ؟ فقال له الإمام مالك : ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم إلى الله تعالى ؟ ! بل استقبل واستشفع به ، يشفعه الله فيك ، قال الله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ ذكره القاضي عياض في « الشفاء » ، وساقه بإسناد صحيح ، وذكره الإمام السبكي في « شفاء السقام » والسيد السمهودي في « خلاصة الوفاء » والعلامة القسطلاني في « المواهب اللدنية » والعلامة ابن حجر في « الجوهر المنظم » وذكره كثير من أرباب المناسك في آداب الزيارة ، قال العلامة ابن حجر في « الجوهر المنظم » رواية ذلك عن مالك جائت بالسند الصحيح الذي لا مطعن فيه ، قال العلامة الزرقاني في « شرح المواهب » ورواها ابن فهد بإسناد جيّد ، ورواها القاضي عيّاض في « الشفاء » بإسناد صحيح رجاله ثقات ، ليس في إسنادها وضاع ولا كذاب ، ومراده بذلك الرد على من لم يصدق رواية ذلك عن الإمام مالك ، ونسب له كراهة استقبال القبر ، فنسبة الكراهة إلى الإمام مالك مردودة ، وقال بعض المفسرين في قوله تعالى ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ أن من جملة تلك الكلمات توسل آدم بالنبي ﷺ ، قال : يا رب أسألك بحرمة محمد إلا ما غفرت لي .

واستسقى عمر بن الخطاب ﵁ في زمن خلافته بالعباس بن عبد المطلب ﵁ عم النبي ﷺ لما اشتد القحط عام الرمادة ، فسقوا ، وذلك مذكور في « صحيح البخاري » من رواية أنس ﵁ وذلك من التوسل ، وفي « المواهب اللدنية » للعلامة القسطلاني أن عمر ﵁ لما استسقى

---

(١) لعل صواب العبارة هكذا : وإلى هذا التوسل أشار الإمام مالك ﵁ ، وذلك أنه لما حج المنصور وزار قبر النبي ﷺ سأل الإمام مالكا وهو بالمسجد النبوي وقال له : يا أبا عبد الله . .

بالعباس ﷺ قال : يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد ، فاقتدوا به في عمّه العباس ، واتخذوه وسيلة إلى الله تعالى . ففيه التصريح بالتوسل ، **وبهذا يبطل قول من منع التوسل مطلقاً سواء كان التوسل بالأحياء أو بالأموات** ، وقول من منع ذلك بغير النبي ﷺ ، ونص اللفظ الواقع من عمر ﷺ [حين] استسقى بالعباس ﷺ : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ﷺ فاسقنا ، والحديث مذكور في « صحيح البخاري » من رواية أنس بن مالك ﷺ ، وصدر الحديث عن أنس ﷺ : « كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب ، وقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسَّل إليك بعم نبينا فاسقنا قال : فيسقون ،

وفعل عمر ﷺ حجة لقوله ﷺ « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » رواه الإمام أحمد والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما ، ورواه الإمام أحمد أيضاً ، وأبو داود والحاكم في « المستدرك » أيضاً عن أبي هريرة ﷺ ، ورواه الطبراني في « الكبير » عن بلال ومعاوية رضي الله عنهما ، وروى الطبراني في « الكبير » وابن عدي في « الكامل » عن الفضل بن العباس رضي الله عنهما قال : « عمر معي وأنا مع عمر ، والحق بعدي مع عمر حيث كان » ، وهذا مثل ما صح في حق علي ﷺ حيث قال ﷺ في حقِّه : « وأَدِرِ الحق معه حيث دار » وهو صحيح ، رواه كثير من أصحاب « السنن » فكل من عمر وعلي رضي الله عنهما يكون الحق معهما حيثما كانا ، وهذان الحديثان من جملة الأدلة التي استدلّ بها أهل السنة على صحة خلافة الخلفاء الأربعة ؛ لأنّ علياً ﷺ كان مع الخلفاء الثلاثة قبله ، لم ينازعهم في الخلافة ، فلما جائت الخلافة ونازعه غيره ممن لا يستحق التقدم عليه قاتله ، ومن الأدلة على أنّ توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما حجة على جواز التوسل قوله ﷺ : « لو كان بعدي نبيّ

لكان عمر » رواه الإمام أحمد والترمذي والحاكم في « المستدرك » عن عقبة بن عامر الجهني ﵁ ، ورواه الطبراني في « الكبير » عن أبي الدرداء ﵁ قال « اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر ، فإنهما حبل الله الممدود ، مَن تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها » وإنما استسقى عمر رضي الله عنه بالعباس رضي الله عنه ولم يستسق بالنبي ﷺ ليبيّن للناس جواز الاستسقاء بغير النبي ﷺ ، وإنّ ذلك لا حرج فيه ، وأما الاستسقاء بالنبي ﷺ فكان معلوماً عندهم ، **فلربما أنّ بعض الناس يتوهم أنه لا يجوز الاستسقاء بغير النبي ﷺ** ، **فبيَّن لهم عمر باستسقائه بالعباس الجواز** ولو استسقى بالنبي ﷺ لربما يفهم منه بعض الناس أنه لا يجوز الاستسقاء بغيره ﷺ ، وليس لقائل أن يقول : إنما استسقى بالعباس لأنّه حيّ والنبي قد مات ، وإن الاستسقاء بغير الحي لا يجوز . لأنا نقول إن هذا الوهم باطل ومردود بأدلّة كثيرة ؛ منها توسل الصحابة رضي الله عنهم بالنبي ﷺ بعد وفاته كما تقدم في القصة التي رواها عثمان بن حنيف في الحاجة التي كانت للرجل عند عثمان بن عفان ﵁ ، وكما في حديث بلال ابن الحرث ﵁ ، وكما في توسل آدم بالنبي ﷺ قبل وجوده ، وحديث آدم رواه عمر ﵁ كما تقدم ، فكيف يتوهم أنه يعتقد عدم صحته بعد وفاته ؟ ! وقد روى التوسل به قبل وجوده ، مع أنه ﷺ حيّ في قبره ، فتلخص من هذا أنه يصح التوسل به ﷺ قبل وجوده ، وفي حياته ، وبعد وفاته ، وأنه يصح أيضاً التوسل بغيره من الأخيار كما فعله حين استسقى بالعباس رضي الله عنهما ، وذلك من أنواع التوسل كما تقدم ، وإنما خصّ عمر العباس رضي الله عنهما من بين سائر الصحابة رضي الله عنهم لإظهار شرف أهل بيت رسول الله ﷺ ،

يجوز التوسّل بالمفضول

ولبيان أنه يجوز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل ، فإن علياً رضي الله عنه كان موجودا ، وهو أفضل من العباس رضي الله عنه .

قال بعض العارفين : وفي توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما دون النبي ﷺ نكتة أخرى أيضاً زيادة على ما تقدم ، وهي شفقة عمر رضي الله عنه على ضعفاء المؤمنين ، فإنه لو استسقى بالنبي ﷺ لربّما استأخرت الإجابة ، لأنها معلَّقة بإرادة الله تعالى ومشيئته ، فلو تأخَّرت الإجابة ربّما تقع وسوسة واضطراب لمن كان ضعيفاً بسبب تأخُّر الإجابة ، بخلاف ما إذا كان التوسل بغير النبي ﷺ ، فإنها لو تأخرت الإجابة لا تحصل تلك الوسوسة ، ولا ذلك الاضطراب .

مهم

والحاصل أنّ مذهب أهل السنة والجماعة صحة التوسل وجوازه بالنبي ﷺ في حياته وبعد وفاته ، وكذا بغيره من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، وكذا بالأولياء والصالحين ، كما دلت عليه الأحاديث السابقة ؛ **لأنا معاشر أهل السنة لا نعتقد تأثيراً ولا خلقاً ولا إيجاداً ولا إعداماً ولا نفعاً ولا ضراً إلاّ لله وحده لا شريك له** ، ولا نعتقد تأثيرا ولا نفعا ولا ضرا للنبي ﷺ ولا لغيره من الأحياء والأموات ، فلا فرق في التوسل بالنبي ﷺ وغيره من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، وكذا بالأولياء والصالحين ، ولا فرق بين كونهم أحياء وأمواتاً لأنهم لا يخلقون ، وليس لهم تأثير في شيء ، وإنما يتبرّك بهم لكونهم أحبّاء الله تعالى . **وأما الخلق والإيجاد والإعدام والنفع والضر فإنه لله** وحده لا شريك له وأما الذين يفرقون[1] بين الأحياء والأموات فإنهم بذلك الفرق يتوهم منهم أنهم يعتقدون التأثير للأحياء دون الأموات ، ونحن نقول ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ .

---

(١) هم أهل الوهابية .

فهؤلاء المجوّزون التوسل بالأحياء دون الأموات هم المعتقدون تأثير غير الله ، وهم الذين دخل الشرك في توحيدهم ، لكونهم اعتقدوا تأثير الأحياء دون الأموات ، فكيف يدَّعون أنهم محافظون على التوحيد ، وينسبون غيرهم إلى الإشراك ؟ ! سبحانك هذا بهتان عظيم .

فالتوسل والتشفع والاستغاثة كلها بمعنى واحد ، وليس لها في قلوب المؤمنين معنى إلا التبرّك بذكر أحباء الله تعالى ، لما ثبت من أنّ الله تعالى يرحم العباد بسببهم ، سواء كانوا أحياء أو أمواتاً ،

فالمؤثّر والموجد حقيقة هو الله تعالى

فالمؤثر والموجد حقيقة هو الله تعالى ، وذكر هؤلاء الأخيار سبب عادي في ذلك التأثير ، وذلك مثل الكسب العادي ، فإنه لا تأثير له ، وحياة الأنبياء عليهم الصلوات والسلام في قبورهم ثابتة عند أهل السنة بأدلة كثيرة ؛ منها حديث : « مررت على موسى ليلة أسري بي يُصلّي في قبره » ومثله « مررت على إبراهيم فأمرني بتبليغ أمتي السلام ، وأن أخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، وأنها قيعان ، وأن غراسها (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) ، ومثل حديث اجتماعهم لما صلّى بهم في بيت المقدس ليلة أسري به ثم تلقوه في السموات ، وحديث تردده النبي ﷺ بين موسى ومقام مكالمة ربّه لما فرض عليه خمسين صلاة ، فأمره موسى بالمراجعة ، وحديث إنّ الأنبياء يحجّون ويلبّون ، وكل هذه الأحاديث الصحيحة لا مطعن فيها لطاعن ، فلا حاجة إلى الإطالة .

وأيضاً فقد ثبت بنص القرآن حياة الشهداء ، والأنبياء أفضل من الشهداء فالحيوة لهم ثابتة بالأولى . ثم إن الحياة الثابتة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وللشهداء ليست مثل الحياة الدنياوية ، بل هي حياة تشبّه حال الملائكة ، ولا يعلم صفتها وحقيقتها إلا الله ، فيجب علينا الإيمان بثبوتها من غير بحث عن صفتها وكيفيتها ، وإذا كان الأمر كذلك فلا

ينافي أنّ كلا منهم قد مات وانتقل من الحياة الدنيوية ، بمعنى أنه زالت منه الحياة التي كانت في دار الدنيا ، وثبت لهم حياة أخرى ، فلا إشكال في قوله تعالى ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ ، والكلام على ذلك مبسوط في المطولات ، فلا حاجة لنا إلى الإطالة بذكره .

مهم

فإن قال قائلٌ : إن شبهة هؤلاء المانعين للتوسل أنهم رأو بعض العامة يأتون بألفاظ توهم أنهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى ، ويطلبون من الصالحين أحياء وأمواتاً أشياء جرت العادة بأنها لا تطلب إلا من الله تعالى ، ويقولون للوليّ : افعل لي كذا وكذا : وأنهم ربّما يعتقدون الولاية في أشخاص لم يتصفوا بها ، بل اتصفوا بالتخليط وعدم الاستقامة ، وينسبون لهم كرامات ، وخوارق عادات ، وأحوالا ومقامات وليسوا بأهل لها ، ولم يوجد فيهم شيء منها ، فأراد هؤلاء المانعون للتوسل أن يمنعوا العامة من تلك التوسعات دفعاً للإيهام وسدّا للذريعة ، وإن كانوا يعلمون أنّ العامة لا يعتقدون تأثيراً ولا نفعاً ولا ضرا لغير الله تعالى ولا يقصدون بالتوسل إلا التبرك ، ولو أسندوا للأولياء شيئاً لا يعتقدون فيهم تأثيراً ، فنقول لهم : إذا كان الأمر كذلك ، وقصدتم سدّ الزريعة فما الحامل لكم على تكفير الأمة عالمهم وجاهلهم خاصهم وعامهم ، وما الحامل لكم على منع التوسل مطلقاً ؟ ! بل كان ينبغي لكم أن تمنعوا العامة من الألفاظ الموهمة لتأثير غير الله تعالى ، وتأمروهم بسلوك الأدب في التوسل مع تلك الألفاظ الموهمة يمكن حملها على المجاز من غير احتياج إلى التكفير للمسلمين ، وذلك المجاز مجاز عقلي شائع معروف عند أهل العلم ، ومستعمل على ألسنة جميع المسلمين ، ووارد في الكتاب والسنة .

مهم

هذا الطعام أشبعني

وعليه يحمل قول القائل : هذا الطعام أشبعنى ، وهذا الماء أرواني ، وهذا الدواء شفاني ، وهذا الطبيب نفعني ، فكل ذلك عند أهل السنة محمول على المجاز العقلي ، فإنّ الطعام لا يشبع ، والمشبع حقيقة هو الله تعالى ، والطعام سبب عادي فإسناد الشبع له مجاز عقلي ، والطعام سبب عادي لا تأثير له ، وهكذا بقيّة الأمثلة . **فالمسلم الموحد متى صدر منه إسناد لغير من هو له يجب حمله على المجاز العقلي** ، والإسلام والتوحيد قرينة على ذلك المجاز ، كما نصّ على ذلك علماء المعاني في كتبهم ، وأجمعوا عليه .

وأمّا منع التوسل مطلقاً فلا وجه له مع ثبوته في الأحاديث الصحيحة وصدوره من النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وخلفها ، فهؤلاء المنكرون للتوسل المانعون منه فمنهم من يجعله محرّماً ، ومنهم من يجعله كفراً وإشراكاً ، وكل ذلك باطل ، لأنه يؤدي إلى اجتماع معظم الأمة على ضلالة ، ومن تتبّع كلام الصحابة وعلماء الأمة سلفها وخلفها يجد التوسل صادراً منهم ، بل ومن كلّ مؤمن في أوقات كثيرة ، **واجتماع أكثر الأمة على محرم أو كفر لا يجوز** لقوله ﷺ في الحديث الصحيح « لا تجتمع أمتي على ضلالة » قال بعضهم : إن هذا حديث متواتر ، وقال تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ، فكيف تجتمع كلها أو أكثرها على ضلالة وهي خير أمة أخرجت للناس ، فاللائق بهؤلاء المنكرين إذا أرادوا سَدَّ الذريعة ومنع الناس من الألفاظ الموهمة لتأثير غير الله تعالى أن يقولوا : ينبغي أن يكون التوسل بالأدب وبالألفاظ التي ليس فيها إيهام ، كأن يقول المتوسل : **اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بنبيك** ﷺ ، **وبالأنبياء قبله ، وبعباده الصالحين ، أن تفعل بي كذا وكذا** ، لا أنهم

يمنعون من التوسل ، ولا أن يتجاسروا إلى تكفير المسلمين الموحِّدين الذين لا يعتقدون التأثير إلا لله وحده لا شريك له ، ومن الشبه التي تمسك هؤلاء المنكرون للتوسل قوله تعالى ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ فإن الله نهى المؤمنين في هذه الآية أن يخاطبوا النبي ﷺ بمثل ما يخاطب بعضهم بعضا كأن ينادوه باسمه ، وقياسا على ذلك يقال : لا ينبغي أن يطلب من غير الله تعالى كالأنبياء والصالحين الأشياء التي جرت العادة بأنها لا تطلب إلا من الله تعالى ، لئلا تحصل المساواة بين الله تعالى وخلقه بحسب الظاهر ، وإن كان الطلب من الله على أنه الموجد للشيء والمؤثِّر فيه ، ومن غيره على أنه سبب عادي ، لكنه ربما يوهم التأثير ، فالمنع من ذلك الطلب لدفع هذا الإيهام ،

يحمل على المجاز العقلي

والجواب أن هذا لا يقتضي المنع من التوسل مطلقاً ، ولا يقتضي منع الطلب من موحِّد ، فإنه يحمل على المجاز العقلي إذا صدر من موحِّد ، فلا وجه لكونه شركاً ، ولا لكونه محرماً ، ولو قال : إن ذلك خلاف الأدب ، وأجاز التوسل ، وشرطوا[1] فيه أن يكون بأدب والاحتراز عن الألفاظ الموهمة لكان له وجه ، **وأما المنع مطلقاً فلا وجه له** . انتهى عبارته١٢ .

إن النبي ﷺ حي في قبره

وفيه بعيد هذا وقد يكون التوسل به ﷺ طلب الدعاء منه ، إذ هو ﷺ حيّ في قبره ، يعلم سؤال من يسأله ، وقد تقدم حديث بلال بن الحرث رضي الله عنه المذكور فيه أنه جاء إلى قبره ﷺ وقال : يا رسول الله استسق لأمتك ، أي : ادع الله لهم ، فعلم منه أنه ﷺ يطلب منه الدعاء بحصول

(١) **لعله** : شرط .

الحاجات ، كما كان يطلب منه في حياته لعلمه بسؤال من يسأله مع قدرته على التسبب في حصول ما سئل منه بسؤاله ودعائه وشفاعته إلى ربه عز وجل ، وإنه ﷺ يتوسل به في كل خير ، قبل بروزه لهذا العالم ، وبعده في حياته ، وبعد وفاته ، وكذا في عرصات القيامة ، فيشفع إلى ربه ، وكلّ هذا مما تواترت به الأخبار ، وقام به الإجماع قبل ظهور المانعين منه ، فهو ﷺ له الجاه الوسيع والقدر المنيع عند سيده ومولاه المنعم عليه بما حباه وأولاه .

وأما تخييل المانعين المحرومين من بركاته أن منع التوسل والزيارة من المحافظة على التوحيد ، وأن التوسل والزيارة مما يؤدي إلى الشرك ، فهو تخيّل فاسد باطل ، فالتوسل والزيارة إذا فعل كلّ منهما مع المحافظة على أداب الشريعة الغراء لا يؤدي إلى محذور البتة ، والقائل بمنع ذلك سدا للذريعة متقوِّلٌ على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ ، وكان هؤلاء المانعون للتوسل والزيارة يعتقدون أنه لا يجوز تعظيم النبي ﷺ فحيثما صدر من أحد تعظيم له ﷺحكموا على فاعله بالكفر والإشراك ، وليس الأمر كما يقولون ، فإن الله تعالى عظم النبي ﷺ في القرآن الكريم بأعلى أنواع التعظيم ، فيجب علينا أن نعظم من عظمه الله تعالى وأمر بتعظيمه ، نعم يجب علينا أن لا نصفه بشيء من صفات الربوبية ، حيث قال :

دع مـا ادّعـتـه الـنصارى في نبيهم   واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

فليس في تعظيمه بغير صفات الربوبية شيء من الكفر والإشراك ، بل ذلك من أعظم الطاعات والقربات ، وهكذا كلّ مَنْ عظمه الله تعالى كالأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، وكالملائكة والصديقين والشهداء والصالحين ؛ قال تعالى : ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ وقال تعالى : ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ **ومن تعظيمه ﷺ الفرح بليلة ولادته ، وقراءة المولد ، والقيام عند ذكر ولادته ﷺ** ، وإطعام الطعام ، وغير ذلك مما

يعتاد الناس فعله من أنواع البر ، فإنّ ذلك كلّه من تعظيمه ﷺ ، وقد أفردت مسألة المولد وما يتعلق بها بالتأليف ، واعتنى بذلك كثير من العلماء فألّفوا في ذلك مصنفات مشحونة بالأدلة والبراهين ، فلا حاجة لنا إلى الإطالة بذلك .

وممّا أمر الله بتعظيمه الكعبة المعظمة ، والحجر الأسود ، ومقام إبراهيم عليه السلام ، فإنها أحجار ، وأمرنا الله بتعظيمها بالطواف بالبيت ومسّ الركن اليماني وتقبيل حجر الأسود ، وبالصلاة خلف المقام ، وبالوقوف للدعاء عند المستجار وباب الكعبة والملتزم والميزاب كما جرى على ذلك السلف والخلف ، وكلّهم في ذلك لا يعبدون إلا الله ، ولا يعتقدون تأثيراً لغيره ولا نفعاً ولا ضرّاً ، لأن ذلك لا يكون إلا لله وحده لا شريك له ، ولا يعتقدون تأثيراً لغيره ولا نفعا ولا ضرّاً ، لأن ذلك لا يكون إلا لله وحده لا شريك له ولا يكون لأحد سواه ، والحاصل كما تقدم أنّ هنا أمرين ؛ أحدهما وجوب تعظيم النبي ﷺ ورفع رتبته عن سائر المخلوقات ، والثاني إفراد الربوبية واعتقاد أن الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته وأفعاله عن جميع خلقه ، فمن اعتقد فى مخلوق مشاركة الباري سبحانه وتعالى في شيء من ذلك فقد أشرك كالمشركين الذين كانوا يعتقدون الألوهيّة للأصنام واستحقاقها للعبادة ، ومن قصر بالرسول ﷺ في شيء عن مرتبته فقد عصى أو كفر ، وأمّا من بالغ في تعظيمه بأنواع التعظيم ولم يصفه بشيء من صفات الربوبية فقد أصاب الحق وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعاً ، وذلك هو القول الذي لا إفراط فيه ولا تفريط . انتهى عبارته١٤ .

وفيه أيضاً بعد ذكر التوسل من موضع آخر : وأما ما ذكره الألوسي في تفسيره من أنّ بعضهم نقل عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه أنه منع التوسل فهو نقل غير صحيح ، إذ لم ينقله عن الإمام أحد من أهل مذهبه ، وهم أدرى به ، بل كتبهم طافحة باستحباب التوسل ، ونقل المخالف غير

معتبر ، فإيّاك أن تغترّ به . انتهى عبارته ١٨ . وقال فيه أيضاً من موضع آخر : وفي « شرح المواهب » للزرقاني أنّ الداعي إذا قال : اللهم إني استشفع إليك بنبيّك ، يا نبيّ الرحمة اشفع لي عند ربك ؛ استجيب له ، فقد اتضح لك من هذه النصوص المروية عن النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمّة وخلفها أن التوسل به ﷺ ، وزيارته ، وطلب الشفاعة منه ثابتة عنهم قطعاً بلا شك ولا مرية ، وأنها من أعظم القربات ، وأن التوسل به واقع قبل خلقه وبعد خلقه في حياته وبعد وفاته ، وسيكون التوسل به أيضاً بعد البعث في عرصات القيامة ، قال في « المواهب » : ورحمه الله ابن جابر حيث قال :

بـه قـد أجـاب الله آدم إذ دعـا ونـجـى فـي بـطـن الـسفينة نوح

ومـا ضـرت الـنـار الـخليل لنوره ومـن أجـلـه نـال الـفـداء ذبـيـح

ثم قال في كتاب « مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام » للشيخ ابي عبد الله ابن النعمان ما يشفي العليل من ذلك ، ثم ذكر في « المواهب » كثيراً من البركات التي حصلت له ببركة توسله بالنبي ﷺ ، وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه أن أعرابيا جاء إلى النبي ﷺ يستسقي به وأنشد أبياتاً ، أولها :

أتـيـنـاك والـعـذراء يـرمـي لـبانها وقد شـغـلـت أم الصبي عن الطفل

إلى أن قال :

ولـيـس لـنـا إلا إلـيـك فـرارنا وأنّـى فـرار الـخلق إلا إلـى الرسل

فلم ينكر عليه ﷺ هذا البيت ، بل قال أنس : لما أنشد الأعرابي الأبيات قام يجر رداءه حتى رقى المنبر فخطب ودعا لهم فلم ينزل يدعو حتى أمطرت السماء . ﷺ ، وفي « صحيح البخاري » أنه لما جاء الأعرابي وشكى للنبي ﷺ القحط ، فدعا الله ، فانجابت السماء بالمطر ، قال ﷺ : لو كان أبو طالب حيّاً لقرّت عيناه من ينشدنا قوله ، فقال علي رضي الله عنه يا رسول الله كأنك أردت قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة الأرامل

فتهلّل وجه النبي ﷺ ، ولم ينكر إنشاد البيت ، ولا قوله (يستسقى الغمام بوجهه) ولو كان ذلك حراما أو شركاً لأنكره ، ولم يطلب انشاده ، وكان سبب انشاد أبي طالب هذا البيت من جملة قصيدة مدح بها النبي ﷺ ؛ أن قريشا في الجاهلية أصابهم قحط ، فاستسقى لهم أبو طالب ، وتوسل بالنبي ﷺ وكان صغيراً فاغدودق عليهم السحاب بالمطر ، فانشأ أبو طالب تلك القصيدة . وصحَّ عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : أوحى الله تعالى عيسى عليه السلام : يا عيسى آمنْ بمحمّد ، ومُرْ من أدركه من أمّتك أن يؤمنوا به ، ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار ، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب ، فكتب (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فسكن ، قال في « الجوهر المنظم » : فإذا كان له ﷺ هذا الفضل والخصوصية أفلا يتوسل به ؟ !

وذكر القسطلاني في شرحه على « البخاري » : عن كعب الأحبار أنّ بني إسرائيل كانوا إذا قحطوا استسقوا بأهل بيت نبيهم . فعلم بذلك أن التوسل مشروع حتى في الأمم السابقة ، وقال السيد السمهودي في « خلاصة الوفاء » : **إنّ العادة جرت أنّ من توسل بمن له قدر عنده يكرمه لأجله ويقضى حاجته ، وقد يتوجه بمن له جاه إلى من هو أعلى منه** ، وإذا جاز التوسل بالأعمال الصالحة كما في « صحيح البخاري » في حديث الثلاثة الذين آووا إلى الغار ، فاطبق عليهم ذلك الغار ، فتوسل كل واحد منهم إلى الله تعالى بأرجى عمل له ، فانفجرت الصخرة التي سدت الغار عنهم ، فالتوسل به ﷺ أحق وأولى ؛ لما فيه من النبوة والفضائل ؛ سواء كان ذلك في حياته أو بعد وفاته ، فالمؤمن إذا توسل به إنما يريد بنبوته التي جمعت الكمالات ، وهؤلاء المانعون للتوسل يقولون بجواز التوسل بالأعمال الصالحة مع كونها أعراضاً ، فالذوات الفاضلة أولى ، فإنّ عمر رضي الله عنه توسل بالعباس رضي الله عنه ، وأيضاً لو

سلمنا ذلك نقول لهم : إذا جاز التوسل بالأعمال الصالحة فما المانع من جوازها بالنبي ﷺ باعتبار ما قام به من النبوة والرسالة والكمالات التي فاقت كل كمال وعظمت على كل عمل صالح في الحال والمآل ، مع ما ثبت من الأحاديث الدالة على جوازه به ﷺ ، ومثله سائر الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، وكذا الأولياء وعباد الله الصالحين ، لما فيه من الطهارة القدسية ، ومحبة رب البرية ، وحيازة أعلى مراتب الطاعة واليقين من ربّ العالمين ، وذلك سببه كونهم من عباد الله المقربين ، فيقضي الله سبحانه وتعالى بالتوسل بهم حوائج المؤمنين ، **وينبغي أن يكون ذلك التوسل مع الأدب الكامل واجتناب الألفاظ التي توهم التأثير لغير الله تعالى .**

ومن أدلّة جواز التوسل قصة سواد بن قارب رضي الله عنه التي رواها الطبراني في « الكبير » وفيها إن سواد بن قارب أنشد رسول الله ﷺ قصيدته التي فيها التوسل ، ولم ينكر عليه ، ومنها :

وأشـــهـــد أن الله لا ربّ غـــيـــر ... وإنـك مـأمـون عـلى كل غائب
وإنـك أدنـى الـمـرسـلـين وسيلة ... إلـى الله يـا ابـن الأكرمين الأطايب
فـمـرنا بـما يـأتيك يا خير مرسل ... وإن كـان فـيما فيه شيب الزوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شـفـاعة ... بـمـغن فتيلا عن سواد بن قارب

فلم ينكر عليه رسول الله ﷺ قوله (أدنى المرسلين وسيلة) وقوله (وكن لي شفيعاً) ، وكذا من أدلة التوسل مرثية صفية رضي الله عنها عمّة رسول الله ﷺ ، فإنها رثته بعد وفاته ﷺ بأبيات فيها قولها

ألا يـا رســول الله أنــت رجـاؤنا ... وكـنـت بـنـا بـرا ولم تك جـافـيا

ففيها النداء بعد وفاته مع قولها (وأنت رجاؤنا) وسمع تلك المرثية الصحابة رضي الله عنهم ، فلم ينكر عليها أحد قولها (يا رسول الله أنت رجاؤنا) ،

قال العلامة ابن حجر في كتابه المسمى بـ « خيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان » في فصل الخامس والعشرون : إن الامام الشافعي أيامه ببغداد كان يتوسل بالإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ، يجئ إلى ضريحه يزوره فيسلم عليه ، ثم يتوسل إلى الله تعالى في قضاء حاجاته ،

إنّ الإمام أحمد توسّل بالإمام الشافعي رحمهما الله

وقد ثبت أيضاً أنّ الإمام أحمد توسل بالإمام الشافعي ، حتى تعجّب ابنه عبد الله ابن الإمام أحمد ، فقال له الإمام أحمد : إنّ الشافعي كالشمس للناس ، وكالعافية للبدن ، ولما بلغ الإمام الشافعي أنّ أهل المغرب يتوسلون إلى الله تعالى بالإمام مالك لم ينكر عليهم ،

وقال الإمام أبو الحسن الشاذلي : **من كانت له إلى الله حاجة فأراد قضائها** فليتوسل إلى الله بالإمام الغزالي . وذكر العلامة ابن حجر في كتابه المسمى بـ « الصواعق المحرقة لإخوان الضلال والزندقة » أنّ الإمام الشافعي رضي الله عنه توسَّل بأهل البيت النبوي حيث قال :

آل النبي ذريعتي ... وهم إليه وسيلتي
أرجو بهم أعطي غدا ... بيدي اليمنى صحيفتي

وذكر العلامة السيد طاهر بن محمد بن هاشم باعلوى في كتابه المسمى « مجمع الأحباب في ترجمة الإمام أبي عيسى الترمذي » صاحب « السنن » أنه رأى في المنام رب العزة ، فسأله عما يحفظ عليه الإيمان حتى يتوفاه عليه ، قال : فقال لي : قل بعد صلاة ركعتي الفجر قبل صلاة فرض الصبح (إلهي بحرمة الحسن وأخيه وجدّه وبنيه وأمّه وأبيه نجني من الغمِّ الذي أنا فيه يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام أسألك أن تحيي قلبي بنور معرفتك يا الله يا الله يا الله يا أرحم الراحمين) فكان الامام الترمذي يقول ذلك دائماً بعد صلاة سنة الصبح ويأمر أصحابه به ، ويحثهم على فعله وعلى المواظبة عليه ، فلو كان التوسل ممنوعًا لما فعله

هذا الامام ، ولا أمر بفعله والمواظبة عليه ، وهو إمام حجة يقتدى به ، بل هذا الأمر ؛ أعني : التوسل لم ينكره أحدٌ قط من السلف والخلف حتى جاء هؤلاء المنكرون .

وفي « الأذكار » للإمام النووي أنّ النبي ﷺ أمر أن يقول العبد بعد ركعتي الفجر ثلاثاً (أللهم ربّ جبريل وميكائيل واسرافيل ومحمد ﷺ أجرني من النار) ، قال العلامة ابن علان في « شرح الأذكار » خصّ هؤلاء بالذكر للتوسل بهم في قبول الدعاء ، وإلا فهو سبحانه وتعالى رب جميع المخلوقات ، فافهم ذلك ، إنه من التوسل المشروع .

وفي « شرح حزب البحر » للإمام زروق قال بعد ذكر كثير من الأخبار : اللهم إنّا نتوسل إليك بهم ، فإنهم أحبّوك ، وما أحبوك حتى أحببتهم ، فبحبّك إياهم وصلوا إلى حبك ، ونحن لم نصل إلى حبهم فيك ، فتمم لنا ذلك مع العافية الكاملة الشاملة حتى نلقاك يا أرحم الراحمين ، ولبعض العارفين دعاء مشتمل على قوله (اللهم رب الكعبة وبانيها وفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها نوِّر بصري وبصيرتي وسري وسريرتي) ، قال بعض العارفين : وقد جرّب هذا الدعاء لتنوير البصر ، وأن من ذكره عند الاكتحال نوَّر الله بصره ،

مهم

وذلك من الأسباب العادية ، وهي لا تأثير لها ، والمؤثِّر هو الله تعالى وحده لا شريك له ، فكما أنّ الله تعالى جعل الطعام والشراب سببين للشبع والري ، ولا تأثير لهما ، والمؤثر هو الله تعالى وحده ، وجعل الطاعة سببا للسعادة ونيل الدرجات **جعل أيضاً التوسل بالأخيار الذين عظَّمهم الله تعالى وأمر بتعظيمهم سبباً لقضاء الحاجات** ، فليس في ذلك كفر ولا إشراك ومن تتبَّع أذكار السلف والخلف وأدعيتهم وأورادهم وجد فيها شيئاً كثيراً في التوسل ، ولم ينكر عليهم أحدٌ في ذلك حتى جاء هؤلاء المنكرون ،

ولو تتَّبعنا ما وقع من أكابر الأمة في التوسل لأملئت بذلك الصحف ، وفيما ذكر كفاية ومقنع لمن كان بمرْءً من التوفيق ، ومسمع ، وإنما أطلت الكلام في ذلك ليتضح الأمر لمن كان مشكِّكاً فيه غايةَ الاتضاح ؛ لأن كثيراً من المنكرين للتوسل يلقون إلى كثير من الناس شبهات يستميلونهم بها إلى معتقدهم الباطل ، فعسى أن يقف على هذه النصوص من أراد الله حفظه من قبول شبهاتهم ، فلا يلتفت إليها ، ويقيم عليهم الحجة في إبطالها ،

فعليك باتباع الجمهور والسواد الأعظم ، وإلا كنت مشاقق الله ورسوله ومتّبعا غير سبيل المؤمنين ، وقد قال تعالى ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ . وقال رسول الله ﷺ : « عليكم بالسواد الأعظم فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » ، وقال رسول الله ﷺ : « من فارق الجماعة قدر شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه » . انتهى عبارته راجعه في ٢٢ ، وفيه زيادة شافية .

وقال الإمام النووي قدس سره في « الإيضاح » عند ذكره زيارة سيد البشر محمد المصطفى ﷺ : ويتوسل به في حق نفسه ، ويتشفع به إلى ربّه سبحانه وتعالى ، ومن أحسن ما يقول ما حكاه أصحابنا عن العتبي مُستحسِنِينَ له قال : كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴾ وقد جئتك مستشفعاً بك إلى ربي ثم أنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي فداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت الشفيع الذي ترجى شفاعته ... على الصراط إذا ما زلت القدم
وصاحباك فلا أنساهما أبدا ... مني السلام عليكم ما جرى القلم

قال : ثم انصرف ، فغلبتني عيناي ، فرأيتُ رسول الله ﷺ في النوم فقال : يا عبتي ! ألحق الأعرابي وبشّره بأنّ الله تعالى قد غفر له . انتهى عبارته٢٠٥ . وذكر العلامة الحافظ ابن حجر على هذا المذكور الأحاديث المذكورة قبل في جواز التوسل فلم أعدها ثانياً . انتهى راجع إلى « شرح الإيضاح » في ٢٠٦ . وفيه بعد ذكره الأحاديث الواردة في سنّ الزيارة إلى قبره الشريف عليه الصلاة والسلام : ولا يغترَّ بإنكار ابن تيميّة لسنّ زيارته ﷺ ، فإنه عبدٌ أضلّه الله كما قاله العز بن جماعة ، وأطال في الرد عليه التقي السبكي في تصنيف مستقل ، ووقوعه في حق رسول الله ﷺ ليس بعجب ، فإنه وقع في حق الله ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوّاً كبيراً ، فنسب إليه العظائم ؛ كقوله إنّ لله تعالى جهة ويداً ورجلاً وعيناً وغير ذلك من القبائح الشنيعة ، ولقد كفره كثير من العلماء ، عامله الله بعدله وخذل متبعيه الذين نصروا ما افتراه على الشريعة الغراء .

نقلوا الإجماع في سنّ الزيارة

وأما قوله ﷺ « لا تجعلوا قبري عيداً » فلا يدلّ لما افتراه ، لأنّ المحققين نقلوا الإجماع على سنّ زيارته ﷺ ، مع ما يدل لها من الأحاديث السابقة وغيرها ، وحينئذ فيجب صرف هذا الحديث عن ظاهره على تقدير دلالته على النهي عنها ، وإلا فهو لا يدل على ذلك ، بل قد يدل على الحث على كثرتها ، وإنها لا تمل حتى لا يزار إلا في بعض الأوقات كالعيد ، ويحتمل أن يكون لا تتخذوا له وقتا مخصوصاً لا يزار إلا فيه ولا يتخذ كالعيد في العكوف عليه وإظهار الزينة وغيرها مما يجتمع له في الاعياد ، بل لا يؤتى إلا للزيارة ، والسلام والدعاء ، ثم ينصرف عنه ، ومعنى « وجبت له شفاعتي » إنها ثابتة بالوعد الصادق لا بدّ منها ، وأفاد قوله أنه يختص بشفاعة ليست لغيره ، إما بزيادة النعيم وإما بتخفيف الأهوال في ذلك اليوم ، وإما بكونه من الذين يحشرون بلا حساب وإما

بغير ذلك . **وفيه بشرى** له أيضاً بموته مسلماً ، وأفاد إضافة الشفاعة له ﷺ إنها شفاعة جليلة ، إذ هي تعظم بعظم الشافع . انتهى عبارته٢٠٢ .

مسألة (ج) التوسل بالأنبياء والأولياء في حياتهم وبعد وفاتهم مباح شرعاً كما وردت به السنة الصحيحة كحديث آدم عليه السلام حين عصى ، وحديث من اشتكى عينه وأحاديث الشفاعة ، والذي تلقيناه عن مشائخنا وهم عن مشائخهم وهلم جرا إن ذلك جائز ثابت في أقطار البلاد ، وكفى بهم أسوة ، وهم الناقلون لنا الشريعة ، وما عرفنا إلا بتعليمهم لنا ، **فلو قدرنا أنّ المتقدمين كفروا كما يزعمه هؤلاء الأغبياء لبطلت الشريعة المحمدية** .

مهم

وقول الشخص المؤمن (يا فلان) عند وقوعه في الشدة داخل في التوسل بالمدعو إلى الله تعالى ، وصرف النداء إليه مجاز لا حقيقة ، والمعنى يا فلان أتوسل بك إلى ربّي أَنْ يُقِيلَ عثرتي ، أو يرد غائبي مثلاً ، فالمسئول حقيقة هو الله تعالى ، وإنما أطلق الاستعانة بالنبي أو الوليّ مجازاً ، والعلاقة بينهما إن قصد الشخص التوسل بنحو النبي صار كالسبب ، وإطلاقه على المسبب جائز شرعاً وعرفاً ، وارد في القرآن والسنة كما هو مقرر في علم المعاني والبيان ، نعم ينبغي تنبيه العوام على ألفاظ تصدر منهم تدل على القدح في توحيدهم ، فيجب إرشادهم وإعلامهم بأن لا نافع ولا ضارّ إلا الله تعالى لا يملك غيره لنفسه ضراً ولا نفعاً إلا بإرادة الله تعالى ، وقال تعالى لنبيه ﷺ ﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ انتهى .

قلت : وقال بعض المحققين : والذي يظهر لي أن حكمة توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما دون النبي ﷺ هي مشروعية جواز التوسل بغيره عليه السلام ، وذلك لأنّ التوسل به أمر معلوم محقَّق عندهم ، فلو توسل بالنبي عليه السلام لأخذ منه عدم جواز التوسل بغيره ﷺ .

وعبارة (ك) : **وأما التوسل بالأنبياء والصالحين فهو أمر محبوب ثابت في الأحاديث الصحيحة ، وقد أطبقوا على طلبه ، بل ثبت التوسل بالأعمال الصالحة ، وهي أعراض ، فبالذوات أولى .** أما جعل الوسائط بين العبد وبين ربّه فإن كان يدعوهم كما يدعوا الله تعالى في الأمور ، ويعتقد تأثيرهم في شيء من دون الله فهو كفر ، وإن كان مراده التوسل بهم إلى الله تعالى في قضاء مهماته مع اعتقاده أن الله هو النافع الضار المؤثر في الأمور فالظاهر عدم كفره وإن كان فعله قبيحاً . انتهى عبارته من الخاتمة ، بيد إن قوله رحمه الله (وإن كان فعله قبيحاً) يعارض كلام نفسه المتقدم آنفاً من أنّ التوسل بالأنبياء والصالحين فهو أمر محبوب ثابت في الأحاديث الصحيحة . انتهى . كذا ذكره بعض المحققين : وقال شيخنا في « البروج المشيدة » بعد نقله كلام « البغية » : هذا كلام نقله صاحب « البغية » والحقير لا يرى في الكلامين إلا التعارض الظاهر والتخالف البيّن والله أعلم ونسأله التوفيق . انتهى عبارته ١٢١ من البرج الرابع عشر .

وقال العلامة المحقق المداح الماهر يوسف النبهاني في ديوانه « المدائح النبوية في قصيدته الهائية » في ٤١٢ ردا على أهل البدع والضلال

ولابن تيمية للمصطفى خدم لكنه لم يوفّق في تأدبه
يقول كالمشركين المستغيث به وقد عصى زائرا يسعى ليثربه

ابن تيمية كان علمه أكثر من عقله
ولذلك صدر منه ما صدر

وقد كان ابن تيمية علمه أكبر من عقله كما قاله العلماء ، ولذلك صدر منه ما صدر من قلّة الأدب في مسألة الزيارة والاستغاثة في حق سيد الوجود ﷺ . انتهى . وقال ايضاً في شرح البيت الثاني : تعبير ابن

تيمية بالمشركين في حق الزوار والمستغيثين قصد به أنهم كالمشركين ، وإلا فهو لم يكفرهم بذلك ، فجاء من بعده محمد بن عبد الوهاب النجدي شيخ الطائفة الوهابية فتبع ابن تيمية وزاد عليه هو وطائفته تكفير المسلمين بذلك حتى كادوا يجاهدون فيهم في الحجاز وغيره كجهادهم بالكفار ، **وتبعهم في هذه الأيام على عقيدتهم جماعة فساق مجرمون** - نفتهم مذاهب ، الأئمة الأربعة أركان الإسلام - مثل جماعة محمد عبده الذين انتشروا في بلاد مصر والشام ، ولم يقتصروا على مذهب الوهابية وبدع ابن تيمية ، بل زادوا ضلالات كثيرة كادوا يخرجون بها من الإسلام . انتهى . وقال المداح المذكور قبل هذا في ٣٧٠ من القصيدة الرائية

يَـرَى لِـفَـتَـى تَـيْـمِـيَّـةٍ بِـابْـتِدَاعِهِ وَزَلاَّتِـهِ فِـي الـدِّيـنِ مَـنْقبة كُبْرَى
وَيَـمْـدَحُ وَهَـابِـيـةً لِـمَـسَـائِـلٍ بِـهَـا قَـدْ أتَوْا نُكْراً وَضَلُّوا بِهَا فِكْراً

فتى تيمية هو الإمام تقي الدين بن تيمية صاحب الآراء الفاسدة التي ابتدعها في دين الإسلام مع كونه من العلماء الأعلام رحمه الله وعفا عنه ، والوهابية منسوبون إلى محمد بن عبد الوهاب النجدي التابع لابن تيمية في بدعه التي خالف بها أئمة الإسلام ، وزاد عليه أنه كفَّر كلّ من يستغيث بالأنبياء والأولياء الكرام كما ذكره العلماء الأعلام ؛ كابن عابدين في « حاشية الدر » والسيد أحمد دحلان في « الفتوحات الإسلامية » وغيرها . وابن تيمية إنما كان يبدِّع من استغاث بغير الله ويمنع ذلك منعا شديداً لا يبلغ به درجة التكفير ، وإن كان هو أيضاً يسميهم المشركين ، لكن شرك دون شرك ، وكان لابي الحسن السبكي كتاباً مسمى بـ « شفاء السقام في زيارة خير الأنام عليه الصلاة والسلام » ألّفه في الرد على ابن تيمية وغيره من أئمة البدعة الذين يمنعون الزيارة والاستغاثة به ، قال القسطلاني فشفى صدور المؤمنين كما صرحه ذلك المداح المذكور .

فالحاصل لم ينكر أحد على الزوارين والمستغيثين بالأنبياء والأولياء وغيرهم إلا هذه الطائفة الشنيعة ، وقد بقيت شعبتهم في ديار مصر والشام في هذه الأيام والأيام الخالية ؛ كمحمد عبده المصري ، وشيخه جمال الدين الأفغاني ورشيد رضا صاحب « مجلة المنار » وشكري الألوسي البغدادي ، وعبد الباقي وعلي أفندي ، ونعمان أفندي ، وإخوته مصطفى أفندي ، وعارف أفندي ، ورشيد أفندي ، وأضرابهم التابعين بهم إلى يومنا هذا ، وفي « الإتحاف » شروح « الإحياء » في الجزء الثاني نقلاً عن الإمام السبكي كلام طويل في أوصاف الحشوية ، من جملة قوله في حق ابن تيمية : إنه جاء في أواخر المائة السابعة رجل له فضل ذكاء ، واطلاع ، ولم يجد شيخاً يهديه ، وهو على مذهبهم ، وهو جسور متجرد لتقرير مذهبه ، ويجد أموراً بعيدة ، فبجسارته يلتزمها ، فقال بقيام الحوادث بذات الرب سبحانه وتعالى ، وأن الله سبحانه ما زال فاعلا ، وإن التسلسل ليس بمحال فيما مضى كما هو فيما سيأتي ، وشقّ العصا ، وشوَّش عقائد المسلمين ، وأغرى بينهم ، ولم يقتصر على العقائد وقال ما قال وخارق الإجماع . انتهى .

تتمة وفي « الفتاوى الكبرى » للعلامة ابن حجر الهيتمي ما عبارته : وسئل رضي الله عنه عن زيارة قبور الأولياء في زمن معيّن مع الرحلة إليها هل يجوز مع أنه يجتمع عند تلك القبور مفاسد كثيرة ؛ كاختلاط النساء بالرجال ، وإسراج السرج الكثيرة ، وغير ذلك ، **فأجاب** بقوله : زيارة قبور الأولياء قربة مستحبة ، وكذا الرحلة إليها ، وقول الشيخ أبو محمد (لا تستحبّ الرحلة إلا لزيارته صلى الله عليه وسلم) ردّه الغزالي ، بأنه قاس ذلك على منع الرحلة لغير المساجد الثلاثة مع وضوح الفرق ، فإن ما عدا تلك المساجد الثلاثة مستوية في الفضل ، فلا فائدة في الرحلة إليها .

وأما الأولياء فإنهم متفاوتون في القرب من الله تعالى ، ونفع الزائرين بحسب معارفهم وأسرارهم ، فكان للرحلة إليهم فائدة أيّ فائدة ، فمن ثم سنت الرحلة إليهم للرجال فقط بقصد ذلك ، وانعقد نذرها كما بسطت الكلام على ذلك في « شرح العباب » بما لا مزيد على حسنه وتحريره ، وما أشار إليه السائل من تلك البدع أو المحرمات فالقربات لا تترك لمثل ذلك ، بل على الإنسان فعلها وإنكار البدع ، بل وإزالتها إن أمكنه ، وقد ذكر الفقهاء في الطواف المندوب فضلاً عن الواجب أنه يفعل ولو مع وجود النساء ، وكذا الرمل ، لكن أمروه بالبعد عنهنّ ، فكذا الزيارة يفعلها ، لكن يبعد عنهن ، وينهى عما يراه محرماً ، بل ويزيله إن قدر كما مر ، هذا إن لم تتيسر له الزيارة إلا مع وجود تلك المفاسد ، فإن تيسرت مع عدم المفاسد فتارة يقدر على إزالة كلها أو بعضها ، فيتأكدّ له الزيارة مع وجود تلك المفاسد ليزيل منها ما قدر عليه ، وتارة لا يقدر على إزالة شيء منها ، فالأولى له الزيارة في غير زمن تلك المفاسد ، بل لو قيل يمنع منها حينئذ لم يبعد ، ومن أطلق المنع من الزيارة خوف ذلك الاختلاط يلزمه إطلاق منع الطواف والرمل ، بل والوقوف بعرفة أو مزدلفة والمنى إذا خشي الاختلاط أو نحوه ، فلما لم يمنع الأئمة شيئا من ذلك مع أنّ فيه اختلاطاً أيَّ اختلاط ، وإنما منعوا نفس الاختلاط لا غير ، فكذلك هنا ، ولا تغتر بخلاف من أنكر الزيارة خشية الاختلاط ، فإنه يتعيّن حمل كلامه على ما فصلناه وقررناه ، وإلا لم يكن له وجه ،

وزعم أن زيارة الأولياء بدعة لم تكن في زمن السلف ممنوع ، وبتقدير تسليمه فليس كل بدعة ينهى عنها ، بل قد تكون البدعة واجبة فضلاً عن كونها مندوبة كمَا صرَّحوا به . انتهى عبارته من الجزء الثاني راجعه في ٢٤ ، وفي « مشارق الأنوار » نقلاً عن « المواهب اللدنية » : قد أجمع المسلمون على استحباب زيارة القبور كما حكاه النووي ، قال :

وأوجبها الظاهريّة ، قال : ومحلّ الإجماع على استحباب زيارة القبور للرجال ، وفي النساء خلاف ، الأظهرُ في مذهب الشافعي الكراهةُ . انتهى . فعليك بما سمعته من التفصيل ، ويؤيّده رواية الإمام البخاري عن أبي يعلى قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة ، فرأى نسوة ، فقال : أتحملنه ؟ قلن : لا ، قال : أتدفنه ؟ قلن : لا ، قال : فارجعن مأزورات غير مأجورات ، قال شارحه القسطلاني واستفهامه عليه السلام مِنْهُنَّ إنكاري ، وتوبيخ على خروجهن . انتهى . وأما زيارتهن للقبور فمستحبة لغير الشواب منهن ما لم يلزم على ذلك اجتماع على القبر لتعديد أو نوح ، وإلا حرم ، ويدل لذلك ما أخرجه البخاري قال : مرَّ النبي ﷺ بإمرأة تبكي عند قبر ، فقال : اتقى الله واصبري ، قالت : إليك عنِّي فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه ، فقيل لها : إنه النبي ﷺ ، فأتت باب النبي ﷺ ، فلم تجد عنده بوّابين ، فقالت : لم أعرفك يا رسول الله ، فقال : إنما الصبر عند الصدمة الأولى . قال الإمام القسطلاني زاد في رواية يحيى : فسمع منها ما يكره ، قال : أي : من نَوْح أو غيره على القبر ، وزاد في رواية مسلم : قيل لها : هل تعرفينه ؟ قالت : لا ، فقيل : هو رسول الله ﷺ ، فأخذها مثل الموت من شدّة الكرب الذي أصابها لما عرفت أنه رسول الله ﷺ ، قال : وإنما اشتبه عليها ﷺ لأنه من تواضعه لم يكن يستتبع الناس ورائه إذا مشى كعادة الملوك والكبراء . انتهى . فأنت تراه ﷺ إنما أمرها بالتصبُّر والاحتساب ونهاها عن البكاء ولم ينهها عن الزيارة ، وقال العلامة المذكور : يندب لهنّ زيارة قبور الأنبياء والأولياء لرجاء الخير والبركة . انتهى . قلت : والأظهر تقييد هذا بغير الشواب التي يخشى من خروجهن الفتنة . .إلخ ، راجعه ، وفيه بسط طويل في ٨٣ .

الباب التاسع

في جواز الاستغاثة بالنبي عليه الصلاة والسلام ، والأولياء ، والمشائخ ، والصالحين ، رضوان الله تعالى عليهم ، وزرقنا من فيوضاتهم ، وحشرنا معهم يا أرحم الراحمين

قد علم مما ذكرناه في الباب الثامن كون التوسل والتشفع والاستغاثة بمعنى واحد ، بيد أنّا نعيد ما ورد في الاستغاثة في هذا الباب ، ونجعله بابا مستقلا لشدة مجادلة الوهابية في حقه وردّه ، ونقول – وبالله التوفيق وبه الهداية إلى طريق السنة والجماعة – **فاعلم أيها الراجي إلى الحق والصواب أنّ الاستغاثة به ﷺ وبإخوانه النبيين والمرسلين وبالأولياء والصالحين هي عبارة عن سؤال الشفاعة من الأنبياء والأولياء لقضاء الحوائج ودفع النوائب وتفريج الكرب والأخذ بالثأر ، ولا ريب أنّ كلّ من يناديهم من أمّة محمد** ﷺ فهو عالم حق العلم أنه لا يعبد إلا الله ، ولا يدعى للعبادة إلا الله ، ولا يفعل ما يراد ويمنح ما يطلب إلا الله ، وقد أرشدنا رسول الله ﷺ للاستعانة بعباد الله فيما رواه الحافظان الجزري والسيوطي طاب ثراهما « أن رسول الله ﷺ أمر لمن انفلتت دابته بأرض فلاة أن يقول : يا عباد الله احبسوا » (ثلاث مرات) وفي رواية أخرى « وإذا أراد عونا فليقل : يا عباد الله أعينوني » وأخرج ابن عساكر في « تاريخه » وابن الجوزي في « مثير الغرام » وابن النجار بأسانيدهم إلى محمد بن حرب الهلال : أتيت قبر النبي ﷺ فزرته فجلست بحذائه ، وذكر نحو ما سيأتي ، وروى السمعاني عن أمير المؤمنين سيّدنا علي كرّم الله وجهه ورضي الله عنه أنه قال : قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام : فرمى بنفسه على قبره ، وحثا من ترابه على رأسه ، وقال : يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله سبحانه وما وعينا عنك ، وكان فيما أنزل عليك ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ الآية ، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي ، فنودي من القبر أنه قد غفر لك .

وقد أطبق المسلمون على التوسل

وقد أطبق المسلمون من عهده عليه الصلاة والسلام على التوسل به والالتجاء في المهمات إليه صلوات الله عليه ، هذه السيّدة زينب الطاهرة بنت البتول عليها السلام لما مرّت بمصرع الحسين عليه السلام صاحت : يا محمداه صلّى عليك ملائكة السماء ، هذا الحسين بالعراء مزمَّل بالدماء ، كما ذكر ذلك ابن الاثير وغيره ، والقصة شهيرة متواترة ، والقائلة لهذا بنت المصطفى ، وقد شكت الحال لجنابه الكريم ، ونادته ، واستشفعت به فغار الله لنبيه ، وما مضى يسير من الزمان حتى قطع الله دابر أعدائهم ، ومزَّقهم كل ممزق ، وثبتت نصرة الله لأوليائه .

وقد استفاض بين المسلمين توسل آل النبي ﷺ طبقة بعد طبقة به عليه الصلاة والسلام وبذريته وآل بيته ، وهم بيت النبوة ، ومعدن أسرار الوحي ، وكنوز الشريعة ، وقد نقش بعض الأئمة منهم خواتمهم بمثل هذا ، فكتبوا فيها : ظني بالله حسن ، وبالنبي ذي المنن ، وبالوصيّ المؤتمن ، وبالحسين والحسن ، وما ذلك إلا أنهم جعلوهم شفعائهم ووسائلهم إلى الله سبحانه ، قال « الكشاف » على قوله تعالى ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ ألا كلُّ ذي لبّ إلى الله واسل ، وقد توسل الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام بنبيّنا ﷺ قبل خلقه كما صحح ذلك عمدة الثقاة ؛ منهم الحاكم ، وصحح إسناده ، وعن أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا ربّ أسألك بحق محمد لما غفرت لي ، فقال الله تعالى : يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه ؟ قال : يا ربّ لأنك لما خلقتني بيدك ، ونفخت فيّ من روحك ، رفعت رأسي ، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً (لا إله إلا الله محمد رسول الله) . . . » إلى آخر ما مر في باب التوسل . انتهى « نور الإنصاف » عبارته ٥ .

وفيه بعيد هذا قلت : ومن هذا يعلم أنّ التوسل بالنبي ﷺ بل وبكلّ من أحبّه الله تعالى جائز أيضاً ، وهو المقبول المرضي عند الله سبحانه وتعالى ، ولا ريب أنّ سيد المخلوقين وأكرم المقربين إلى الله إنما هو نبينا المصطفى ﷺ ،

وممّا يثبت جواز الاستغاثة بعباد الله الصالحين خاصة ما أخرجه الطبراني في « الكبير » بسنده إلى عقبة بن غزوان عن النبي ﷺ أنه قال : إذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد عونا وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل : يا عباد الله أعينوني ، فإن لله عباداً لا تراهم ، وقد جرِّب ذلك ، انتهى ما قاله الطبراني . وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً إذا انفلتت دابته فليناد : يا عباد الله رحمكم الله . انتهى عبارته ٥ . وفي « مشارق الأنوار » نقلاً عن الحافظ ابن حجر المكي ما حاصله إنّ الاستغاثة به ﷺ وبغيره من الصالحين ليس لها معنى في قلوب المسلمين إلا التوسل إلى الله تعالى بهذا المتوسل به لعلو قدره ومكانته وجاهه وكرامته على مولاه ، وأنه لا يخيب السائل به والمتوسل بجاهه ، فهو تعالى مستغاث به في الحقيقة ، والغوث منه خلقاً وإيجاداً ، والمتوسل به أيضاً تسبباً وكسباً ، وقد يكون معنى التوسل طلب الدعاء منه كما مر في باب التوسل ، وذلك بالنسبة للنبي ، إذ هو حي يعلم سؤال من سأله .

قلت وكذلك بالأولياء والشهداء قياساً على ما تقدم من حياة الأولياء و الشهداء عن صاحب « الجواهر » انتهى عبارته في ١٠٥ .

وفيه بعيد هذا وقال العارف الشعراني في كتابه « النفوس والإسماع » عند نقله لمزايا الكمال التي خصّ بها بعضى أحبابه العارفين ومنها شدة قربهم من رسول الله ﷺ كل وقت ، فلا يكاد ينحجب عنهم في ليل أو نهار **حتى أن بعضهم صحّح عدة أحاديث عنه ﷺ قال بعض الحفاظ بضعفها من طريق النقل الظاهر فتقوّت بذلك عنده** قال : وقد أدركت جماعة ممن لهم هذا المقام ؛ منهم سيدي عليّ الخواص ، وسيدي عليّ المرصفي ،

وأخي أفضل الدين ، والشيخ جلال الدين السيوطي ، والشيخ نور الدين الشوني ، والشيخ محمد الصوفي ببلاد الفيوم رضي الله عنهم أجمعين

مهم

قال : وكان نور الدين الشوني يشاور رسول الله ﷺ ، ومن جملة ما شاوره فيه حفر البئر التي في زاويتنا فإننا حفرنا ثلاثة آبار ، وهي تطلع فاسدة وماؤها منتن ، فقال له ﷺ : قل لهم يحفروا في باب الحوش ، ففعلنا فطلعت بئراً عظيماً ، وماؤها حلوا ، فالحمد لله رب العالمين ، وفي « المواهب اللدنية » وينبغي للزائر له ﷺ أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به ﷺ ، فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله ، قال : واعلم أن الاستغاثة هي طلب الغوث ، فالمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث فلا فرق بين أن يعبّر بلفظ الاستغاثة أو التوسل أو التشفع أو التوجه أو التجوّه ، لأنهما من الجاه والوجاهة ، ومعناهما علوّ القدر والمنزلة ، قال : ثم إن كلا من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه بالنبي ﷺ كما ذكره في « تحقيق النصرة » واقع في كل حال قبل خلقه ، وبعد خلقه في مدّة حياته في الدنيا ﷺ ، وبعد موته في مدة البرزخ ، وبعد البعث في عرصات القيامة ، فأما الحالة الأولى ؛ فحسبك استشفاع آدم عليه الصلاة والسلام لما خرج من الجنة ، وقول الله تعالى له « يا آدم لو تشفعت إلينا بمحمّد في أهل السموات والأرض لشفعناك » وفي رواية عند الحاكم والبيهقي « وإذا سألتني بحقه فقد غفرت لك » ويرحم الله الإمام ابن جابر حيث قال :

به آدم قدماً أجيب دعـاؤه   بـه نال إنجاء السفينة نوح
وما ضرَّت النار الخليل لنوره   ومن أجله نال الفداء ذبيح

وأما التوسل به ﷺ بعد خلقه في مدة حياته فمن ذلك الاستغاثة به عند القحط ، وعند عدم الأمطار ، والاستغاثة به عند الجوع ، وإغاثة

ذوي العاهات قال : ومما حصل لي أنه قد كان بي داء أعنى الأطباء ، وأقمت به سنين ، فاستغثت به ﷺ ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة - بمكة زادها الله شرفاً - فبينما أنا نائم فإذا رجل معه قرطاس يكتب فيه : هذا دواء داء أحمد ابن القسطلاني من الحضرة الشريفة بعد الإذن الشريف النبوي ، فاستيقظت ، فلم أجد بي والله شيئاً مما كنت أجده ، وحَصَلَ الشفاء ببركة النبي المصطفى ﷺ . انتهى عبارته ١٠٦ . وفيه بعد هذا بورقين : وينبغي أن يقف الزائر متأدِّباً خاضعاً وجِلاً من ذنوبه ، متوسلاً بهم إلى الله تعالى في العفو عنه ، ولا يشتغل فكره بما لا يعني ، **ويعلم أنّ الوليّ ناظر إليه ، فيفعل في حال الزيارة ما كان يفعله معه حياً من الأدب ، لا فرق في الحياة وبعد الممات ،**

قال العارف الشهاب سيّدي أحمد العجمي : أصل وجود الكرامة التي أكرم الله بها أحبابه وأجراها على أيديهم ، وبسببهم بمحض الفضل ، وحينئذ لا فرق في الحياة وبعد الممات ، فتارة تكون بدعائهم ، وتارة بتوسل بهم ، وتارة بفعلهم واختيارهم . انتهى .

مهم

وقد نقل العارف الشعراني عن بعض مشائخه : إن الله تعالى يوكِّل بقبر كل وليّ ملكاً يقضي حوائج الزائرين ، وتارة يخرج الولي بنفسه من القبر ويقضي الحاجة ؛ لأن للأولياء الاطلاق في البرزخ والسراح لأرواحهم ، قال : وإذا خرج شخص منهم من قبره على صورته وقضى جوائج الناس يكتب له ثواب ذلك كحكم صلاتهم في البرزخ . انتهى . ونقل صاحب « البدائع » عن ابن الجوزي أنّ الخضر عليه السلام كان يحضر مجلس فقه أبي حنيفة في كل يوم وقت الصبح يتعلم من علم الشريعة ، فلما مات أبو حنيفة سأل الخضر ربه أن يرد إلى أبي حنيفة

روحه في قبره حتى تتم له علوم الشريعة ، فكان يأتي كل يوم وقت الصبح على عادته عند القبر يسمع منه مسائل الفقه والشريعة بعد موته ، وقال الإمام اليافعي : الأولياء ترد عليهم أحوال يشاهدون فيها ملكوت السموات والأرض .

قال العلامة ابن حجر : الذي عليه اهل السنة والجماعة من الفقهاء والأصوليين والمحدثين خلافاً للمعتزلة ومن قلدهم في بهتانهم وضلالهم من غير روية أن ظهور الكرامة على يد الأولياء ؛ وهم القائمون بحقوق الله وحقوق عباده لجمعهم بين العلم والعمل وسلامتهم من الهفوات والزلل جائزةٌ عقلاً ونقلاً ، إذ لو لم تكن الكرامة جائزة الوقوع لم تقع ، وقد ثبت وقوعها بنصّ الكتاب والسنة والآثار الخارجة عن الحصر والتعداد ، وآحادها وإن لم تتواتر فالمجموع يفيد القطع بلا إشكال كيف ووقوع التواتر قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل وكتب العلماء شرقاً وغرباً وعجماً وعرباً ناطقة بذلك ، **ولا ينكر ذلك إلا غبيٌّ أو معاند** . انتهى .

وسمعت من شيخنا البهي عن أشياخه أن الله وكل بكل قبر ولي ملكا يقضي حوائج الزائرين بأنفسهم . انتهى ؛ يعني من غير واسطة ملك ، لا بإيجاد منهم لذلك ، وإنما الموجد هو ربّ العالمين ، إنما ذلك بطلبهم بأنفسهم من مولاهم ، فلا يخيبون فيما قصدوا ، فيعطون الأمداد والمواهب مما أفاضه عليهم سيّدهم ، ولا شكَّ أن لهم تسبباً بتحمل البلايا والتصريف الذي جعل الله ظهوره على أيديهم ، وباب الخير الذي يفيضه الله على عبيده ، ولذلك قال العارف أبو المواهب الشعراني « في درر الغواص » في « فتاويه » عن سيدي عليّ الخواص ، ونصّه : وسألته رضي الله تعالى عنه ؛ يعني : شيخه الخواص عن مشائخ سلسلة القوم ، كالشيخ يوسف العجمي ، وسيّدي أحمد الزاهد ، وأتباعهما هل كانوا اقطاباً أم لا ، فقال ﷺ : لم يكونوا أقطاباً ، وإنما هم كالحجاب على

حضرة باب الملك ، لا يدخل أحد على الملك إلا باذنهم ، فهم يعلمون الداخلين الآداب الشرعية على اختلاف مراتبها ، وأما ما ظهر عليهم من الكرامات والخوارق فإنما ذلك لصفاء نفوسهم ، وتزكية أخلاقهم ومراقبتهم ومجاهداتهم ، وأما القطبية فجلت أن يقوم مقامها الأحوط غير من اتصف بها ، وقد ذكر الشيخ محي الدين عبد القادر الجيليّ رضي الله عنه : أنّ للقطبية ستة عشر[1] عالماً إحاطيّاً ، الدنيا والآخرةُ ومن فيهما عالمٌ واحدٌ من هذه العوالم فافهم ، فقلت له : فالتصريف الذي يقع على أيدي هؤلاء المسلكين هل هو لهم بالإصالة كشأن القطب ، أم هو لغيرهم فقال رضي الله عنه : استمع ، إذا أراد الله عز وجلّ إنزال بلاء أو أمر شديد تلقّاه ذلك القطب رضي الله تعالى عنه بالقبول والخوف ،

ثم ينتظر ما يظهره الله تعالى من ألواح المحو والإثبات الثلثمائة وستين لوحا الخصيصة بالإطلاق والسراح ، فإن ظهر له المحو والتبديل نفذه بقضاء الله تعالى وأمضاه في العالم بواسطة أهل التسليك الذين هم خاصته ، فينفذون ذلك وهم لا يعلمون أن الأمر مفاض عليهم من غيرهم ، وإن ظهر له أن ذلك الأمر ثابت لا محو فيه ولا تبديل رفعه إلى أقرب عدد ونسبه منه ، وهما الإمامان فيتحملان ذلك ، ثم يدفعانه إن لم يرتفع إلى أقرب نسبة منهما ، وهم الأوتاد ، وهكذا حتى يتناول الأمر إلى أصحاب دائرته جميعاً ، فإن لم يرتفع تفرَّقته الأفراد وغيرهم من العارفين إلى آحاد المؤمنين حتى يرفعه الله عز وجل ، وربما أحس بعض الناس ببلاء ، ولا يعرف من أين أتاه ، وهو من ذلك البلاء الذي فاض على أصحاب المراتب ، **فلو لم يحمل القطب وجماعته البلاء عن العالم لَتلاشى العالم في لمحه** قال تعالى ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ .

---

(١) لم أفهم من هنا ، كذا في الأصل (منه) .

وذكر القطب الشعراني في « طبقاته » قال : رأى سيدي الشيخ محمد بن عنان ﵁ في ليلة بلاء عظيماً نازلا على مصر فأرسل للشيخ يعني سيدي عليّاً الخواص يخبره ويستغيث به ، فقال : الله لا يبشره بخير ، ولكن إن شاء الله تعالى يتوافى بالبركة ، وفي الصباح جاء المحتسب فأخذ سيدي الشيخ عليا الخواص من الدكان وضربه بالمقارع ، وخزمه في كتفه وأنفه ، ودار به مصر وبولاق ، فلما صلى سيدي الشيخ محمد الظهر ﵁ رأي البلاء قد ارتفع ، فقال : روحوا انظروا أيّ شيء جرى للشيخ يعني الخواص ، فراحوا فوجدوه على ذلك الحال ، فردّوا على الشيخ محمد ﵁ فخرّ لله ساجداً وقال : الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من يحمل عنها ما لا طاقة لها به . انتهى « مشارق الأنوار » عبارته ١١٠ . وقال شيخ الإسلام الرملي في « فتاواه » سئل عمن قال من كرامات الوليّ أن يقول للشيء (كن فيكون) فنهي عن ذلك فقال : من أنكر ذلك فعقيدته فاسدة ، فهل ما ادعاه صحيح أو باطل . **فأجاب** بأنّ ما قاله صحيح إذ الكرامة الأمر الخارق للعادة يظهره الله تعالى على يد وليّه ، وقد قال الأئمة : ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لوليّ ، لا فارق بينهما إلا التحدّي ، فمرجع الكرامة إلى قدرة الله تعالى ، نعم إن أراد استقلال الوليّ بذلك فهو كافر . انتهى عبارته ٣٣٧ ج ٤ من هامش « فتاوى الكبرى » للحافظ ابن حجر .

وكرامات الأولياء لا تنقطع بالموت

وعبارته من موضع آخر : سئل عما يقع من العامة من قولهم عند الشدائد (يا شيخ فلان ، يا رسول الله ، ونحو ذلك من الإستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين ، فهل ذلك جائز أم لا ، وهل للرسل والأنبياء والأولياء والصالحين والمشائخ إغاثة بعد موتهم ، وماذا يرجح ذلك ؟ ! فأجاب : بأن الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء

والعلماء والصالحين جائز ، وللرسل والأنبياء والأولياء والصالحين إغاثة بعد موتهم ، لأنّ معجزة الأنبياء وكرامات الأولياء لا تنقطع بموتهم ، أما الأنبياء فلأنهم أحياء في قبورهم يصلون ويحجّون كما وردت به الأخبار ، وتكون الإغاثة منهم معجزة لهم ، والشهداء أيضاً أحياء شوهدوا نهاراً جهاراً يقاتلون الكفار ، **وأما الأولياء** فهي كرامة لهم ، فإن أهل الحق على أنه يقع من الأولياء بقصد وبغير قصد أمور خارقة يجريها الله تعالى بسببهم ، والدليل على جوازها أنها أمور ممكنة لا يلزم من جواز وقوعها محال ، وكل ما هذا شأنه فهو جائز الوقوع ، وعلى الوقوع قصة مريم ورزقها الآتي من عند الله على ما نطق به التنزيل ، وقصة أبي بكر وأضيافه كما في « الصحيح » وجريان النيل بكتاب عمر ، ورؤيته وهو على المنبر بالمدينة جيشه بنهاوند حتى قال لأمير الجيش : يا سارية الجبل محذراً له من وراء الجبل ، لكمين العدو هناك ، وسماع سارية كلامه وبينهما مسافة شهرين ، وشرب خالد السم من غير تضرر به ، وقد جرت خوارق على أيدي الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، لا يمكن إنكارها لتواتر مجموعها .

وبالجملة ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لوليّ ، لا فارق بينهما إلا التحدّي . انتهى عبارته ٣٨٢ ج ٤ . وعبارة الشيخ السيد محمد أبي الهدى الرفاعي في كتابه « نور الأنصاف » : وأمّا جواز نداء غير الله ، وجواز نداء الغائب ، والميت ، والتوسل بالنبي ﷺ ، فالجواب أخرج ابن السني في « عمل اليوم والليلة » عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : كنت أمشي مع ابن عمر فخدرتْ رجله ، فجلس ، فقال له رجل : اذكر أحبّ الناس إليك ! فقال : يا محمداه ! فقام ، فمشى ، وأخرج أيضاً عن الهيثم قال : كنا عند عبد الله بن عمر بن العاص فخدرتْ رجله ، فقال له رجل : اذكر أحب الناس إليك ! فقال : يا محمداه ! فقام كأنما نشط من عقال ، فمن هذا وأمثاله يعلم جواز نداء غير الله ، بل وجواز نداء الميت بعد موته ، قريباً كان أو بعيداً عنه .

وليعلم أن كلّ مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر يتحقق أنه لا يدَّعى للعبادة إلا الله سبحانه وتعالى ، وإنما المسلمون ينادون من ينادون من أحباب الله وأوليائه على جهة الشفاعة عنده ، ونداء المخلوق للمخلوق سواء كان ميتاً أو حياً غائباً أو حاضراً لا بأس به ، أمّا نداء الحاضر فلا يشكُّ في جوازه عاقل ، وأما نداء الغائب فكاف في جوازه نداء سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁ وهو يخطب على منبر المدينة لسارية وهو غائب في بلاد العجم ، وأمر النبي ﷺ لمن أراد عوناً أن يقول : « يا عباد الله أعينوني » كما سبق ، وأما نداء الميت فيكفي في جوازه نداء النبي ﷺ أصحاب القليب يوم بدر بأسمائهم واحداً بعد واحد وهو يقول : إني وجدت ما وعدني ربّي حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقّاً ، فقيل له عليه الصلاة والسلام : كيف تناديهم وهم أموات ؟ فقال : « والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لكلامي منهم » ؛

وهنا سرّ لطيف ، وهو أن النداء من المخلوق للمخلوق ليس بعبادة له أصلاً ، والدعاء أخص من النداء ، وهو خاص بالله جل وعلا ، ومثاله قول العبد يا ربّ يا الله ونحو ذلك ، والطلب إن كان من المخلوق للخالق تعالى سمّى دعاء عبادة ، وإن كان من المخلوق لمن هو مثله أو أعلى رتبة من المخلوقين سمّي نداء ، نعم يتضمّن بعض النداء من المخلوق للمخلوق طلب الإعانة والإغاثة والشفاعة منه ، وهذا لا بأس به أصلاً ، لأنّ الأحاديث والأخبار قد صرحت بأنّ الأنبياء والأولياء لهم الشفاعة عند الله على قدر مراتبهم ، ففي الدنيا بإجابة الدعاء ، ودفع البلاء ، ونزول الغيث ، وحلّ المشكلات وفي الآخرة بتفريج كربات القيامة وأهوالها ، وكل ذلك ثابت بالأحاديث الشريفة والأخبار المنيفة قال ﷺ : « إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء » ، فاذا كان الأمر كذلك فكيف لا يستشفع بالرجل الصالح في المهمّات ؟ ! .

وفي « الأوسط » قال ﷺ « لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمن ، فبهم تسقون ، وبهم تنصرون ، ما مات منهم أحدٌ إلا بدّل الله مكانه آخر » . وبهذا ثبت أنّ السماء تمطر ببركاتهم ، والنصرة على الأعداء تحصل بعنايتهم ، فكيف لا يستغاث بهم إلى الله ويتوسل بجاههم ومحبة الله لهم وهم أحبابه وأهل حضرته ، ولم يرد في الكتاب ولا في السنة أن الله تعالى أو نبيُّه الأعظم ﷺ قال : لا تنادوا نبيّاً ولا وليّاً على جهة الشفاعة ، والذي احتجَّ به البعض من قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾ وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ ﴾ ونحو ذلك من الآيات الكريمة الفرقانية ، فالخطاب فيها للمشركين الذين يدعون مع الله غيره أي يعبودونه ويفسر هذا قوله تعالى : ﴿ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴾ ، وقد تقدم الفرق بين النداء والدعاء ، وعلى كلّ حال فالتوسل إلى الله بأنبيائه وأوليائه من سيرة السلف الصالح ، ومن الأسباب المأمور بتعاطيها شرعاً وعقلاً ، والمؤثر الحقيقي هو الله تعالى ،

الأسباب لا تأثير لها

والأسباب لا تأثير لها باعتقاد جميع المسلمين ، وما المنادي المتوسل إلا كمريض تناول دواء فأكله ، ويعتقد أن الدواء سببٌ ، والله هو الشافي المعافي حقيقة ، والدواء لا تأثير له البتة ،

مهم

ولا يقول عاقل من خدمة الشريعة في مشارق الأرض ومغاربها لشارب الدواء : اشركتَ ولا يقدر أن يمنعه عن تناول الدواء ، وما بقي بعد هذه الأدلة الواضحة إلا الصمم عن الحق ، والانحراف عن الطريق الأحق ، فإن المنادي يقول مثلاً : أدركنا يا رفاعي ، أو أغثنا يا وليّ الله ، ويعتقد أنه سبب لحصول الخير والنجاة من الضر ، والله المعطي المانع الضار النافع ، والولي بمنزلة الدواء ، فمن الذي ينقض كلامه ، أو يفوق له بالطعن سهامه ، والمثال ظاهر لا نزاع فيه .

وأما من قال بالنداء معتقداً تأثير المنادي ، دون الله تعالى فهو من الممكورين ، ولا عدوان إلا على الظالمين . انتهى عبارته١٢ .

وفيه بعد ذكره المزايا التي خص بها الأولياء : وإن خُلَّص أهل السنة والجماعة ، وأعيان أولياء الأمة ، وأكابر حملة الشريعة المطهرة يعتقدون حياة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ويحضّون بكثرة المزايا في الحياة البرزخية بنبينا المصطفى ﷺ ، ويجزمون بحياته وتصرفاته ، بل ومنهم من رأه عياناً ، ومنهم من كلمه واستفتاه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومحبيه وسلم تسليماً كثيراً .

وما أدري ما الذي يضرُّ بعض المتفقهة من هذه الخصوصية التي أعطاها الله لنبيه ﷺ ولسائر النبيين والمرسلين صلوات الله وتسليماته عليهم أجمعين ، بل لا شك أن إنكارها من سواد الحجب المركبة على قلوبهم ، أحدثتها نخوتهم الكاذبة ، وانتصارهم لأنفسهم ، ومخالفتهم لجمهور المسلمين العارفين بحقوق نبيّهم ﷺ ، ليعرف بذلك اسمهم ، ويقال : إنهم علماء من قبيل ؛ **خالف تعرف** ، وإن كان القول بذلك منهم من الحسد لسلطان الرسالة ، فهو الضلال البعيد ؛ اللهم أكرمنا بمعرفة قدر نبيك ﷺ ، وارزقنا حقيقة الأدب معه عليه الصلاة والسلام ، ومع إخوانه النبيين والمرسلين ، ومع أوليائك الصالحين أجمعين ، واحشرنا معهم يا رب العالمين ،

وبقي هنا الكلام على جواز الاستمداد من الأولياء الأحياء منهم والأموات ، وهذا سبق ما يؤيد جوازه بنصوص عديدة ، ويكفي في جواز ذلك أمر النبي ﷺ لسيدنا عمر ، ولسيدنا علي رضي الله عنهما أن يسألا أويساً القرني رضي الله عنه الدعاء مع كونهما أفضل وأعظم منه ، وما ذلك إلا لإعلام المسلمين أنّ طلب الدعاء من الصالحين جائز ، وهل الاستمداد إلا طلب دعاء الوليّ ؟ ! وأن يجمع همته ، فيتوجه إلى الله تعالى بقضاء حاجة المستمد ، وعلى هذا **فالاستمداد من الأموات أسرع عندي لقضاء**

الحاجة على أنهم في بساط التخلي لله تعالى عن الأكوان وسماعهم لكلام الحيّ ثابت ، وقد سبق دليله ، وهنا بحث جيّد ، وهو أن وقوع الكرامات للأولياء رضي الله عنهم ثابت بنصوص الكتاب والسنة وبالتواتر القطعي الذي لا يدفع ، ولو أردنا نقل الأدلة والأخبار الواردة لذلك لكتبنا عدة مجلدات ، وأظنّ أن الأمر ممّا لا نزاع فيه ، فإذا ثبت وقوع الكرامة للوليّ وقد تقرّر أن الكرامة من الله تعالى وهو مظهر لها أي : محل لظهورها ، فما المانع من اختياره محلا لظهورها حياً كان أو ميتاً ؟ ! وجعل الله العبد وليا إنما هو امتنان عليه بالسعادة الأزلية ، والأولياء هم أعز المخاطبين بقوله تعالى ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ وقد فسر البيضاوي رحمه الله رحمة واسعة ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴾ إلى قوله ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾ بصفات النفوس الفاضلة حال المفارقة ، فإنها تنزع عن الأبدان ﴿ غَرْقًا ﴾ أي : نزعاً شديداً ، من أغرق النازع في القوس ، فتنشط إلى عالم الملكوت ، وتسبح فيه ، فتسبق إلى حظائر القدس ، فتصير بشرفها وقوّتها من المدبرات ، فإذا كان كذلك والله سبحانه كرما منه وفضلاً أعطى أرواح أوليائه هذه القوة ، وجعلها في حظائر قدسه مدبرة للأمور بإذنه وإرادته ، فما المانع من الاستمداد منها ؟ !

وما أدري ما يريد المغالط ، أيزعم تحكما في عقائد المسلمين أن يجعل المستمد من الوليّ الميت أو الحيّ أنه اتخذه إلهاً يعبد ، وعكف على بابه معتقداً أنه يحيي ويميت ، ويعطي ويمنع ، ويرزق ويقطع ، ويصل استبداداً منه **من دون أمر الله وإرادته ، وإنه هو الآمر المريد ، فإن كان زعمه هذا ، فقد أدخل التلبيس في الدين ، وشوّش عقائد الموحدين** وهم براء مما دلَّسه في عقائدهم ، ولا يظن هذا الزعم الباطل بمسلم من أهل السنة والجماعة أصلاً ، سواء كان عالما أو جاهلاً ، بل كل فرد من أفراد المسلمين يعتقد أن الله هو الفعال المطلق ، وغيره لا يقدر على تحريك شيء ، ولا على تسكينه إلا بإذن الله سبحانه وأمره ، وهو تعالت

قدرته يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، وموافقة لغرض المشدِّدين من الفقهاء الذين اتخذوا هذه الدعاوى حرفة شددوا فيها على الناس ، وهم فيما هم عليه من الأعمال أجراء الناس على موافقة أهوائهم ، نقول - وقولنا حق بمعونة الله سبحانه - : إن من كان يعتقد ما أوهمه المدعي ؛ من أنّ المستمدّ منه أعني : الوليّ هو الفعال للمطلوب دون الله ، وهو المؤثر ، فهو عندنا وعند جميع الأمة المحمدية كافر بلا ريب ،

مهم

ولكن لا يشك صاحب عقل في أنه لو قيل لأجهل الناس من المسلمين : الوليّ الذي استمددت منه في حاجتك هو الفعال أم الله ؟ فلا بدَّ أن يقول : حاشا أن يكون الفعال الولي ، بل الفعال هو الله سبحانه وتعالى . انتهى عبارته ١٧ . وعبارة الشيخ أحمد ابن دحلان في « الدرر السنية » :

ومما يعتقده هؤلاء المنكرون للزيارة والتوسل منع النداء للميت والجماد ، ويقولون ذلك كفر وإشراك وعبادة لغير الله ، وهذا أيضاً باطل ومردود ، ولا مستند لهم فيه ، وشبهتهم التي يتمسكون بها أنهم يزعمون أن النداء دعاء ، وكل دعاء عبادة ، بل الدعاء مُخُّ العبادة ، وحملوا كثيراً من الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على الموحدين الذين يصدر منهم النداء المذكور ، وهذا تلبيس في الذين توصلوا به إلى تضليل كثير من الموحدين .

وحاصل الرد عليهم أن النداء قد يسمّى دعاء كما في قوله تعالى ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضًا ﴾ ، لكنه لا يسمى عبادة ، فليس كل دعاء عبادة ، ولو كان كلّ نداء دعاء وكل دعاء عبادة لشمل ذلك نداء الأحياء والأموات ، فيكون كل نداء ممنوعا مطلقاً ، سواء كانت للأحياء والأموات أم للحيوانات والجمادات ، وليس الأمر كذلك ،

وإنما النداء الذي يكون عبادة هو نداء من يعتقد ألوهيته واستحقاقه للعبادة ، فيرغبون إليه ويخضعون بين يديه ، فالذي يوقع في الإشراك هو اعتقاد ألوهية غير الله تعالى أو اعتقاد التأثير لغير الله تعالى .

وأمّا مجرّد النداء لمن لا يعتقدون ألوهيته وتأثيره ، واستحقاقه للعبادة ، فإنه ليس عبادة ولو كان ميتاً أو غائباً أو جماداً ، وقد ورد في أحاديث كثيرة نداء الأموات والجمادات ،

وقولهم كل نداء دعاء . . إلخ

فقولهم كلّ نداء دعاء ، وكل دعاء عبادة غير صحيحة على إطلاقه وعمومه ، ولو كان الأمر كذلك لامتنع نداء الحي والميت ، فإنهما مستويان في أنَّ كلا منهما لا تأثير له في شيء ، **ولا يعتقد أحدٌ من المسلمين ألوهية غير الله تعالى ، ولا تأثير أحد سوى تعالى** ، فإن قالوا : إنّ نداء الحيّ والطلب منه لشيء من الأشياء إنما هو لكونه قادراً على فعل ذلك الشيء الذي طلب منه ، وأما الميّت والجماد فإنّه عاجز ، ولا قدرة له على فعل شيء من الأشياء ، فنقول لهم : اعتقادكم أنّ الحيّ قادر على بعض الأشياء يستلزم اعتقادكم أنّ العبد[1] يخلق أفعال نفسه الاختيارية ، وهو اعتقاد فاسد ومذهب باطل ، فإن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن الخالق للعباد وأفعالهم هو الله وحده لا شريك له ، والعبد ليس له إلا الكسب الظاهري ؛ قال الله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ وقال تعالى ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ فيستوي الحيّ والميت والجماد في أن كلا منهم لا خلق له ولا تأثير ، والمؤثر هو الله تعالى وحده ، فالذي يقدح في التوحيد هو اعتقاد التأثير لغير الله أو اعتقاد الألوهية واستحقاق العبادة لغير الله .

وأمّا مُجرّد النداء من غير اعتقاد شيء من ذلك فلا ضرر فيه ، والأحاديث التي ورد فيها النداء للأموات والجمادات من غير اعتقاد

---

(١) وهذا عين مذهب المعتزلة فإنهم يقولون كذلك . انتهى (منه) .

الألوهية والتأثير كثيرة ؛ ومنها حديث الأعمى الذي تقدمت روايته عن عثمان بن حنيف ﵁ ، فإنّ فيه « يا محمّد إني أتوجه بك إلى ربك » وتقدّم أنّ الصحابة رضي الله عنهم استعملوا ذلك الدعاء بعد وفاته ﷺ ، وحديث بلال بن الحرث المتقدم أيضاً ، فإنّ فيه أنه جاء إلى قبر النبي ﷺ وقال : يا رسول الله استسق لأمتك . ففيه النداء بعد وفاته ﷺ ، والخطاب بالطلب منه أن يستسقي لأمته ، ومن ذلك الأحاديث الواردة في زيارة القبور ، فإن كثيرا منها النداء والخطاب ؛ كقوله « السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون » ففيها نداء وخطاب ، وهي أحاديث كثيرة لا حاجة إلى الإطالة بذكرها ، وتقدم أن السلف والخلف من أهل المذاهب الأربعة استحبوا للزائر أن يقول تجاه القبر الشريف : يا رسول الله إني جئتك مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربّي ، وقد جائت صورة النداء أيضاً في التشهد الذي يقرؤه الإنسان في كلّ صلاة حيث يقول (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) .

وصح عن بلال بن الحرث ﵁ ذبح شاة عام القحط المسمى عام الرمادة فوجدها هزيلة ، فصار يقول : وا محمّداه وا محمداه ! . وصح أيضاً أن أصحاب النبي ﷺ لما قاتلوا مسيلمة الكذاب كان شعارهم (وا محمّداه وا محمداه !) . وفي « الشفاء » للقاضي عياض أنّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما خَدَلَتْ رجله مرّة ، فقيل له : اذكر أحبّ الناس إليك ! فقال : وا محمداه ! فانطلق رجله ، وجاء الخطاب والنداء للجمادات في أحاديث كثيرة ؛ منها أنه ﷺ كان إذا نزل أرضاً قال « يا أرض ربّي وربّك الله » فهذا نداء وخطاب لجماد ، ولا كفر ولا إشراك فيه ، إذ ليس اعتقاد ألوهية واستحقاق عبادة ، ولا اعتقاد تأثير لغير الله تعالى ، وقد ذكر الفقهاء في آداب السفر أن المسافر إذا انفلتت دابته بأرض ليس بها أنيس فليقل « يا عباد الله احبسوا » وإذا ضل شيئا أو أراد عونا فليقل « يا عباد الله أعينوني أو أغيثوني فإنّ لله عباداً لا نراهم » ،

واستدلّ الفقهاء على ذلك بما رواه ابن السني عن عبد الله بن مسعود ﵁ : قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد : يا عباد الله احبسوا ! فإنّ لله عباداً يجيبونه » ففيه نداء وطلب نفع ، أي السبب في ذلك من عباد الله الذين لم يشاهدهم ، وفي حديث آخر رواه الطبراني أنه ﷺ قال : « إذا ضلَّ أحدكم شيئاً أو اراد عوناً وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل : يا عباد الله أعينوني » وفي رواية « اغيثوني فإنّ لله عباداً لا ترونهم » قال العلامة ابن حجر في حاشيته على « إيضاح المناسك » وهو مجرب كما قاله الراوي للحديث المذكور ، روى أبو داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال : « يا أرض ربي وربك الله ، أعوذ بالله من شرّك وشر ما خلق فيك ، وشر ما يدب عليك ، أعوذ بالله من أسد وأسود ومن الحية والعقرب ومن شرّ ساكن البلد ووالد وما ولد » وذكر الفقهاء أنه يُسَنُّ للمسافر الإتيان بهذا الدعاء عند إقبال الليل ، وفيه النداء والخطاب للجماد ، وروى الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما والدارمي عن طلحة بن عبيد الله ﵁ أنه ﷺ كان إذا رأى الهلال قال « ربّي وربّك » ففيه خطاب للجماد وصحَّ أنه لما توفي ﷺ أقبل أبو بكر ﵁ حين بلغه الخبر ، فدخل على رسول الله ﷺ فكشف عن وجهه ، ثم أكبّ عليه ، فقبَّله ثم بكى فقال : بأبي وأمّي ، طبت حياً وميتاً ، اذكرنا يا محمد عند ربك ، ولنكن من بالك . وفي رواية للإمام أحمد : فقبّل جبهتَه ، ثم قال وانبيَّاه ، ثم قبلها ثانياً وقال : واصفياه ، ثم قبَّلها ثالثاً وقال : واخليلاه !

ففي ذلك نداء وخطاب له ﷺ بعد وفاته ، ولما تحقق عمر ﵁ وفاته ﷺ بقول أبي بكر ﵁ قال وهو يبكي : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد كان لك جذع[1] تخطب الناس عليه ، فلما كثروا واتخذت منبراً لتسمعهم حنَّ الجذع لفراقك ، حتى جعلتَ يداك عليه فسكن ، فأمّتك

---

(١) الجذع ساق النخلة .

أولى بالحنين عليك حين فارقتهم بأبي أنت وأمّي يا رسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته ، فقال ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ بأبي أنت وأمّي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء ، وذكرك في أولهم فقال ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى﴾ بأبي أنت وأمّي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أنّ أهل النار يودّون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ﴿يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في قصر عمرك ما لم يتبع نوحاً في كبر سنه وطول عمره . فانظر إلى هذه الألفاظ التي نطق بها عمر رضي الله عنه ، فقد تعدّد فيها النداء له ﷺ بعد وفاته ، وقد رواها كثير من أئمة الحديث ، وذكرها القاضي عياض في « الشفاء » والقسطلاني في « المواهب » والغزالي في « الإحياء » وابن الحاج في « المدخل » .

يبطل قول المانعين للنداء

فيبطل بها وبغيرها من الأدلة قول المانعين للنداء مطلقاً القائلين : (إنّ كلّ نداء دعاء ، وكلّ دعاء عبادة) .

مهم

وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه أنّ فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ قالت لمّا توفي رسول صلى الله : يا أبتاه أجاب ربّاً دعاه ، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه ؛ والنعي هو الإخبار بالموت ، ففي هذا الحديث أيضاً نداؤه ﷺ بعد وفاته ، ولم ينكر عليها أحد من الصحابة مع حضورهم وسماعهم له ،

ومما جاء النداء للميت التلقين له بعد الدفن ؛ وقد ذكره كثير من الفقهاء واستندوا في ذلك إلى حديث الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه ، واعتضد بشواهد كثيرة ، وصورته أن يقول للميت عند قبره بعد دفنه : يا عبد الله

ابن أمة الله ، اذكر العهد الذي خرجت عليه من الدنيا ، شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدّاً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، قل رضيت بالله تعالى ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمّد ﷺ نبيّاً ، وبالكعبة قبلة وبالمسلمين إخواناً ربي الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم . ففي التلقين الخطاب والنداء للميّت ، فكيف يمنعون النداء مطلقاً ، ومن النداء للميت ما جاء في الحديث المشهور حيث نادى النبي ﷺ كفار قريش المقتولين يوم بدر بعد إلقائهم في القليب رواه البخاري وأصحاب « السنن » وذكروا أن النبي ﷺ جعل يناديهم بأسمائهم وأسماء أبائهم ويقول : أيسرّكم أنكم أطعتم الله ورسوله ، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً .

مهم

وأمّا ما جاء من الآثار عن الأئمة الأحبار والعلماء الأخيار والأولياء الكبار **مما يُدَلُّ على جواز ذلك النداء والخطاب فشيء كثير تنقضي دون نقله الأعمار ومضى على ذلك القرون والأعصار** ، ولا وقع منهم إنكار ، فكيف يجوز الإقدام على تكفير المسلمين بشيء قام ثبوته بالبراهين ؟ ! وفي الحديث الصحيح « من قال لأخيه المسلم : (**يا كافر**) فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال ، وإلا رجعت عليه » ، قال العلماء : **ترك قتل ألف كافر أولى من إراقة دم امرئ مسلم** ، فيجب الاحتياط في ذلك ، فلا يحكم على أحد من أهل القبلة بالكفر إلا بأمرٍ واضح قاطع للإسلام .

رسالة نفيسة مكتوبة إلى محمد بن عبد الوهاب

ورأيت رسالة للشيخ محمد بن سلميان الكردي المدني صاحب « الحواشي على مختصر بافضل » في الفقه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه قال في تلك الرسالة يخاطب محمد بن عبد الوهاب حين قام بالدعوة ،

وكان محمد بن عبد الوهاب من تلامذة الشيخ محمد بن سليمان المذكور ، وقرأ عليه بالمدينة المنورة ، قال في تلك الرسالة : يا ابن عبد الوهاب سلام على من اتبع الهدى ، فإني أنصحك لله تعالى أن تكف لسانك عن المسلمين ، فإن سمعت من شخص أنه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به من دون الله تعالى فعرِّفه الصواب ، واذكر له الأدلة على أنه لا تأثير لغير الله تعالى ، فإن أبى ، فكفره حينئذ بخصوصه ، ولا سبيل لك إلى تكفير السواد الأعظم من المسلمين ، وأنت شاذ من السواد الأعظم ، فنسبة الكفر إلى مَنْ شذّ عن السواد الأعظم أقرب ، لأنه اتبع غير سبيل المؤمنين قال تعالى ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ ﴾ إلخ . وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية . انتهى .

والحاصل أنّ هؤلاء المانعين للزيارة والتوسل قد تجاوزوا الحدّ ، فكفروا أكثر الأمة ، واستحلوا دمائهم وأموالهم ، وجعلوهم مثل المشركين ، وقالوا : إنّ الناس مشركون في توسلهم بالنبي ﷺ وبغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين ، وفي زيارتهم قبره ﷺ ، وندائهم له بقولهم (يا رسول نسألك الشفاعة) وحملوا الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على خواص المؤمنين وعوامهم كقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ۝٦ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴾ وقوله تعالى ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴾ وقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴾ وقوله تعالى ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ۝٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ

رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ وأمثال هذه الآيات في القرآن كثيرة ، كلها حملوا الدعاء فيها على النداء ، ثم حملوها على المؤمنين الموحدين ، وقالوا : إنّ من استغاث بالنبي ﷺ أو بغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة فإنه يكون مثل هؤلاء المشركين ، ويكون داخلاً في عموم هذه الآيات ، وإنهم مثل المشركين الذي كانوا يقولون ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ . انتهى . عبارته في ٢٨ . فعلم مما ذكرناه من الأدلّة والحجج ما عليه السواد الأعظم وأهل السنة والجماعة في حق الشفاعة والتوسل والاستغاثة ، فلم يبق للإنكار عليه وجه سوى العناد النفساني وعمي البصيرة عن رؤية الحق ، مع أنّ الإنكار على السادات الصوفية سم قاتل كما ذكرناه في بابه .

وقال الشيخ عبد القادر الأردبلي في كتابه « تفريج الخاطر » : اعلم يا أخي إنّ كلّ كلمة سمعتها من ثناء على الله وحمد له عز وجل وعلمت أنه ليس فيها نقص للألوهية يجب عليك تصديقها وإن لم يكن قائلها معلوماً ، وكذا في حق الأنبياء إذا لم يكن فيها نقص لمرتبة النبوة ، وكذا في حق الأولياء إذا لم يكن فيها شيء من خصائص الألوهية والنبوة ، فيلزم قبولها ،

إنّ كلّ وليّ على قدم نبيّ

ولا تأت بإنكار ، لأنّ إنكار كرمات الأولياء مؤد إلى إنكار معجزات الأنبياء ، فإن كلّ وليّ على قدم نبيّ ، فمن آمن بمعجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقد آمن بكرامات الأولياء رضي الله عنهم ، والإنكار موجب للمقت والخذلان ، لأنه جاء في الحديث القدسي : « من آذى ولياً لي فقد آذنته بالحرب » نعوذ بالله من شرّ النفس والشيطان ، وكذا إذا سمعت كلمات من أهل التصوّف والكمال ظاهرها ليس موافقاً لشريعة الهادي من الضلال توقَّفْ فيها واسأل من الله العليم أن يُعلّمك ما لم

تعلم ، ولاتمل إلى الإنكار الموجب للنكال ، لأنّ بعض كلماتهم مرموزة لا تفهم ، وهي في الحقيقة مطابقة لبطن من بطون القرآن الكريم وحديث النبي الرحيم ، فهذه الطريق هو الأسلم والقويم والصراط المستقيم ،

إن الأرواح الإنسانية ثلاث

واعلم أيضاً أنّ أرواح الإنسانية بحسب ظهورها في النشأت المختلفة على أنواع ثلاث ؛ الأولى : أرواح مجردة ، وهي قبل تعلقها بالأجساد الإنسانية ، والثانية : أرواح متصرفة ، وهي متعلقة بها ومتصرفة فيها لكسب الكمالات الدنيوية والأخروية ، وتعلقها بالأجساد كتعلق العاشق بالمعشوق والراكب بالمركوب ، وليس لها السريان والحلول بخلاف الأرواح الحيوانية والثالثة : أرواح مفارقة ، لأنها فارقت الأجساد ، لكن تعلقها باق بسبب البعث والحشر والميزان والنشر ،

مهم

إن لأرواح الكمّل تصرّفات ثلاث

إذا علمت هذا فاعلم أنَّ لأرواح الكمل تصرفات ثلاث ؛ **الأول** : **التجسد** والتمثيل بالصور ، وهذا التجسد والتمثيل أما قبل تعلقهم بالأجساد كتجسد روح سيدنا أسد الله الغالب الإمام علي بن أبي طالب ﷺ وكرّم الله وجهه لاستخلاص سلمان الفارسي ﷺ من السبع المفترس ، وإمّا بعد تعلّقهم بالأجساد **كتجسد الكاملين لمحبيهم ومريديهم في حالة اليقظة حين اشتغالهم بالرابطة المعلومة عندهم** ، أو في الرؤيا في حالة المنام مع مكالمتهم وإرشادهم إياهم ، وكتجسدهم في الصور في أمكنة متعددة في لحظة واحدة كما وقع لبعض من الأولياء الكمل ؛ كالشيخ قضيب البان الموصلي قدس الله سره العلي كما هو مذكور في كتبهم ، وهذه الحالة باقية لهم بعد مفارقتهم الأجساد ، كما رأى النبي ﷺ ليلة المعراج أرواح الأنبياء في السماء ، وصلوا معه في بيت المقدس .

والثاني : التصرف في الأجساد الانسانية لتكون روحانية نورانية كجسد نبينا محمد ﷺ ، لأنّ أصل خلقته نوراني ، وروحانيته سرٌّ ملكوتي ، ولهذا لا يرى له ﷺ ظل بالغدوِّ والآصال ، وكجسد بلال وأويس القرني رضي الله عنهما . وروي « في منتخب كنز العمال » عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ « يا بلال حدِّثني بأرجى عمل عملته عندك في الإسلام منفعة ، فإني سمعت الليلة دق نعليك بين يدي الجنة » ، قال : ما عملت عملاً أرجى من أني لم أتطهَّر طهوراً في ساعة من ليل أو نهار إلاَّ صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلِّي . وفي رواية قال ﷺ : « يا بلال بما سبقتني إلى الجنة ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي ؟ » قال بلال : ما أذنتُ قط إلا صليت ركعتين ، وما أصابني حدث إلا توضأت وصليت ركعتين ، فقال : بهذا نلت » . وعن عبد الله بن بريد قال : قال النبي ﷺ : « أُريت الجنة فرأيت امراة أبي طلحة ، ثم سمعت خشخشة أمامي فإذا هو بلال » . وعن جابر قال : قال النبي ﷺ : « دخلت الجنة فسمعت خشخشة ، فقلت : ما هذه ؟ قالوا : الغميصاء[1] بنت ملحان » . وفي كتب بعض المشائخ : رأى النبي ﷺ في قاب قوسين أو أدنى ، وفي مقعد صدق عند مليك مقتدر رجلاً مغطّى بغطاء من الرأس إلى القدم ، فأخذته الغيرة ، فقال : يا ربّ هذا موضع الأدب ، من هذا الرجل ؟ فجاء النداء من قبل الله عز وجل : هذا أويس استراح بعد سبعين سنة ، وسألني أن أكتمه وأخفيه فأجبته .

والثالث : التصرف في الأشياء ، بأن تجعلها جسما لطيفاً ، وهذا التصرّف قد يكون من الملائكة والجنّ كتصرّف الملائكة بعرش بلقيس ، بأن جعلوه جسماً لطيفاً حين طلب سليمان عليه السلام إحضارها مع عرشها ، كما أخبر الله في كتابه بقوله عز وجلّ ﴿ قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي

---

(١) **قوله** : الغميصاء ، ويقال : الرميصاء ، وقوله : ملحان بالكسر . انتهى (**منه**) .

بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي ﴾ لأنّ العرش لا يمكن إحضاره بالكيفية التي هو عليها قبل ارتداد الطرف إلاّ أن يكون جسماً لطيفاً بتصرُّف الموكَّلين بدعوة آصف بن برخيا عليه السلام ، أو بتصرّفه ، واعلم أيضاً أنّ إفاضة أرواح الكمل على وجوه ؛

أحدها : تربيتهم في عالم الظاهر بالمشافهة والمواجهة ، **وثانيها :** بغير رؤية ، وقد تكون هذه التربية في زمن المربِّي والمربَّى أو بعد زمن المربِّي ، **فالأول :** كتربية النبي ﷺ أويساً القرني رضي الله تعالى عنه في زمنه ﷺ ، وكتربية جعفر الصادق رضي عنه الخالق أبا يزيد البسطامي قدس الله سره السامي .

والثاني : كتربية النبي ﷺ بعد زمنه .

وثالثها : تربيتهم بالرؤيا ، ويسمون هاتين التربيتين أي الثانية والثالثة فيض البركات .

ورابعها : تربية أرواحهم المجردة كتربية روح النبي ﷺ جميع الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، ويسمون هذه التربية تربية الروح ، **ولا تكون التربية التامة إلا بالمناسبة التامة بين المربِّي والمربّى** ،

والمناسبة التامة تكون بثلاثة أشياء

والمناسبة التامة تكون بثلاثة أشياء ؛ بالقدم وبلسان الصدق ، وبالقلب الصادق . **والقدم** عبارة عن طيّ مراحل الآداب وسلوك السالك مسالك الأخلاق ، وعبوره مقامات النفس ، والقلب والروح والسر والخفي والأخفى .

ولسان الصدق عبارة عن ايصال الكمل إلى الطالبين على قدر استعدادهم ، ما علمهم الله بطريق الوحي والإلهام ، وسماع الخطاب من الله أو من الملائكة ، وصاحب لسان الصدق خبره صدق ، وشفاعته مقبولة ، ودعاؤه مستجاب ، وعلمه منبت للحق ومزهق للباطل وكاشف لأسرار المعاني ، وحكمه نافذ ، وتلقينه موصل إلى المطلوب الحقيقي ، وهو مكرم بهذه الكرامات ، **والقلب الصادق** إما عبارة عن انكشاف الآيات الغيبية والشهودية في قلب الكامل المكمل في صورة مثالية في اليقظة ، أو في النوم في قوة[1] الخيالية لذلك الكامل المكمل ، وإما عبارة عن ثبوت المعاني المجردة عن الصورة في قوة[2] العلمية له ، فدليل مكاشفات الصوري قوله تعالى ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ إلى قوله ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ .

ودليل ثبوت المعاني المجردة قوله تعالى ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ ومعرفة هذا المقدار من بيان أحوال الكاملين كاف لإزالة شبهات المستمعين من أهل ضعف اليقين حين استماعهم مناقبهم . انتهى في ٦ .

فصل في نفوس عجيبة التأثيرات

ذهب أهل الحق إلى أنّ النفوس مختلفة بحسب جواهرها ؛

فمنها نفوس علوانية نورانية ، لها شعور بعالم الأرواح ، فتستفيد بالفيض من عالم الأرواح أموراً عجيبة .

ومنها نفوس كثيفة كدرة مشغوفة بالجسمانية لا حظَّ لها من عالم الأرواح ، وذهب بعض الحكماء إلى أن النفوس الناطقة جنس تحته أنواع ، وتحت كل نوع أفراد لا يخالف بعضها بعضاً إلا بالعدد ، وكل

---

(١) كذا في الأصل مضافاً بلا ألف واللام .

(٢) كذا في الأصل مضافاً بلا ألف واللام .

نوع منها كالولد لروح من الأرواح السماوية ، وهذا الذي تسميه أصحاب الطلسمات بالطباع التام ، ويزعمون أنه يتولَّى إصلاح تلك النفوس تارة بالمنامات ، وتارة بالإلهامات ، وتارة بالنفس في الروع ،

فمن النفوس الفاضلة نفوس الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، فإن الله تعالى لما أراد أن يجعلهم قدوة للخلق جمع في نفوسهم أنواع الفضائل ، ونفى عنها أصناف الرذائل لاقتداء الخلق بهم ، وأظهر عليها الآثار العجيبة لانقياد الخلق إليهم .

ومنها نفوس الأولياء فإنها لما كانت تابعة لنفوس الأنبياء مشتبهة بها صدرت عنها آثار عجيبة كما ذكرنا في مقامات الزهاد والعباد والعارفين ؛ من شفاء المرضى باستشفائهم ، وسقي الأرض باستسقائهم ، وصرف الوباء والمؤذيات بدعائهم ، وتبدّل نفرة الطيور بالهدوّ والوقوع ، وسورة السباع بالبصبصة والخضوع ، وإلى غير ذلك من الأمور التي تحكى عنهم ، ومنها نفوس أصحاب الفراسة ، وهي نفوس تستدل بالأحوال الظاهرة على الأمور الباطنة ، وإنه استدلال صحيح ، وقد قال الله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ . وقد قال رسول الله ﷺ : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى » . حكى أبو سعيد الخراز قال : رأيت في الحرم رجلاً فقيراً ليس عليه إلا ما يستر عورته ، فأنفت نفسي منه ، فتفرس في ذلك وقال : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ﴾ ، فندمت على ذلك ، واستغفرت في نفسي ، فقال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ .

وحكي أنّ الشافعي رضي الله عنه ومحمد بن الحسن رحمة الله عليهما رأيا رجلاً فقال أحدهما : إنه نجار ، وقال الآخر : بل حداد ، فسألا عنه ، فقال : كنت حداداً قبل هذا ، والآن صرت نجاراً ،

وحكى عبد الله بن ظبيان وكان أميراً من أمراء العراق فنادى أنه كان يترصد الفتك بالحجاج مدة ، فظفرت به يوماً كان واقفاً على باب داره وحده ، فقلت في نفسي : الآن وقته فتفرس ذلك فيّ ، وبقي بيني وبينه مقدار رمح ، فقال لي : ما أخذت كتابك من فلان ، فقلت : لا ، قال : أمض إليه ، فإن كتابك معه ، فلما سمعت اسم الكتاب تركت عزمي وانصرفتُ لطلب الكتاب فأدركني عدوانه . انتهى « عجائب المخلوقات » للإمام القزويني عبارته٨٧ من هامش الجزء الثاني من « حياة الحيوان »

وفيه من هامش الجزء الأوّل منه المقدمة الثالثة في معنى الغريب : الغريب كل أمر عجيب قليل الوقوع مخالف للعادات المعهودة والمشاهدات المألوفة ، وذلك إما من تأثير نفوس قوية وتأثير أمور فلكية أو أجرام عنصرية ، كل ذلك بقدرة الله تعالى وإرادته .

فمن ذلك معجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانشقاق القمر ، وانفلاق البحر ، وانقلاب العصا ثعباناً ، وكون النار برداً وسلاماً ، وخروج الناقة من الصخرة الصماء ، وإبراء الأكمه والأبرص ، وإحياء الموتى .

مهم

ومنها كرامات الأولياء الأبرار ، فإن تأثير نفوسهم تتعدى إلى غير أبدانهم حتى يحدث عنها انفعالات غريبة في العالم فيشفي المريض باستشفائهم ، وتسقى الأرض باستسقائهم ، وربما يحدث الخسف والزلزلة والطوفان والصواعق بدعواتهم ، ويصرف الوباء والموتات باستدعائهم ، وتبدل لهم نفرة الطيور بالهدوِّ والوقوع ، وصولة السباع وشدّتها باللين والخضوع . انتهى عبارته ٤٩ . ونظير هذا ما مرّ في بيان فضيلة علماء الباطن من مناقب عبد القادري الكيلاني ؛ رزقنا الله من بركاته الوافرة

راجعه ٩ في كتاب « الإبريز » ما حاصله : إن في كل مدينة من المدن عدداً كثيراً من الملائكة مثل السبعين ملكاً أو أقلّ أو أكثر يكونون موجودين عوناً لأهل التصرّف ؛ من الأولياء فيما لا تطيقه ذات الوليّ ، قال[١] رضي الله عنه : وهؤلاء الملائكة الذين يكونون في المدن يكونون على هيئة بني آدم ، فمنهم من يلقاك في صورة خواجه ، ومنهم من يلقاك في صورة فقير ، ومنهم من يلقاك في صورة طفل صغير ، وهم منغمسون في الناس ، ولكنّ الناس لا يشعرون . انتهى عبارته راجعه في ١٦٤ .

(١) **أي** : الشيخ عبد العزيز الدباغ .

تقريظ اسير ودّ أولياء الله تعالى نصر الدين الكراطي

فلما طالعتُ حين الكتابة إلى ما في المختصرين المسمّيين « بالأجوبة العسلية في ردِّ شبه الوهابية » و« الأجوبة البهية في إثبات شفاعة خير البرية » الذين هما أوّلاً ما أفرغه أخونا التقي النقي مربِّي المريدين ومرشد السالكين منبع المحاسن السنية ، خليفة السيد المختار في الطريقة المجددية النقشبندية ، محمد العسوي في قالب الترتيب والترصيف ، وتأملتُ بما فيهما من المسائل الشريفة ، والزخائر المنيفة ، والإشارات العلية ، والعبارات البهية ، والأسرار الخفيّة تيقَّنتُ كون مسميهما وفق اسميهما بلا ريب ، فجزى الله مؤلفهما خير الجزاء في الدارين حيث أبدى لنا درراً لأجوبة الصافية التي تقاعدت عزائم الفحول عن استطلاع رويّات أزهارها ، وتقاصرت هممهم عن استكشاف خبيات أسرارها ، مؤيّدة بنصوص صريحة ، ونُقول صحيحة ، متوّجة بالآيات القرآنية ، مكلّلة بالأحاديث النبوية ، بحيث لا مجال للاعتراض للمنصف ، ونطق في إدحاض خرافات أهل القصور ، وردِّ شبه الوهابية بما عن إدراكه ، وعن رؤية ما فيه ، واستنشاق نسيم طيبه هم محرومون . ونفعنا من بركات علومه ونفائس فهومه ، ورزقنا حظّاً من أنفاسه الظاهرة ، وأمداده الوافرة ، وفيوضاته العاطرة .

آمين يا رب العالمين

أرجو المؤلِّف

أن يعفو عنِّي

لكتبة هذا

بلا إذن

منه

❊

تقريظ الشيخ العالم م ر البوني

بسم الله خير الأسماء في الأرض وفي السماء ، الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ،

وبعد : فلما وقفت على تأليفي العسلي « الأجوبة العسلية في ردِّ شبه الوهابية » و« الأجوبة البهيَّة في إثبات شفاعة خير البرية » وسبرت سرّهما وجليّهما ، وذقتُ عسيلتهما ، وجدتهما تأليفاً جامعاً لدقائق تلك المسئلتين ، ومشتملاً على كنوز المعلوكتين ، مبرزاً لمحجبات عرائسهما ومخفيات زخائرهما ، وتصنيفاً يُشرح صدور أهل الملة المحمدية ، ويُرغم أنوف الطغاة الطائفة الوهابية ، وترصيفاً يُتنوّر به صدور من له بالدين التمام ، وعن العقائد الباطلة انفطام ، وترتيباً موافقاً للأسلوب العربية لا يصدر إلاّ ممن تضلّع في العلوم العربيّة ، وعمّن طبعه نحوي وسليقته صرفي ، وسجيَّته تفسيريّ ، فلله تعالى درُّ هذا المؤلف ، ما أدقَّ إدراكه ، وأحدَّ فهمه ، وأكثر إطلاعه ، مع حداثة سنِّه ، وخمود الفطنة في أوانه ، حيث أماط القناع عن وجوه تلك المسئلتين ، وأزال أستارهما ، وأجاب عن تلك الأسئلة على وجه تَقِرّ به أعين أهل المعرفة والديانة ، وتكلح به وجوه أهل الضلالة والشناعة ، وتنشرح به صدورُ أهل السنة ، وتنجرح به نحورُ أهل البدعة ، وقرّر وحقّق ، وبسط ودقق مع جزالة العبارة ، وحسن النادرة ، ووصل إلى ما لا يصل إليه إلا بالفتح الرباني والإلهام الصمداني ، وذلك ببركة المشائخ الكرام ، واحترام الأولياء العظام ، أمدّه الله تعالى بمدده ، وأعانه على ما هو بصدده من الإفادة والاستفادة ، وأدام الله تعالى له السرور والانبساط ، ومتَّعنا بطول حياته وطيب أوقاته ، إنه وليّ التوفيق والهداية ، ومنه التحقيق والإفادة ، فوالله الذي خلقني والجبلَّة الأولين أن مَن نظر إلى مؤلفاته ، وتأمل فيها بالإنصاف ، وتجنَّب عن الاعتساف اعترف بأنه المفتوح عليه ، والمشار

إليه ، ولا يختلف فيه إثنان ، ولا يتوَّهم فيه إمكان ، ونادى بـ(مثل هذا فليعمل العاملون) وليمت غيضاً على هذا أيها الوهابيون ، والسلام على من اتبع سبيل الهدى ، وجانب جناب الهوى من الكاتب اللاهي م ر البوني وأصيكم بالدعاء الوافي .

تقريظ إبراهيم الهؤريّ

لمّا طالعت على تصنيفي أخي ، ومحبّي العالم العارف المرشد محمد ولد العالم النبيل المرحوم نور محمد العسوي ؛ هما « الأجوبة العسلية في ردّ شبه الوهابية » و« الأجوبة البهيَّة في إثبات شفاعة خير البريّة » وجدتهما بحراً تسبح الأفكار في أمواجها ، وسمآء تتقلّب الأذهان في أبراجها . مؤيَّدتَيْن بالشواهد القرآنية ، والأحاديث النبويَّة المختفيَّة ، حتى للأزكيآء غير منتشرة . وأنشدت ما هو الجائلة في البال على مقتضى الحال .

تـبدَّى ضيآء الشمس قعر الدياجير فـإذْ مـا ضَـحَـا مَحَا نور الكواكب
فـقـد الـقـوم الـطـغاة تستهدى به بـعـد مـا تخطّوا عن طريقٍ صائبٍ
وانـجـابت به عن الوهّابية الأهوآء أيـبـقي الظلام مع الصبح يا أرِيبُ
وأزالـت بـنـوره كـلّ داء وشـيـــن بـعـد ما أكْبَرت الطبيب المتعَصِّبُ
فـلـم أر جـمعاً يشرح القلب مثله ويطرد قول المعاند من كلّ جانب
يفيد لذى الإنصاف في حلّ مشكل ويُـقـصِـم بـالإعـجاز فقار عائب
ويورث لذى النظر الصائب حلاوة كـأنـه فـي حـلاوته وطعمه زبيب
ويزري على الوهّابية في حسن منطق ويُنسيهم أسانيدهم بالعجب العجابِ
ويكشف عن وجه المشكلات كلّ رَيْب ويـروي غليل الصدر من كل شاربٍ

فللّه درّ الـمـرشـد محمد حيث لَمْ — يـدع لـسـواه مـصعداً في المراتبِ
أتـى بِـجَـمْـع جَـمْـعُهُ غير ممكن — مـن الإنـسـي إلاّ عن عناية واهبٍ
تـحـيِّـر لـو رآه الـمـجـتـهـد جدّاً — فـيـشـهَـد أنَّـه الـفـرد الـنـجـيـبُ
جـزاه الله تـعـالـى عـنّـا كـلّ خيرٍ — وصانه الاله ما بدى الكف الخضيبُ
ولا زال يـــنـــمـو ذكـــره وثـنـاؤه — ويـرقـي من العليآء أعلى المناصب
وإنّــني الـفـقـيـر الهؤريّ إبراهيم — أوصـيـكم بالدعاء لي من الوهّاب

تقريظ عبد القادر العكّخي الإِذَنِيِّ

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ،

وبعد : فلما نظرت وتفكرت – في مضمون هذين التأليفين الفائقين المسميين بـ « الأجوبة العسلية في ردِّ شبه الوهابيَّة » وبـ « الأجوبة البهيَّة في إثبات شفاعة خير البريَّة » من أوّله إلى آخره مرات وكرات – وجدت جميع ما سَطر ، وسائر ما نقل عينَ الأيات الإلهية ، ومخَّ الأحاديث النبوية ، جزى الله عنا لمؤلفه المرشد الكامل ، ومحي القلوب القاسية ، مولانا محمد العسويّ ولد أستاذنا العالم الماهر المرحوم نر محمد العسوي أحسن الجزاء حيث جمع فيها زبدة جميع العلوم الإسلامية ورفع بهما كل ما أورده الوهابية الأرذلون ، وأظن أنه لولا هذان التصنيفان لوقع أهل التصوُّف وذوي الطاعات والعبادات في التشكيك والتشويش ، وبعد توقُّفي عليهما حمدت الله كثيراً ودعوت للمؤلف سرّاً وجهاراً ، وصرت بغاية الفرح وشدة النشاط كأني أطير في جوِّ السماء مع العقاب والخطاف وغنيت بهذه الأبيات الآتية إظهاراً للسرور .

أقول وقول الصدق في النفس أوقع وفـي الـحق ما يُصغى إليه ويُرغب
عـلـيـك بـمـضـمـون الكتابين أننا وجـدنـاه حـقّاً عـنـدنا بالتجارب
يـزيـدك فـي الألـفـاظ بطشاً وقوَّةً ويـحـظيك عند الفانيات الكواعب
ويكشف عن وجه المعاني صعابها ويـقـضـي لـجل الناظرين المآرب
ويـظـهـرهـا لـلـمـنصف المتفهم ويـذرى لـقـدر الحاسد المتعصب
ويـقـصـم ظهر المنكرين الحواسد ويـصـقـل قـلب السالك المتأدب
جـزى الله عـنـا لـلمرشد المتكمّل لـتـألـيـفـه هـذا الـكتاب المهذَّب
مَـسَـالـكـه فـأسـلـك قـواعـده فـاحفظ مقالك يسم من مين ومن كذِب

هذا والسلام من الخادم الحقير الفقير عبد القادر الإذني العكخي .

تقريظ أبي عبد الله علي أصحاب

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي هدانا للإيمان والإسلام ، وشرفنا برسوله محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وجعله شافعاً مشفَّعاً يوم الحشر والزحام ، وجعل له الورثة من الخلفاء إلى يوم القيام ،

ثم أرشدنا إلى هؤلاء الخلفاء الفخام ، ولم يحجب عنا أولياءه الكرام ، بل أعطى لنا فيهم الاعتقاد التام ، وجنّبنا فيهم من الإنتقاد السامّ ؛ اللهم لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك الزيادة في يقيننا ، واحفظنا من الردة في الشريعة والطريقة ، وأَدِمْنا على هذه الاعتقادات الأوانية وإن كنا مُقصّرين في الأعمال الشرعية ، مفلسين من العبادات المرضية ، مبرّئين عن الأخلاق الحميدة ، مشحونين بالأخلاق الذميمة ، معترفين بتهاوننا في التكاليف الواجبات فضلاً عن السنن والمندوبات ، فإنك يا رب لستَ محتاجاً لعبادتنا ، فلا تخزنا في الدارين بتقصيرنا ،

وبعّدنا عن اعتقاد الفرق الوهابية أهل الزيغ والزلال الخسرانية ، والصلاة والسلام على سيدنا سيد الثقلين محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : فلمّا طالعت على تأليفي العالم الفائز بالنوالين المرشد الكامل ذي الجناحَيْن محمّد بن العالم الورع نور محمد العسوي ؛ ها هما « الأجوبة البهيَّة في إثبات شفاعة خير البريَّة » و« الأجوبة العسلية في ردِّ شبه الوهابيَّة » لا كثّر الله عددهم ، ومن القرى الجبالية طرّدهم ، وَجَدْتهما كنزين من الكنوز عظيمين ودرّتين من الدرر في الصدق مَصُونتين ، يوافق ما تضمنَّاه للاسمين ، فأَعْجباني بحسن سبك الألفاظ ، وسرد العبارات ، وجمع النقول الغزيرات بالكتاب والسنة المؤيّدات ، فللّه درّ المؤلِّف والمؤلّفات ولم أُطق الثناء عليهما ، فلذا قصرت الكلام فيهما ، بَيْد لا غَرْوَ في ذلك فإنه فضلٌ وَهْبِيٌّ ، وفتح إِلَهِيٌّ ، ومنح ربانيٌّ ، لا ما اكتسبه ممّا نحن عليه عاكفون ، وفي تضييع العمر فيه دائمون ، فالحمد لله على إيجاد أمثال هؤلاء الأعلام بيننا في هذه الأزمنة القريبة إلى القيام ، متّع الله تعالى لعبادهم بإبقائهم ، وأَمَاتنا الرحمنُ في قيد حياتهم ، آمين والسلام على من اتبع الهدى ، واجتنب الهوى ، (للحقير أبي عبد الله على أصحاب عفى عن فرطاته الغفار الوهاب) .

تقريظ الفقير محمّد البقلچخيّ

فلما - وقفت وطَالعت على هذين التأليفين « الأجوبة العسلية في ردّ شُبه الوهابية » و« الأجْوبة البهيّة في إثبات شفاعة خير البَريّة » بالتأمّل والإمْعَان من أوّلهما إلى آخرهما - وجَدْتهما لتزييف مقالة فرقة الوهابيّة المبْطلين وإدْمَاغها - خذلهم الله في الدارين - وتأييد عقائد أهْل السنّة والجمَاعة وإثباتها - رفعهم الله في الكونين - كنبيّ الله موسى عليه السلام

لفرعون اللعين ، وعجبت من سَبْكهما في هذين القالبين العجيبين الذين تألَّفت القلوب السليمة بفصاحتهما ، وأقرَّت العقول الصحيحة بإعجازهما للنظراء ، فإنهما منحة علام الغيُوب ، فلله الحمد والثناء على ما أولاه لهذه النعمة الجليلة ، هما جنة علم قطوفها دانية لا تسمع فيها لاغية ، وحصنٌ مشيّد بنصوص الكتاب والسنة رفع على دعائم الأدلّة التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، ترمي بنيرانها أقوال الشياطين المبطلين ، وتخفض هامهم ، وتُدْمغهم ، وتفضحهم بين أرباب العقول وتعفرهم ، فللّه درُّ هذا المؤلف المرشد الحقيقي حيث ألهمه لنسقهما تناسق الدرر المنظوم ، وإشهارهما كاشتهار الشمس ضحوة الأيام ، ليعَضَّ عليهما نواجذ أهل الله ويستعينوا بهما لإحكام أساس الطريقة الأحمدية ، ولعمري إن هذين التأليفين لتأليفان اللذان يفتخر بهما العالمون السليمون ، ويتأسف بهما المضلّون السَقِيمون ، فليموتوا بغيظهم ، ولمثل هذا فليعمل العاملون ، وفيهما من دقائق العلوم ما تقرّ به الأعين ، ومن لطائف الفهوم ما تتلذ به الأنفس وحويا من المسائل والدلائل ما لم يحوه كتاب ، وفتحاً للطالب المنصف من أقصى المطالب كلَّ باب ، فحق أن يناديَ لسان حال منشئهما ومشيّد أساسهما .

وإني وإن كنت الأخير زمانه . . . لآت بما لم تستطعه الأوائل ، فجز الله مؤلّفهما عن المسلمين خيراً ، فإنه قلّد نحُورهم بقلائد الجواهر ، ونصر الدين بما أتقنه من النفائس والفرائد ، اللهم أدم دولته ، وارزقنا بركته ، ونوّر قلوبنا بأنوار معارفه ، واحشرنا معه في زمرة الأنبياء والأولياء ، والحمد لله رب العالمين ، وصلّى الله على سيدنا محمّد خاتم الأنبياء والمرسلين ، آمين يا مجيب .

الأجوبة العسلية

في

ردّ شبه الوهابية

للفقير محمد العسلي جعل
الله له حلاوة العلم
كالعسل المصفّى
آمـيــن

دار الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

لا إله إلا الله[1] وحده لا شريك له وأشهد أن سيّدنا محمّداً ﷺ عبده ورسوله الشفيع المشفَّع في يوم الآزفة . من محمّد ابن نور محمّد العسويّ إلى محمّد ابن عبد الرشيد الهَرَكَانِي ، عليكم السلام الأسنى والتحيّة الحسنى ، وحفظكم الله تعالى عن المقت والحرمان ، وأعاذكم عما يخالف الدين والإيمان آمين .

وأنَّ كتابي هذا إليكم كتاب متدبّر قوله تعالى : ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢﴾ وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ وقوله : ﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ وقوله تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ وقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ وقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ وقوله تعالى : ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ وقوله تعالى : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الآية بربط القلب على غير الله من خواطر الدنيا الفانية راجع « المنن » .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وقوله تعالى ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ وقوله تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ وقوله تعالى : ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ وقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ وقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ وقوله تعالى : ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ﴾ وقوله تعالى : ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾

---

(١) **وفي نسخة** : أَشْهَدُ أنْ لا إله . .

وقوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ۝٢١ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝٤١ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ أي من الشرك الخفي وخطور الأغيار .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ وقوله تعالى : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ .

وقوله تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ وقوله تعالى : ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ وقوله تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وقوله تعالى : ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢﴾ وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ وقوله تعالى : ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ إلى آيات أخر في معانيها .

وبعد : فلمّا ورد إلينا كتبكم المكتوبة نحونا في هذه الأيّام أَرَدت كتبة الأجوبة لها راجياً من جناب الحق تعالى إدخالنا في قوله ﷺ « ألا أخبركم عن الأجود ، الأجْوَد الله ، وَأَنَا أجودُ وُلد آدمَ ، وأجودُهُم من بعدي رجلٌ عَلِم علما فنشر عِلمَه بعَثَهُ الله أُمَّةً واحدة ، ورجل جاهد بنفسه في سبيل الله حتى يقتل » رواه الترمذي وأبو يعلى والطبراني وفي قوله ﷺ « ممّا يلحق المُؤْمِنَ من عمله وحسناته بَعْد موْته علمٌ ينشر » الحديث رواه ابن ماجه مطوّلاً ، وخوفاً من مثل قوله ﷺ « من سُئِل عن علمه فكتمه ألجمه

(١) ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ﴾ أي : خضعوا وخشعوا (هامش الاصل) .

الله بِلجامٍ من نارٍ » رواه ابن حبان وَالحَاكم وغيرهما وروى ابن الجوزي في « العِلَلِ » مَرْفوعاً « كاتم العلم يَلْعنه كلُّ شيء حتى الحوتُ في البحر والطير في السماء » شرح الشيخ محمد الزرقاني على « منظومة البيوقونية » في « المصطلح » من الهامش عبارته ٨ .

ثم إنك كتبت إلينا أيّها الأخ العزيز الآيات المُنَزَّلَةَ في حق المشركين الذين يَعْبدُون الأوثانَ وحملتَهَا على المُوَحِّدِين المُخلصين ، فَحَمْلُكُمْ هذا حملٌ بعيدٌ لا يسبِقُ إليْهِ الذهنُ ، بَيْدَ أَنَّهُ لو كنتَ حملتها على الذين يعبدون أهواء أنفسِهم ، ويتخذون أنفسَهم أصناماً يعبدونها لكان الحَمْلُ أَقْرَبَ وأوْفَقَ كما نطق به الكتابُ ؛ وقال تعالى في حقّهم : ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ .

لكن نجيبُكم مُفَصَّلاً لعلّكم تَنْتبهون عن رقدة الغفلة وسِنة الأنانية إن تفكرتم فيما كتبتنا إليكم بترك التَعَصُّب إلاَّ أن يكون في قُلوبكم المَرَضُ العُضالُ الذي تَحَيَّرَ الأَطباءُ في معالجته ، هَدَاكم الله تعالى إلى سواء السبيل و جَنَّبَكُمْ من الشُّذُوذِ من أهل السّنّة والجَمَاعَة ، وأماتنا وإيّاكُمْ عَلَى السنة والجَمَاعة . . .

(وإن كتابي هذا إليك كتاب متدبّر قوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾)[(١)] . . . إلى آيات أخر في معناها .

أقول : - فلله الحَمْدُ - نحن نَأمُرُ بالمعروف ونَنْهى عَنِ المُنْكر ونوصي بالحقّ والصبر وأنتم شريكنا في هذا الأمر إن كُنْتُمْ كذلك . . .

(﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ وعن الدعاء إلى غير ذلك مجانبون .)[(٢)]

---

(١) ما بين القوسين نصّ ما كتبه السائل .

(٢) ما بين القوسين نصّ ما كتبه السائل .

نحن - بحمد الله وتوفيقه - عاكفون على كلمة سواء بيننا وبينكم ولا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا ندعوا إلى غير الله ، بل جُلُّ مرادنا خروج الناس من الشرك الخفيّ والجليّ ، وتنبيههم على خفايا النفس والرياء والشرك ، وطردهم عن عبادة الأوثان التي هي أنفسهم وأهوائهم ، وحثُّهم على خلوص العبادة كما هو مراد سائر الداعين إلى الله تعالى .

(وعن اتباع الرجال بريئون .)

نحن - ولله الحمد - نَتَّبِعُ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إلى الله ، ونَعَضُّ نَوَاجذنا على ما أَمَرَ به كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه السلام ، ونقتدي قول الله تعالى ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ﴾ . . الخ وقوله تعالى : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ وقوله تعالى : ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ . .إلخ .

(وعن اعتقادٍ أنَّ لغير الله سلطنة غيبيَّةً أو تصرُّفاً روحياً معنوِّيا مطهَّرون .)

الحمد لله الذي جَنَّبنا عن هذا الاعتقاد الفاسد ، بيد أن الله تعالى إذا واظب عبده بنوافل العبادات حتَّى يُحِبَّه يَتَصَرَّفُ بِنُصْرَةِ الله وَبإذنه على ما بينهم ؛ من قوله تعالى : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ وحديث : « لاَ يَزَالُ عَبدي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فإذا أَحْبَبْته كُنْتُ سَمْعهُ » . . إلخ شاهدٌ عدل على ذلك ، فيكون سمعه بسمع الله ، وبصره ببصر الله ، ويده . .إلخ . فافهم ! **ولا تظنَّ سوءاً بأولياء الله ، فإنهم بريئون عن اعتقاد التأثير لغير الله بالاستقلال** ، فكم وكم شاهد على ذلك في كتبهم . . .

(وهل لي منك أيها الأخ المسلم رجل يتمسَّك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ؟)

نعم نحن - فلله الحمد - كلّنا متمسِّكون بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ، ونعَضُّ ما فيهما بالنواجذ ولا نخالف ما فيهما ، لكن لا نقتدي أهواء قوم قد ضلُّوا عن سواء السبيل ؛ قال الله تعالى ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ الآية ، وقوله أيضاً : ﴿وَإِن تُطِعْ

أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الآية ، وقال أيضاً : ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الآية . . .

(ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً . . إلخ .)

فالعياذ بالله من اتخاذ غير الله ربّاً ، فهل يَظُنُّ عاقل أنَّ من اتَّبع سبيل من يدعو إلى الله لا إلى غيره أنَّه اتخذ ربّاً له ؟ ! فحاشا ذلك وكلاَّ ؛ مثال رجل يقول هذا القول كقول من يقول لمن أجاب دعوة الرسول وآمن به : إنك إن آمنت به واتبعت سبيله اتخذته ربّاً وأشركته في عبادتك . تَفَكَّر أيها الأخ هل يقول هذا القول أحمقٌ فضلا عن أن يقوله عاقل ؟ ! . ولعلَّ في عقلك خَلَلٌ ، وإلاَّ فلا مجال لخطرك[1] هذا الخيال الفاسد ، إنا لله وإنا إليه راجعون . . .

(ويطرح كل ما ليس عليه أمرهما ، ويتّبع الحق أينما وجد ، وعند أيِّ رجل لقيه ، ويعتبر الرجال بالحقِّ لا الحقُّ بالرجال .)

ولله الحمد على ما جنَّبنا عن إتباع ما ليس عليه أمر الكتاب والسنة ، وحفظنا وأتباعنا ؛ من مشائخنا من امتثال غير الحق ، فكلهم يدعون إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وكلَّما خالف بهما فلا يقبلونه ، ولو تربَّع في الهواء أو مشى على الماء ، كما هو مُصَرّحٌ في كتبهم .

(حقًّا أقول لا يجتمع الإيمان واتباع أقوال من سوى المعصوم وآرائه في قلب رجل .)

والحمد لله على حفظنا ومن قبلنا من مشائخنا عن اتباع أقوال غير المعصومين المخالفة للكتاب والسنة .

---

(١) **علّه** : لخطورك .

مهم

فاتباع أقوالهم عين اتباع قول الله

فالجميع إنما يدعون إليهما لا إلى غيرهما ، وينكرون ما خالفهما وعلى مَنْ خالفهما ، وأئمة الشرع وأئمة الطرق كلُّهم بيَّنوا للناس ما أجمل في الكتاب والسنة ، ولم يخالفوا في شيء منهما ولم ينقصوا ولم يزيدوا ، فاتباع أقوالهم عين اتباع قول الله وقول رسوله كما لا يخفى .

فإن كنت رأيت في أقوال الأئمة ما يخالفهما فأرني ذلك ، فإنهم بريئون عن المخالفة ، وإنهم اتبعوا على ما تَيَقَّن عندهم أنه هو المراد من قول الله تعالى وقول رسوله على ما وصل إليه اجتهادهم ، وقولك هذا يُشْعر بكفر جَمِيع المقلِّدين من أوّلهم إلى آخرهم ، ومن قال لمسلم : يا كافر . فهو كافر كما ورد .

فالحذَرَ الحذر من اتباع أمثال هذه التُّرهات . ولو صَحِبْت يوماً كاملاً مع هذه الطائفة الصوفية وطلبت منهم ما أشكل إليك لوَجَدتَهم أشدَّ منك في حفظ الكتاب والسنة ، ولوجَدْت عندهم الأجوبة المرضية . أَلَيس لك إمكان لتبيت ليلة عندهم ؟ وهلاَّ بدَّلت الصحبة وتركت الكتبة بما لا يتيقَّن عندك . . .

(ولن يكون موحِّداً من اعتقد أنَّ لأيّ رجل قوةَ تصرُّفٍ معنويٍّ أعطاها الله له أو لم يعطه ، وكلاهما ضلال وأيّ ضلال ، نعوذ بالله منه .)

فالعياذ بالله من عبادة غير الله .

مهم

فنراكم تسمعون كثيراً من الخلق يقولون لبعضهم : أوصيك بالدعاء ولا تنكرون على ذلك ، ونراكم أيضاً تسمعون يقول بعضهم لبعض : يا فلانْ جِئْ لَدَيَّ لتعينني لكذا وكذا ولا تنكرون على ذلك ، ولا يخفى أن العبد إنما يطلب الدعاء من الآخر لرؤيته نفسه غير لائق بجناب الله ، ورؤيته أيضاً أن ذلك

الآخر خيرٌ منه وهو عند الله بمكان ، وأنه بدعائه له تعالى ينجو . وهل رأيت في هذا شيئاً منكراً في الشرع ؟ بل هو عين التوحيد ، وأرى أقوالك عين أقوال الوهابية الذين ينكرون الشفاعة بالكلية كما هو عين مذهب القدرية - خذلهم الله تعالى - وهم معتزلون عن مذاهب الأئمة الأربعة ، وراجع كتب العقائد وكتب أئمة الطرق ؛ كاليافعي والغزالي وابن حجر والجنيد والشعراني . . إلخ تجد فيها ما يشفي عليلك إن لم تكن متعصباً .

وأما إن قصرت النظر على كتب ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الهادي والأفغاني والرشيد رضا وغيرهم من الخوارج الوهابية - خذلهم الله - فتبقى على هذا الإشكال .

فأهل الحقِّ كالنبهاني وابن حجر وزين أحمد ابن دحلان وشارح « الأحياء » والسبكي وابنه وغيرهم ممَّن لا يحصى عددهم ردّوا مذاهب الوهابية بأجوبة مرضيَّة من الكتاب والسنة ، وكتبنا نُبْذَةً منها في كتابنا « الأجوبة المرضية في إثبات شفاعة خير البرية » راجعه .

(صحَّ في الحديث « الدعاء مُخُّ العبادة » وهو الذي يقرره القرآن ، فمن دعى سوى الله تعالى سواء ادَّعى أن ذلك السوى يقضى حاجته بالدعاء إلى الله تعالى أو من جهة نفسه فهو بلا ريب عابد لذلك السوى .)

حاشا وكلاّ أن يكون الأمر كما قلتَ ، لعلك ركبت على شبهة الوهابية الذين يزعمون أن النداء دعاء وكل دعاء عبادة ، بل الدعاء مخُّ العبادة ، فهذا القول منهم فاسد لا يعتبر ؛ لأن النداء قد يسمى دعاءً كما في قوله تعالى : ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗا ﴾ لكنَّه لا يسمّى عبادة ، فليس كل دعاءٍ عبادة .

مهم

ولو كان كل نداء دُعاء وكل دعاء عبادة لَشَمَل ذلك نداء الأحياء والأموات أم للحيوانات والجمادات . وليس الأمر كذلك ، **وإنما النداء**[1]

---

(١) ومن أراد أي يعرف جواز النداء فليرجع إلى « نور الانصاف » و« الدرر السنيَّة » و« شواهد الحق » . (هامش الاصل) .

الذي يكون عبادةً هو نداء من يعتقد الألوهية واستحقاقه للعبادات ، فيرغبون إليه ويخضعون بين يديه ، وأما مجرّد النداء لمن لا يعتقد الألوهية وتأثيره واستحقاقه للعبادة فإنه ليس عبادة ولو كان حيّاً أو غائباً أو جماداً . وقد وردت في أحاديث كثيرة نداء الأموات والجمادات فلا نطيل بذكره . راجع « الدرر السنية » تجد البيان ويشفي عليلك إن لم يكن مرضك مزمنا .

(حَصَرَ الله تعالى وظيفة النبي في التذكير ، ونفى عنه قوة السيطرة بجملة مؤكّدة ، فمن ادعى ذلك السيطرة والتصرُّف لأيِّ رجل فهو كافر مشرك .)

اعلم أيُّها الأخ - نجاك الله تعالى بفضله عن هذا الاعتقاد الفاسد في أولياء الله تعالى بهذا القول الكاسد - أنَّ مراد المشائخ من قولهم : (إنه تصرّف في فلان كذا . .إلخ) **أنَّ هِمَّته وقصده رجعا إلى الله تعالى بنسيان ما سوى الله تعالى وطلب منه تعالى بتلك الهمَّة القوية سلب شيء [عن] فلان أو جلب شيء إليه؛** كما قيل : همم الرجال تقلع الجبال .

مهم

إن الأولياء يظهرون في صور متعدّدة

وقد قال شارح « الأشباه » في « نفحات القرب » : إن الأولياء يظهرون في سور متعددة بسبب غلبة روحانيتهم على جسمانيتهم ، ويقع منهم التصرف والكرامة في الحياة وبعد الممات . كذا في « هداية الذاكرين » . وقال العلامة القزويني في « عجائب المخلوقات » : ومنها ؛ أي : من نفوس عجيبة التأثيرات نفوس الأولياء ، فإنها لمّا كانت تابعة لنفوس الأنبياء مشتبهة بها صَدَرَتْ عَنْها آثار عجيبة كما ذكرنا في مقامات الزهاد والعباد والعارفين ؛ من شفاء المرضى باستشفائهم ، وسقي الأرض باستسقائهم ، وصرف الوباء المؤذيات بدعائهم ، وتبدّل نفرة الطيور

بالهدوّ والوقوع[1] ، وَسورة السباع بالبصبصة[2] والخضوع . . . وإلى غير ذلك من الأمور التي تحكى عنهم . عبارته ٨٦ من هامش الجزء الثاني من « حياة الحيوان » .

وفيه أيضاً من هامش المجلد الأوّل : ومنها[3] كرامات الأولياء الأبرار ، فإنّ تأثير نفوسهم تتعدّى إلى غير أبدانهم حتّى يَحْدُثُ عنها انفعالات غريبة في العالم ، فيشفي المريض باستشفائهم ، وتسقى الأرض باستسقائهم ، وربما يحدث الخسف والزلزلة والطوفان والصواعق بدعواتهم والموتان باستدعائهم ، وتبدل لهم نفرة الطيور بالهدوّ والوقوع ، وصولة السباع وشدتها باللين والخضوع . انتهى عبارته ١٩ .

وقصة إحياء الدجاجة بقول السيد عبد القادر الكيلاني بوضع يده على عظامها : قومي بإذن الله ، وكذا قَتْل رُؤسَاءِ اللصوص بقبقابه ، والحال بينه وبينهم كذا وكذا يوماً مذكورةٌ بالتمام في « الفتاوى الحديثية » . وكذا ما وَقَعَ له من التصرفات الكثيرة مذكورة في« قلائد الجواهر » و« تفريج الخواطر » فراجعهما . وكذا ما وقع من التصرفات العجيبة لأحمد البدوي رضي الله تعالى عنه مذكور في مناقبه .

وكرامات الأولياء حق ثابت بالكتاب والسنة

والوقائع في تصرفات الأولياء أكثر من أن تحصى ، وكلها كرامات وهي معجزات للنبي عليه السلام ، وكرامات الأولياء حقّ ثابت بأدلة الكتاب والسنة ، من أنكرها فقد أنكر الكتاب والسنة . راجع « طبقات الشعراني » ترى العجائب في كراماتهم وتصرُّفاتهم . وراجع أيضاً « قلائد الجواهر » و« روض الرياحين » و« نشر المحاسن » وغيرها .

---

(١) **وفي نسخة** : والوقوف .

(٢) والتبصيص : التملق ، وتبصبص أي : حرك ذنبه .

(٣) أي من أمرٍ عجيب قليل الوقوع مخالف للعادات .

فحاصل الكلام أنَّ من يصدِّق كرامات الأولياء لا ينكر ما يصدر منهم من التصرفات ، فالله تعالى يكون سمعهم وبصرهم ويدهم إذا أحبهم وأحبوه كما يشهد لذلك حديث « لا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل » إلخ . وكراماتهم حقٌّ ثابتٌ بالكتاب والسنة كما ذكر ، من أنكرها فقد أنكرهما ؛ عصمنا الله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات قبائح أعمالنا وأقوالنا وأحوالنا آمين .

وكتب السادات ناطقة بصدور التصرفات على أيدي الأولياء العارفين كما لا يخفى على من مارس كتبهم ، فالله تعالى هو المتصرِّف عندهم لا بهم ؛ كما أنه هو الشافي عند الدواء لا به ، فافهموا . انتهى . والسلام على من اتبع الهدى وهدي إلى الصراط المستقيم .

وتفكروا هل ترى في هذا فرقاً بين من ينزل الدواء على الداء معتقداً أنَّ الشافي هو الله تعالى ، وإنما الدواء هو السبب الذي يحصل الشفاء عنده ، وهل يقول عاقل : إنه أشرك الدواء في الله تعالى واتخذه ربّاً ؟

فإن أردْتَ حقيقة ذلك أيها الأخ راجع إلى « نور الإنصاف في كشف الخلاف » تشفي عليلك ، ولا تنسب إلى عباد الله المخلِصين المخلَصين الشرك لِئلاَّ يبوء إليك بنصِّ الحديث[1] ، ولا تقرأ الآيات المنزَّلة في حقّ عبدة الأوثان ولا تحملها على الموحِّدين المبرَّئين عن الشرك الخفيّ والجليّ والأخفى ، ولا تجد في كتب أهل الطريق شيئاً مّا إلاّ و يدعون به إلى العبادة الخالصة من الشرك .

فائدة التلقين

وتلقين الذكر إنما هو لمجرَّد تنوير القلب وإيصال المريد إلى مقام الإحسان الذي هو أحد أصول الدين ؛ من الإيمان والإسلام والإحسان ، كما هو مذكور في « صحيح البخاري » ، فإن العبد إذا أكثر ذكر الله يوقد

---

(١) **أي** : من قال لمسلم : يا كافر فهو كافر . اهـ .

في قلبه مصباحاً ملكوتياً فيرى قبائح أعماله ؛ من الرياء والعجب والكبر وغيرها ، ثم يتشمّر في إزالتها ، فإن الذكر شفاء القلوب كما ورد ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ شاهد عدلٌ على ذلك .

الرابطة عندنا محبة الأولياء

والرابطة التي تنكرها الوهابية عندهم هي الوسيلة إلى خلوص القلب عن غير الله ، وهي عندنا محبة الأولياء والعارفين ، وربط[1] قلوبنا عليهم بُرْهَةً قليلةً كأنهم عندنا ونحن عندهم ، ثم محبة النبي ﷺ وربط قلوبنا عليه كذلك ، ثم النظر إلى القلب بترك التخيل المذكور ، وذكر الله بالقلب بالتفكر ، وكانت هذه الرابطة تحصل للصحابة والتابعين بلا احتياج إلى التكلُّف ؛ فقد ذكر البخري : **أنّ سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه شكى إلى النبي ﷺ عدم انفكاكه عنه حتى في الخلاء ؛ أي : بحسب الروحانية . وكان أبو بكر يأخذ الحياء منه وهذا هو المقصود الأهمُّ عندنا . وقد رأى ابن عباس صورة رسول الله ﷺ حين نظر إلى المرآة دون صورة نفسه بفنائه في الرابطة .**

مهم

بيد أنه لما تمادى الزمان ، وتكدّرت القلوب ، وقلّت المحبّة احتاج المشائخ إلى التنبيه عليها والتصريح بها ، فأَمَرَ الخلفاء المرشدون السالكين بالتكلّف فيها لجمع قلوبهم وتأليفها لأجل الاستفاضة ، ثم عبّروا عن هذه المحبة بالرابطة ؛ لأنّ العشق والمحبّة يربط قلب المحبّ بالمحبوب ، فيحصل الارتباط الروحانيّ ، وقد يسمّونها نسبة ، ويسمّى طريقهم طريق العشق والمحبة لرضاء الله تعالى كما في الحديث : « أَفْضَل الأعمال الحُبّ في الله » راجع « الفتاوى العمرية » .

---

(١) **وفي نسخة** : بربط قلوبنا .

مهم

وقال الحافظ ابن حجر المكي في « المنح المكية » : واعلم أن أفضل الأعمال وأشرفها وسيلةً هو محبَّة نبينا محمد ﷺ ، فإنها سبب لكلّ خير دنياويّ وأخرويّ ، وحينئذ عليك أن تكون ممَّنْ امتلأ قلبه بحبّ النبي ﷺ ، وقال ﷺ « لا يُؤْمِنُ أحدُكُمْ حتّى أكون أحبّ إليه من ماله وأهله وولده والناس أجمعين » . انتهى عبارته . وقال ﷺ « من أحبني فقد أحبّ الله ، ومن أطاعني فقد أطاع الله » و« المرء مع من أحبَّ » وقال ﷺ « لي وقت لا يسعني فيه غير ربي »[1] وعلى المرء أن يحبّ النبي ويتّبعه ويتَّبع أولياء الله « روح البيان » . وفي الحديث الصحيح « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضُّوا علها بالنواجذ » « فتح المبين » عبارته .

مهم

والرابطة عبارة عن المحبة ، والمحبة ربط القلب بالمحبوب كأنَّه حاضرٌ معهم وناظر إليهم على مقتضى قوله تعالى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ أي : جسماً إن أمكن أو روحاً إن لم يمكن على وجه المحبّة الكاملة ، فيحصل الارتباط الروحاني بينهما ، ويستفيض الأرواح ، فتلك المحبة أصل عظيم لجميع[2] الكمالات ، وهي كالمغناطيس تجذب صفة المحبوب إلى المحبّ وتجعل أحدهما مثل الآخر ، ولكن تلك المحبة وهبيَّةٌ لا تدخل تحت الاكتساب . راجع « الفتاوى العمرية » و« آداب المرضية » ، وأما ثمرة الرابطة فطرد الغفلة ، ودفع الظلمة عن القلب ، وإبعاد وساوس الشيطان عنه ، وجمع القلب مع الله والحضور معه .

فَبعْد أن ثبت هكذا أوَّلاً محبة الله تعالى لرسوله باتخاذه حبيباً ، ومحبَّة الصديق لرسوله ثانيًا بحيث لا ينفكُّ عنه حتَّى في الخلاء كما مرّ

---

(١) ولنا في رسول الله ﷺ اسوةٌ حسنة في ارتباط القلب مع الله وتأليفها كذلك مع آداب مذكورة ؛ والحمد لله على ذلك .

(٢) لجمع علّه (هامش الأصل) .

قبيل هذا ، وبعد أن ثبت عن النبي ﷺ بوقوف محبَّة الله على محبته ، ووقوف كمال الإيمان على محبته بحديثه المذكور قَبْلُ ، وكذا بعد أمره ﷺ بمحبَّة عباد الله تعالى بقوله « وكونوا عباد الله إخواناً » أي : بتعاونهم وتحابهم ، وكذا بعد أمره تعالى في كتابه الكريم باقتدائهم واتباعهم بقوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ ﴿ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ لم يبق إشكال لمنكر الرابطة ؛ فلعله يتوب إلى الله عمّا سلف منه من محاربة الأولياء ، وجعْله من يرابط المشائخ مثل المشركين الذين يعبدون الأوثان ويتخذون أبعاضهم أرباباً من دون الله تعالى وقال تعالى ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ الآية . ولعلَّ الأخ المذكور أن يتفكر فيما كتبناه كي لا يبقى له إشكال ، فإن أشكل شيءٌ بعده فاللازم عليك ذهابك لدى من بيده زمامها ، كما هو دأب الإخوان المخلصين لا المعاندين المنكرين ، وأما أهل الورع والخشية من الرحمن فيقتدون على ما نقله أهل الكشف الصحيح ولا يقدرون الإنكار معهم ولو قدر شعرة خائفين من الوعيد الوارد في منكريهم **مع أنهم هم الذين يقترفون أقوالهم من عين الشريعة ويرجعون ويجتمعون برسول الله ﷺ في تصحيح الأحاديث التي ضعّفها المحدّثون من طريقهم** ، فماذا نقول لك إن لم ترض على ذلك . انتهى . والسلام .

حقيقة الرابطة

ثمّ إنّ حقيقة الرابطة المذكورة هي طلب رحمة الله منه تعالى لا من غيره من محلّ نزولها ، كما يطلب أحدنا الماء الذي هو رحمة الله من محلّ جريانه ، فتدبَّر في هذا هل تجد فرقاً مّا بينهما ، والموحّد لا يعتقد تأثيراً لغير الله أبداً ، وطلب تلك الرحمة كطلب المتعلّم رحمة العلم من معلِّمه الذي هو محلّ نزولها ، ولا يخفى عليك ما يفهم من حديث الجليس الصالح والجليس السوء .

والرابطة أثبتها علماء المذاهب الأربعة

والرابطة أثبتها علماء المذاهب الأربعة طُرّاً ، ولم يُنكر عليها إلا من لا يعلم معناها في اصطلاح الصوفية كبعض الوهابيّة ، ومن نحا نحوهم ؛ كنعمان أفندي مع غفلته عمّا قاله والده محمود الألوسي[١] وقد أثبتها الأفغاني ورشيد رضا مع كونهما من رؤساء الوهابية كما هو مذكور في « المنار » . وها أنا أذكر لك ما أدركتُه من كتبهم ، ومن قال بها وحسّنها بالاجمال لتنظر وتتفكّر هل يكون هؤلاء الأكابر على الخطأ وأنت على الصواب ، وهل يقول عاقل إنّ هؤلاء قد خفي عليهم ما في هذه الرابطة ، وأما أنت قد أدركتَ ما فيها من الخطأ مع كونهم من القرون الماضية ، وأنت في هذا القرن الفاسد ؟ ! اللهم نعم ، لعلك أنكرتها لعدم اطلاعك على أدلّتها وحقيقتها ، وذا منك صلابة دينيّة ، لكن ليس من شأن العالم العامل أن يقف على خطئه إذا ظهر له الصواب .

وها أنا أعدّ[٢] أبعاضا من الكتب وقائليها ؛ منهم صاحب « الكشاف » مع انحرافه عن الاعتدال في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ ، **ومن الحنابلة**[٣] ؛ كمال الدين البابرتي في « شرح المشارق » في حديث « من رآني فقد رآني » . انتهى . ومنهم الإمام عبيد الله الأحرار السمرقندي في تفسير قوله تعالى ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ ، وصرح الإمام العالم المحقق الجرجاني الحنفي في أواخر « شرح المواقف » وأواخر حواشه على « شرح المطالع » بصحّة ظهور صور الأولياء للمريدين وأخذهم الفيض منهم بعد الموت ، ومنهم العلامة عبد الرحمن الجامي في شرح « الرباعيات » و« النفحات » وفي « رسالة توجّه الخوجكان » ، ومنهم العالم العلامة محمد ابن سعيد الخادمي شارح « الطريقة في رسالة النقشبندية » ، ومنهم شارح « الأشباه » الإمام العلامة الحموي في « نفحات القرب » ، ومنهم

---

(١) وقد أثبتها وصرح بحسنها كما هو مذكور في « نور الهداية » بالبسط التام فراجعه .

(٢) **وفي نسخة** : لك .

(٣) **علّه** : من الحنافية .

الإمام العارف بالله تاج الدين الحنفي في رسالته المعروف بـ« التاجية » ، ومنهم ابن كمال الوزير ، ومنهم الإمام فخر الدين الرازي في « المطالب العلية » ، ومنهم صاحب القاموس في « مقدمة البصائر » .

مهم

وقال نجم الدين الكبرى : فالرابطة بالقلب مع الشيخ أصل كبير في الاستفاضة ، بل لا تصفي مرآة القلب بدون رابطة القلب مع الشيخ . انتهى . ومنهم قدوة المُحَقّقين الشيخ عبد الغني النابلسي شارح « الطريقة » في شرحه على « التاجية » ، ومنهم عبد الحكيم السيلكوتي ، ومنهم العلامة ابن عابدين على شرح « الدرر المختار » ، ومنهم العالم ابراهيم حقيّ الأرض روميّ في « معرفة نامه » ، ومنهم الإمام الرباني في « مكتوباته » ، وكذا ابنه محمد معصوم في « المكتوبات » ، ومنهم أشرف زاده عبد الله الرومي في « مذكي النفوس » ، ومنهم محمد مراد الكابلي في رسالته « النقشبندية » ، ومنهم محمد جلال الدين الرومي في « المثنوي » .

ومن الأئمة الشافعية : الإمام الغزالي في « الإحياء » وفي « البداية » ، ومنهم العلامة ابن حجر في « شرح العباب » ، ومنهم جلال الدين السيوطي في « تنوير الحلك في رؤية النبي والملك » وقال أيضاً في كتاب « المنجلي في تطوّر الولي » نقلاً عن الإمام السبكي ، وقال ابن حجر أيضاً في « شرح الشمائل » وفاقاً لما في « شرح العباب » ، ومنهم الإمام الشعراني في « نفحات القدسية » وفي « أنوار القدسية » و« البحر المورود » ، ومنهم العلامة السفير الحلبي في شرحه على « البخاري » في حديث « ثم حبّب إليّ الخلاء » . إلخ . ومنهم الإمام السهرورديُّ في « عوارف المعارف » .

ومن المالكيّة : صاحب « المختصر » المشهور الجليل العلامة الشيخ خليل من أجلّ فقهاء المالكية ، ومنهم أبو العباس المرسي وهو القائل : **لو حجب عنِّي رسول ﷺ طرفة عين لما أعددنا أنفسنا من جملة المسلمين .** ومنهم الإمام ابن عطاء الله الإسكندري في « تاج العروس » ، ومنهم محي

الدين العربي في الباب الثلاثين من « الفتوحات » ، ومنهم الإمام الفاسي في شرح « دلائل الخيرات » في عدة مواضع .

ومن الحنابلة؛ الإمام شمس الدين ابن قيّم في كتاب « الروح » ، ومنهم الغوث عبد القادر الكيلاني رضي الله تعالى عنه وهو الذي قال : قدمي هذا على رقبة كلّ وليّ ؛ أي : وليّ عصره كما قاله الشعراني ، **ومن قال بالرابطة أكثر من أن تحصى** ، وقد صنَّف في حقّها رئيس الطائفة خالد شاه البغداديّ رسالة خاصّة وأقرّها وأثبتها بدلائل من الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، وألَّف الزهدي « تبصرة الفاصلين عن أصول الواصلين » وألّف الدستري أيضاً كتابه « الرحمة الهابطة » وفيها تأليفات خاصة كـ« الفتاوى العمرية » و« نور الهداية » و« رسالة فصيح أفندي » وغيرها ، وراجع « صحيفة الصفا لأهل الوفا » و« مجموعة الرسائل » للزهدي .

مهم

وقد كان الإمام الشافعيّ يقف بين يدي شيبان الراعي كالولد بين يدي المرضعة يرابط ويستفيض منه وكذا كان الإمام النواوي يقف بين أستاذه ، وراجع « الشرح الجلي على بيتي الموصلي » وراجع « السوانح » للشيخ العلامة الشهاب الخفاجي و« تيسير الأصول » لأحمد زين دحلان . ونقل في « الرحمة الهابطة » كلاما شافياً من كلام إبراهيم الدسوقي في حقّ الرابطة ، وذكره الشعراني في مناقبه ، وكذا ذكره أيضاً صاحب « نور الأبصار » ، وراجع كتاب « المضنون الكبير » للغزالي ، و« الفوائد الضابطة » لأحمد سعيد صاحب « زاده » المجددي .

ومن القائلين بها ؛ عبد الحقِّ الدهلوي والشيخ جبرائيل الحزب الأبادي ، راجع رسالة « نفحة المحمَّديَّة » ، والشيخ محمد بن سليمان الحنفي البغدادي في « الحديقة الندية » و « البهجة الخالدية » ، والقطب زين الدين الحافي في « الوصايا القدسية » ، والشيخ محمد باقي بن شرف الدين الحسيني العباسي الأهوري في « كنز الهدايات » ، والشيخ نعمة الله

بن عمر في رسالته « المدنية » ، والشيخ ابن سليمان الطرابلسي في « مرآة العرفان » ، والشيخ على ابن عبد النبي العشاقي في « الحبل المتين » ، والعلامة ابن حجر في « شرح الهمزية » عند قول الناظم :

وأملاء السمع من محاسن ....

والشيخ محمّد مفتي الخادمي في « رسالته العليَّة في آداب الطريقة النقشبندية » ، والعلامة المحقّق البياني ، وخاتمة المفسرين محمود الألوسي في « الفيض الوارد » ، والإمام المحدِّث الشاه أحمد وليّ الله الدهلوي في « القول الجميل » ، وقد شيّد ما فيه نجل العالم المحقق صاحب « التحفة الاثنى العشريّة » الشاه عبد العزيز قدس سره والشيخ العلامة الأردبي شارح « المشكاة » في « رسالته المكيّة » ، ونقله الدستري في « الرحمة الهابطة » ، والشيخ أحمد بن ابراهيم ابن علان الصديقي في شرح قصيدة الشيخ ابن عبد الدائم الأنصاري ، والعلامة ابن أبي داود الحنبلي صاحب « تحفة العباد » في كتابه « آداب المريد » والعالم الشيخ إبراهيم فصيح الجدري البغدادي في المجلّد الثالث ، والشيخ خالد العثماني في « الرسالة الخالدية » في الرابطة ، والشيخ العارف الوارث المتمكّن أبو مدين المغربي ﷺ في قصيدته ، والشيخ أحمد ابن علان في شرحه على « القصيدة المدنية » ، وفي شرح قصيدة الشيخ ابن بنت الميلق والشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانويّ في « جامع الأصول » وفي « المتممات » ، وراجع إلى « البهجة السنية » و« تحفة الأحباب » و« الحدائق الورديّة » و« الدرر المكنونات » و« السفر الاسنى » و« تنبيه السالكين » و« البروج المشيدة » و« تلخيص المعارف » و« خلاصة الأدب » وغيرها ممّا يطول بذكرها الكلام .

وممّن قال بالرابطة جنيد البغدادي ﷺ الذي أجمع القوم على أن طريقه أقوم الطرق كما صرّحه الشعراني في « اليواقيت » ، وناهيك هذا التعبير من هذا النحرير .

وقال الشعراني في « البحر المورود » : واعلم يا أخي أنّ ربْط أحدِنا قلبَه بشيخه حيٍّ أو ميّتٍ ينفعُنا ولو لم يكن ذلك الشيخ في علم الله سبحانه

شيخا لاستناده إلى الله تعالى لا لذاته ، كما نقله الدستري في « الرحمة الهابطة » . والنصوص وكلام العلماء والمشائخ بهذا المعنى أكثر من أن تحصى ، وفيما ذُكِرَ كفاية لمن تأمَّلَ وترك التعصّب في دين الله تعالى وأناب إلى الله ، **والاعتماد على أقوال هؤلاء الأكابر أحرى وأوجب من الاعتماد على قولكم** .

أيّها الأخ – تاب الله عليك بفضله – ولم نَجِدْ في الكتب ما يُخالف أقوالهم سوى ما في « المجالس الإرشاديّة » وذا ينبئ عدم معرفة[1] مؤلِّفه معنى الرابطة في اصطلاح الصوفية ، اللهم نعم قد وقع السؤال والجواب بين نعمان أفندي الألوسي وبين رئيس الوهابيّة حسن خان بهوبال ، وبذا ألّف محمّد أسعد كتابه « نور الهداية » ، ولم يترك فيه قولاً لقائل بعد ذلك ، وقد وقع كلامهما سبباً لإيقاع الشبهة في قلوب الخلق الذين لا يعلمون كيفيّة الرابطة ومعناها .

مهم
والحال أنك ترابط ليلاً ونهاراً

ثمّ اعلم أيها الأخ – عفى الله عنك – أنك صرَّحْتَ فيما كتبتَ إلي واحد بأنّ الرابطة أشدّ من قتل مسلم ، وأنك صرّحتَ أيضاً بأن فاعل الرابطة مشركٌ . فَتَفَكَّر في قولك مع ملاحظة ما ذكرناه إلى هنا لعلّك تتذكّر أو تخشى إن كنتَ مسلماً سليم القلب ، والحال أنك ترابط ليلاً ونهاراً بعيالك أو حريفك أو مواشيك أو زوجتك أو ولدك ، ولا يخلو لك وقت مَّا ، بل ولا صلاة واحدة إلاَّ أنّك ترابط تلك المذكورات وأمثالها ، ومع ذلك لا ترى ذلك شركاً ، ولا تعدّه شيئاً مكروهاً منكراً ، ولكنّك تنكر رابطة الأولياء التي هي الركن الأعظم من طريقهم الذي هو عين طريق الإخلاص وعين الخلاص من الشرك الجليّ والخفيّ ، فهلاَّ تركْتَ هذا الإنكار وأنكرتَ بدل ذلك على شارب الخمر وبائعه وعاصره وغاصب الأموال . . . وإلخ .

---

(١) كما يصرح ذلك في آخر كلامه (منه) .

وصَرَّحْتَ أيضاً بأنّ مَن اتّخذ شيخاً اتخذ من دون الله أرباباً ، اعلم أيها الأخ العالم أنَّك قرأت العلم من الأستاذ ، ولم تصر عالماً إلا بالتعلُّم منه ، وعندك في الحال من يتعلمون العلم منك ، ولست أنت ولا أحد من الخلق يقول : إن ذلك اتخاذ ربّ من دون الله ، بل تعدّونه من الأمور المحبوبة ، وترابطون قلوبكم وقت التعلم بأستاذكم ، وبعد ذلك ترابطون قلوبكم به بالمحبة وتعدّونه أيضاً من محاسن الشريعة ، فأعطِ مِنْ نَفْسِكَ الإنصَاف ، ولا تُنْكِرْ بما تعلمُ من نفسك .

مهم

وتفكَّرْ هَلْ في طلب علم الإخلاص وكيفية علاجِ الأخلاق المذمومة من الشيخ المرشد الذي مشى في طريق الإخلاص زمناً ، ورأى مهالكها ، وعلم مخفيات مضارّها ، وبين طلب علم الظاهر ممّن يعلّمها فرق تجده ، وأرجوك لا تجد بينهما فرقاً مّا لتعدّ هذا اتخاذ ربٍ من دون الله ولا تعدّ الأخرى ، بل تعدّه من أوجب الواجبات ، فانظر ماذاً ترى أيها الأخ المرجوُّ للاستقامة لا يخفى عليك أنَّ ما يفعله ويعلِّمه مشائخ الطريقة هو تعليم كيفيّة خلوّ الباطن من الشرك الخفي وخلوصها عن الأخلاق المذمومة والغفلة الدائمة المتراكمة ، وكلّهُمْ يأمرون المريدين بملازمة الذكر ليلاً ونهاراً قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، بل يعدّون الغفلة من أعظم الذنوب ، كما هو مذكور في كتبهم .

وأدنى ما يحصل للواحد منهم أن لا يغفل عن الله تعالى حتّى في الخلاء ولا يقف فيه لحظةً إلاّ ويذكر معه لفظة الجلالة ، ويقف على باب قلبه ولا يتركه يخطر شيئاً ممّا سواه ، فإن خطر يتوبُ إلى الله تعالى كما يتوب المذنب ، واستاذه يأمره كذلك ويقول : إنَّ الغفلة عن الله من أعظم الذنوب عند أهل الله ؛ والله تعالى قال : ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ وقال : ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ وقال : ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ وقال : ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ وقال : ﴿صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ . . إلى غير ذلك من الآيات الأخر في معانيها ، **فما يفعله المريد ويأمره الشيخ به هو اتباع أمر الله واجتناب**

نواهيه ، فهل ترى في هذا شيئاً تطعنه ؟! وهل فيه شيء يخالف الكتاب والسنة ؟! وقد نُصِبْتَ قاطعاً لهذا الطريق بجهدك وطارداً عباد الله تعالى عن العبادة والذكر والدعاء والورد في المساجد؛ وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ﴾ الآية ، وتريد إطفاء نوره ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ﴾ . .إلخ .

وإن أَرَدت أن تذهب شبهات ما كتبت من الآيات التي اتخذها الواهبيَّة مستندةً لشبهها فراجع « نور المقايس » و« شواهد الحق » و« الدرر السنية » ولا تقل : (هم رجال ونحن رجال) كما يقوله الوهابيّة ، نعم أنتم رجال مثلهم في الرجوليّة لا في صفة أخرى من المعارف والعلوم ، وقد عَرَّضَ الصاوي في كل واحدة منها وصرَّح بما يردّها ، والله يحقّ الحق ويبطل الباطل .

مهم

والتقليد بالطائفة الوهابية بترك التقليد بأئمة الشرع أو الادّعاء بالاجتهاد شيءٌ عجيبٌ ، فما أعظم[1] ما وقع من جهتكم من هذه البلية في هذا الدين المتين ؟ ! ، ولا عجب ، فقد وقع أعظم منه في جزيرة العرب والمكة المكرمة ، وقد صارت هذه الطائفة سبباً للفتن قديماً وحديثاً ، وما حصل بهم ؛ من قتل العلماء ، ونهب الأموال ، وإفشاء الزنا ، وشرب الخمور ، ونبش قبر بعض الأنبياء واتخاذه محلاًّ لقضاء الحاجة ، وتحقير الأنبياء والاولياء ، ومَنْعِهم الناس من زيارة قبر النبيّ ﷺ ، ومنعهم عن قرائة « دلائل الخيرات » ، وقتلهم المؤذن بعلّة أنه صلَّى على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الآذان ، ومنعهم الناس عن الدعاء بعد الصلاة وغيرها من الفتن الواقعة في جزيرة العرب والمكة المكرّمة مذكورة في « الدرر السنيّة » .

---

(١) وفي نسخة : فما أعجب .

وأما ما حَصَلَ منهم في هذه السنة ١٣٤٣ ؛ ظهرت الفتنة بسببهم في أوائل صفر في الطائف على بعد مرحلتين في شرق مكة ، وقتل فيها نحو من ٦٠٠ رَجُل من أهل مكة والطائف ، ونهبت أموالهم ، وانقطعَت الطرق ، وبينهم وبين العلماء قديماً وحديثاً جدالٌ طويلٌ كما هو صريح ما وصل من طرف من كان متوطناً في مكة من رجال أوار في رجب سنة ١٣٤٤ بالغوج[١] ، فإنّا لله وإنا إليه راجعون . انتهى .

ومكّة في الحال في أسر الوهابيّة ، بيد أنه لا يظلمهم ، بل يعتذرهم عمّا وقعَ بينهم من القتل والنهب بواسطة الوهابية من قبلُ وفي الحال ؛ عصمنا الله وأحبابنا من صنيعهم ، ورزقنا وإياهم المتابعة بالرسول السيد الكريم في القول والفعل والحال ، وأنار بواطننا بأنوار الرابطة معه عليه السلام ، ومع الأولياء والمشائخ العارفين الواصلين ، آمين يا مجيب برحمتك يا أرحم الراحمين ، والحمد لله رب العالمين .

معرفة النفس فرض عين

ثمّ اعلم أنّ معرفة النفس فرض عين لكلّ فردٍ من أفراد الإنسان ؛ لأنّ معرفة الربِّ موقوفة على معرفة النفس ؛ لقوله عليه السلام : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » ، ونقيضه : من لم يعرف نفسه لم يعرف ربّه ، فمعرفة الرب فرض عين ؛ لأن عبادة الرب تعالى تتوقّفُ على معرفته تعالى ؛ لأنّ من لم يعرفه لم يعبده ، وعبادة الرب فرض عين ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ، ولإنّ معرفتها باب لمعرفة الله تعالى بمقتضى حكم الله تعالى ، وكلُّما يتوقف عليه فرض فهو فرض ، فمعرفة النفس فرض عين بالأدلّة الأربعة ، فمن جهل بمعرفة النفس فهو أجهل بمعرفة ربّه ، فلا بُدّ من معرفة نفسه حتّى يعرف ربه ، **فتلك المعرفة لا تحصل إلا بالوقوف على القلب والرابطة بالمشائخ .**

(١) لعلّها محلّة في مكة (غَازْ - سِكْتُرْ غَازْ) .

ولا يظنَّ ظانٌّ أنَّ تلك المعرفة تحصل بقراءة الكتب الشرعيّة ومطالعة كتب الصوفية من غير مجاهدة بالأعمال الصالحة وغير تزكية النفس عن الشواغل البدنيّة ، فهيهات أن ذلك الظنّ يعطي له معرفة أو كشفاً أو شهوداً ، **فبدوام السالك على الرياضات والمجاهدات تتصفَّى روحه عن الكدورات العنصريّة ، وتتزكّى نفسه عن القذورات الطبيعيّة ، وتتطهَّرُ ذاته عن الأحداث المعنويّة المانعة من التقرب إليه تعالى** ، ويتشرّق ذهنه ويتجوهر روحه بالأنوار الإلهيّة ، **وبعد ذلك يصير عارفاً بنفسه ومشاهداً لربه ، ويتجلّى له ربّه على الدوام في الباطن والظاهر ، ويكون معه تعالى على كلّ حال بمضمون** قوله ﷺ : « لي مع الله وقتٌ لا يسعني ملك مقرَّب ولا نبيٌّ مرسل » راجع إلى « جامع الأصول » ففيه البيان .

حماية القلب واجب

وهذه الأحوال وحصول معرفة النفس لا تحصل إلا بحماية القلب عن وساوس الشيطان ، وحمايتُه منها واجبٌ ، وهو فرض عين على كلّ مُكلَّف ، **وما لا يتوصّل إلى الواجب إلا به فهو واجبٌ** « إحياء » فالرابطة و الوقوف القلبيُّ واجبان ومتَّحدان في حماية القلب بدفع الخواطر ، فثبت بالمذكورات كلّها إلى هنا كون معرفة النفس بمعرفة القلب ، وكون معرفة الرب بمعرفة النفس ، وكون معرفة القلب بحفظه[1] ، وكون حفظه بالوقوف القلبي ، وهو[2] أن يقف الذاكر على قلبه عند الذكر ليردّ عنه الغفلة والخواطر ، وإن لم يقف على قلبه عند الذكر لم يحصل فيه الحضور بالمذكور ولو كان يذكر الله طول عمره ، فثبت بهذا المذكور تحقُّق حفظ القلب عن دخول الخواطر فيه بالوقوف القلبيّ .

---

(١) عن دخول الأغيار فيه وتعطيله عن الأفكار .

(٢) **أي** : الوقوف .

إن التصوّف هو القدرة على حماية القلب

واعلم أنّ حفظ القلب عن دخول الخواطر ولو ربع ساعة أمرٌ عظيم عند الصوفية ؛ لأنّ من قدر على ذلك فقد تصوّف ؛ لأنّ التصوّف هو القدرة على حفظ القلب عن دخول الخواطر فيه وتعطيله عن الأفكار ، **فمن قدر على هذين الأمرين فقد عرف حقيقة قلبه ، ومن عرف حقيقة قلبه فقد عرف ربّه ، وبالرابطة معرفة قلبه وحفظه** . كذا ذكره صاحب « البهجة » فيها .

حقيقة الوقوف

وحقيقة الوقوف القلبي المذكور أن يعطِّل السالك جميع حواسّه وقواه عن أحكامها ، ثمّ يتوجّه بالتوجه التام مع العزم والاهتمام إلى حقيقة قلبه ، ويستمرّ على التَوجُّه التام من غير فتور ولا ذهول ، ولا يُدخل في قلبه الخواطر ؛ من خير وشرّ حتّى يرجع القلب إلى صفته الأصليّة ؛ **لأنّ القلوب في خلقتها الأصلية كانت على مشاهدة الحق سبحانه وتعالى ، لكنَّها بسبب تعلّقها بالأبدان حجبت عن المشاهدة الأصليّة ، فإذا انقطعت عن تعلّقات الأبدان رجعتْ إلى صفتها الأصليّة** ، ولا تزال بعد ذلك عن تلك الصفة راجع « الخواجكان » ، **فذلك الرجوع هو معرفة القلب ومعرفة الرب** . وبعد الملازمة على التوجّه إلى حقيقة قلبه على الدوام لا يبقى فيه إلاّ الانجلاء الروحاني الغير المقيّد بشيء من الأجسام وعوارضها ، ولا يرى حقيقة قلبه في تلك الحالة إلاَّ نوراً بسيطاً محتوياً بجميع ما كان ويكون ، منسبة إلى بارئها ،

مهم

لأن جهل النفوس بذواتها وبارئها إنما نشأ من الشواغل البدنية والعلوم الرسمية وغواش أحكام القوى والحواس ، فلذلك قال الجنيد البغدادي قدس سره : التصوّف هو أن يجلس ساعة متعطِّلاً عن ملاحظة شيء . كذا ذكره المشائخ العارفون الواصلون إليه تعالى .

تفكَّر أيّها الأخ هل في هذا شيء منكر - رزقك الله الاستقامة - ومن المعلوم المجرّب المحقّق بان التطهير من النجاسة المعنويّة وأدناس الطويَّة ، والحضورَ والخشوع في الصلاة وسائر العبادات بمشهد « أن تعبد ربَّك كأنّك تراه » المعبَّر عنه بمقام الإحسان لا يتيسَّر إلا بالسلوك على يد شيخ كامل عالم بعلاج هذه الأمراض ، ولأجله أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان له شيخاً يُرْشدُهُ إلى زوال تلك الصفات التي تمنعه من حضرة الله بقلبه ؛ لتصحّ صلاته من باب : **ما لا يتمّ الواجب إلاّ به فهو واجبٌ** ، ولا شكّ أن علاج[1] أمراض الباطن كلّه واجبٌ كما تشهدُهُ الآيات والأحاديث الوارِدَة في تحريمها ، والوعيد بالعقاب عليها . **فعلم أنّ كلّ من لم يتخذ له شيخاً يرشدهُ إلى الخروج عن هذه الصفات فهو عاصٍ لله ورسوله** ، لأنه لا يهتدي لطريق العلاج ، ولو تكلّف لا ينفع بغير شيخٍ . راجع إلى « جامع الأصول » و« الأجوبة المرضيَّة » و« لواقح الأنوار » و« البروج المشيدة » و« تلخيص المعارف » و« خلاصة الأداب » و« تنبيه السالكين » إلخ .

مهم

واعلم أيها الأخ أنّ الله تعالى خلق الخلق لطاعته وعبادته وعرفانه كما نطق به الكتاب ، وحقيقة العبادة خشوع وخضوع وحضور ، وهي موقوفة على السلوك ، ومن لم يكن له نصيب من طريق الحقّ من السلوك فلا نصيب له من المعرفة ، كذا ذكروه في كتبهم ، وقال صاحب « البهجة السنية » فيها : فالعبادة عبارة عن دوام الحضور مع الحق سبحانه وتعالى بلا شعور الغير ، ولا تحصل هذه السعادة العظيمة بغير تصرّف الجذبة الإلهية ، ولا سبب لك في تحصيل الجذبة أقوى من صحبة الشيخ الذي كان سلوكه بطريق الجذبة . انتهى عبارته .

---

(١) فالعالم بالعلم الظاهر فقط لا يقدر على علاج قلبه فكيف لغيره ؟ ! « جامع الأصول » .

وقال الإمام الغزالي في « الإحياء » : علم أحوال القلب وعلاجها هو علم الآخرة ، وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة ، فالمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة كما أن المعرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا . فنظر الفقهاء في فروض العين بالإضافة إلى صلاح الدنيا ، وهذا بالإضافة إلى صلاح الآخرة . انتهى . راجعه .

وقال الإمام الشعراني في « لطائف المنن » بعد كلام ، وكذا في « لواقح الأنوار » : فاسلك يا أخي على يد شيخ ليدلَّك على طريق الوصول إلى الحضور والخشوع ، وقد قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ ، والمراد بذكر الله هنا شهود العبد ربّه بقلبه ، أو علمه أنه في حضرته تعالى والحقُّ ناظرٌ إليه ، فمن صلّى كذلك نهته صلاته عن الفحشاء والمنكر خارجها لاستصحاب شهود أنّ الله تعالى يراه التي هي حضرة الإحسان . انتهى .

فمن البيّن أنَّ الحضور والخشوع المذكورين ممّا لا يحصلان للسالك إلا بعد تصفية القلب عن كدورات السوى . وفي « طفل المعاني » : وصفاء القلب أن يصفي قلبه من كدورات البشريّة ؛ مثل الغفلات التي تحصل في القلب ، وتصفية القلب من هذه الكدورات لا تحصل إلا بملاحظة ذكر الله تعالى بالتلقين كما قال تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ أي : خشيتْ ، والخشية لا تكون إلا بعد انتباه القلب من نوم الغفلة وتصقيله . انتهى . قال النبي ﷺ : « لا ينظر الله إلى صوركم ولا إلى أعمالكم بل ينظر إلى قلوبكم ونياتكم » **فيحتاج إلى العالم الذي يكون علمه آلة للتصفية ، وهو علم التصوّف** الذي يحصل من تلقين المشائخ الذي جاء من عند الله بأمر الله وبإذن من رسول الله . انتهى . « سلسلة الأرواح » . عبارته . وفي « الطبقات » **من دخل الدنيا ولم يصادف رجلاً كاملاً يربِّيه خرج منها وهو متلوّث ولو كان على عبادة الثقلين** . انتهى عبارته .

ثمّ اعلم أنه لا يمكن لكلِّ أحدٍ أن يُزَكِّي نفسه عن الصفات الحيوانية إلا بأن يسلك في طريق الصوفيّة التي هي طريق تهذيب الأخلاق والتصفية « خواجكان » ولقد ذكرنا قبيل هذا أنّ القلوب في خلقتها الأصلية كانت على مشاهدة الحقّ إلى آخر ما مرّ ؛ **فلأجل ذلك كان السلف يجتهدون في قطع الخلائق ورفع الشواغل والعلائق عن القلوب ، ومتى تفرغ القلب عن عوائقه ينتهي بفطرته إلى محبَّة خالقه** . كذا في « جامع الأصول » وكلّ عبادة لا تجمع العبد بقلبه على الله تعالى ليس بعبادة ، فلا أجر فيها « لطائف المنن » .

وبالجملة فمن لم يكن بوَّاباً لقلبه لا يعرف ما يدخل وما يخرج ، فهو في خسران منه . وفي « جامع الأصول » أيضاً : ثلاثة أشياء لا تزن عند الله جناح بعوضة ؛ **أحدها** : الصلاة بلا خشوع وخضوع . **والثاني** : الذكر بالغفلة ؛ لأنّ الله لا يقبل دعاء وذكرا من قلب غافل . **والثالث** : الصلاة على النبي ﷺ من غير حرمة ونيَّةٍ كما قيل . قال عليه السلام : « إنّما الأعمال بالنيَّات » . وفي « الأنوار القدسية » : والصلاة محلُّ المناجات ، لا تقبل الالتفات لغير الحق .

وقال الإمام الغزالي : الغافل في الصلاة تارك لها ، فكما أنّ من ترك الأفعال الظاهرة يقتل بسيف الشريعة ، كذلك من ترك الأفعال الباطنة يقتله الجبار يوم القيامة ؛ لحديث : « اُعْبُدْ رَبَّك كأنّك تَرَاهُ » . فالعبادة مع شهود صريح أو تخيُّل شهود صحيح . انتهى . وفي « الإحياء » بعد ذكر الحكايات في الخشوع في الصلاة : فدلّت هذه الحكايات والأخبار أنّ الأصل في الصلاة الخشوع وحضور القلب ، وأن مجرّد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في المعاد . انتهى . فالفقيه يفتي بالصحَّة[1] إذا أتى بصور الأعمال مع ظاهر الشروط ، وإن كان غافلاً في جميع صلاته من أوّلها إلى آخرها ، مشغولاً بالتفكّر في حساب معاملته في السوق إلا عند التكبير ، وهذه الصلاة لا تنفع

---

(١) **أي** : الصلاة (هامش الاصل) .

في الآخرة كما أنّ القول باللسان في الإسلام لا ينفع ، ولكنَّ الفقيه يفتي بالصحَّة ؛ أي : إن ما فعله حصل به امتثال صيغة الأمر وانقطع به عنه القتل والتعزير ، **فأمّا الخشوع وإحضار القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرّض له الفقيه** . انتهى . **والخشوع من فروض الصلاة**[١] **عند الغزالي . والحضور عندنا ليس شرطاً للإجزاء ، بل شرط للقبول** كما قال الرازي « مراح لبيد » . انتهى كتاب « معرفة الرحمن » .

اعلم أيها الأخ العالم أنّ أدلّة اشتراط الخشوع وحضور القلب كثيرة ؛ فمن ذلك قوله تعالى : ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ وظاهر الأمر الوجوب ، والغفلة تضاد الذكر ، فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيماً للصلاة لذكره ؟! وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ نهيٌ ، وظاهره التحريم ، وقوله عز وجل : ﴿حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ تعليل لنهي السكران ، وهو مطّرد في الغافل المستغرق الهمِّ بالوسواس وأفكار الدنيا ، وقوله تعالى ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾ وقوله ﷺ : « إنما الصلاة تمسكن وتواضع » وقوله ﷺ : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً » وصلاة الغافل لا تمنعُ عن الفحشاء والمنكر ، وقال ﷺ « كم من قائم حظُّه من صلاته التعب والنصب » وما أراد به إلا الغافل ، وقال ﷺ « ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها » راجع « الإحياء » كذا ذكره الغزالي فيه في المجلّد الأوّل .

فعلمتَ أيّها الأخ مما ذكرناه اشتراط الخشوع وحضور القلب في الصلاة وسائر العبادات البدنية ، وكون المدار على ذلك مع ما فيهما من الثواب الجميل والأجر الجزيل ، وتفكَّر كيف يكون خشوعك وحضور قلبك في صلاتك وسائر عباداتك ، وفي أيِّ مدة تقدر حفظ القلب من الخواطر الرديئة والأوهام الساترة[٢] ، وإرجاعه إلى صاحب الكلام والمناجاة معه

---

(١) قال النبي ﷺ : لا صلاة إلاّ بحضور القلب . « طفل المعاني » .

(٢) **وفي نسخة** : السائرة .

بالآداب المعتبرة عند أرباب القلوب ، وعلمت أيضاً أن الله تعالى لا ينظر إلى صورنا الظاهرية وإن غسلناها بالصابون ألف مرّة في كلّ يوم ، بل هو مطَّلع على ضمائرنا وسرائرنا ، ولا يخفى عليه شيء مّا من جزئيّاتنا وكُلّيَّاتنا ، وأنه تعالى منعمنا ورازقنا ، وبيده مقاليد أمورنا ؛ من النفع والضر والخير والشر ، مع أنَّ شكر المنعم واجب علينا ؛ وهو صرف العبد جميع ما أنعم الله لنا من الأعضاء الظاهريَّة والباطنية إلى ما خُلقَ له . فتفكّر الآن لأيّ شيء خلق القلب والعين واللسان . . إلخ . إلخ . وإلى أيّ شيء نصرّفها ، فإلى متى هذه القسوة والهذيان ، وفي أيّ زمن نعالج ونصلح منظر الخالق تعالى ونطهِّره من الأخلاق الذميمة ، **فمعلوم أنك لا تقدر تزيينه وتطهيره منها ومن النجاسات المعنوية إلاّ بصحبة شيخ واصلٍ عارفٍ بالطريق وكيفية المعالجة** ، وهو طبيب الأمراض القلبية ،

مهم

كلامهم شفاءٌ

وإزالة العلل الباطنية منوطة بتوجُّه هؤلاء الأكابر ؛ كلامهم شفاءٌ ونظرهم شفاء ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم ، وأنهم جلساء الله ، بهم يمطرون وبهم يرزقون ، ورأس الأمراض القلبية ورئيس العلل الباطنية هو تعلق القلب وارتباطه بدون الحقّ سبحانه ، فلو بدّلت الصحبة وتركتَ الإنكار لكان لك نصيبٌ ممَّا لهم ، ولدخلتَ في زمرتهم كما قيل : تصديق الولاية ولاية .

ثم اعلم أيها الأخ – عَصَمَك الله عمّا يُصِمُّكمْ – أنّ الإنسان إذا طرأ عليه مرض من الأمراض الظاهرة وعرضتْ لعضو من أعضائه آفة يسعى سعياً بليغاً حتى يندفع عنه ذلك المرض وتزول عنه تلك الآفة ، وقد استولى عليه المرض القلبي الذي هو عبارة عن تعلُّق القلب بما دون الحق جلَّ وعلا

على نهج كاد يوقعه في الموت الأبديِّ ويلقيه في العذاب السرمديِّ ، وهو لا يتفكّر في إزالته أصلاً ولا يسعى في دفعه قطعاً .

عقل المعاد

فإن لم يعلم أنّ هذا التعلق مرض فهو سفيه محض ، وإن علم ، ومع ذلك لا يبالي به فهو بليد صرف ، ولأجل إدراك هذا المرض لا بُدّ من عقل المعاد ، فإن عقل المعاش لا يُدرك المرض المعنوي ، ولا يراه مرضاً بواسطة ابتلائه بالتلذذات الفانية وانغماسه فيها ، كذلك عقل المعاد لا يحسُّ الأمراض الصورية ، ولا يعدّها أمراضاً بسبب رجائه المثوبات الأخروية . عقل المعاش قصير النظر ، وعقل المعاد حديد البصر ، عقل المعاد نصيب الأنبياء والأولياء عليهم السلام ، وعقل المعاش مرغوب الأغنياء[1] وأرباب الدنيا ، شتّان ما بينهما . والأسباب المحصّلة لعقل المعاد ذكر الموت وتذكّر أحوال الآخرة ومجالسة قوم تشرّفوا بدولة فكر الآخرة .

مهم

ينبغي أن يعلم كما أن مرض الظاهر موجب للعسرة والتعب في أداء الأحكام الشرعيّة ، كذلك مرض الباطن مستلزمٌ لذلك ؛ قال الله تبارك وتعالى : ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ والمستلزمُ لذلك العسر في الظاهر ضعف القوى والجوارح ، وفي الباطن ضعف اليقين ونقص الإيمان ، وإلاَّ فليس في التكاليف الشرعية عسر أصلاً ، بل كلُّها تخفيف وتمام اليسر والسهولة . وقوله تعالى : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ وقوله تعالى : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ شاهدان عدلان لهذا المعنى . شعر :

ما ضرّ شمس الضحى في الأفق طالعة　　أن لا يرى ضوئها من ليس ذا بصر

---

(١) وفي نسخة : الاغبياء .

فكان فكر إزالة هذا المرض لازماً ، والالتجاء إلى الأطباء الحذاق فرضاً ، ما على الرسول إلا البلاغ . فإذا كان الحال كذلك ينبغي للعاقل أن يصرف حياة أيام معدودة في مرضيّات الله سبحانه وتعالى ، **وأيّ صفاء في عيش وأيّ لذّة في معيشة إذا لم يكن مولى العبد راضياً عن أفعاله** ، والحق سبحانه مطّلعٌ على الأحوال الكليّة والجزئيّة وحاضر وناظر ، فينبغي أن يستحي منه ، فإنّه لو ظنّ اطّلاع مخلوق على العيوب والأفعال القبيحة لما صدرتْ منه حينئذ قبيحة ولا عيب قطعاً ، ولا يراد اطلاعه على الغيوب[1] .

مهم

فأيّ إسلام ؟!

فأيّ بلاء وقع ، فإنّ أكثر الناس لا يتّقون ، ولا ينقبضون ، ولا يبالون ، مع علمهم بحضور الحق سبحانه واطلاعه على الضمائر والسرائر ، فأيّ إسلام هذا حيث لا اعتبار للحق عندهم مثل اعتبار هذا المخلوق ؟ ! نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . وينبغي لنا أيضاً أيّها الأخ السائل ، العمل والاجتهاد في طاعة الله تعالى بتخلية البواطن عن الرزائل ، وتحليتها بالفضائل ، واحترازنا من المشاركة معه تعالى في صفة ؛ من صفاته مثل الكبر ونحوه ؛ لأن بقاء الدنيا قليل جدّاً ، وعذاب الآخرة شديد في الغاية ودائم ، **وعلينا استعمال العقل والفكر بِهَلْ يكون الأولياء والمشائخ الذين هم بين أقطاب وأوتاد على الخطاء والعصيان ، وأنتم على الحقّ والصواب ، وأن لا نغترّ بطراوة الدنيا الخالية عن الحلاوة ، فإن كانت العزّة والأفضليّة بسبب الدنيا فينبغي أن تكون الكفار الذين لهم حظٌّ وافرٌ من الدنيا أعزّ وأفضل من الكلِّ ، والانخداع بظاهر الدنيا من عدم العقل ،** وإنما اللائق بالعاقل أن يغتنم فرصة أيام قليلة ، وأن يجتهد في تلك الفرصة اليسيرة في تحصيل مرضاة الله تعالى ، والإحسان إلى خلق الله عزّ وجلّ ،

---

(١) ولا يريد اطلاعه على العيوب . (علّه) .

فإنّ التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله كليهما أصلان عظيمان لأجل النجاة من عذاب الآخرة ، وكلما أخبر به المخبر الصادق فهو مطابق لنفس الأمر ليس بالهزل ولا بالهزيان ، فإلى [متى] يمتدّ نوم الغفلة والغرور ، أليس آخره وعقباه إلى الفضيحة والحرمان ؛ قال الله سبحانه : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ وإني وإن كنت أعلم أنّ وقتك لا يقتضي استماع أمثال هذه الكلمات لكونك أسيراً بحبّ الطائفة الوهابيّة - خذلهم الله - بنسج عروق شبههم في قلبك ، ولكونك في عنفوان الشباب والتنعُّمات الدنيويَّة ميسّرة والحكومة والتسلُّط على الخلق حاصلة ، ولكنَّ الشفقة على أحوالك كانت باعثة على هذا القيل والقال ، أرجوا الله تعالى أن يجعلها لوجهه الكريم ، وأن يَمُنَّ علينا بما منّ به على الأولياء والمشائخ والصالحين البررة الأتقيَاء ، وأن يحشرنا معهم في زمرة النبيين ، ورزقنا التصديق بعلومهم ومعارفهم . آمين[١] . والسلام[٢] .

---

(١) من أخيك الحقير محمد العالم نور محمد العسوي .

(٢) **أيها الأخ** لعلّك تذكَّر أو تخشى وتقبل النصح ، فإن لم تذكَّر ولم تخش من الله ولم تقبل النصح فلا كلام معكم سوى قوله تعالى : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ﴾ وقال ﷺ : « إذا رأيت شحّاً مطاعاً وهوًى متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخصوصية نفسك » وقال الشيخ الصفدي :

ولا تجادل فماذا وقت معرفة وقـت المحال وأيام المرآءات

وقال أيضاً بعده :

لم ينبت الزرْعُ في الأرض السباخ ولا القيعان تمسك ماءً للمخرات

وقال أيضاً : إن لمْ تجدْ منصفا للحق دعْه إلى . . . . مولى الموالي ومساك السماوات .

وقال ﷺ : « يأتي على الناس زمان القابض فيه على دينه كالقابض على الجمرة » رواه الترمذي ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ وقال أيضاً : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ وقال : ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ هذا والسلام للكاتب العسلي .

الأجوبة الوهبيّة
للمسائل الوهميّة

جهد المقلّ اليعسوبي
سامحه الله تعالى
من فرطاته
آمين

دار الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ، الناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم ، وعلى آله وصحبه وسلّم .

وبعد ؛ فيقول العبد الحقير ذو التقصير الكثير محمّد [بن نور محمد العسلي] اليعسوبي - رحمه الله إفلاسه - لما رأيت في كتب الطريقة النقشبنديّة ما يُوهم التناقض بين ما فيها وبين ما يستعمله أربابها من الأذكار ، من حيث التلقين والاستعمال ، وصار طلاب الآخرة السالكون في سلسلة مشائخ تلك الطريقة متحيّرين في جوابها ، وكثُر سؤالهم عنها ؛ أَرَدتُ تَبْيين تلك المواضع وكتبة الأجوبة لها إزالَةً لظلمة شبهَاتهم ؛ وهي هذه المسائل الثلاث المذكورة بعدُ ، فكتبتهَا وَصَارت كتاباً مستقلاً - بحمد الله تعالى - فسمّيته :

بـ « **الأجوبة الوهبيّة للمسائل الوهميّة** » .

المسألة الأولى : أنه قد تعنعنت أذكار الطريقة النقشبندية عن الصّديق الأكرم بالقلب ، سواء كان الذكر باسم الذات أو النفي والإثبات بلا فرق ، وَعليه عمل المشائخ الخوَاجكانية سلفاً وَخلفاً بلا شذوذ أحد منهم ، كما صرّحوه في غير موضع واحد .

قال الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي في « متممات جامع أصول الأولياء » : **واعلم** أنّ الذكر الوارد معنعناً أنواع ؛ **الأوّل** الذكر الخفيّ القلبيّ ، فهو اسم الذات ، وهي لفظة (**الله**) بالقلب . وأمّا **الثاني** الوارد معنعناً الخفيّ القلبيّ أيضاً ، فهو بالنفي والإثبات بكلمة (**لا إله إلا الله**) قلباً بعد رسوخ الذكر في اللطائف .

وقال صاحب « سلسلة الذهب » فيه : وكلاهما ؛ أي : النفي والإثبات واسم الذات ، يتلقّنُ بالقلب الحقيقيّ . ومثله في سائر الكتب الخواجكانيّة - قدس الله أسرار أربابهم .

ومع هذا المذكور قال صاحب « الحدائق الوردية » فيه ما نصه : اعلم أن الإمام بهاء الدين الشاه نقشبند أخذ الذكر الخفيّ عن روحانية الشيخ عبد الخالق الغجدواني قدّس سرّه .

أن الذكر الخفيّ لم يكن قبل تلقين الخضر عليه السلام

وفي « الرشحات » ما حاصله : إن الخواجه عبد الخالق الغجدواني تلقَّن الذكر القلبيّ أيّام شبابه عن الخضر عليه السلام ، فكان يواظب على الذكر المذكور ، وقَبِلَه حَضرة الخضر عليه السلام للولديّة ، وأمره أن يخوض في الحوض ، وأن يقول بقلبه تحت الماء (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله) ، ففعله الخواجه ، وأخذ منه ذلك واشتغل به هنالك ، ففتح له أنواع الفتوح والترقيات فوق إدراك المدارك . يفهم من هذا أن الذكر الخفيّ لم يكن قبل تلقين الخضر عليه السلام لعبد الخالق الغجدواني .

وفي « تحفة الأحباب » شرح « سلسلة الذهب » ما يؤيده ، وهو ما روي فيه : **أن خواجه يوسف ومشائخه قدّس الله أسرارهم كانوا من أهل الذكر الجهريّ ، لكنه لم يعلّم الخواجه عبد الخالق بالذكر الجهري ،** بل تركه عَلى ما علّمه الخضر عليه السلام من الذكر الخفي ، فلذا قيل : إن الخضر شيخه بحسب تعليم الذكر ، والخواجه يوسف بحسب التربية والصحبة . انتهى .

وعبارة صاحب « الرشحاة » فيه : ولمّا قدم الخواجه يوسف الهَمداني إلي بُخٰارٰى أحضر الخواجه عبد الخالق صحبته ، وأعلم أنّ له أيضاً اشتغالاً بالذكر القلبيّ ، فاغتنم صحبته ولازمه مدة إقامته ببخارى . فلذا قيل : إن الخضر عليه السلام شيخه في التعليم والتلقين ، والخواجه يوسف شيخه في الصحبة .

وطريقة خواجه يوسف ومشائخه وإن كانت علانيّة ، لكن لمّا أخذ الخواجه عبد الخالق الذكر الخفيّ عن الخضر عليه السلام ، وأمر بذلك لم يغيّره شيخه الخواجه يوسف ، بل أمره أن يشتغل على الوجه الذي كان مأموراً به عن الخضر عليه السلام . انتهى عبارته ٢٦ .

وفي « سلسلة الخواجكان » ما لفظه : **ثم اعلم أنّ نسبة الطريقة النقشبنديّة إنما وصلت عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه بتلقين النفي والإثبات باللسان** ، وأمّا الذكر القلبي على الكيفية المعروفة إنما وَصل إليهم من الخضر عليه السلام . انتهى . راجعه في مبحث الكلمة العاشرة .

فما الجمع بين هذه مع المذكور قبلُ ، وما وجه التخلّص من ذلك التناقض بين القضيتين ؟

أقول - بحمد الله وتوفيقه - : إن حاصل ما ذكره المشائخ كون التلقين سواء كان باسم الذات ، أو لنفي والإثبات كلاهما بالقلب جاء عن أبي بكر الصديق ، وإن النفي والإثبات بحبس النفس جاء عن الخضر عليه السلام ، وعلّمه لعبد الخالق الغجدواني ، مع أنّه نقل عن المجدد أنه ؛ أي : حبس النفس كان في الأصل كما في « البهجة السنية » ، و« المناقب الأحمدية » فليس مرادهم ممّا يوهم خلافه أنّ التلقين باللسان وردت من الصدر الأول ، وإن صرحه صاحب « سلسلة الخواجكان » ، بل المراد أنّ الجهر أحدثه بعض المشائخ وقت اقتضاء الزمان لغرض صحيح كما سنبيّنه .

وأمّا ما في « الرشحات » ، و« تحفة الأحباب » من كون الخواجه يوسف ومشائخه من أهل الذكر الجهري فليس في التلقين ، بل لكونهم من المنتهين في الطريقة ، لأن من جملة الكلمات القدسيّة المأثورة كلمة (يادلرد) ، فالمعنى المراد بها عندهم أنه ينبغي للسالك أن يذكر النفي والإثبات باللسان بَعْد وصوله إلى مَرتبة المراقبة كل يوم بعدد معيّن مثل خمسة آلاف ، كما يفهم من كلام « الرشحات » من قوله أن الخواجه عبد الخالق لما علم أنّ له ؛ أي : للخواجه يوسف اشتغالاً بالذكر القلبيّ اغتنم صحبته ولازمَه مدّة إقامته بِبُخارٰى . انتهى .

ومرادهم من تعليم الخضر لعبد الخالق الغجدواني الذكر الخفي ؛ الذكر بحبس النفس ؛ ليوافق بما في سائر الكتب . كذا ذكره شيخنا في بعض المكاتب .

وأمّا ما في « سلسلة الخواجكان » **فلعلّه من قلم الناسخ أو ممّا دسّه**[1] **المتشيّخون فيه ، وإلا فلا يوافق بما في كتب الطريقة النقشبنديّة** . فيعلم مما ذكر ويذكر أن الجهر بالذكر في هذه الطريقة ممنوع في التلقين ، وأنّ كل ذكر يستعمل باللسان يستعمله المبتدؤون في هذا الطريقة بالقلب . كما هو مذكور في « الدرر » في ٤ من الجلد الثاني ، وفي ٣٨٢ من الجلد الأوّل .

وفي « البهجة السنية » : قال العروة الوثقى ﵁ - مجيباً لمن سأله أن الذكر مع حبس النفس بدعة أم لا ؟ ، فإن كان بدعة حسنة فعلى مسلك المجدد ﵁ ليس في بدعة حسن ، فكيف السبيل في هذا العمل إلى الخلاص من البدعة ؟ - : الذكر في حدّ ذاته حسن ومسنون ، أمّا الحبس فيه فيتوقّف كونه بدعة على عدم ثبوت ذلك في الصدر الأول ، وذلك ممنوع ، **وأيضاً الحبس في الذكر علّمه الخضر** عليه السلام للخواجه عبد الخالق الغجدواني قدّس سرّه ، ولا يحكم على عمله بالبدعة . انتهى عبارته في ٤٩ .

وقال الإمام الربّاني قدس سره : واختيار الطريقة النقشبندية من بين سائر طرق الصوفية أولى ، فليس في هذا الطريق ذكر اللسان إلى أن يَصل المريد إلى مرتبة المراقبة ، وكذا الجهر ممنوع فيه . كما في « الدرر المكنونات » . اللهم نعم ، إن الشيخ محمود إنجير فغنوي قدّس سرّه قد عَدل إلى الذكر الجهريّ منذ مرض أستاذه بمقتضى خُلُقِ وقت والخلق ، ومصلحة حال الطالبين ، واستمرَّ عليه بعد انتقاله ، فسأله واحد من كبار علماء الظاهر : لماذا ينوي بذكر الجهر ؟ فقال : **إيقاظ النائم ، وتنبيه الغافل ؛ ليتوجه إلى الله ، ويقبل على الطريقة ، ويخلص التوبة إلى الله** . فقال له : إن نيّتك صحيحة نجيز لك الجهر بالذكر ، وطلب منه أيضاً أن يبيّن حال من يجوز له ذكر الجهر ليمتاز المحقّ من المبطل ، فقال قدّس سرّه : من وجدتم لسانه مطهَّراً من الكذب والغيبة ، وجوفه منزَّهاً عن

---

(١) **أي** : خفاه (هامش الأصل) .

الحرام والشبهة ، وقلبه مزكّي من الرياء والسمعة ، وسرّه مبرّأً من التوجُّه للأغيار فهو المحق ، وذكر العلانيّة مسلَّم له .

ومن زمانه إلى زمان الشيخ أمير كلال كانوا يجتمعون للذكر الجهري ؛ أي : وكانوا إذا انفردوا يذكرون خفية ، **فلمّا ظهر الشيخ محمّد نقشبند قدّس سرّه اقتصر على الذكر الخفيّ ، أخذاً للعزيمة ، واجتناباً عن الرخصة** ، وذلك بأمر من روحانية الشيخ عبد الخالق الغجدواني قدّس سرّه . وحين شرع أصحاب الأمير كلال في الذكر الجهريّ كان قدّس سرّه يخرج ويقوم من بينهم ، وكان الأصحاب يثقل عليهم ذلك ، لكن أوصى الأمير كلال في مرض موته لجميع أصحابه ومريديه باتباعه ، فقالوا : **إن الخواجه نقشبند لا يذكر بذكر الجهر فكيف نتبعه ؟** . **فقال : إن كل ما أعطاه الله تعالى حكمة فلا تخالفوه** ، وبعد ذلك تركوا الذكر الجهري ولو بالإجتماع ، واستمروا على ما هو الأصل في هذا الطريقة الصديقيّة . راجع « الحدائق الوردية » في ١١٩ ، وفي ١٢٨ ، و « البهجة السنية » في ٦٢ ، و« رشحات » في ٣٦ ، وفي ٥ .

فإن قيل : يمكن أن يكون المختار عند أرباب سائر الطرق أيضاً العزيمة ؟ . قلت : إن في أكثر الطرق سماعاً ورقصاً ، وقد يبلغ الأمر فيه حدّ الرخصة بعد تمحّل كثير ، وأين فيه المجال للعزيمة ؟ ! ، ولذلك ذكر الجهر لا يتصوّر فيه ما فوقَ الرخصة . وقد أحدث مشائخ سائر الطرق أموراً محدثةً في طرقهم لبعض نيات صحيحة ، نهاية التصحيح في تلك الأمور الحكم بالرخصة ، بخلاف أكابر هذه السلسلة العليّة ، فإنهم لا يجوّزون مقدار شعرة من مخالفة السنة ، فتكون مخالفة النفس في هذا الطريقة أتم ، فيكون أقرب الطرق ، فيكون اختيار هذه الطريقة للطالب أولى وأنسب ، لأنّ الطريقة في نهاية الأقربيّة ، والمطلب في كمال الرفعة .

وقد ترك جماعة من متأخري خلفائهم أوضاع هؤلاء الأكابر ، وأحدثوا في هذا الطريق بعض الأمور ، واختاروا السماع والرقص والجهر ، ومنشأ ذلك عدم الوصول إلى حقيقة نيات أكابر هذه الطريقة العليّة ،

فخالوا أنهم يكمِّلون ويتمّمون هذه الطريقة بهذه المحدثات والمبتدعات ، ولم يدروا أنهم يسعون بها في تخريبها ، ويجتهدون في إضاعتها ، والله يهدي إلى الحق ، وهو يهدي السبيل . انتهى .

فعُلِمَ من هذه المذكورات عدم جواز إحداث بدعة في الطريقة ، كما لا يجوز في الدين ، وكون الذكر الوارد بالتلقين من الصدر الأول الذكرَ القلبيّ مع كلا قسميه . ومعلوم أن التعامل المعتبر ما جاء من الصدر الأول وحصل بإجماع ، **وكذا المعتبر في إثبات الأحكام إنما هو الكتاب ، والسنة ، والقياس ، والإجماع** ، وليس بعده شيء ما يثبت الأحكام أصلاً ، لا الكشف ولا الإلهام .

ومعلوم أن شاه نقشبند بهاء الدين البخاري الأويسيّ ومن بعده من أكابر الطريقة إلى يومنا هذا أعرف بالله ، فما لنا أن لا نمتثل على هؤلاء الأقطاب الكرام والأغواث العظام **مع قولنا : طريقتنا هي طريقتهم ؟!** . تدبَّرْ ! والله تعالى يهديك [إلى] الطريق الصواب .

المسألة الثانية : من المسائل الثلاث ؛ ما في كتب السلوك من أنّ الطريقة النقشبنديّة عبارة عن دوام العبودية بأشرف الطاعات على الإطلاق ، أعني به ذكر الله تعالى بالاتفاق ، وآدابها كمال التمسّك بالكتاب والسنة ، وتصحيح الاعتقاد بمقتضى آراء أهل السنة ، والتوبة الصادقة ، وتزكية النفس من الأخلاق الذميمة ، وردّ المظالم إلى أهلها ، والاستحلال عن أرباب الحقوق ، والتعبّد على الإلزام بالسنة ، والدقة على العمل بالشريعة ، والاهتمام على المجانبة من كلّ المنكرات والمبتدعات ، وأن يجعل عزيمة كل العمل كالواجب ، فلا يتركها إلاّ لضرورة ملجئة ، والرخصة كالحرام ، فلا يرتكبها إلاّ لضرورة ملجئة إلى غير ذلك ممّا هو مبيّن في كتب السلوك .

وإذا كان آداب الطريقة هكذا ، هل كان المريدون الذين يسعون لدى المشائخ على وفق ما ذكر من أرباب السلوك ؟ وما بال مشائخ الطريقة يلقِّنون الأذكار على كلّ من جاؤوا لديهم بلا تفريق بين الصالح والطالح ،

وبين من يتمسّك السنة وبين من لا يتمسكها ؟ فهل هذا العمل منهم موافق لأعمال السلف من المشائخ أم لا ؟ وما حقيقة الأمر المذكور ؟

أقول بحمد الله الملك المعين : اعلم وفَّقك الله للاقتداء بأرباب الكمال والتكميل ، **أنّ الأخذ ، والانتساب إلى الطريق على أربعة أقسام** ؛

أحدها : أخذ المصافحة ، والتلقين للذكر ، ولبس الخرقة للتبرك ، أو للنسبة فقط ، وغالب مشائخ الزمان إنما يلقنون الذكر بقصد التبرك حتى يدخل المريد في سلسلة القوم ومحبّتهم والتسليم أو اعتقاد لمقاماتهم لا للتسليك ، ولا يجوز لهم التلقين على غير هذا الوجه .

وثانيها : أخذ رواية ، وهي قرائة كتبهم من غير حلّ لمعانيها ، وهو قد يكون أيضاً للتبرّك أو للنسبة فقط .

وثالثها : أخذ دراية ، حل كتبهم لإدراك معانيها كذلك فقط .

ورابعها : أخذ تدريب وتهذيب ، وترق في الخدمة بالمجاهدة للمشاهدة ، والفناء في التوحيد والبقاء ، وهو المراد العزيز وجوده ، وعلى هذا معول أكثر الطرق ، خصوصاً النقشبندية والشاذلية ، ويصح الانتساب أيضاً بالاتباع والمشاركة ولو في شيء يسير مع المحبة لهم ؛ كتلاوة حزب من أحزابهم ، ولذا قال الشاذلي : من قرأ حزبنا فله ما لنا وعليه ما علينا ، يعني : فله ما لنا من الحرمة وعليه ما علينا من الرحمة ، أو أعمّ منهما ، وهذا جارٌ في الكل . انتهى . راجع « ترصيع الجواهر » ، و« جامع أصول الأولياء » في ١٥ .

وفي « تبصرة المرشدين » : إن الانتساب إلى النسبة العليّة يكفيه فقط إن حفظه . انتهى . وعلى الشيخ أن يسلك المريدين في سلك طريقته بالحكمة والموعظة ، وأن يداريهم وينصحهم بحسب طاقته فلعلّهم يتخلصون من ارتكاب المنهيّات ببركة الطريقة ، والله وليّ الهداية ، كما قال الله تعالى : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ ، وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ ، ولم يقل : أيها الصالح ، بل عمّ الأمر على الصالح والطالح وعلى العاصي والفاسق .

وقال قطب الخلق شيخ المشائخ الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي في « متممات جامع الأصول الأولياء » ما نصه : **واعلم** أن تلقين الذكر لبعض أهل الدنيا ؛ من ذوي المناصب ، والأشراف ، والمكاسب ثابت من السلف ، ومجتهدي الطرق على طريق التبرك والمحسوبيّة ، لا بإرادة السلوك والتربية قبل ترك الدنيا والمناصب ، وتبسّطهم في الملابس والمفارش ، وتلبّسهم بالمخالفات . فنقول : تلقين الذكر لبعض أهل المناصب ، والأشراف ، والصنائع ، والملاح ، والتجار ، والراعي ، والقروي ، على طريق التبرّك وطرد الغفلة عن القلب القاسي ، وتكفير الذنوب ، والتخلص من البلايا ، والنجاة من أنواع المكاره والسوء ، والنقمة ، حتى يتصقل فيخشع وينيب إلى دار الخلود ، ويتجافى عن دار الغرور ، فيترقى بالتدريج إلى التوبة فما فوقها ، ولِيسارق الشيخ نفسه الأمارة الآبية بالتدريب والتوطين لئلا تنفرّ وتملّ وتيْأَس من الإصلاح وتقطع الرجاء فتصرّ على المعاصي ، أمرٌ حسنٌ وهو من سياسَات الإرشَاد .

ولو قال له من أوّل الأمر : اترك الدنيا واخرج من كل المظالم وصحّح التوبة ، وإلاّ فلا أُلَقِّنُكَ الذكر ، ولا يكون لك قبول ينتج الهداية ، لنفر لاستصعابه كل ذلك ، ويحرم من تلك الفائدة ، وربّما يصل إلى حدّ اليأس ، **وهذه السياسة موروثة من فعل الرسول عليه السلام مع الأشراف ، والرؤساء ، والكبار ، فإن بعضهم قال : أدْخُل الإسلام بشرط سقوط الصبح عنّي ، وبعضهم ؛ بشرط غير ذلك** ، فقبل منهم سرّاً ليدرّجهم إلى تمام الهداية تدريجاً ، فتدرّجوا عليها كما هو مستفيض .

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام لمّا أَنِفَ من مجالسة بعض الفساق ، وَنَهاهُمْ عن مجالسِ وعْظِه : يا داود إن المستقيم لا يحتاج إليك ، والمعوّج إن لم تقمه ، فلِمَ أُرْسِلتَ ؟ فأدْخَلَهُمْ في سلك جُلسائه وجماعة إفادته . **فليت شعري هل من قائل بكفر الظلمة والفساق** حتى يَطردوا باليأس من علاج أمراضهم القلبيّة ؟ وَهل وضع الإرشاد والسياسة إلاّ للمعوّج الضال ؟ وهل يلزم أن يكون جميع الملقنين للذكر أهلاً للترك ، والتجريد ، والاستقامة ؟ أم منهم الواصل والسائر المخلط المتوسل ، ومنهم المتبرك

المتخلف الساقط ، وهذه السياسة الحسنة مشى عليها المشائخ والسلف والمرشدون ، وأطبق عليها المتأخرون لغلبة رأفتهم وتموّج رحمتهم على عامة المسلمين ، وإن كنتَ في شك مما بيّنا ، فارجع « الإحياء » ، و« المنن الكبرى » ، و« طبقات الصوفيّة » للشعراني .

وقد كان العارف أبو الحسن الشاذلي قدّس سرّه يقول : ينبغي للشيخ **أن لا يأمر المريد برَمْي الدنيا إلاّ بعد أن يمهد له بساطاً قبل ذلك ، يذكر له فيه ما يحصل له من أنواع التقربات الإلهيّة** ، واللطائف الربانيّة ، والعلوم اللدنيّة ، فهنالك ينبّه المريد لطلب ما يَدعو الشيخ إليه ويبادر لامتثال أمره ، وتهبُّ عليه ريح التوفيق ، فلا يقف مع شيء يحجبه عن حضرة ربه عزّ وجلّ ، والبساط المذكور يختلف باختلاف استعداد المريدين طولاً وقصراً .

فمنهم من يمهد له بمدة قليلة ، ومنهم من لا يتم تمهيده له إلا بمدة طويلة بحسب تفرس الشيخ فيهم وتفاوت معالجتهم بالعبادات ، **كما أنه لا بأس بلبس الثياب الفاخرة إظهاراً لنعمة الله تعالى ، وكما أنه لا بأس بأكل الطعام اللذيذة وشرب الماء اللذيذ البارد لأجل استجابة الأعضاء للشكر** بعزم وقوّة ، كما عليه السادات الشاذلية .

فقد كان العارف الشاذلي يقول لأصحابه : **كلوا من أطيب الطعام ، واشربوا من ألذّ الشراب ، وناموا على أوطأ الفراش ، وألبسوا ألْيَن الثياب ، وأكثروا من ذكر ربكم** فإذا فعل أحدكم ذلك وقال : الحمد لله ؛ يستجيب كلّ عضو فيه للشكر ، بخلاف ما إذا لم يفعل ذلك ، فإنه يقول : الحمد لله ، وعنده اشمئزازٌ وبعض سخط على مقدوراته .

وقال علي القارئ : ليذكرنّ الله أقوام على الفراش الممهّدة يدخلهم الله الجنات العلى ، وفيه دليل على أن الملوك والأمراء ومن يجري مجراهم من أهل الدنيا والمناصب لا تمنعهم حشمتهم ورفاهتهم عن ذكر الله تعالى ، وهم في ذلك مأجورون مثابون ، يدخلهم الله برحمته الجنات العلى . وفيه إيماء إلى طريقة بعض السادات الصوفية ؛ كالنقشبنديّة والشاذليّة والكبرويّة . انتهى .

وفي « الرشحات » : قال بهاء الدين النقشبندي : كل الطعام جيّداً ، واشتغل جيّداً . وهذا القدر يكفي للعارف . انتهى عبارته ١٥٠ مع أنهم قالوا : **إن ما لا يُدرك كله لا يترك كلّه** .

وقال الإمام الربّاني رضي الله عنه في بعض مكاتبه مجيباً لمن سأله أن بعض الرجال والنساء يريدون أخذ الطريقة مع أنّ أكلهم ولبسهم من مال لا يخلو من ربا : **لقّنوهم الذكر ، وعلّموهم ، ورغّبوهم في الاجتناب عن المحرم ، ولعلهم يتخلصون من ذلك الاشتباه ببركة الطريقة** . انتهى .

وفي « ترصيع الجواهر » : إن بعض المشائخ يربون تلامذتهم بالشهوات .

وفيه ما حاصله : **أن المشائخ مأمورون باستمالة قلوب الناس ولو قلب كافر . وأمّا الأمر بإهانة الكافر والعاصي المجاهر ، فهو في حق غير المرشد** ، ولذلك قال سيّدنا عبد القادر : لا يضحك في وجه الفاسق غير العارف ، فيضحك في وجهه .

وفي « المنن » للشعراني : لا ينبغي أن يتواضع للعصاة إلا الدعاة .

وفي « البهجة » : ويقدم الشيخ بعد الاستخارة تعليم التوبة ، **ويكتفي فيها بالإجمال من غير تفصيل الذنوب والمعاصي** ، فإن الهمم في هذا الزمان قاصرة والتكليف بالتفصيل يقتضي مدّة ، فالأولى إهمال ذلك إلى مرور الأيام . انتهى .

وأما قولهم : وأن يجعل عزيمة كل العمل كالواجب ، **فهو في حق السالك الذي يختار السلوك ، ويمكن أن يعمل بالعزيمة ، وإن لم يمكن العمل بالعزيمة** بأن يكون من أهل . . . إلخ ، **فليعمل بالرخصة** . راجع « المتممات » ، و« الأدب المرضية » ، و« ماهية التصوّف » .

وفي « الحدائق الورديّة » : العمل بالعزيمة في هذا الزمان صعبٌ جدّاً لفساد المعاملات ، وعدم إمكان تطبيقها على قواعد الشريعة ، فالأخذ بظاهر الفتوى مع اجتناب البدعة غنيمة غريمة . انتهى .

وقد كان عبد القادر الكيلاني يأتيه الرجل ويشكو بالتهاون في الصلاة ، وآخر بالزنا ، وآخر بغيرهما من المنكرات ، فيأمرهم بالذكر . هكذا في « السير والسلوك » .

وقال الشعراني في « المنن » ما حاصله : إنّ من غلب عليه محبة المعاصي ، ووقوعه فيها ، وقساوة قلبه ، وعدم انشراح صدره للتوبة ، فإنه كالمريض يشكو أمراضه للطبيب ، فلا ينبغي له أن يزجره وينفر منه ، بل يصبر عليه .

وفيه ما لفظه : فإيّاك يا أخي ونهر أحدٍ من العصاة إذا سألك عن دوائه . انتهى . راجعه .

المسألة الثالثة من المسائل الثلاث ؛ أن المريدين أوّل دخولهم في عهد شيخهم ، وأوّل تلقين الأذكار على لطيفة القلب ، قبل انكشاف أحوالهم عليهم من ارتعاش القلب بالذكر ، وحرارته مع حلاوة الأنس ولذة الذكر ، **يكونون في انكسار قلوبهم ، ويرون أنهم أعصى خلق الله** ، وأقلّ من كل أحد ، ويظنون أنهم مفلسون من الأعمال ، ومتجردون من الخير والفضائل ، مع رؤية قبائح أعمالهم ، بحيث لا يبقى في قلوبهم عجبٌ ، ولا رياء ، كما هو المراد من السلوك ، ومن أخذ الطريقة من المشائخ العارفين ؛ ثم إذا ذاق بعض منهم شيئاً من أحوال القوم ، وحصل لهم حلاوة الأنس ، ولذة الذكر ، وتبدلت أذكارهم من لطيفة إلى لطيفة ، وارتقوا إلى فوقها من المقام ، نرى في بعض منهم بعض الميل إلى الكشوفات ، فتقوم نفوسهم ، ويظنون بعض الظن أنهم بمقام من الطريقة ، وأن إخوانهم الذين في انكسار قلوبهم دونهم في المقام ، ويكونون عندهم كشيوخهم يخبرون عليهم عن مقاماتهم ، ووقائعهم ، فما تقول في حق هؤلاء المريدين ؟ أليس هذا عكس مراد مشائخ الطريقة من التلقين ، ومن أخذها منهم ، وكيف يبدّل المشائخ أذكارهم مع كونهم كذلك ؟ . انتهى .

أقول بحمد الله تعالى وتوفيق من بيده أزمة التحقيق : نحن لا نسلم أن يكون مريد الشيخ العارف على الأخلاق المذكورة في المسألة بعد أن

أخلص في النية ، **واقتدى بإشارات المشائخ** ، وإن تكلّم ذلك البعض بما يوهم ذلك لمصلحة رأى فيه من إظهار النعمة التي أنعم الله عليه وَفْقَ قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ لأجل حمل الغير وحثه إلى الطاعة والمجاهدة وتنشيط الطالب في الطلب وترغيب السالك في السلوك .

قال سيّد الطائفة الشيخ خالد شاه البغدادي : أن اكتساب أصل الفيض من أصحاب الباطن موقوف على أمرين ، وقيل ثلاثة ؛ **الأوّل** : الإخلاص ، **والثاني** : الأدب ؛ لأنهم قالوا : الطريق كله أدب ، وَمن فارق الأدب انفصل ، وحصل له العطب[1] ، لأن **الأدب مع الشيخ سلّم للأدب مع الحق جلّ وعلا ، فمن لم يتأدّب مع الوسائل ، لا يشمّ رائحة من أدب مع المقاصد** ، وأقلّ ما يحصل من الهلاك لمن خالف أستاذه الاشتغال بالدنيا ، والإدبار عن الآخرة ، وقلّة ذكر الله . كذا في « المنن الكبرى » للشعراني .

والأمر الثالث : محبتهم ، لكن المحبة سبب لكثرة الفيض ، **فالأمر موقوف على الأمور الثلاثة** ، فإن فرض كون بعض المذكورة على ما ذكر ، فذلك يكون بعدم الإخلاص في النية وعدم اقتدائه بتنبيهات المشائخ ، وإشاراتهم بسبب استيلاء حبّ الرياسة عليه ، لأن من أوّلِ الأدب المعتبر عندهم للسالك في السلوك ؛ **تصفية النيّة من العلل والأغراض غير التعبد** ، والإمتثال لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ ، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ سواء كانت تلك الأغراض من الأمور الدنيويّة والأخرويّة ، والأحوال الباطنيّة ؛ من الفتوح ، والقرب ، والولاية ، وغير ذلك ، بل يصرف عين بصيرته إلى الذات البُحْتِ المقدّس ، بل **لو عَرض شيء من تلك الأغيار ، يزيله بالتوبة والإستغفار** ، ويرى نفسه كلباً عقوراً وجب حبسه لئلا يتضرر به الناس ، كما في « الخالدية » كذا كتب إلينا شيخنا وقت السلوك .

---

(١) **أي** : الهلاك .

وفي « الشرقاوي » : إن زوال العيوب النفسانيّة لا يكون في الغالب إلا على يد شيخ كامل ناصح .

ولقد ذكر شيخنا في « تنبيه السالكين » نقلاً عن شيخه ذي الجناحين الحاج عبد الرحمن العسلي : لا يخلو الإنسان من الرياء إلا إذا وَصل إلى مقام يشهد فيه أن لا فاعل في الوجود إلاّ الله سبحانه ، وقال : قلت وذلك المشهد يحصل للسالك في مراقبة القلب . انتهى .

ثم إن الشيخ طبيب للأمراض المعنويّة ، **ولا يعرف كيفية تنزل الدواء على الداء ، وكيفية الاحتماء ، إلاّ الطبيب ، واللازم عليه تنزيل الدواء على داء المريض ، وتعليم كيفية الاحتماء عليه ، فإذا لم يقبل المريض تنزيل الدواء ، ولم يحتم بحمايته ماذا يفعل الطبيب ، وكيف يخلصه من المرض المزمن عليه ؟! فاللّوم على المريض لا على الطبيب** . فافهم ذلك ، وتنبه عليه فإنه ينفعك ، والله يهديك إلى سبيل الصواب ، مع أنهم قالوا : من شرط المريد أن يكون بين يدي الشيخ كالميّت بين يدي الغاسل ، إن غسل عضوٌ من أعضائه قبل عضو آخر ، أو حرّكه ، أو تصرف فيه كيف يشاء ممّا يرى من المصلحة ، فلا يخطر عليه خاطر اعتراض ، وإن خالف الشريعة ، فإن الإنسان ليس بمعصوم ، وأما سقوط حرمة الشيخ فهو أكبر قاطع عن الله تعالى ، وسقوط الحرمة عدم المبالات إذا أمره أو نهاه . كذا في « الرماح » راجعه في ١٣٩ ج ١ .

ومن كلام العارف بالله سيّدي محمد عدي بن مسافر أحد أركان الطريق : اعلم أنّك لا تنفع قط بالشيخ إلا إذا كان اعتقادك فوق اعتقادك في أمثاله ، وهناك يجمعك في حضوره ، ويحفظك في مغيبه ، ويهذّبك بأخلاقه ، ويؤيّدك بإطراقه ، وينوّر باطنك بإشراقه ، وإذا كان اعتقادك فيه ضعيفاً ، لم تشهد منه شيئاً من ذلك ، بل تنعكس ظلمة باطنك ، فتشهد صفاته هي صفاتك ، فلا تنتفع منه بشيء ولو كان من أعلى الأولياء . كذا في « البروج المشيّدة » من البرج الثامن عشر .

ومن آداب المريد عندهم أيضاً أن يكون منقاداً مستسلماً لأمر الشيخ ، ولمن يقدمه عليه من الخلفاء والمريدين ، وإن كان عملهم أقلّ من عمله الظاهريّ ، **فليس للشيخ أن يوصل المريد إلى الدرجات بمجرّد إرادته مع عدم إخلاصه ومع خراب اعتقاده** ، وإنما تحصل النتيجة من استفاضة المريد بالإخلاص فقط ، واستعداده لذلك بالصدق المرغوب ، وإلاّ فلا يحصل المراد ، ولا يصل إلى مقام بمجرّد المصاحبة ولو كان شيخاً قطباً ، أو غوثاً فرداً جامعاً ، ويكفي شاهداً لأمثاله ما شهد في النبي ﷺ وأصحابه ، لقد اجتهد ﷺ لإرجاع قومه إلى الإسلام حتى أنزل الله تعالى بقوله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ﴾ ، واجتهَدَ نوح عليه السلام أن يؤمن ولده ويركب معه على السفينة ، وقال : ﴿ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ ﴾ الآية ، وكانت لبعض الأنبياء امرأة كافرة فلم يقدر أن يهْديها إلى الإيمان ، وآية ﴿ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا ﴾ . . . إلخ . نص قاطع .

وقد كان لبعض أكابر المشائخ مريدون صادقون ، لكنهم قد ارتدوا في آخر الأمر ، وأخبار المرتدين في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته معلومة مشهورة ، والتكليف على المشائخ بوجوب كونهم يقدرون على عصمة أتباعهم تكليفٌ بالمحال ، بل هو خلاف النصوص المتواترة . فافهم والله المستعان . كذا ذكره شيخنا في بعض المكاتب .

ولو آل أمر المريد على رؤية نفسه ، وميله إلى الكشف ، والإلهام وتكلم عليهما ، وطلب حظوظ نفسه من الدنيا والآخرة ، ولو من حال ، أو مقام ، أو فناء ، أو بقاء ، أو كونه وليّاً أو شيخاً ، ولم يؤثر فيه علاج شيخه ، ولم يقتد بإشارته أو مراده ، ولم يتنبّه بتنبيهه إياه ، فالحذر الحذر منه ، والحذر الحذر من طلب غير الذات الأحديّة ورضائه تعالى عنه .

وفي « الرماح » في الفصل السابع عشر ما حاصله : وأمّا ما يقطعه ، يعني : المريد من الشيخ وأستاذه ، فأمور ؛ منها الأغراض ، سواء كانت دنيوية أو أخرويّة ، وذلك **أن الشيخ لا يُصحب ولا يُعرف إلا لله عز وجلّ ولا لشيء سواه** ، وهي ؛ يعني : الصحبة في أمرين ؛ إما أن يواليه الله تعالى

بأن يقول : هذا وليّ لله تعالى وأنا أواليه لله تعالى ، وذلك في قوله ﷺ مخبراً عن الله : « من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب » وفي طيّه : « من والى لي وليّاً لأجْل أنه وليّ ، اصطفيته واتخذته وليّاً » ، وهذا هو السرّ الأكبر الجاذب للمريدين إلى حضرة الله .

والأمر الثاني : أن يعلم أن الشيخ من عبيد الحضرة ، ويعلم ما يجب للحضرة من الأدب ، وما يفسد المرأ فيها من الأوطار ، والإرب ، فإذا علم هذا يصحبه ليدلّه على الله تعالى ، وما يقربه إليه ، والصحبة في هذين الأمرين لا غير ، **ومن صحب لغيرهما خسر الدنيا والآخرة .**

فإذا عرفت هذا ، فاعرف أن الربّ سبحانه وتعالى يُعْبَد لا لغرض ، بل لكونه إلهاً يستحق الألوهيّة والعبوديّة لذاته ، لما هو عليه من محامد الصفات العَليّة والأسماء البهيّة وهذه هي العبوديّة العليا . انتهى . كذا ذكره شيخنا في « البروج المشيّدة » . راجعه في البرج الثامن عشر .

فلقد كتب الشيخ الواصل والمرشد الكامل الشيخ جمال الدين الغموقيّ قدّس سرّه **إلى مريده الشيخ الزاهد فيما سواه الله تعالى الشيخ مَمَّ دبر الروجي** : **إنما قطعت النظر عن بعض** . . . إلخ . **لذهابه خلف الكشف الخديع ، فعليك بتعزيز**(١) **من ينظر إلى الكشف والإلهام ، فليس رخصة للنظر إليهما لك ، ولا لغيرك** . والسلام . انتهى .

وهكذا يكون حال المشائخ لدى من يطلب الكشوفات وحظوظ نفسه ، تنبه لذلك وكن عبداً لله لا عبداً للحال ، واعبد ربّك حتى يأتيك اليقين ، واحذر من الركون إلى الكشف والإلهام وبذلك هلك أكثر السالكين وانقطعوا عن الله تعالى .

سأل بعض المخلصين عن شيخنا الحلمي قدّس سرّه : كيف نترك الأخلاق الذميمة مع كوننا لا نراها في أنفسنا ؟ قال : علينا الإراءة وعليكم الترك . فافهم فإنه كلام نفيس .

---

(١) علّه : تعزير .

وفي « ترصيع الجواهر » ما نصه : ومتى قصد العبد شيئاً من الكرامات ، وخرق العوائد ، وأنواع الإجابات ، افتتن وانقطع عليه طريق العبوديّة ، ومن أدركه السعادة كاشفه الله تعالى بشهود جلاله وجماله لا بإثباتٍ في الأحوال اللطيفة ، والكرامات الشريفة ، وذلك أن الحق تعالى غيور لا يحبّ أن يرى في قلب عبده سواه .

قال أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى : ومن المقاطع المشكلة ؛ السكون إلى استحلاء ما يلاقيك من فنون تقريبك ، فإن كلّ لطيفة يطربك بها تحتها خدع . انتهى .

ولو خاطب الوليَّ كل ما في الكون وقال : السلام عليك يا ولي الله ؛ فسكنت نفسه إلى ذلك كان في يد ذلك أسيراً . راجع إلى « تنبيه السالكين » من باب الثالث والعشرين .

وفي « ترصيع الجواهر » : إنّ تعلّق القلب بالكرامة سبب البعد عن الله تعالى . انتهى بالمعنى . وفيه : إن العبوديّة مع استقامة خير من ألف كشف وكرامة .

وقال سهل التستري : حرام على قلب أن يشم رائحة اليقين وفيه ركون إلى غير الله تعالى . انتهى .

وكان يحي بن معاذ رحمه الله يقول : كل من ادعى درجة سقط منها ، وإذا كان الرجل في أعلى درجة ، فمن حقه أن يحقِّر نفسه .

وفي « مواهب البريقة » ما لفظه : وقد أجمعوا على [أن] من ادعى مقاماً [لم] يَصل إليه ، عوقب بحرمانه أبداً ما عاش . انتهى .

أفضل الكرامة هو الاستقامة

وفي « الفتاوى العمريّة » : وأما الكرامة فليس بشرط للمرشد ، لأن الكرامة ما نقلت عن الصحابة والتابعين إلا عن بعضهم ، حتى لم تنقل عن الصديق الأعظم مع أنه أفضل الأمة . والحاصل أن أفضل الكرامة هو الاستقامة ، كما قالت رابعة العدويّة ، حتى أن بعض الأولياء لم يقبل

الكرامة أصلاً ، ولم يشرب الماء الذي ارتفع من البئر كرامة له ، وقال : لا أشرب إلا بإخراجي بيدي بالحبل والدلو . « روح البيان » . انتهى عبارته .

وقد قال عبد الله القرشي : من لم يكن كارهاً لظهور الكرامة ، والآيات فهي أيضاً سبب للشقاوة ، ولذا قيل : الكرامة حيض الرجال . « روح البيان » .

وفي « بيان الأسرار » فإن كرامات الأولياء وأحوالهم غير مأمونة من المكر والاستدراج . انتهى .

وفي « تقريب الأصول » : إن انخراق حجب البشرية قد يحصل بالرياضات ، فيلوح بسبب ذلك شيء من أنوار الروح فيرى بعض الآيات والمعاني المعقولة ، وقد كان لبعض الفلاسفة ، ولكن حيث لم يوجد الإيمان فعاقبة ذلك إلى الخزي والهوان . انتهى . راجعه في ٢٦٦ .

وفي « فتاوى ابن حجر » : لو ظهر على أحد كرامات مع فسقه ، هل تقبل شهادته ؟ الجواب : لا تقبل .

قال الشافعي : لو رأيتُ صاحب بدعة يطير في الهواء لم أقبله حتى يتوب من بدعته . ذكره أبو نعيم .

وقد تظهر الكرامات على يد فاسق كالسامري ، فإنه رأى فرس جبريل حتى أخذ من تراب حافره وجعله في العجل فخار .

ونقل عن العماد عن أبي محمّد أنه قال : يجب على الوليّ إخفاء الكرامات . انتهى . فراجعه من الشهادة .

وهذه الأمور الخارقة للعادة **وإن كان قد يكون صاحبها وليّاً لله ، وقد يكون عدوّاً لله تعالى** ، فهذه الخوارق قد تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين ، وتكون لأهل البدع وتكون من الشياطين ، فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه وليّ لله ، بل يعتبر أولياء الله تعالى بصفاتهم ، وأفعالهم ، وأحوالهم التي دلّ عليها الكتاب والسنة ، ويعرفون بنور الإيمان والقرآن ، وبحقائق الإيمان الباطنة ، وشرائع الإسلام الظاهرة . كذا في « الفرقان » في ١٨٤ من الجزء الثاني .

ولأجل ذلك ينبغي للسالك أن يكون على حرز من ظهور الخوارق على يده لئلا يقطع به عن الوصول ، ويقع في الهفوة[1] فإذا وصل المريد إلى الوليّ ، وأقبل على أغراضه ، ولم يكن بين يديه كالميّت بين يدي الغاسل ، ولم يقبل من الوليّ إلا ما طابق أغراضه ، فليس هذا من أهل الوصول إلى الله تعالى ، ولا من أهل الوصول إلى الوليّ ، فغاية الوليّ في هذا الطالب أنه يديم معاشرته من باب الإحسان إلى الخلق الذي أمره الله تعالى به ، ومعاشرتهم بالمعروف ويقبض عنه أسراره ، فهذا لو بقي مع الوليّ ألف عام لم ينل منه شيئاً ، لأن لسان حال الوليّ يقول له : ما وصلتنا لله ولا وصلتنا لأجلنا ، وإنما وَصَلْتنا لغرضك الذي كنت تناله لا نسبة بيننا وبينك ، والسلام . كذا في « الرماح » ، راجعه في ١٢٢ ج ١ .

فهذه المذكورات مما يجب على المريد أن يوقفها نصب عينيه ، فقد رأينا كثيراً من المريدين يضعف طلبهم وإرادتهم يوماً فيوماً لأجل كونهم يطلبون الأحوال ، فإذا لم يحصل لهم شيء منها يفترون في الطلب ويرجعون قهقريّاً . فكيف يحصل لهم الحال مع أنهم كاذبون في صحبة الشيخ ومحبته ؟ .

وقد فهم مما ذكرناه أن انعكاس حال الشيخ إلى المريد إنما يكون إذا كانت صحبته ومحبته لله تعالى لا لغرض ولا لعوض ، ومن ههنا قيل : إنّ طالب الأحوال ليس بطالب الحق تعالى ، ومن صحت نيته لا يفتر في الطلب ، ظهر له الحال أو لم يظهر ، وغياب الحال في حقه أولى وأسلم ، مع أن العدم المحض أسنى الأحوال بعد إن كان مخلصاً لله تعالى ، **فالمدار على الإخلاص ، والأدب ، والمحبّة** ، فإني أطنبت الكلام على ذلك لأني رأيت أكثر طلبة الزمان يَصحَبُون المشائخ لأجل الحظوظ النفسانيّة ، خاصة الأذواق والكشوفات ، ويقعون بعدمها في نقص وفتور ، ويظنون أن عدم حصولها لهم من عدم مبالات الشيخ لهم ، أو ينسبون ذلك إلى قلّة مهارةٍ في الشيخ ، ولا يَرون ما في نياتهم الفاسدة . إنا لله وإنا إليه . . إلخ .

---

(١) **أي** : الزلة (م خ) ، (هامش الأصل) . .

وأمّا تبديل الأذكار لذلك المريد المذكور مع رؤية نفسه وعدم خلوصه من العجب والرياء ، ومع ما قال الشعراني في « لواقح الأنوار » نقلاً عن شيخه علي الخواص قدّس سرّه ، وقال : سمعت مرة أخرى يقول : من خاصية تمكن الذكر من القلب أن يهذب أخلاق صاحبه ، فمن لم يهذب فكأنه لم يذكر ، فهذا مقصود الشارع والمشائخ - قدّس الله أسرارهم - بتبديل الذكر من لطيفة إلى لطيفة حين حصلت نتائج أذكارهم المعهودة عندهم رجاء حفظ إيمانهم .

وقالوا : إنه إذا رسخ الذكر في القلب ، وصار ملكة **بحيث لو كلّف إخطار الغير لم يخطر** ، أو خرج نور لطيفة القلب من حذاء كتفه ، أو حصل اختلاج ، أو حركة قويّة ، أو حصل فيه حرارة شديدة ، يبدل الذكر إلى لطيفة الروح .

كتب شيخنا إلى شيخه العسلي : ما علامة تمكن الذكر في القلب بحيث يجوز تبديله إلى روح ، وما علامة تبديل الذكر من الروح إلى السرّ . .إلخ . عند من لا يرى الأنوار ؟ . وما معنى قولهم : يجوز تبديل الذكر إذا رسخ الذكر في القلب بحيث لو كلّف بإخطار غيره لم يخطر ؟ . انتهى .

وكتب قدّس سرّه في جوابه : إذا جاء المريد لديّ لطلب الورد فلا أفعل الاستخارة في حقه ، وألقنه الذكر والرابطة لكون التلقين للتبرّك لا لأجل السلوك ، وبعد وصول البركة وصار أهل الجذب ألقّن الذكر على أرواحهم أي لطيفة أرواحهم وقت تمكن الذكر القلبي . انتهى من خطه .

وفي « التلخيص » ما لفظه : ولقد كان شيخنا العسلي قدّس سرّه يقول : كان الشيخ جبرائل أفندي يقول : أُترك الذكر على القلب ولا تنقله إلى الروح إلى أن تنعكس إليك الحرارة الشديدة بحيث يثقل عليك حملها من قلب المريد . انتهى .

وسمعته ﷺ يقول : إنّ الذكر القلبي يكفي لأهل ديارنا الداغستانيّة . .إلخ ، مع أن الانتساب إلى السنة العليّة يكفيه فقط . كما في « تبصرة المرشدين » .

ولأجل ذلك نترك كثيراً من المريدين المشتغلين بالحرف والصنائع على مجرد لطيفة القلب ، وذلك لهم أثر عظيم ، وفي الشغل بذلك نفع جسيم . انتهى من الترغيب الخامس .

وقالوا : يجب على الشيخ تفقد حال الطالب ، فإن صدق فذا ، وإلاّ فسادٌ في الطريق يرجع وباله عليه .

فكتب شيخنا إلى هذا الحقير – رحم الله إفلاسه – ما لفظه : **واعلم** أيّها الولد أن الأستاذ قد يخطأ كشفه وقد يعلم ، ولذلك لا يجوز أن يعمل بكشفه ، بل يعمل بقول المريد ، فإن تكلّم بالصدق فذا ، وإن كذب يُفسد ، **كذب المريد فساد في الطريق وخلل فيه** ، وكشف أحوال المريد كلها ليس بشرط في الشيخ ، بل اطلاعه على نتيجة أذكار لطائفه هو الغالب ، فإن كان من أهل الكشف الصحيح يعمل به ، وإن لم يكن من أهل الكشف ، أو له كشف لكن في كشفه تلوّن يتفحّص من حال المريد ونتائج ذكره ، ولا يعمل بكشفه المتلوّن . راجع « المتممات » ، مع أنه يجوز أن يكون السالك المجذوب ، أو المجذوب السالك بعد وصوله إلى درجة الولاية شيخاً مرشداً ، وإن كان لا كشف له ولا يعرف أحواله وأحوال مريده ، بل ونتائجه .

فإن واحداً من خلفاء الإمام الرباني كان لا يعرف أحوال نفسه وأحوال مريده ، ومع ذلك كان ينعكس منه إلى مريديه أحوال عجيبة . كما هو مذكور في « الدرر المكنونات » ، ونقلته في « تنبيه السالكين » . انتهى من خطه .

وكتب إليّ [في] مكتوب آخر ما عباراته : وقد قال لي شيخنا العسلي نقلاً عن شيخه جبرائل أفندي : إنّ الذكر القلبي يكفي لرجال داغستان ، لكنه كان يرى الأنوار لكشفه ويقول : (أَنْوَارَلْ رِكِزِ قَرِعُنْ رُكُخَ چُرُ) ، وكان يقول : (مُرِيدَصْدِ تَوَجُهْ هَبُرَبْ مِخَلْدَ غُصُلْ رَكَلْدَصَنْ دُرْ رَكَلْدِ شِبْكُ خِيَالْ

بَجِنْجُكْ خُطَنِ رُبُعُ سَاعَتَلْدَ) أو قال نصف ساعة ، أو قال ساعة ، والله أعلم ، فيجوز حينئذ تبدّل الذكر إلى الروح .

وكان قدّس سرّه إذا توجه إلى لطيفة المريد ورأى أنوارها المذكورة في الكتب ، وكان المريد يختار السلوك على الدنيا يبدّل الذكر على اللطائف ويوصلونه إلى ولاية الدرجة الصغرى ، ولم يعلّم المريد ما فوق ذلك إلاّ النادر الشاذ . وكان يقول : إني أرقاهم إلى درجة الولاية الصغرى ، ويقيمهم على تلك الدرجة ولا يرقيهم إلى ما فوق الدرجة المذكورة ، خوفاً من السقوط لعدم رعاية الأدب . انتهى من خطه .

ثم المطلب الأسنى ، والمقصد الأحرى من جميع العبادات ، ومن أخذِ الطريقة من المشائخ أن يخلص العبد فيها ، بأن يأتي العبادات والأذكار محضاً لمجرّد وجه الله ورضائه لا لغرض دنياوي ولا لحظ نفساني ، وأن لا يكون له قصد في علمه ، وعمله ٍ إلاّ علمه باستحقاق مولاه العبادة ، والتذلل ، والخضوع ، والوقوف عند أمره ونهيه ، وأن يرى نفسه أحقر خلق الله ، ولا يرى أنه قام بذرة واحدة من الأمور التي كُلّف بها على الوجه الذي أمر به .

ومن ههنا يترقى السالك في مراتب الإخلاص ، التي **كل ذرة منها تعدل عبادة ألف سنة من عبادة غيرهم** ، ولا ينبغي لعاقل أن يطلب ظهور الأحوال وحصول الأذواق بالأعمال والأذكار ، وأكثر المريدين يطلبونها وينقبضون إذا لم تظهر نتيجة الأذكار ، ويقولون[1] في فتور ، ويرون ذلك وهناً في الطريق ، وضعفاً في مهارة الشيخ ، ولا يرون ما في أعمالهم ونياتهم ، ويرجعون رجوعاً قهقرياً ، ولا يعلمون أن ذلك من عدم إخلاصهم في النيّة ، مع أن عدم ظهور الأحوال أسلم للسالك ، لأن من تطلع على شيء منها يسكن إليه قلبه عند حصوله البتة ، فإذا سكن إليها القلب وقع فيه الحجاب .

---

(١) **لعله** : ويقعون (**هامش الأصل**) .

والمقصود الأهمّ **هو الله تعالى لا غير** ، والأحوال والأذواق بمثابة السكر والذبيب يعطاها أطفال الطريقة ليتسلّو بها ، والعارفون يخافون من حال البسط كما يخافون من الأسد ، ويلتذون بالقبض كما يلتذّ أهل الدنيا بدُنياهم ، وذلك لعلمهم أن في البسط هلاك باطنهم وعمارة ظاهرهم ، وفي القبض هلاك صفة النفس الخبيثة وعمارة الباطن ، ولأجل ذلك لا ينبغي لأحد أن يكون مغموماً بعدم حصول هذه الأحول دفعة واحدة ، بل اللازم على السالك أن لا يسأم ولا يضجر من الطلب وأن يدوم على الأذكار ويصبر على الشدائد ، ويلتزم الباب بكمال الأدب والانكسار قائلاً :

لن أبرح الأرض حتى تصلحوا عوجي أو تـقـبـلوني على عيبي ونقصاني

ألا ترى أن سائلا لو قرع باب واحد عن كرام الناس وَأَلَحَّ في السؤال فلا جرم يستحي من ردّه محروماً ، بل يرده بكسر الخبز التي هي المقصود ، وما يطلبه الطالب من الطريقة لأَهْونُ على الله من كسرة خبز بالنسبة إلى هذا الكريم ، فكيف يردّ طالباً صادقاً وهو أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين ؟! ولكن لا بدّ من الجدّ والصبر ، فإن من حام حَول الحمى يوشك أن يقع فيه ، وإنّ من دام على الذكر والصحبة لا بد أن يحصل له نسبة الحضور بالله على سبيل التدريج .

ولقد أوصى بهاء الدين محمد النقشبندي للسالك كما في « البهجة » هذين الوصيتين ، وهما من أنفس الوصايا لمن تدبّر وتأمل . **أولها** ؛ أنه لو وصل إلى أيّ محلّ وصل لا يرى نفسه إلا في أوّل قدم من الطريق . **وثانيهما** ؛ لو نال من السلوك أعلى المراتب لا يرى نفسه إلاّ أقل من نفس فرعون مائة مرة .

وفي « الرسالة المدنيّة » : لا يبلغ المريد درجة الكمال **إلى أن يرى في جميع عباداته عيباً** ، وإنها لا تليق إهدائها إلى جناب الحق جلّ جلاله ، فحينئذ يجدون معنى قوله : من عرف نفسه فقد عرف ربّه ، بَل يجب على الشيخ المرشد أن يرى نفسه أقلّ من كل واحد ، حتى من مريديه وَأعصى وأفسق منهم ، بَيْد أنه ينصحهم امتثالاً بالأمر الإلهي مع الشهود أنهم أحسن منه حالاً .

وسمعت سيّدي أفضل الدين رحمه الله يقول : متى رأى الفقير أن له تلميذاً دونه في الدرجة فقد ادعى الكِبْرَ ، وَالمتكبر عند الله لا يصلح أن يكون داعياً له ، فقلت له : فما يخلصُه من ذلك ؟ فقال : أن ينصح أخاه مع شهود أنّ أخاه أحسن منه حالاً وأكثر طاعة .

وكان سيّدي علي الخواص رحمه الله يقول : لا ينبغي لفقير أن يتكدر من انقطاع الناس عن التردد إليه والغفلة عنه ، بل اللائق به الفرح ؛ لأن أكثر صحبة الناس اليوم تشغل الفقير المبتدئ عن ربه عزّ وجلّ .

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله يقول : من خطر في باله أن إخوانه وتلامذته أدنى مرتبة منه عند الله تعالى ، وأنه أعرف منهم بالطريق فقد خرج عن الطريق ، وهم أحسن حالاً منه ؛ لأنه لم يخطر لهم أبداً أنه تلميذهم .

وكان أبو معاوية الأسود رحمه الله يقول : كلّ من فضلني على نفسه من أصحابي فهو خير مني . انتهى .

وقال الشيخ تاج الدين رحمه الله في « الحكم » : لأن تصحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه ، خير لك من أن تصحب عالماً يرضى عن نفسه . كذا في « تقريب الأصول » راجعه في ٧٩ .

وقال الشعراني في « المنن الكبرى » : إن كل من رأى نفسه على أحد فقد عرض نفسه للسلب . انتهى .

وفيه : لا يؤخذ الفقير ، ولا يسلم العالم إلا عند رؤية أحدهما نفسه على إخوانه ، أو غفلته عن الله تعالى . راجعه في ١١٠ .

ومما ينبغي أن يكتب هنا ما روي من أن الشيخ إسماعيل الكردميري ؛ كان داخلاً في خلوة بأمر الشيخ خالد شاه البغدادي قدّس سرّه ، ولم يعلمه شيئاً من أحواله ، ثم إذا خرج من الخلوة أمره بحمل الروث من خلائه وتطهيره ، فامتثل أمره وحمل الغائط بيده ، وظن أنه لا أَحَدَ عنده أحقر منه ولا أذلّ ، بل ظن الناس بأن ليس عنده أدنى منه ، ثم بعد ذلك توجه إليه الشيخ خالد وعلّمه جميع الأحوال ، وأراه المقامات كلها ذوقاً ، ثم

أذن له وقال : كن هكذا ؛ يعني كن حقيراً ورزيلاً ، ولا تر نفسك فوق أحد . كذا في « سراج السعادة » .

وكان على هذا القدم شيخنا الحلمي قدّس سرّه ، **ولم نر أسبق منه في التواضع ، وتحقير نفسه والأدب ، والحلم ، ولم نره قط في مجلس شيخه يلتفت إلى أحد عنده ويتكلم معه ، بل يكون كالعبد الآبق قبالة سيده ناظراً في باطنه مستفيضاً منه ، بلا فتور وغفلة .**

وسمعته **يقول أنه كان لا يغفل عن الحضور وقت كونه قبالة شيخه ، لأنه كان يعلم كون عادة الشيخ التوجه إلى مريد عنده** وقت مباسطة كلام مع مريد آخر عنده . انتهى .

ولم نر يبسط معه الكلام قط ، بل كان سؤال ما أشكل عليه بحيث لا يسمع على من عنده خافضاً صوته ، ولم نر ينظر إلى وجهه بشدة حيائه منه ، وكان كل من رآه عنده يتحيّر في شدة ورعه وأدبه ثم لمّا أذن له الشيخ المذكور بالإذن المطلق ، ورخص لتلقين أذكار السلوك تاه في أمره ، وتحيّر وخاف من أن يتصدّر للإرشاد بظن أنه ليس أهلاً له ، وأنه أحقر وأذل من كل واحد من إخوانه ، وأمهل أمره إلى أن اشتكى إخوانه لدى شيخه أنه لا يلقِّن الأذكار ، ولا يمتثل أمره ، وأغلظ الأستاذ الكلام معهم وقال : لِمَ تَمْنَعُ الناسَ عن المنفعة . وأمره بأن يذهب إلى محلة كذا وكذا للتلقين ، حتى كتب إليه : أظنّ أن توجهي يضرّ المريد ضرراً كثيراً بانعكاس أحوالي السيئة وأخلاقي المذمومة ، فلعله لا ينظر أخلاقي وأفعالي وعدم فطامي من رضاع مألوفات النفس ، ولو نظر لما أمرني بالتوجه إلى المريدين بالتلقين . فهذه الخطرات راسخة في القلب دائماً ، لكن لا اعتراض على الشيخ فيما فعله ، ولا يقال لِمَ لا ؟ فالعياذ بالله ، بل هذا مجرد إخبار الخطرات موافقاً على ما في الكتب ؛ من أنه يجب على المريد إخبار خطراته لشيخه . انتهى من خطه .

وهكذا يكون حال الصادقين والمخلصين من السالكين ، وأنه قدّس سرّه تعرَّض عليّ مرة أمر التوجُّه إلى المريدين خفية منهم وقت كوني

على المراقبة المعية ، فإذا خطر ببالي بعض الإرادة وبعض الميل إليه اطلع عليه قدّس سرّه وقال ساعتئذ : إن شيخاً واحداً حين تعرَّض أمر الإذن على مريده وعلم منه الإرادة وبعض الميل أخّر لأجله إذنه عليه بعدم تمام شروط الإذن إلى أن لا يبقى فيه تلك الإرادة مدة سنتين ، فصار هذا الكلام إشارة إلى هذا الحقير ، فبعد سنتين لم يبق في قلبي شيئاً من تلك الإرادة ، بل كرهت ذلك خوفاً من وقوع الفرقة في توجهي إلى الله تعالى ، وفي المراقبة ، ومن ذهاب أنسي باشتغالي على أمر التلقين حتى أن حبّ التلقين هو حبّ الرياسة ، بل أشدّ منها لأن الرياسة فيه أَشدّ . انتهى .

ولأجل ذلك ينبغي للعاقل أن يصحِّح النية للعبادة المحضة لله تعالى حتى ينخرط في سلك المقربين ، لأنهم عبدوا الله تعالى خاصة من غير عوض ولا غرض ، نسأل الله تعالى أن يجعَلنا منهم بجاه النبي ﷺ .

وقال الشيخ العلامة الدسوقي على شرح « أمّ البراهين » : ولا يقصد أن يكون وليّاً ، لأنه لا ينبغي ذلك ، بَل قال بعضهم : من قصد بالذكر أن يكون وليّاً كانت عبدة الأوثان أحسن منه من هذه الحيثية ، لأن عبدة الأوثان يقصدون بعبادتهم التقرب إلى الله تعالى ، وطلب رضاه ، وهذا الشخص إنما يقصد منفعة نفسه ، لا امتثال أمر مولاه ورضاه . انتهى ، والله أعلم « فتاوى الجوخي » .

وفي كتاب « الجواهر » و« المنن » ما نصه : قال الشعراني في « لطائف المنن » : وقد سمعت سيّدي عليّاً الخواص رحمه الله يقول : لا فرق بين عُبّاد الأصنام وبين من يعبد الله تعالى لغرض فاسد ، فإن الأصنام المعنوية كالأصنام الحسية على حد سواء ، لأن كلاًّ من العابدين اتخذوا من دون الله ما لم يأذن به الله ، وهم في ذلك على طبقات .

فمنهم من قصَدَ بعلمه وعمله وما يقع على يديه من الخيرات حصول المكانة في قلوب الناس ، ودوام الصيت وانتشار الجاه .

ومنهم من يقصد بعلمه وعمله ، إعلاء الدرجات ، وظهور الكرامات ، والتصريف في الكون ، والمشي على الماء ، والطيران في الهواء ، وكشف الغيوب .

ومنهم من لم يقصد بعلمه وعمله شيئاً من أمور هذه الدار ، إنما يقصد بذلك الحور الحسان ، ودخول الجنان ، وغير ذلك من ثواب الآخرة .

ومنهم من يقصد بذلك السلامة من النار ، والخوف من الحساب ، والعقاب ، وما أعدّه الله تعالى لأهل تلك الدار من النكال والوبال .

ومنهم من يقصد بعلمه وعمله القرب من الله تعالى ، والرضا عنه ، والمحبة له .

ومنهم من لا قصد له في علمه وعمله إلاّ علمه باستحقاق مولاه العبادة ، والتذلل والخضوع والوقوف عند أمره ونهيه ، قد تبرأ من الاعتماد على حوله وقوّته وعلمه وعمله وقصده وإرادته ، فأتى بأعماله على وجه الإخلاص ، وهو خائف من الله تعالى ، لا يرى أنّه قام بذرّة واحدة من الأمور التي كلّف بها على الوجه الذي أمر به ، ومن هنا يترقى السالك في مراتب إخلاص الخواص التي كل ذرة منها تعدل عبادة ألف سنة من عبادة تلك الأقسام السابقة ، فاعلم ذلك واعمل به ، والحمد لله ربّ العالمين . انتهى . راجعه في ٣١٣ ج ١ .

أصل كل معصية الرضا عن النفس

قال ابن عطاء الله في « الحكم » : أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس ، وأصل كلّ طاعة ويقظة وعفة عدم الرضى منك عنها . قال الشارح : الرضا عن النفس أصل جميع الصفات المذمومة ، وعدم الرضا عنها أصل الصفات المحمودة ، وقد اتفق على هذا جميع العارفين ، وأرباب القلوب ، وذلك لأن الرضا عن النفس يوجب تغطية عيوبها ومساويها ، ويصير قبيحها حسناً ، **وعين الرضا عن كل عَيْب كليلة** ، وعدم الرضا عن النفس على العكس الرضا عنها ، وذلك لأنّ العبد إذ ذاك يتهم نفسه ، ويتطلب عيوبها ، ولا يغتر بما يظهر من الطاعة والانقياد ؛

معنى الطاعة لله عزّ وجلّ

كما قيل في الشطر الأخير : **كما أن عين السخط تبدي المساوي .**

فمن رضي عن نفسه استولت عليه الغفلة ، وبالغفلة ينصرف قلبه عن التفقه والمراعات لخواطره ، فتثور حينئذ دواعي الشهوة على العبد ، وليس عنده من المراقبة والتذكير ما يَدفعها به ويقهرها ، فتصير الشهوة غالبة له بسبب ذلك ، ومن غلبته شهوته وقع في المعاصي لا محالة ، وأصل ذلك كله رضاه عن نفسه ، ومن لم يرض عن نفسه لم يستحسن حالها ولم يسكن إليها ، ومن كان بهذا الوصف كان متيقظاً منتبهاً للطوارق والعوارض ، وبالتيقظ والتنبه يتمكَّن من تفقُّد خواطره ومراعتها ، وعند ذلك تخمد نيران الشهوة ، فلا يكون لها عليه غلبة ولا قوة ، فيتصف العبد حينئذ بصفة العفة ، فإذا صار عفيفاً كان متجنباً لكل ما نهاه الله عنه محافظاً على جميع ما أمره ، وهذا هو معنى الطاعة لله عزّ وجلّ .

وأصل هذا كله عدم رضاه عن نفسه ، فإذاً لا شيء أوجب على العبد من المعرفة بنفسه ، ويلزم من ذلك عدم الرضا عنها ، وبقدر تحقق العبد في معرفة نفسه يصلح له حاله ويعلو مقامه ؛ وقد ورد عن الكبار والأئمة الأخيار من الكمالات المتضمنة لعيبهم لنفوسهم والتهمة لها ، وعدم رضاهم عنها أكثر من أن يحصى ، ولذلك قال أبو حفص : من لم يتَّهم نفسه على دوام الأوقات ، ولم يخالفها في جميع الأحوال ، ولم يجرّها إلى مكروهها في سائر أيّامه كان مغروراً ، ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد أهلكها . وكيف يصح لعاقل الرضا عن نفسه والكريم[1] ابن الكريم يقول : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ ﴾ .

وقال أيضاً رضي الله عنه : منذ أربعين سنة اعتقادي في نفسي أن الله ينظر إليّ نَظَرَ السخط ، وَأعمالي تدلُّ على ذلك .

وقال الجنيد رضي الله عنه : لا تسكن إلى نفسك ، وإن دامت طاعتها لك في طاعة ربّك .

---

(١) يوسف

وقال أبو سليمان الداراني ﵁ : ما رضيت عن نفسي طرفة عين ، ولا يكمل العبد إلا إذا انتفى عن نفسه إرادة الحظوظ ، وصار لا يريد إلا ما أمره الشارع به أمر إيجاب أو ندب ، وعلى هذا حمل قول أبي يزيد البسطاميّ ﵁ لما قيل له : ما تريد ؟ فقال : أريد أن لا أريد ، يعني : أريد أن لا أريد ما فيه حظ لنفسي . وأما إرادته ما أمره الشارع به ، فإنها غير داخلة في كلامه ، لأنها مراد الله لا مراده هو .

مهم

ومن حظوظ النفس طلب الكرامات وخوارق العادات ؛ فالأولى بالعبد مجاهدة النفسِ في حملها على الاستقامة وإظهار الذل والفاقة لله تعالى عبودية وامتثالاً لأمره ؛ فإن الاستقامة خير من ألف كشف ، وألف كرامة ، والكرامة إنما تكون لتقوية اليقين . ومن خلصت له الاستقامة قوي يقينه ، فلا يحتاج إلى الكرامة . وقد أفرد كثيرٌ من العلماء ذكر معايب النفس بالتأكيد ، كالحرث بن أسد المحاسبي ، وغيره فليرجع إليها من أراد سلامة دينه ودنياه . انتهى .

مهم

ولأجل ذلك يلزم على السالك اختيار الذل والانكسار في كل وقت وحين ، ومنع النفس عن مألوفاتها العادية ، لأنّ من لم يخرق من نفسه العادة لا يخرق له العوائد ، وإنما الزاد هو الاستعانة بالله بمزيد الافتقار ، فأكثر من هذا الزاد إن أردت قطع الطريق ، وتواضع ولا تتكبَّر ، يزول عنك كل تعويق ، فإنه لا ينفع مع الكبر عمل ، ولا يضر مع التواضع بطالة وكسل ، فهذا هو الدواء النافع ، فداويه مرض قلبك ، واصحب من يرشدك إلى تحصيله ، فإنه الشفاء للُبِّكَ ، **فإن الطريق إلى الله تعالى عبودية وانكسار ؛ والكبر منازعة للربوبية وافتخار ، فأين تجمع العبودية مع المنازعة في الربوبية** ، وأنى تشرق الأنوار الإلهية مع الاتصاف بالصفات البشريّة ؟ !فسبحان من ستر سرّ الخصوصية في ظهور البشرية ، وظهر بعظمة الربوبية في إظهار العبودية ، ما يطلب منك شيء مثل الاضطرار ، ولا أسرع إليك بالمواهب مثل الذلة والانكسار ، **تحقق بأوصافك يمدّك**

بأوصافه ، تحقق بفقرك يمدّك بغناه ، تحقق بضعفك يمدّك بحوله وقوته ، تحقق بعجزك يمدّك بقدرته ، تحقّق بذلّك يمدّك بعزّته ، فإياك والكبر ، فإنه لا تنفع معه الأعمال ، وعليك بالتواضع ، فإنه ينفعك وإن اتصفت بأنك بطال ، واطلب هذا المقام من مولاك ، **فإن أقامك ثبت ، وإن قمت بنفسك سقطت** ، وقل في دعائك : اللهم فهمنا عنك ، فإنا لا نفهم عنك إلاّ بك ، إياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً إنّك أنت الوهاب .

رب هب لي مذلة وانكساراً ... وأنـلـنـي تـواضعاً وافتقاراً
وفّق للقلب واهده لصلاح ... وأذقـه حـلاوةً واصـطباراً

فاجتهد في تصحيح تواضعك بالعبودية ، والانكسار ، وشمّر عن ساق الجدّ في طلب هذا المقام بالليل والنهار ، فليس من لبس ذلّ العجز كمن ألبس عزّ الإقتتار[1] . قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ ، وقال ﷺ لمن طلب منه أن يكون رفيقه في الجنة : « أَعِنِّي على نفسك بكثرة السجود » ،

فدلّ كلام الله تعالى وكلام رسوله أن المجاهدة لا بدّ منها في الطريق ، فإن من أُلْبِسَ عز الاقتتار ، وأزيل عنه لباس ذلّ العجز لم يتخلص من التعويق ، ولم يسهل عليه سلوك هذا الطريق ، فمن جدّ وجد ، ومن قرع باباً ولجّ ولج .

اصبر على مَضضِ الأدلاج بالسحر ... ولـلـرواح على الطاعات في البُكُر
إنـي وجـدت مـدي الأيـام تجربة ... لـلـصـبـر عـاقـبـة محمودة الأثر
وقـلَّ مـن جَـدَّ فـي أمـرٍ يُـؤمـلـه ... واستصحَبَ الصبر إلاّ فاز بالظفر[2]

---

(١) **علّه** : الإفتخار .

(٢) **وفي نسخة** :

اصبر على مضض الإدلاج بالسحر ... وبالرواح على الحاجات والبكر
لا تـعـجزن ولا يضـجرك مطلبها ... فالنجح يتلف بين العجز والضجر
إنـي رأيـت وفـي الأيـام تجربة ... لـلـصـبـر عاقبة محمودة الأثر
وقـل مـن جـد فـي أمـر يطالبـه ... واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

فاجتهد أيها الطالب في خدمة مولاك على الدوام ، واخلص في خدمتك ، ولا تتوقع لنفسك حالاً ، ولا بلوغ مقام ، فإن من طلب لنفسه حالاً أو مقاماً فهو بعيدٌ عن طرقات المعاملة .

فيا أسير العادات والشهوات ، ويا طالباً للمقامات والمكاشفات أنت مشغول بك عنه ، أين اشتغالك به عنك ؟ ! فمن طلب حالاً ، أو مقاماً ، أو مكاشفة ؛ فهو مشغول بحظ نفسه دون اشتغاله بخدمة ربّه ، ما أحببت شيئاً إلا كنت له عبيداً ، وهو لا يحبّ أن تكون لغيره عبداً ﴿لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ .

فكل من عبدوا الله لغرض ، أو علة هالكون ، وكل ما إلتفت إليه السالك وألْهاهُ فهو حجابه ودُنياه ، وهو القاطع له عن طريق مولاه . وما أحسن ما قيل :

قال لي حسن كل شيء تجلى بي تحلى فقلت قصدي وراك

فلا تطلب أيها السالك سوى مولاك ، ولا تفرح إلا بما به أولاك ، فالسعيد من يئس عن الفرح إلا بما كان له من مولى ، وذلك علامة تحققه في التوحيد ، ورسوخه في أوج علاه ، فلا تجنح بهمتك إلاّ إلى إفضاله ، ولا تقبل بقلبك إلا حضرته ، ولا تشهد إلا عظيم نواله كما قال تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ .

فإذا شهدت هذا المقام العظيم ، فعليك بمراقبة هذا الفضل العميم ، فإنّ أفضل الطاعات عمارة الوقت بالمراقبات ، فعمّر أوقاتك بمراقبة مولاك ، بأن تعلم أنه هو الذي أعطاك كل فضيلة ، وأزال عنك كل رذيلة ، وغذى قالبك بأقواته ، وأحيا قلبك بذكره بعد مماته ، وجعلك عبداً له ، وعلّمك آداب الخدمة ، وفهّمك طريق عبادته ، وألزمك الحرمة ؛ ومع ذلك هو حاضر لديك ، ومقبل بإحسانه لديك ، ما من حركة وسكون منك إلا وهي بإرادته ، ولا لفتة ناظر ، ولا فلقة خاطر إلا وهي بقدرته كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى

﴿ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ ولذلك كان يتوصل بعض العارفين في تصحيح المراقبة لمريديه بهذه الأذكار الثلاث : الله معي ، الله ناظري ، الله شاهدي ، ثم يقول بعد مدّة لذلك من المريد : من كان الله معه ، وناظره ، وشاهده ، كيف يعصيه . فاسمع يا أخي هذه الوصية ، واعمل بمقتضى هذه القضية ، تحز مقام المراقبة ، وتصل إلى الفتوة على سبيل المُعَاتبَةِ ، والفتوة؛ أن لا تشتغل بالخلق عن الحق ، والفتوة مقام الكمل من الرجال ، **فعدم اشتغالك بالخلق عين اشتغالك بالحق** ، لأنك متى انفصلتَ وصلْتَ ، والاشتغال بالحق هو المراقبة ، لأن حقيقتها أن تعلم أن الله مطلع على أحوالك ، فتراقب هذا المعنى ، وتكون حافظاً لمعنى ، ومترشحاً لطلب ما يفيض عليك من ظلال مبناه ، والمراقبة التي هي عين الفتوة أصل جميع السعادات .

وما أحسن ما قيل :

إلــهـي عــمـيــتْ عَـيــن لا تــراك عــلــيـهــا رقـيــبـاً
وخسِرتْ صفقَةُ عَبد لم يجعل له من حبّك نصيباً

وهي مقام الإحسان ، ومقام دخول العارفين بقلبه إلى عظيم الجنان ، وهي الباب الجامع لكل خير في الطريق النافع ، وهي التي متى أشرقت شمس ضحاها على القلوب أذابت منها كل رذيلة ، وحلَّتها بكل فضيلة ، وهي التي تزيّن الأسرار ، وتجلو عين البصيرة التي هي مشرق الأنوار ، حتى لا يرى السالك إلا المحاسن من العبيد ، وتطيب له السريرة ، ويقرب لديه البعيد . ولذلك قال بعض العارفين : الفتوة رؤية محاسن العبيد ، والغيبة عن مساويهم ، لأن من لازم الاشتغال بالحق الغيبة عن مساوي الخلق ، إذ من اشتغل بالحق لم يشهد فعلاً إلا فعله ، ولا وصفاً إلا وصفه ، ولا وجوداً إلا وجوده ، فمن لم يشهد في العبيد إلا أوصاف الحق ، وأفعاله ، ووجوده ، لم يشهد إلا محاسنهم ، ويغيب عن مساويهم ، إذ المساوي مفقودة في نظر المشاهد كما قيل :

إذا ما رُمت الله في الكل فاعلاً ، رأيت جميع الكائنات ملاّحا ،

وقال ابن الفارض ﵁ :

وكل الذي شاهدته فِعلُ واحد بمفرده ، لكن تحجب بالأكنة ، إذا ما أزال الستر لم تر غيره ، ولم يبق في الإشكال إشكال مرية ، فيا أيّها الفتى المتحقق بالفتوة أخلص لله في معاملتك ، واخرج من الحول والقوة ، فإن من أخلص لله في معاملته تخلص من الدعاوي الكاذبة ، إذ الدعوى تنشأ عن النفاق ، وإظهار خلاف ما في الباطن من الشقاق ، ومن علم أن الله مطلع على ما في ضميره قادر على الانتقام منه إن افترى لزمه الإخلاص لله تعالى في معاملته ، واجتهد في الصدق في أفعاله ، وأقواله . وما أحسن ما قاله بعضهم :

عليك بالصدق ولو أنه　　أحرقك الصدق بنار الوعيد

وابغ رضا المولى فأغبى الورى　　من أسخط المولى وأرضى العبيد

فاجتهد في تصحيح هذه الخصلة تحز مقام الفلاح ، فإن أهل الصدق قليل في أهل الصلاح ، فشمّر الذيل في تصحيح هذا المقام ، وتمسّك بزيل أهله ، وارفض غيرهم من الأنام ، وحاسب نفسك في الحركات والسكنات ، وتفطن لما يصدر منك من دسائس الكلمات ، واعلم أن الرقيب حاضر ، والحق تعالى إليك ناظر ، وتجرَّد عن المخالفات ، والبس حلل الطاعات ، واخرج ملاحظة السوى عن قلبك تشرق عليك أنوار الفقر ، فاستره وتوسل به إلى ربّك ، فإنّ الفقر نور ما دمت تستره ، فإذا أظهرته ذهب نوره ، إذ حقيقة الفقر التجرّد عن السوى الذي هو عين الإقبال على المولى ، وهذه الأمور ذوقي معنويّ لا يليق إظهاره كالجوهرة النفيسة التي لا يسمح صاحبها بإظهارها إلا بقدر الضرورة ، وهكذا الفقر إذ هو عين التوحيد ، وهو كالدواء المجرّب عند العارف ، ولا يذكره إلاّ المريض المحتاج ، ولا يسمح بإفشائه لأهل الاعوجاج .

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﵁ : ليكن الفرق بلسانه موجوداً ، والجمع بقلبك مشهوداً ، فالعارف من ستر فقره وتوحيده ، وأظهر فرقه ،

وسار سيرة حميدة يعاشر الخلق في الظاهر كأنه واحد منهم ، ويصاحب الحق في الباطن كأنه منعزل منهم ، وما أحسن ما قيل :

ومـن داخـلٍ كن صاحباً غير غافل ومن خارج خالط كبعض الأجانب

وتخلق بمعنى قوله تعالى : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ .

الحكاية

يحكى أنه دخل بعض أهل الأحوال على بعض أهل الكمال ، وكان ذلك الكامل مشغولاً بفصل الخصومات بين الناس ، فلما رآه ذلك الداخل بتلك الحال ، فرش سجادته على حوض من الماء كان هناك ، وشرع يُصلي ، فالتفت إليه ذلك الكامل فقال : ما هذه البدعة التي تفعلها ليس الشأن ما فعلته ، إنما شأن أن يكون الرجل بين الخلائق ، وسرّه معتزلٌ عن الخالق . ولقد صدّق فيما قال ، وبيّن ما عليه أهل الكمال من الرجال . فلذا قيل : العارف كائن بائن ، بظاهره مع الخلق ، وبسرّه مع الحق .

فالأوّل فرق ، لا بدّ منه في الطريق . والثاني جمع ، لا بدّ منه في التحقيق ، الجمع ما أسقط تفرقتك ومحا إشارتك ، والجمع استغراق أوصافك وتلاشي نعوتك . فالتفرقة والإشارة تقتضي الأغيار والجمع لا يشهد صاحبه إلا الواحد القهار قد انمحت عنه الرسوم ، وذهبت عنه العلوم ، قد فنيت أفعاله وأوصافه في أوصافه ، وذاته في ذاته ، ثم يرجع منه إلى غاية الفرق والرسوم ، ويعود إليه ما فارقه من علم ومعلوم ، ويصير مرشداً ، ومقتدى ، جامعاً ، فارقاً ، وارثاً لسيّد الورى .

ولذلك سئل الجنيدي عن النهاية قال : الرجوع إلى البداية . فالمنتهي من رجع إلى بداية فرقه وعبوديته ، قد عرف المقصود من خلقه ، وانخلع عن أوصاف بشريته ، لا يشير إلى أوصافه ولا يشير إلى نفسه ، فإن المدّعي من أشار إلى نفسه ، إذا الإشارة إلى النفس فرع إثباتها ورؤيتها ، وهو ينافي مقام الفناء ، ويباين مشرب من ارتشف كأس الهناء ، ولذلك قال ذو النون رضي الله عنه لما سئل : ما أشدّ الحجاب وأخفاه ؟ قال : **رؤية النفس**

وتدبيرها ، فمن حجب ورأى نفسه شيئاً أشار إليها ، فكان مدعياً وهو عن مذاق أهل الفناء بمعزل .

انتهى ما أردت إيراده في هذا الموضع إن أردت الزيادة فراجع إلى « تقريب الأصول » في ٢٠ ، وفي ١٩٨ تفز بالمرام والسلام . سبحان ربّك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمن .

تمت

تم الكتابة في يوم ٣ من شهر الله المبارك شعبان في سنة ١٣٦٢ ، وأنا الفقير الخسير ذو التقسير الكثير محمّد ابن العالم الحاج بالحرمين سعد البقلچي الأسفل لأجل الإرسال لدى قاضي حسن المحمد العوري رجاء لدعائه ، وليكون سبباً للتذكير .

فـإنـي وإن كـنـت لا يـلـيـق بـقـلـوب أمـثالـهم
والتـذكـيـر عـنـدهـم كـتـبت هذه الأجوبة
وأرسـلـتـه لـديـكـم بــقـوّة شـــدّة
لاحـتـيـاج لـدعائكم ولرحمته
تعالى بواسطتكم اهى هذا
والـسـلام عـلـيكم
سامحه الله من فرطاته
آمـيـن

❊

أرجوكم العفو

فهرسة

كنوز الأمان

من فتن الزمان

وذخيرة النجاة من طوارق الأفات

ألَّفه

العلامة الجليل المرشد محمد بن نور محمد
النقشبندي الشاذلي الداغستاني
المتوفى سنة ١٣٦١ هـ

دار الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم ، الحمد لله الكريم الغفّار الذي كوّنَ الأكوان ، ودبّر الزمان ، يغفر الذنوب ، ويكشف الكرُوبَ ، ويُفرّجُ الخطوب ، صَلّى الله عَلَى سيّدنا محمّد وَعَلَى آله وصَحبه أجمَعين .

وبعد : فلمّا صَار كلّ أحد في هذا الزّمَان مشغُولاً بنفسه ، متفكّراً في طوارقه ، متدبّراً في وُجُوه الخلاَصِ من أليم كروبه ، كلّما طلبَ النجاة من وَاحد منها يقعُ في أعظم منها ، بحيث لا يرجو الخلاصَ ، ولا يقوى الخرُوج منها ، فلا يدري إلى أين ينقلب ، وإلى أيّ جهة يتغرب ؛

فأردتُ جمعَ كتاب مبيّناً فيه مصائب الأوان ، وكنوز الأمان من طوارق فتن الزمان ، فجمعته وسمّيته :

بـ « **كنوز الأمان من فتن الزمان ، وذخيرة النجاة من طوارق الأفات** »

ورتبته عَلى مقدّمة ، ومقصد ، وخاتمة ؛ **فالمقدّمة** في فضل الدّعاء وآدابه وشروطه ، وما يتعلّق به من القدر والقضاء وأحكامها ، والمقصد في كنوز الأمان من فتن الأوان وتفريج الكروب مع تخليص المسجون ؛ من الأدعية المفرّجة للكروب والأحزاب المنجية للخطوب ، **والخاتمة** في أشراط الزمان وعلامات الساعة . وأسأل الله تعالى أن يجعله سبباً لتخفيف أثقال الإخوان ، وأعباء[1] الخُلاَّنِ ، إنّه رؤوفٌ مجيبٌ ، وعلى ذلك قدير ، وما ذلك عليه بعزيز .

---

(١) **أي** : أحمال

❊ لا تظهر الشماتة لأخيك ، فيرحمه الله ويبتليك ، حيث زكيت نفسك ، ورفعت نفسك ، ورفعت منزلتك ، وشمخت بأنفك وشمتّ . وقوله (فيرحمهُ الله) بالنصب جواب للنهي . وقوله (يبتليك) عطف عليه . وما أحسن قول بعضهم رحمه الله تعالى :

جـمـيـع فوائد الدنيا غرور ... فلا يبقى لمسرور سرور
فـقـل للشامتين بنا استعدّوا ... فـإن نـوائـب الدنيا تدور

هذا الحديث معدود من جوامع كلمه ﷺ وأخذ قوم منه ، أن في الشماتة بالعدوّ غاية الضرر ، فالحذر الحذر ، نعم إن مات عدوّك ، ففرحت لأجل الاستراحة من ضرره فلا بأس به . رواه الترمذي . قال العزيزي : قال العلقمي : بجانبه علامة الحسن . « مصباح الظلام » ١٦٢ ج٢ .

المقدمة

في الدعاء وما يتعلّق به . . إلخ

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ ، وقال تعالى ربكم : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ وقال عز وجلّ ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ .

وروى النعمان بن بشير عن النبيّ ﷺ أنّه قال : « إن الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ الآية . قال ﷺ : « ما أذن الله تعالى لعبد في الدعاء حتى أذن له في الإجابة » ، قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : لا تستحقروا دعوة أحد ، فإنّه يستجاب لليهودي فيكم ، ولا يستجاب له في نفسه . وقال عليه الصلاة والسلام : « أحبّ الأعمال إلى الله عز وجل في الأرض الدعاء ، وأفضل العبادة العفاف » . وعن أبي عبد الله رضي الله عنه قال : « الدعاء يردّ القضاء بعد ما أبرم إبراماً كثيراً ، فأكثروا من الدعاء ، فإنه مفتاح كلّ رحمة ، ونجاح كل حاجة ، ولا ينال ما عند الله إلاّ بالدعاء ، وليس بابٌ يكثر قرعه إلا يوشك أن يفتح لصاحبه » . وعنه رضي الله عنه قال : « الدعاء كهف الإجابة ، كما أنّ السحاب كهف المطر » . وعنه رضي الله عنه قال : « ما أبرز عبدٌ يده إلى الله العزيز الجبّار عزّ وجلّ إلاّ استحيا الله عزّ اسمه أن يردّها صفراً حتى يجعل فيها من فضل رحمته ما يشاء ، فإذا دعا أحدكم فلا يرد يده حتّى يمسحها على رأسه ووجهه » . وقال أبو عبد الله رضي الله عنه : أتعرفون طول البلاء من قِصَرِهِ ؟ قيل : لا ، قال : إذا أُلهم أحدكم الدعاء عن هذا البلاء فاعلموا أنّ البلاء قصير .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إنّ الدعاء في الرّخاء لينجز الحوائج في البلاء » وقال عليه الصلاة والسلام : « أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود صلى الله عليه وسلم ؛ اذكرني في سرّائك أستجيب لك في ضرّائك » وقال عليه الصلاة والسلام : « من تخوّف بلاء يصيبه ، فتقدّم فيه بالدعاء ، لم يره الله عز وجلّ البلاء أبداً » . وعن أبي عبد الله وأبي جعفر رضي الله عنهما قالا : والله لا يلحُّ عبد على الله إلاّ استجاب له . وعن أبي عبد الله ﵁ قال : من توضّأ فأحسن الوضوء ، ثم صلّى ركعتين ، فأتم ركوعهما وسجودهما ، ثم سلّم وأثنى على الله عزّ وجلّ وعلى رسول الله ﷺ ، ثم سأل حاجته فقد طلب الخير في مَضانّه ، ومن طلب الخير في مضانه لم يخب . وفي « الفردوس » قال النبي ﷺ : « البلاء يتعلق بين السماء والأرض مثل القنديل ، فإذا سأل ربّه العافية صرف الله عنه البلاء » . وقال ﷺ : « سلوا الله عزّ وجلّ مَا بَدا لكم من حوائجكم حتّى شسع النعل ، فإنّه إن لم ييسّره لم يتيسّر » . وقال عليه الصلاة والسلام : « ليسأل أحدكم ربّه حاجته كلها حتى يسأل شسع نعله إذا انقطع » . وقال الصادق ﵁ : إنّ الله عزّ وجلّ جعل أرزاق المؤمنين من حيث لم يحتسبوا ، وذلك أن العبد إذا لم يَعرف وجه رزقه كثر دعائه ، وعنه ﵁ قال : من سرّه أن يستجاب له في الشدائد فليكثر الدعاء في الرخاء . وعن علي الرضا ﵁ قال : دعوة العبد سرّاً دعوة واحدة تعدل سبعين دعوة علانية . وعن أبي عبد الله ﵁ قال : إنّ الله تعالى يعلم ما يريد العبد إذا دعا ، ولكن يحبّ أن يبده إليه حوائجه . وعنه قال : إنّ الله عز وجلّ لا يستجيب دعاء قلب لاه ، فإذا دعوْت فاقبل بقلبك ، ثم استيقن الإجابة . وعنه عليه الصلاة والسلام قال : « إنّ الله عز وجل كره إلحاح النّاس بعضهم على بعض في المسئلة ، وأحبّ ذلك لنفسه ، إنّ الله عزّ وجلّ يحب أن يسأل ويطلب ما عنده » .

الدعاء سلاح الأنبياء

وعن الرضا ﵁ أنّه كان يقول لأَصْحابه : عليكم بسلاح الأنبياء ، فقيل : وما سلاح الأنبياء ؟ قال : الدعاء . وعن الصادق ﵁ قال : الدعاء أنفذ من السنان . وعن حماد بن عثمان قال : سمعت الصادق ﵁ يقول : الدعاء يرد القضاء وينقضه كما ينقض السلك وقد أبرم إبراماً . وعن أبي الحسن ﵁ قال : عليكم بالدعاء ، فإنّ الدّعاء والطلب من الله تعالى عزّ وجلّ يرد البلاء ، وقد قرر وقضى فلم يبق إلاّ إمضائه ، فإذا دعا الله تعالى وسأله صرف البلاء صرفاً ، وقال الصادق ﵁ : عليك بالدعاء ، فإنّ فيه شفاء من كلّ داء ، وقال عليه الصلاة والسلام : « من قدم الدّعاء استجيب له إذا نزل البلاء .

وقيل : صوت معروف ولم يحجب عن السماء ، ومن لم يقدّم الدعاء لم يستجب له إذا نزل البلاء ، وقالت الملائكة : هذا صوتٌ لا نعرفه » . وعن زين العابدين ﵁ قال : الدّعاء بعْد ما ينزل البلاء لا ينفع . وعن الصادق ﵁ : إذا دعوت فأقبل بقلبك ، وظنّ أن حاجتك بالباب . وقال ﵁ : لا يلحّ عبد مؤمن على الله تعالى في حاجة إلا قضاها . وقال النبيّ عليه الصلاة والسلام : « رحم الله عبداً طلب من الله عز وجل حاجته وألحّ ، أستجيب له أم لم يستجب ، وتلا هذه الآية ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ . وقال أمير المؤمنين علي ﵁ : ما من أحد أبتلي وإن عظمت بَلواه بأحقَّ بالدعاء من المعافي الذي يأمنُ البلاء . انتهى . وعن أبي عبد الله ﵁ أنه قال : إذا دعى أحدكم فليخلص ، فإنّ القلب لا يرق حتى يخلص . وعنه قال : كان أُبيّ ﵁ إذا طلب الحاجة طلبها عند زوال الشمس ، فإذا أراد ذلك قدّم شيئاً وتصدّق به ، وشم شيئاً من الطيب ، وراح إلى المسجد ، فدعا في حاجته ما شاء الله عزّ وجلّ . وعنه ﵁ قال : إذا اقشعّر جلدك ، ودمعت عيناك فدونك دُونك فقد نجح قصدُك .

وعن جعفر ﵁ قال : إن الله عزّ وجلّ يحبّ من عبده المؤمن الدعاء ، فعليكم بالدعاء في السحر إلى طلوع الشمس ، فإنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء ، وتقسم فيها الأرزاق ، وتقضى فيها الحوائج . انتهى . « مكارم الأخلاق » عبارته ٩٠ راجعه ، وفي شرح « البخاري » لابن أبي حمزة عن النبيّ ﷺ : « من فتح باب الدعاء ، فتحت له أبواب الخيرات » . وفي « الترغيب والترهيب » عنه ﷺ : « من فتح منكم باب الدّعاء فقد فتحت له أبواب الإجابة » . وعن أبي هريرة ﵁ عن النبيّ ﷺ : « ليس شيء أكرم عند الله تعالى من الدعاء » وعنه أيضاً ﷺ قال : « الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السموات والأرض » .

مهم

عن جابر بن عبد الله عن النبيّ ﷺ قال : « يدعو الله بالمؤمن يوم القيمة حتى يوقفه بين يديه ، فيقول : عبدي ! إنّي أمرتك بالدعاء ووعدتك أن أستجيب لك فهل كنت تدعوني ؟ فيقول : نعم ، يا ربّ ، فيقول أما إنك لن تدعوني بدعوة إلا أستجيب لك ، أليس دعوتني كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرِّج عنك ففرَّجت عنك ، فيقول : نعم ، يا ربّ ، فيقول : إني عجلتها لك في الدنيا ، ودعوتني يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك فلم تر فرجاً ، قال : نعم يا ربّ ، فيقول : إني ادخرتها لك في الجنّة كذا وكذا ، ودعوتني في حاجة أن أقضيها لك في يوم كذا فقضيتها ، فيقول : نعم يا ربّ ، فيقول : إنّي عجّلتها لك في الدنيا ، ودعوتني يوم كذا وكذا لحاجة أقضيها لك فلم تر قضائها ، فيقول : نعم يا ربّ ، فيقول : إنّي ادّخرتها لكَ في الجنّة كذا وكذا » . وقال ﷺ : « لا يَدع الله دعوة دَعا بها عَبْده إلا بيَّن له إمّا أن يكون عجّل له بها في الدنيا ، وإمّا أن يكون ادّخرَ له في الآخرة ، فيقول المؤمن في ذلك المقام : يا ليته لم يكن عجل له شيء في الدنيا من دعائه » .

مهم

وعن أبي الدرداء عن النبيّ ﷺ : « دعوة الرجل لأخيه بظهر الغيب تعدل سبعين دعوة مستجابة ، ويوكّل الله ملكاً يقول : آمين ، ولك مثل ما دَعَوْت » وقال النبيّ ﷺ : « أسرع الدّعاء إجابة دعوة غائب لغائب » رواه أبو داود والترمذي . وقال النبيّ ﷺ : « ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهنّ ؛ دعوة المسافر ، ودَعْوة المظلُوم ، وَدَعوة الوَالد لوَلده » رواه أبو داود وَالترمذي . وفي رواية البزار : « ثلاث دعوات حق على الله أن لا يردّهنّ ؛ دعوة الصائم حتّى يفطر ، والمظلوم حتّى ينتصر ، والمسافر حتّى يرجع » . ومنه ﷺ : « دعوة الوالد لولده مثل دعاء النبي ﷺ لأمّته » . وعنه ﷺ : « دعوتان ليس بينهما حجابٌ ؛ دعوة المظلوم ، ودعوة المرء لأخيه بظهر الغيب » . انتهى راجع « الإحياء » في ٢٣٤ ج ١ و« نزهة المجالس » في ٦٦ ج ١ .

شروط الدعاء

وقال الشيخ شهاب الدّين أحمد الأبشهي في كتابه « المستطرف » : اعلم أنّ إجابة الدّعاء لا بدّ لها من شروط ؛ فشرط الداعي أن يكون عالماً بأن لا قادر إلا الله ، وأن الوسائط في قبضته ، ومسخرة بتسخيره ، وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب ، فإنّ الله تعالى لا يستجيب من قلب لاه ، وأن يكون مجتنباً من أكل الحرام ، ولا يملّ من الدعاء .

ومن شروط المدعوّ فيه أن يكون من الأمور الجائزة الطلب والفعل شرعاً كما قال عليه الصلاة والسلام : « ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم » ، فيدخل في الإثم كل ما يأثم به من الذنوب ، ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومَظالمهم . قال ابن عطاء الله : إنّ للدعاء أركاناً وأجنحة وأسباباً وأوقاتاً ، فإن وافق أركانه قوي ، وإن وافقت أجنحته طار إلى السماء ، وإن وافق مواقيته فاز ، وإن وافق أسبابه نجح . فأركانه حضور القلب والخشوع ، وأجنحته الصدق ، ومواقيته الأسحار ، وأسبابُه الصلاة عَلى النبيّ ﷺ .

ومن شروط الدعاء أن يكون سليماً من اللّحن كما قال بعضهم :

ينـادي ربّه باللحـن ليث[1]   كـذاك إذا دعـاهُ لا يجاب

وقيل : إن الله تعالى لا يستجيب دعاء عريف ، ولا شرطي ، ولا جاب ، ولا عشار ، ولا صاحب عرطبة ؛ وهي الطنبور ، ولا صاحب كوبة ، وهي الطبل الكبير الضيّق الوسط . انتهى . راجعه في ٢٣١ من الجزء الثاني .

وقال الشيخ محي الدين الإمام النووي في كتاب « الأذكار » ما لفظه هذا : وروينا في « رسالة الإمام أبي القاسم القشيري رضي الله عنه » قال : اختلف الناس في أنّ الأفضل الدعاء أم السكوت وَالرضاء ؛ فمنهم من قال : الدعاء عبادة . للحديث السابق : « الدعاء هو العبادة » ، ولأنّ الدعاء إظهارُ الافتقار إلى الله تعالى ، وقالت طائفة : السكُوت والخمود تحت جريان الحكم أتم ، والرضاء بما سبق به القدر أوْلى . وقال قوم : يكُون صاحبَ دعاء بلسانه ورضاء بقلبه ليَأتي بالأمرين جميعًا . قال القشيري : والأولى أن يقال : الأوقات مختلفة ، ففي بعض الأحوال الدعاء أفضل من السكوت وَهُو الأدب ، وفي بعض الأحوال السكوت أفضل من الدعاء وهو الأدب ، وإنما يعرف ذلك بالوقت ؛ فإذا وجد في قلبه إشارة إلى الدعاء فالدعاء أولى به ، وإذا وجد إشارة إلى السكوت فالسكُوت أتمّ ، قال : ويَصحُّ أن يقال : ما كان للمسلمين فيه نصيب ، ولله سبحانه وتعالى حق ، فالدعاء أولى لكونه عبادة ، وإن كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتمّ .

قال : **ومن شروط الدعاء أن يكون مطعمه حلالاً** . وكان يحي بن معاذ الرازي رضي الله عنه يقول : كيف أدعوك وأنا عاص ، وكيف لا أدعوك وأنت كريم . ومن آدابه حضور القلب ، وسيأتي دليله إن شآء الله . وقال بعضهم : المراد بالدعاء إظهار الفاقة ، وإلاّ فالله سبحانه وتعالى ﴿يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ .

وقال الإمام ابُو حامد الغزاليّ في « الإحياء » : آداب الدعاء عشرة ؛

---

(١) اسم الرجل

الأوّل : أن يترصد الأزمان الشريفة ؛ كيوم عرفة ، وَشهر رَمضان ، ويوم الجمعة ، والثلث الأخير من الليل ، ووقت الأسحار .

الثاني : أن يغتنم الأحوال الشريفة ؛ كحالة السجُود ، والتقاء الجيوش ، ونزول الغيث ، وإقامة الصلاة ، وبعدها قُلت : وحالة رقة القلب .

الثالث : استقبال القبلة ، وَرفع اليدين ، ويمسَح بهما وجهه في آخره .

الرابع : خفض الصوت بين المخافتة والجهر .

الخامس : أن لا يتكلف السجع ، وقد فسّر به الاعتداء في الدعاء ، والأولى أن يقتصر على الدعوات المأثورة ، فما كلّ أحد يحسن الدعاء فيخاف عليه الإعتداء . وقال بعضهم : ادْعُ بلسان الذلة والإفتقار ، لا بلسان الفصاحَة والإنطلاق ، ويقال : إن العُلماء وَالأبدال لا يَزيدُون في الدعاء عَلى سبع كلمات ، ويشهدُ له ما ذكره الله سبحانه وتعالى في آخر سورة البقرة : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ ﴾ إلى آخرها ، لم يخبر سبحانه في موضع عن أدعية عباده بأكثر .

قُلت : ومثلُه قول الله سبحانه وتعالى في سورة إبراهيم ﷺ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾ إلى آخره . قلت : والمختار الذي عليه جماهير العُلماء أنه لا حرج في ذلك ، ولا تكره الزيادة على السبع ، بل يستحبّ الإكثار من الدعاء مطلقاً .

السّادس : التضرّع والخشوع وَالرهبة قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ .

السابع : أن يجزمَ بالطلب ، ويُوقن بالإجابة ، ويصدق رجائه فيها .

وَدَلائله كثيرة مشهورة ؛ وقال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى : لا يمنعنّ أحدكم من الدعاء ما يعلمه من نفسه ، فإنّ الله تعالى أجاب شرّ المخلوقين إبليس ؛ إذ قال : ﴿ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ .

الثامن : أن يلحّ في الدعاء ، ويكرّره ثلاثاً ، ولا يستبطئ الإجابة .

التاسع : أن يفتح الدّعاء بذكر الله تعالى ، قلت : وبالصلاة على رسول الله ﷺ بعد الحمد لله تعالى ، والثناء عليه ، ويختمه بذلك كلّه أيضاً .

العاشر : وهو أهمّها والأصل في الإجابة : وهو التوبة ، وردُّ المظالم ، والإقبال على الله تعالى . انتهى عبارته .٧٦ ١ ج . وإن أردْت الزيادة راجع « الإحياء » في ٢٣٤ من الجلد الأوّل ، وفيه البيان الشافي .

مهم

وقال وهْب بن منبه : بلغني أنّ موسى مرّ برَجُل قائم يبكى ويتضرّع طويلاً ، فقال موسى : يا ربّ أما تستجيب لعبدك ، فأوحى الله تعالى إليه يا موسى : لو أنه بكى حتى تلفت نفسه ، ورفع يديه حتى بلغ عنان السماء ما أستجيب له . قالَ يا ربّ لم ذلك ؟ قال : لأن في بَطْنه حرام ! ومرّ إبراهيم بن أدهم بسوق البصرة ، فاجتمَع الناس إليه ، وقالُوا : يا أبا إسحق ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟ قال : لأنّ قلوبكم ماتت بعشرة أشياء ؛ **الأوّل** : أنكم عرفتم الله فلم تؤدّوا حقّه . **الثاني** : زعمتم أنكم تحبّون الرسول ﷺ ثم تركتم سنّته . **الثالث** : قرأتم القرآن ولم تعملوا به . **الرابع** : أكلتم نعمة الله تعالى ، ولم تؤدّوا شكرها . **الخامس** : قلتم : أن الشيطان عدوكم ، ووافقتموه . **السادس** : قلتم أنّ الجنّة حق ، فلم تعملوا لها . **السابع** : قلتم أن النار حق ، ولم تهربوا منها . **الثامن** : قلتم أن الموت حقّ ، فلم تستعدّوا لها . **التاسع** : انتبهتم من النوم ، واشتغلتم بعُيُوب الناس ، وتركتم عيوبكم . **العاشر** : دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم .

وكان يحي بن معاذ يقول : من أقرّ لله بإسائته جاد الله عليه بمغفرته ، ومن لم يمنّ على الله بطاعته أوصله إلى جنّته ، ومن أخلص لله في دعوته منّ الله عليه بإجابته .

وقال علي ﵁ : ارفعُوا أمواج البلايا بالدعاء . وعن أنس ﵁ يرفعه : لا تعجزُوا عن الدعاء ، فإنّه لن يهلك معَ الدّعاء أحد . انتهى . من كتاب « المستطرف » . ٢٣٢ من الجلد الثاني . وفي « مفيد العلوم ومبيد الهموم » : وسُئل بعض العلماء : لم لا يستجاب دعائنا ؟ قال : لأنّ الله تعالى أنعم عليكم فلا تشكرون ، وعَصَيتموه فلم تستغفروه ، وسمعتم العلم فلم تستعملوه ، وصحبتم الزّهاد فلم تعملوا بمثل أعمالهم ، ورأيتم الجبابرة وحالهم فلم تعتبروا . انتهى ١١٣ راجعه . وفيه ما نصه : **وللدعاء وَقْت معلوم** ، فإذا وافقت الوقت يستجاب ، وإن لم يوافق فلا .

حكاية

مرّ عيسى عليه السّلام ببلدة فرأى أهلها مغمومين ، فسأل عن ذلك ، فقيل : ابنة الملك مريضة قد أعيى الأطباء دوائها ، وقد أهمل الملك أمور المملكة ، فارتحل عيسى فنادته شجرة : يا روحَ الله ، إني دواء ابنة الملك فاقطفني لها فاقتطف ثمرتها وسقاها فلم ير فيها أثراً ، فتعجب من ذلك وارتحل ، ثم عاد في العام القابل ، فسأل عن بنت الملك فنادته الحشيشة من جَوْفها : يا روح الله ما كذبت ، إني شفاء هذه الجارية ، إلاّ أنّ سقْيها في غير وقتها ، وأن الله تعالى كتب لكلّ شيء أجلاً ووقتاً ، وقد انقضى وقت بلاها ، وها ترى أعمل عملي في الشتاء ، فمسخ الله بها وعادت صحيحة . انتهى . راجعه في ١١٤ .

قال بعض العُلماء : لا يمنعكم من الدعاء ما تعرفون مِنْ أنفسكم من الشرّ ، فإنّ الله استجاب لعَدوّه إبليس مَع كفره ، ﴿ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ، فاستجاب دُعائه ، فقال : ﴿ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ . منه ١١٤ . وأما إجابة إبليس في انتظاره إلى يوم الدّين فذلك لسبق الوعد لا تكرمة لإبليس ؛ لأنّه لو لم ينظره إلى يوم الدين وأماته قبل ذلك لم يصر لأهل قبضة الشقاء من يوسوس لهم بالمعاصي ، ولا بد لهم منها بحكم القبضتين راجع « منن الكبرى » في ٢٤ .

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول : من أراد أن يسأل الله تعالى شيئاً فليكثر من الاستغفار ، ثم يدعو ، فإنّ الاستغفار في الأعمال كالعينين في الرأس ، ومن خطر له في نفسه في وقت من الأوقات أنّه مُستغن عن الاستغفار ، أو ثقل على لسانه فليعلم أن ذلك من استحواذ الشيطان على قلبه . قال : وقد سأل شخصٌ من الفقراء ربّه عزّ وجلّ أن يُريَهُ موضعَ الشيطان من قلب بني آدم ، فرأى في المنام قلب رجل يشبه البلور يرى داخله من خارجه ، ورَأى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكبه الأيسر بين منكبه وأذنه ، وله خرطومٌ طويل دقيق قد أدخله من منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه ، فإذا ذكر الله تعالى أو استغفره خنس ، وإذا غفل عن الذكر وسوس . انتهى . عبارته ٢٥ .

وقال الشيخ الشعراني في « لواقح الأنوار » ما لفظه : وقد اجتمعت مرّة بإبليس لعنه الله تعالى بساحل نيل مصر في واقعة ، فجادلته وجادلني ، وكان من جملة ما قال لي : لم يسلطني الله تعالى قطّ على إنسان إلاّ بَعْدَ وقوع مَيْل منه إلى ذلك الأمر الذي وسوست له به ، فالإنسان ككفتي الميزان ، وقلبه كلسان الميزان ، وأنا واقف تجاهَهُ أنتظر ميل قلب لمعصية ، فأنفذ قضاء الله تعالى بحكم الإضافة فقط ، فلا آتيه إلاّ إن رأيت لسان الميزان خرج من قُبّتها[1] وتدلى ، فهناك آتيه فأنحيه فعل تلك المعصية ، وما دام لسان الميزان لم يخرج وهو واقف في خطّ استواء القلب فلا سلطان عليه ؛ لأنه إمّا معصوم كالأنبياء ، وإمّا محفوظ كالأولياء . انتهى . قلت : ومن تحقّق بهذا كشفاً وشهوداً فهو الذي يقيم حجة الله تعالى على نفسه ، وإلا فمن لازمه أن يقول : أيّ شيء أعمل ، قدر الله تعالى عليّ ، فلا يكاد يندم إلا قليلاً ، وقد طلب الله تعالى منا في هذه الدار الندم والاستغفار عند كل معصية ، ولم يكتف منا بذلك في الباطن من غير إظهار ، وذلك ليقتدي بنا المريدون ، ويعظمُوا حدود الله إذا وقعُوا في معصية . انتهى ج ٢ راجعه . قال بعض المتقدمين : من تضافرت عليه النعم فليكثر الحمد لله ، ومن كثر

---

(١) **وفي نسخة** : من فيها .

همه فليكثر الاستغفار ، ومن ألح عليه الفقر فليكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله . وروى جعفر بن محمد رضي الله عنه قال : عجبت لمن أبتلي بأربع كيف يغفل عن أربع ، عجبت لمن يبتلى بالهمّ كيف لا يقول : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، لأنّ الله تعالى يقول : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وَعجبتُ لمن يخاف شيئًا كيف لا يقول : حسبي الله ونعم الوكيل ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ ، وعجبت لمن خاف الناس كيف لا يقول : وأفوّض أمري إلى الله إنّ الله بصيرٌ بالعباد ؛ لأنّ الله تعالى يقول : ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ﴾ إلخ . . راجع « بستان العارفين » في ٢٠٠ .

فصل

في فائدة الدعاء فيما قضاه الله تعالى بالوُقوع ، معَ أنّ القضاء لا مردّ له ؛ قال الشيخ الإمام الغزالي في « الإحياء » ما نصّه ونقله الإمام النووي في « الأذكار » فإن قلت : فما فائدة الدعاء والقضاء لا مردّ له ؟ فاعلم أنّ من القضاء ردّ البلاء بالدعاء ، فالدعاء سبب لردّ البلاء واستجلاب الرحمة ، كما أنّ الترس سبب لردّ السهم ، والماء سبب لخروج النبات من الأرض ، فكما أنّ الترس يَدفع السهم فيتدافعان ، فكذلك الدعاء والبَلاء يتعالجان ، **وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا يحمل السلاح** وقد قال تعالى : ﴿ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ﴾ ، وأن لا يسقي الأرض بعد بث البذر ، فيقال : إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر ، وإن لم يسبق لم ينبت ،

ربط الأسباب بالمسبّبات هو القضاء الأوّل

بل لربط[1] الأسباب بالمسببات هو القضاء الأوّل الذي هُو كلمح البَصر أو هو أقرب ، وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقدير هو القدر ، والذي قدّر الخير قدر بسبب ، **والذي قدّر الشرّ**

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّه بلا لام .

قدر لدفعه سبباً ، فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته ، ثم في الدعاء من الفائدة ما ذكرناه في الذكر ، فإنّه يستدعي حضور القلب مع الله تعالى ، وهو منتهى العبادات ؛ ولذا قال ﷺ : « الدعاء مخّ العبادات » ، والغالب على الخلق أنه لا تنصرف قلُوبهُمْ إلى ذكر الله عزّ وجلّ إلا عند إلمام حاجة وإرهاق مُلمة ، فإن الإنسان إذا مسَّه الشرّ فذوا دعاء عريض ، فالحاجة تحوِّج إلى الدعاء ، والدعاء يرد القلب إلى الله عز وجلّ بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر ، أي هو أشرف العبادات ، ولذلك صار البلاء موكلاً بالأنبياء عليهم السلام ، ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل ؛ لأنه يردّ القلبَ بالافتقار والتضرّع إلى الله عزّ وجلّ ، ويمنع من نسيانه ، وأما الغنى فسبب للبطر في غالب الأمور ، فإنّ الإنسان ليطغى أن رَآه استغنى . انتهى « إحياء » عبارته ٢٤٨ .

فائدة مهّمة

قال الشيخ أَبُو عَبْد الله في « الدرر النظيم في خواص القرآن العظيم » ما لفظه : إنّ العبد إذا كان دائم الذكر والدعاء والتضرّع إلى الله تعالى فإن الملائكة تحفظه من جميع المكاره ، فإذا جاءه ضرر ومكروه من أحد منعته الملائكة وصدَّت عن وجهه المكاره ، فلا يزال محفوظاً من جميع الجهات إلا من جهة الفوق ، فإن القدر والقضاء نازلان منه ، فإذا نزل القضاء والقدر أسلمته الملائكة لذلك ، فينبغي أن تحرس جهة الفوق بالعمل الصالح ، فإنّه لا بدّ لكلّ عبد طريق إلى السماء يَصعد منه عمله ، وينزل منه رزقه ، ومنه تقبض روحه ، ومنه تصعد ، فإذا كان العبد مواظباً على الطاعات ، كثير الدعاء مَملوءة سبيله بالخيرات فإذا نزل البَلاءُ من السماء نزل على طريقة العبد المعينة ، فيجدها معمورة بالخيرات مملوءة بالطاعات ، فيحتبس ذلك البلاء عن النزول ، ولا يجد منفذاً إليه ، فيكون دعائه وعمله قد حجب عنه البَلاء ؛ لأنّ الدعاء من الله تعالى بالمكان العالي ، فيتصادم البَلأ والدعاء ؛

فتارة يغلب الدعاء وتارة يغلب البَلاء ، فهما كالمتصارعين ، فإن غلب الدعاء رفع البَلاء وخرق السموات وارتقى إلى الله تعالى ، وإن غلب البَلاء أزال الدعاء ونزل على العبد ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يزال البَلاء والدعاء يقتتلان إلى يوم القيمة » فهذا معنى كون الدعاء سبباً لرد البلاء . انتهى راجعه في ١٥٢ قبيل بيان شرائط الدعاء من سورة « العمران » .

فإن قلت : يجب على المؤمن الرضاء بالقضاء فما معنى الدعاء ، وكل شدة وبلاء وسراء وضراء بقضاء الله تعالى ؟ **الجواب** : عرفت شيئاً وغابت عنك أشياء إذا رأيت الليث بارزة ، فلا تظنن أن الليث متبسم ، فلا تظنن أيها المسترشد أنّ مَعنى الرضاء بالقضاء ترك الدعاء ، فالعاقل لا يترك السهم المرسل حتّى يصيبه مع قدرته على المعالجة بالترس والتحرز عنه بوجه ، فمن جملة الرضاء بالقضاء أن يتوسّل إلى محبوبه بمباشرة ما جعَله سببًا ، بل لا تترك الأسباب مخالفة لمحبوبه ومناقضة لرضاه ، فليس من الرضاء للعَطْشان أن لا يمدّ اليد إلى الماء البارد زاعماً أنّه راض بالعطش الذي هو من قضاء الله تعالى ، بل من قضائه ومحبّته أن يزيل العطش بالماء ، **فمعنَى الرضاء بالقضاء تَرْك الاعْتراض** ، وَلا يخالف قضية الدعاء . انتهى . « مفيد العلوم » عبارته ١١٣ راجعه .

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى : جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال :« يا نبيّ الله أأعقل ناقتي أم أتركها وأتوكل على الله ؟ فقال ﷺ : اعقلها وتوكل على الله » كذا في « تنبيه الغافلين » .

فإن قيل : لا شك أن معظم الأدعية وأكثرها لدفع البلايا والمصائب ، وهو مناف للصبر والتوكل والتسليم إلى الله .

قلنا : وإن ذهب بَعض الزهاد إلى أفضليّة ترك الدعاء استسلاماً للقضاء ، لكنّ الصحيح الذي أجمع عليه العلماء وأهل الفتوى أفضلية الدعاء واستحبابيّته كما نقل عن النووي في شرح « مسلم » ،

وأنا أقول : المنافي للصبر هو التضجّر والتشكى وعَدَم تحمّل المحن ، لا المباشرة للسبب العادي منه تعالى ، وأيضاً صرّح بعدم تنافي التشبث بالأسباب الوهمية للتوكل بهذا الشرط فضلاً عن القَطْعيّة ، وبالجملة المباشرة بالأسباب الشرعيّة ولو ظنيّة بل وهميّة لا تنافي التوكّل ، وأمّا إجابة دعوة الكافر فمنعَ الشافعي والجمهور لقوله تعالى ﴿ وَمَا دُعَـٰٓؤُا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴾ ، ولأنّه لا يعرف الله ، والصحيحُ المفتى به الجواز ؛ لحديث : « اتقوا دعوة المظلوم ولو كان كافراً فإنه ليس دونها حجابٌ » ، ولأنه تعالى حين قال إبليس : ﴿ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ ، فأجاب دعائه ، وظاهر ما في « التاتارخانية » هو الإطلاق ، وصرّح علي القاري في شرح « الأمالي » بأنّ المحققّين على أنّه يقبل في أمور الدنيا ، وأما في الآخرة فلا . قيل : التحقيق في توفيق النصوص . انتهى « بريقة » عبارته ٢٥١ .

وفي المكتوبات للشيخ القطب الإمام الرباني بَعْد كلام طَويل ما نصّه : ولهذا ترى طائفة يعتقدون الكمال في رفع الأسباب ودفعها ، وينسبون الأشياء إلى الحقّ سبحانهُ ابتداء من غير توسّط الأسباب ، ولا يدرون أن رفع الأسباب رفع الحكمة التي في ضمنها مصالح لا تحصى ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا ﴾ كيف والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يراعون الأسباب ، ومع تلك المراعات كانوا يفوضون أمُورهم إلى الحق سبحانه وتعالى كما قال يعقوب على نبينا وعليه الصلاة والسلام وصيّة لبنيه ملاحظاً لإصابة العين : ﴿ يَـٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ﴾ . الآية . ومع وجود هذه المراعات قال تفويضاً أمره إلى الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ واستصوب سبحانه هذه المعرفة منه واستحسنها ونسبها إلى نفسه حيث قال بعد ذلك : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ ﴾ الآية .

وأشار الحق سبحانه في القرآن المجيد فيما خطب به نبيّنا محمّداً ﷺ إلى توسّط الأسباب وقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بقي الكلام على تأثير الأسباب ، ويجوز أن يخلق الله سبحانه في بعض الأوقات ، فلا يترتب عليها أثراً أصلاً بالضرورة كما أنّا نشاهد هذا المعنى ، فإنّ بعض الأسباب يترتب عليها وُجود المسبّبات أحياناً ، وفي بَعْض الأوقات لا يظهر منها أثر أصلاً ، فالإنكار على تأثير الأسباب مطلقاً مكابرة ، ينبغي أن يقول بالتأثير ، وينبغي أن يعتقد أنّ وجود ذلك التأثير كوجود نفس السبب بإيجاد الله تعالى ، فلاح بهذا البيان أنّ التمسّك بالأسباب ليس مناف للتوكّل كما ظنّ الناقصون ، بل في التمسّك بالأسباب كمالُ التوكل ، فإنّ يعقوب عليه السلام أطلق التوكل على مراعات الأسباب مَعَ تفويض الأمر إلى الحق جل وعلا حيث قال : ﴿ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ . انتهى عبارته ٢٦٦ .

وحاصل ما في « تقريب الأصول » أنه ليس من شرط التوكل ترك كل تَدْبير وعَمل وسبب ؛ وقد قال النبي ﷺ - للأعرابي الذي أهمل ناقته وقال : توكلت على الله : اعقلها وتوكل كما ذكرنا قبيل هذا . وقال تعالى : ﴿ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ﴾ ، وقال : ﴿ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾ ، وقال تعالى لموسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام : ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا ﴾ والتحصّن بالليل اختفاء عن أعين الأعداء ونوع تسبّب ، واختفى رسول الله ﷺ في الغار ، وذلكَ نوعٌ من التسبّب الذي يَحْصُلُ به الاختفاء عن أعين الأعداء ، واستأجر النبي ﷺ الخفير ، وظاهر[1] بين درعين ، وحمل الزاد في السفر ، واتخذ خندقاً حول المدينة يحرس به من العدوّ ، وكان إذا أرَاد غزوة وَرَّى بغيرها ، فكان سأل عن بعض الطرق التي لا يريد سلوكها وهو يريد سلوك طريق غيرها ، وكان يقول : « الحرب خدعة »

---

(١) **أي** : احتاط

ويقول : « التدبيرُ نصف المَعيشة » مَدْحا للتدبير المحمود ؛ بقرينة قوله : « والتودّد إلى الناس نصف العقل » . انتهى راجعه في ٢٣ .

قال ابن ذكر في « شرح الحكم » : وكلّ من تعاطى السبب مَعَ استحضار **أنّ ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن** فقد فرَّ من الله إلى الله كما قال عمر بن الخطاب : نفرّ من قدر الله إلى قدر الله ، قال ذلك حين أراد البُعْد عن محلّ الطاعون الذي كان بالشام ، وقد قال له أبُو عُبيدة بن الجرّاح ﵁ : أتفر من قدر الله ؟ فقال : نعم ، نفرُّ من قدر الله إلى قدر الله ؛ أي : لأنّ الموضع الذي فيه الطاعون إنما هو بقدر الله ، والمَوضع الذي نفرّ إليه إنما هو أيضا بقدر ، فلم يخرج من قدر الله تعالى على كلّ حال ؛ لأنّا إنّما نشهد حول الله وقوته ، لا حَوْلنا ولا قوّتنا ، فمن كانت له ماشية وأرضٌ مجدبة وأرضٌ مخصبة فإنّه يَرعاها في الأرض المخضبة ، ويترك الأرض المجدبة ، ولا يخرج عن قدر الله تعالى سواء رعاها في هذه أو هذه . **فأرباب الشهود لا يغفلون عن حول الله وقوته في جميع الأحوال** . راجع إلى « تقريب الأصول » في ٢٦ .

وممّا أنعم الله تبارك وتعالى عملي بالأمور التي علّق الله عزّ وجلّ عليها زيادة العمر أو الموت على الإيمان أدباً مع الله تعالى ، ولا أترك العمل بذلك ، وأقول : إن كان سبق علم الله تعالى زيادة عمري أو رزقي أو موتي على الإيمان فهو وَاقِعٌ لا محالة ، كما عليه طائفة ممن ادّعوا الطريق بلا شيخ ، فإنّ ذلك في غاية الجهل ، لأنّ الله تعالى رتّب الأسباب على المسبّبات ، وألزم الخلق كلّهُم رق الأسباب ، فلا يَصحّ لأحدٍ أن يخرج عن ذلك ، كما هو مشاهدٌ . ومن أدب العبد امتثال أمر سيّده ، وأن يدور معَهُ حيث دار ، فإذا قال : لا أغفر لك إلاّ إن قلت كذا وكذا ، فليس له أن يقول : اغفر لي بلا قول ذلك ، وقس عليه . « منن » راجعه في ٨٠ .

فإن قيل : إن تغيير قضائه تعالى ممتنع ، فالسعي لدفعه بنحو الدعاء من عدم اعتراف قضائه تعالى ، وقد قال ﷺ : « لا يغني حذر من قدر » .

قلنا : إنّ الدعاء أيضاً من قضائه تعالى ، فيكون المسبّب مع سببه من قضائه تعالى ، فالله تعالى قضى بكون الدعاء سببًا مزيلا . وقد قال ﷺ : « لا يردّ القضاء إلاّ الدعاء » وقال في شرح ذلك الحديث : فيستعمل العبد الحذر المأمور به من الأسباب وأدعية الأمراض إلى آخره .

فإن قيل : إن كان المدعوّ عليه خلاف قضائه وعلمه أو كان قضاء مبرماً فلا ينفع .

قلنا : يجوز أن يكون نفعه مؤخرا إلى الآخرة ، ويجوز أن يمنعه تعالى عن الدعاء المرعي شرائطه ، والمنفي موانعه ، ولا يلزم الجبر على قاعدة أفعال العباد من الجبر المتوسِّط .

فإن قيل : ربّ مضطر وضرير عاجز يجتهد في الدعاء ولم يظهر أثر القبول طول عمره .

قلنا : يخرج له الجواب مما ذكرنا ، وإنّ بعض المستجاب يجوز أن يكون خفياً بحيث لولاه لتظهر المخاوف والمكاره ، ويجوز أن يكون مقبولاً في حقّ شيء آخر أنفع له ، وَأن يكون وقته بعيداً ، فيظن أنّه لم يقبل وقد قُبل ، لكن ظهر أثره بعد زمان طويل ؛ كما قيل : **في استجابة دعاء نوح عليه وعلى نبيّنا الصلاة والسلام أنّه ظهر أثر بعد أربعين سنة** ، و اضمحل به الإشكال على قوله تعالى ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ أنّ لفظة (كلّ) تقتضي العموم والاستغراق ، وربّ شخص يَدْعو كثيراً ولا يظهرُ أثر القبُول بلا احتياج إلى ما يقال : أنّه يعطي كلّ سؤال ، لكن البعض لا يَصل للموانع والحجب ، لعدم القابليّة ، وبلا احتياج إلى تخصيص خطابه مع أنه خلاف الأصل . انتهى « بريقة » ٢٥١ ج١ راجعه . وفي « السراج » ما نصّه من الحديث « لن ينفع حذر من قدر ، ولكن الدعاء ينفع مما نزل ، وممّا لم ينزل ، فعليكم بالدعاء عبادَ الله » أي : الزموه يا عباد الله تفلحوا (حم) عبارته ، عن معاذ . قال العلقمي بجانبه علامة الحسن . قوله (فعليكم عبادَ الله) أي ألزموه واجتهدوا فيه .

والدعاء المقبول يرُدّ الأمر؛ أي : القضاء المبرم بالمعنى المار . انتهى ١٧٨ . ومعنى كونه مُبْرماً متقنٌ محكم ، لا أنه لا يغير ، إذ ذاك لا ينفع فيه الدعاء ، منه « الدعاء يردّ البلاء » ، إذ لولا أراد الله ردّه ما فتح له باب الدعاء ، أبو الشيخ والديلمي عن ابي هريرة « سراج » ٢٦٦ ج٢ .

واعلم أنه يعلم الجواب مما ذكرناه إلى هنا عن قول القائل سائلا الجواب :

أيا علماء الدين ذمي دينكم * تحير دلوه بأوضح حجّة * إذا ما قضى ربّي بكفري بزعمكم * ولم يرضه عني فما وجه حيلتي * قضا بضلالي ثم قال ارض بالقضا * فهل أنا راض بالذي فيه شقوتي * دعاني فسدّ الباب دوني فهل إلى * دُخُول سبيل بيّنوا لي قصّتي * إذا شاء ربّ الكفر منّي مشية * فهل أنا عاص باتباع المشية * وهل لي اختيار أن أخالف حكمه * فبالله فاشفوا بالبراهين علّتي *

وللعلماء رحمهم الله تعالى في جواب هذا القائل أشعار كثيرة ترجع إلى حاصل ما تقدّم ، بيد أني أورد هنا ما أجابَ به الشيخ صدر الدين القنوي من بين تلك الأشعار ، فإن ذكر الكلّ ، وتطويل الكلام لا يليق بهذا المختصر ، فقال : صدقت قضى الربّ الحكيم بكل ما * يكون وما قد كان وفق المشيئة * وهذا إذا حققته متأمّلا * فليس يسدّ الباب من بعد دعوة * فإنّ قضاء الله منه معلّق * بأمر إذا ما كان فالمحو أثبت * كما الريّ بعد الشرب والشبع الذي * يكون عقيب الأكل في كلّ مرة * فليس ببدع أن يكون معلّقاً * قضاء الإله الحق ربّ الخليقة * بكفرك مهما كنت بالكفر راضياً * عليك بأسباب الهدى والسلامة * فمن جملة الأسباب ما قد رفضته * مع الأمن والإمكان لفظ الشهادة * فأنت كمن لا يأكل الدهر قائلا * أموت بجوعي إذ قضى لي بجَوْعَتي *

وحاصل هذا الجواب : أن ذلك بقضاء الله ، لكن قضاء الله ؛ ما هُوَ معلّق ، وما هُوَ مبرم ، فكفر الكافر لا يعلم أنه مبرم إلا إذا مات على الكفر ، وأمّا في مدّة حياته فيحتمل أنه معلّق قضائه بدوام رضائه ، وعدم تعاطي أسباب الخروج منه ، فإذا تعاطى أسباب الخروج منه بالنطق بالشهادتين انقطع بقائه ، كما أنّ الجائع معلّق دوام جوعه بعدم تعاطي أسباب الخروج منه ، فإذا تعاطى أسباب الخروج منه بتناول الطعام انقطع جوعه ، والعبد لا اطّلاع له على أنّ ذلك القضاء مبرم ، وقد أمر الشارع بتعاطي أسباب الخروج منه ، وسهلها له ، فعليه أن يفعل ما أمره الله به ، ولا يحتجّ بأنّ ذلك بقضاء الله ، لأنّه لم يعلم أنه مقضيّ عليه إلاّ بالنسبة لما مضى لا بالنسبة للمستقبل . فقد قامت الحجّة عليه ولم يبق له عذر ولله الحجّة البالغة ،

وليس للعبد إلاّ مجرّد الكسب ، وهو تعلّق قدرته بالشيء المخلوق لله ، وجعَل الله هذا الكسب مناط الثواب والعقاب ، ولا يُسأل عمّا يفعلُ ، المُلْكُ مُلْكه ، يتصرّف فيه كيف يشاء ، فإذا تحقّق أن الأمور كلها بخلق الله ومشيئته وإرادته ، وأنّ الله تعالى كلّف العبد ، وجعل كسبه مناط التكليف ، فعلى العبد التوجه إلى الكسب ، كما يتوجه لكسب الأكل والشرب وبقيّة مصالحه . وقد أجرى الله تعالى العادة بحُصُول ذلك ،

فقول السائل : دعاني وسدّ البابَ دُوني ، كلامه باطل ، فإنّ الله تعالى دعاه ، وفتح له الباب ، وجعل له الأسباب ، وَلم يمنعه من ذلك إلا رضاه بالكفر ، وعدم توجهه لتعاطي كسبه أسباب الخروج من الكفر ، فعليه أن يتوجّه إلى الله بكليته ليسهل له الأسباب التي يحصل بها كسبه لما يوصله إلى قربه ، لأنّ الأشياء كلّها مستمدّة من فضله سبحانه وتعالى ؛ قال الله تعالى : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾

فعليك بإلتجاء إلى الله تعالى مع التبري من حولك وقوتك والتمسّك بحول الله وقوته : قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ فالإقبال على الله بالذل والافتقار هو الأصل لكلّ خير . انتهى « تقريب الأصول » مع الاختصار ، فإن أردت الزيادة راجعه في ٥٤ .

تنبيه : اعلم أيها الأخ في حبّ الله تعالى أنّ حاصل ما ذكره المحقّقون من علماء أهل السنة والجماعة في ردّ القضاء بالدعاء أقوال ؛

فمنهم من يقول بردّ القضاء والقدر مطلقاً معلّقاً كان أو مُبْرماً ، ويقول : إنّ من جملة القضاء ردّ البلاء بالدعاء ، أمّا رد البلاء المعلّق رده بالدعاء فواضح غنيّ عن البيان ، ورد المبرم وقوعه بسَهُولة ولطف كما بيّنه المناوي .

ومنهم من يقول : إنّ فائدة الدعاء في القضاء المبرم حُصُول الثواب ، **لأنّ الدعاء من العبادة** ، وأيضاً أنه يبدل الله تعالى الداعي بَدل ما دَعى به بما لم يقدر له بما هو مثل ذلك أو أفضل منه كما يليق بجُوده وكرمه أو يكفر عنه السيّئات والخطيئات أو يكف عنه السوء ، كما ورد الحديث بذلك ، فبهذا أجاب الشيخ ابن حجر في « الفتاوى الحديثيّة » .

ومنهم من يقول : إنّه لو كان قضاؤه مبرماً يجوز أن يمنعه من الدعاء ، لأنّه ورد عن النبي ﷺ « من فتح منكم باب الدعاء فقد فتحت أبواب الإجابة »
ومنهم من يقول : كلّ ما ورد أن الدعاء يردّ القضاء المبرم فمحمول على غير السعادة أو ضدّها ، فلا يُرَدُّ أصلاً ، وإنّ المراد بالمبرم بحسب الظاهر لمن أطلعَ عليه من الملائكة وبعض الأولياء ، وليس مبرماً في علم الله ، كما قاله المناوي ، راجعه في ٣٣٨ .

ومنهم من يقول : إن الناس لا يخلوا من السعادة أو الشقاوة ، فإذا غلبت حسناته وإخلاصه تبدّل جهة الشقاوة إلى السعادة ، وإذا اتبع هواه

انعكس ؛ قال النبيّ ﷺ : « السعيد قد يشقى والشقي قد يسعد[1] » فإذا غلبت الحسنات يكون سعيداً ، وإذا غلبت السيئات يكون شقياً ، وأمّا المقدور في الأزل من السعادة والشقاوة لكلّ أحد جامع ؛ قال النبي ﷺ : « السعيد سعيدٌ في بطن أمّه ، والشقي شقي في بطن أمّه » فليس لأحَد فيه بحث لأنّه من سر القدر ، ولا يجوز أن يحتجّ بسرّ القدر ، لأنه لا يعلم[2] إلاّ بالنسبة لما مضى كما مرّ بيانه ، وإنما اللازم علينا السعي في أسباب الخروج من الشقاوة ، كما قال صاحبُ التفسير البخاري إنّ كثيراً من الأسرار يُعلم ولا يتكلّم به كسرّ القدر . **فإنّ إبليس لما أحال إلى سرّ القدر فلعن بذلك ، وإنّ آدم عليه السلام أضاف عصيانه إلى نفسه** ، فأصلح ورحم ، **وعلى كلّ قول من الأقوال لم يخلو الدعاء من النفع والفائدة** ، إلاّ بعض المبتدعة المردودة والمعتزلة المطرودة ، وسيأتي البيان والزيادة بُعيد هذا . انتهى .

علامة السعادة والشقاوة

قال الشيخ الشقيق البلخي : **علامة السعادة** خمسة : لين القلب ، وكثرة البكاء ، والزهد في الدنيا ، وقصر الأمل ، وكثرة الحياء .

وعلامة الشقاوة أيضاً خمسة : قسوة القلب ، وجمود العين ، والرغبة في الدنيا ، وطول الأمل ، وقلّة الحياء . قال النبيّ ﷺ : « علامة السعيد : أربعة : إذا ائتمن عدل ، وإذا عهدَ وفى ، وإذا تكلم صَدق ، وإذا خاصم لم يشتم .

---

(١) **وحكي** : أن رجلا كان يعبد الله تعالى في الزمن الأوّل ، فعجب جبريل عليه السلام منه ، فاستأذن ربّه في زيارته ، فأذن له بشرط أن ينظر في اللوح المحفوظ ، فنظر فيه ، فوجد اسم الرجل مكتوبا مع الأشقياء ، فنزل إليه فأخبره بذلك ، فقال : الحمد لله ، فظن جبريل أنه لم يسمع كلامه فأعاد عليه القول ، فقال : الحمد لله ، لو لم أكن أهلاً لذلك لم يفعله بي ربي ، فالحمد لله على الشدّة والرخاء ، فعجب جبريل من ذلك ، فقال الله تعالى : يا جبريل انظر في اللوح المحفوظ ، فنظر فوجد اسمه تحوّل من الأشقياء إلى السعداء . انتهى « مصباح الظلام » ع ٥ ج ١ .

(٢) سر القدر لا يُعْلم إلا بالنسبة لما مضى .

وعلامة الشقاوة أربعة : إذا ائتمن خان ، وإذا عهد خالف ، وإذا تكلم كذب ، وإذا خاصم يشتم الناس ، ولا يعفو عنهم » . كما قال : « فمن عفى وأصلح فأجره على الله » .

واعلم أن تبديل الشقاوة إلى السعادة أو عكسه يكون بالتربية كما قال النبيّ ﷺ : « كلّ مولود يولد على الفطرة ، ولكن أبواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه » والحديث يدل على كلّ واحد قابليّة السعادة والشقاوة ، فلا يجوز أن يقال : هذا الرجل سعيدٌ محض وشقي محضٌ ، بل يجوز أن يقال سعيد إذا غلبت حسناته ، وكذا عكسه ، ومن قال غير هذا فقد ظل[1] ؛ لأنه اعتقد أن الناس يدخلون الجنّة بلا عَمل وتوبة أو يدخلون النار بلا معصية ، فهذا القول خلاف النصوص ، **لأنّ الله تعالى وعد الجنّة لأهل الصالحين ، والنار لأهل المعاصي والشرك والكفر كما قال الله تعالى :** ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ وكما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا ﴾ . انتهى . كذا في « طفل المعاني » من الفصل الحادي عشر .

والجواب الأسلم عمّا يورده أهل زماننا على القدر وكسب العبد أن يقال : إنّ الله تعالى كتب في اللوح أنّ العبد الفلاني اختار فعل مَعصيَة كذا ، وأنّه شقي بذلك ، ثم إذا وقع نشأة ذلك العبد في هذا العالم يفعل ما اختاره ، هكذا كتبه مُجْملاً ، ثم بَعْد ذلك حين ظهر في هذا العالم المذكور **أن تبدل قصده ، وتغيّرت نيته ، واختار فعل الطاعات يُوفِّقهُ الله تعالى لذلك ، ويَعْمل ذلكَ العمل فيكون سعيداً بذلك** ، وذلك قوله تعالى ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ، فإنّ الله تعالى محى كونه شقيّاً ، وكتب سعيداً ، فيكون معنى حديث « فرغ ربكم من العباد فريق

---

(١) فلعله بالضاد لا بالظاء .

في الجنة وفريقٌ في السعير » إن دَام على ذلك العمَل حين ظهر نشؤه في عالم الملك والشهادة ، وذلك مقيّد بذلك ، فافهم . فلقد وقع بيني وبين واحد من حدثان الزمان في هذه القضية كلام ، وقال : إنّ الله تعالى إذا كتب شقيّاً في الأزل فما فائدة عمله ؟ فقلت له : نعم ، إنّ الله تعالى كتب إنّك اخترت فعلَ معصية كذا في هذا الدار فقط بلا زيادة ، ثم إذا تبدّلت نيّتك ، وتغيّر قصدك ، وَاخترتَ فعل الطاعة ، وَسعيت لذلك تكون سعيداً بذلك ، فإنّه وَرد « أنّ الشقي قد يسعد » . وقال الله تعالى : ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ فسكت ذلك الرجل ، وتحيّر ، وقال : إنّ علمائكم لا يقولون كذا ، وكان مراده أن أقول : له : إنه تعالى كتب أنّك سعيد أو شقي وأنّه لا يتغيّر ، لأجل أن يورد عليه ، إذا كان الأمر كذلك فما فائدة سعيه وعَمله ، فافهم . هذا ممّا ألهمني ربّي في هذا المقام ، فإني اقتصرت على المراد .

فائدة

وَردت إلينا مسَائل عديدة في بَعض السنين الماضية من واحد عُلماء الأوان ، وكانت بين المسائل المذكورة هذه المسألة التي حاصلها مثلاً : إذا كان الله تعالى قرّر في الأزل أهلا للسعادة ، وأهلاً للشقاوة لا بدّ من حدوثهم في هذا العالم في الأجل المؤجّل لهم وفَعْلِهم كلّما قرّره الله تعالى في حقهم ، فإذا كان شأنهم هكذا معلوم أنّ الإنسان لا يقدر أن يغير ما كتبه الله تعالى في الأزل ، فإذا كان الحال كما ذكر ما مَعْنى كون الإختيار للعباد ؟ الجواب مطلوب : فكنت أرسلت تلك المسائل المذكورة إلى وحيد الدهر أستاذنا المخلص أبى عبد الله علي أصحاب الكلوي فوردت إلينا أجوبة شافية للمسائل المذكورة ، وأكتب هنا ما ورد منه في جواب هذه المسألة ، وعبارة لفظه : الجواب الثالث والله أعلم بأسرار قدره **لا منافاة بين كون السعادة والشقاوة مقرّراً في الأزل ، وبين كون الاختيار بيد العباد ، فإنّ ما قرر في الأزل تابع لاختيار العبد منهما إذا خلقوا وكلفوا في الدنيا ، فقرر ما يعلمه** منهم وفق علمه ، فلا يتخلّف علمه ، وإلاّ لكان تعالى غير

عالم بما يكون بعد ، وذا باطل ونقص في حقه تعالى ، فلذلك لا يقع في الدنيا شيء ما بخلاف ما في الأزل ، وليس الشأن إن الله تعالى قرر في الأزل مثلاً **شقاوة عبد ثم خلقه وكلّفه بالعمل المفضي إلى السعادة ليرد عليه أنّه لا يقدر على تغيير ما قرر في الأزل ، فما الفائدة من إرسال الرسل وإنزال الكتب بتكليفه** بذلك العمل ؟ ولو كان الأمر هكذا لكان إرسال الرسل . . وإلخ . عبثاً ، فإذا لم يكن كذلك لم يكن عبثاً عبارة « شرح العَقائد » .

فإن قيل : فيكون الكافر مجبوراً في كفره ، وَالفاسق في فسقه ، فلا يصحّ تكليفهما بالإيمان والطاعة .

قلنا : إنه تعالى أراد بهما الكفر والفسق بإختيارهما ، فلا جبر ، فكما أن الله تعالى علم منهما الكفر والفسق بالاختيار ولم يلزم التكليف بالمحال . انتهى . أي : أراد الله تعالى الفسق والطاعة بإختيار عبده ، فيكون إرادته الأزليّة تابعة للإختيار الحادث ، ولا بعد فيه لمن أحاط علمه بالحادث الآتى لمن عَلم اختيار عبده غدا فاختار مختاره « رمضان »عبارته . وكون أفعال العباد بعلم الله تعالى وإرادته وتقديره وكتبه[1] في اللوح **لا يستلزم كون صدورها من العباد بالجبر** ، كما إذا علم زيد جميع ما يفعله عمر يوماً من الأيام ، فأراده وكتبه في قرطاس ، فهل يكون عمر في فعله مجبوراً من زيد ؟ وهل يكون له أن يقول لزيد : فعلت ما فعلت لعلمك وإرادتك وكتابتك إياه ؟ فإنّ عمر فعله باختياره وإرادته ، لا لأجل علم زيد وإرادته وكتبه ، فلا يتصوّر فيه الجبر ، فكذلك فيما نحن فيه ، فتدبّر وكن من الشاكرين ، وهذا الجواب هو الحاسم لهذه الوسوسة « طريقة محمدية » ومثله في « شيخ زاده » وكذلك للمحقق طيب . ولكن هذا البحر عميق والداخل فيه غريق ، ولسنا مكلّفين بالإطلاع على سرّ قدر الله تعالى الذي لا يظهره لأحد إلا بعد البعث .

---

(١) **(علّه)** كتبته .

فالأسلم لنا أيها المكلّفون امتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، وامتناعكم عن البحث في أمثال ذلك ، وقد جاء النهي عن الخوض في مسألة القدر ، وطلب معرفة كيفيته . لأنّ البحث في القدر اعتراض على الله ، والاعتراض على الله موجب للعقوبة ، ونحن عبيد مَأمُورون بالسَمع والطاعَة ، وقبول أوامر الشرع من غير سؤال عن كيف ولا اعتراض بلِمَ ، ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ كذا في « المفاتح » عفى العافي عن فرطاتنا وزلاّتنا ، ورزقنا الإيمان الحقيقي ، واليقين العينيّ بحرمة سيّد الثقلين آمين انتهى من خطه .

أقول : قال محقق أوانه وقطب زمانه أفصح الشعراء أسبق علماء داغستان الشيخ حسن القداري سبط الشيخ الشهير الحافظ محمد اليراغي قدس الله أسرارهما في « جراب الممنون » في كلامه على قول (مريد الخير والشر) ما حاصله : إنّ الأشاعرة قائلون بأنّ إرادته تعالى في أفعال عبيده تابعة لعلمه ، وعلمه تابع لمعلومه ، والمعلوم ما يفعله العبد باختياره حال اقتداره بقدرة خلقها الله تعالى فيه ، فلهذا يجازى العبد بعمله إن خيراً ، فخير وإن شرًا فشرٌّ ، ولعدم إلجائه تعالى العبد لفعل واحد منهما وامتناعه من الآخر ، أطلقوا عليه تعالى أنه مريد الخير والشر ، ولكن لا يرضى بالشرّ ،

مثاله أنّ واحداً من عباد الله تعالى الصالحين- كثر الله تعالى أمثالهم- يعرف بالمكاشفة أن زيداً يفعل غداً أمراً كذا ، فلا يتعرّض له فيما يفعله ، وإن كان ما يكرهه تحقيقاً لمعنى قوله تعالى : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ . انتهى راجعه في ٢١٧ . وكذا كم مرات قال تعالى : في كتابه ﴿ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ فهل يكون قوله تعالى عبثاً ؟ وهل يخاطب العبد بفعل شيء مّا ، أو يأمر به بعد سلب الاختيار منه ، فافهم وتفطن ، مثاله أيها الملحد المعاند في الدين وفي القدر خاصّة ، أنه لو كتب الفَرَافِسُون الرُوسِيُّون في كَلِنْدَارِهِمْ وجرائدهم أن الشمس تنكسف في يوم كذا من شهر

كذا ، وذلك تكون بتوسّط القمر تماماً بينها وبين الأرض ، ثم انكسفت الشمس في ذلك اليوم الذي قالوه بالانكساف ، **فهل يقول أحمق فضلاً [عن] عاقل إنّ الشمس إنما انكسفت لكتبة الفَرَافِسِينَ في كَلِنْدَارِهِمْ كسوفها** كذلك ؟ ! بل تقولون إن كسوفها كانت بتوسط القمر تماما بينها وبين الأرض ، فيحجب ضوئها عن الجهة المقابلة ، وكذلك الأمر فيما نحن فيه من القدر المذكور فافهم وتفطن لذلك .

مهم

اعلم أن الأذكار والأيات والأدوية التي يستشفى بها في نفسها نافعة شافية البتة ، فمتى تخلّف إمّا لضعف تأثير الفاعل لضعف قلبه وعَدَم إقباله على الله تعالى وَجمعيّته عليه وقت الدعاء كالسهم يخرج ضعيفاً ، وإما لعدم قبول المنفعل والمحلّ ، وإمّا لضعفه في نفسه كدعاء لا يحبّه الله لمحاله وعُدْوانه ، وإمّا لحصُول المانع من الإجابة من أكل الحرام والظلم ، وغلبة الذنوب والشهوة واللهو .

الدعاء ينفع مما نزل أو لم ينزل ؛ قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ وقال أيضاً : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ انتهى شرح « دلائل الخيرات » من هامش « الدلائل الخيرات » راجعه في ٢٨ . وفي « تحفة المريد » حاشية « الجوهرة في التوحيد » للعلامة الشيخ إبراهيم البيجوري على قول الماتن : وعندنا أنّ الدعاء ينفع ما لفظه هذا : أي وعندنا معاشر أهل السنة أن الدعاء الذي هو الطلب على سبيل التضرّع ، وقيل : رفع الحاجات إلى رافع الدرجات ينفع الأحياء والأموات إن دعوت لهم ، ويضرهم إن دعوت عليهم ، وإن صدر من كافر على الراجح لحديث آنس رضي الله عنه : « **دعوة المظلوم مستجابة ولو كافراً** » وأمّا قوله تعالى : ﴿ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ فمعناه أنه لا يستجاب لهم في خصوص الدعاء بتخفيف عذاب جهنّم يوم القيمة .

وروى الحاكم وصححه أنه ﷺ قال : « لا يغني حذر من قدر ، والدعاء ينفع ممّا نزل وممّا لم ينزل ، وإنّ البلاء لينزل ويتلقاه الدعاء فيتعالجان إلى يوم القيمة » . **والدعاء ينفع في القضاء المبرم والقضاء المعلّق ،** أمّا الثاني فلا استحالة رفع ما علق رفعه منه على الدعاء ، ولا في نزول ما علق نزوله منه على الدعاء . وأمّا الأوّل فالدعاء وإن لم يرفعه ، لكنّ الله تعالى ينزل لطفه بالداعي ، كما إذا قضى عليه قضاء مبرمًا بأن ينزل عليه صخرة فإذا دعا الله تعالى حصَل له اللطف بأن تصير الصخرة متفتة كالرمل وتنزل عليه ، وانقسام القضاء إلى مبرم ومعلّق ظاهر بحسب اللوح المَحفوظ ، وأمّا بحسب العلم فجميع الأشياء مبرمة ؛ لأنّه إن علم الله حُصُول المعلّق عليه حصَل المعلّق ولا بدّ ، وإن علم الله عدم حصوله لم يحصل ولا بدّ ، لكن لا يترك الشخص الدعاء اتكالاً على ذلك كما لا يترك الأكل اتكالاً على إبرام الله الأمر بالشبع ، وأمّا عند المعتزلة فالدعاء لا ينفع وَلا يكفرون بذلك ، لأنهم لم يكذّبوا القرآن كقوله : ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾ ، بل أوّلوا الدعاء بالعبادة والإجابة بالثّواب . انتهى عبارته ٨٤ . وسيأتي البيان إن شاء الله تعالى .

فصل في القضاء والقدر وأحكامهما

اعلم أنّ كلّما يجري في العالم من حركة وسكون وخير وشرّ ونفع وضرّ وإيمان وكفر وطاعة ومَعْصية فكُلّ بقضاء الله وقدره ، وكذلك فلا طائر يطير بجناحيه ولا حَيْوان يدبّ على بطنه ورجليه ولا تطن بعوضة ، ولا تسقط ورقة إلا بقضائه وقدره وإرادته ومشيئته كما لا يجري شيء من ذلك إلا وقد سبق علمه به .

واعلم أنّ كل ما قضاه الله تعالى وقدره فهو كائن لا محالة ، كما أن ما في علم الله تعالى يكون فهو كائن قريب ، وما قدر الله وصوله إليك بعد الطلب فهو لا يصل إليك إلاّ بالطلب ، والطلب أيضاً من القدر ، فإن

تعسّر شيء فبتقديره ، وإن اتفق شيء فبتيسيره ، فمن رام أمراً من الأمور ليس الطريق أنه يغلق بابه عليه ويفوض أمره لربّه وينتظر حصول ذلك الأمر ، بل الطريق أن يشرع في طلبه على الوجه الذي شرع فيه ، وقد ظاهر[1] النبيّ ﷺ بين درعين ، واتخذ خندقاً حول المدينة حين تحزبت عليه الأحزاب يحترس به من العدوّ ، وأقام الرماة يوم أحد ليحفظوه من خالد بن وليد ، وكان يلبس لأمته الحرب ويهيئ الجيوش ويأمرهم وينهاهم لما فيه من مصالحهم ، واسترقى وأمر بالرقية ، وتداوى وأمر بالمداواة ، وقال : « الذي أنزل الداء أنزل الدواء »

فإن قيل : قد روي أن النبي ﷺ قال : « من استرقى أو اكتوى فهو بريئ من التوكل » .

قلنا : أليس قد قال : « اعقلها وتوكل » ؟ !

فإن قيل : فما الجمع بين ذلك ؟ **قلنا** معناه : من استرقى أو اكتوى متّكلاً[2] على الرقية أو الكي ، وإن البرء من قبلهما خاصّة ، فهذا يخرجه عن التوكّل ، وإنما يفعله كافرٌ يضيف الحوادث إلى غير الله ، وقد أمرنا بالكسب والتسبب ، ألا ترى أن الله تعالى قال لمريم عليهما السلام ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ فهلا أمرها بالسّكون وحمل الرطب إلى فمها . وأنشد في ذلك :

---

(١) **أي** : احتاط النبي ﷺ .

(٢) **حكي** : أن سيّدنا موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام شكى ألم سنه إلى الله تعالى ، فقال له : خذ الحشيشة الفلانية وضعها على سنك ، ففعل ، فسكن الوجع في الحال ، ثم بعد مدة عاوده ذلك الوجع ، فأخذ تلك الحشيشة ووضعها على السن ، فازداد الوجع أضعافاً مما كان ، فاستغاثه إلى الله وقال : إلهي ألست أمرتني ودللتني عليه ؟ فأوحى الله إليه : يا موسى أنا الشافي ، وأنا المعافي ، وأنا الضار ، وأنا النافع ، قصدتني في الكرة ؛ أي : المرة الأولى فأزلت مرضك ، والآن قصدت الحشيشة وما قصدتني . كذا في « مصباح الظلام » راجعه في ٨٣ ج٢ .

ألــم تــرى أن الله قـــال لـمـريـم وهزي إليك الجـذع يساقط الرّطب
ولـو شــاء أن تـجنيه من غير هزهـا جـنـتـه ولـكن كلّ شيء له سبب .

ولهذا قال رسول الله ﷺ « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصًا وتروح بطاناً » ، فلم يحمل أرزاقها إليها في أوكارها ، بل ألهمه طلبه بالغدوّ والرواح ، وقد جمعوا بين الطلب والقدر فقالوا : إنهما كالعدلين على ظهر الدّابة إن حمل في أحد منهما أرجح مما في الآخر سقط حمله ، وتعب ظهره ، وثقل عليه سفره ، وإن عادل بينهما سلم ظهره ، ونجحَ سفره ، وتمت بغيته ، وضربوا فيه مثالاً عجيباً ، فقالوا : إن أعمى ومقعداً كانا في قرية بفقر وضرّ ، لا قائد للأعمى ولا حامل للمقعد ، وكان في القرية رجل يطعمهما قوتهما في كلّ يوم احتساباً لله تعالى ، فلم يزالا بنعمة إلى أن هلك ذلك الرجل ، فلبثا بعده أياماً ، واشتدَّ جوعهما وبَلغ الضرّ منهما جهده ، فأجمع رأيهما على أن الأعمى يحمل المقعد ، فيدله المقعد على الطريق ببصره ، فاشتغل الأعمى بحمل المقعد ويدور به ويرشده إلى الطريق ، وأهل القرية يتصدّقون عليهما ، فنجح أمرهما ، ولو لا ذلك لهلكا ، فكذلك القدر سببه الطلب ، والطلب سببه القدر ، وكلّ واحد منهما معين لصاحبه ، ألا ترى أن من طلب الرزق والولد ثم قعد في بيته لم يطأ زوجته ولم يبذر أرضه معتمداً في ذلك على الله واثقاً به أن تلد امرأته من غير مواقعة وأن ينبت الزرع من غير بذر كان عن المعقول خارجاً ولأمر الله كارهاً . انتهى . راجع « المستطرف » في ٢٣٨ من الخزء الثاني .

تتمة

كتب واحد من بعض الفضلاء إلى كافة العلماء كلّما كان ظاهره على الجبر من آيات القرآن وأحاديث النبوي مستشكلاً سائلاً منهم الأجوبة ، وحاصل ما كتبه : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى

﴿ ٱلۡهُدَىٰ ﴾ ﴿ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ ﴿ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ﴿ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ . . . إلى غير ذلك من الآيات ، وعن عبد الله بن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنّ الله خلق الخلق في ظلمة فألقى عليهم من نوره ؛ فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ، ومن أخطأ ضلّ ، فلذلك أقول : جفَّ القلم على علم الله » الحديث من « المصابيح » ، « فرغ ربّكم من العباد ؛ فريق في الجنّة وفريق في السعير » ، الحديث من « فتح المبين » .

فمع هذه الآيات والأحاديث فما فائدة التكليف ، فإذا لم يشاء إليه هداية العبد وأراد شقاوته فكيف العقاب بما شاء الله وأراده ؟ فإن قلتم بمباشرة العبد وكسبه بالفعل ، فكيف المباشرة والكسب إلاّ بإقدار الله تعالى للعبد وإرادته ، مع أنّه ليس له قدرة ولو لتحريك أصبع نفسه إلا بالله تعالى ، وقلبه عنده كريش في فلاة يقلبها الرياح ظهراً لبطن وبطناً لظهر ؟ وما فائدة الدعاء بما قال به النبيّ ﷺ : « اللهمّ يا مقلِّب القلوب ثبّت قلبي » . . إلخ . و« اللهم اهد قومي » . . إلخ بعد ذلك ، فما فائدة البعثة والإنزال والوعظ للخلائق ؟ . . . إلى آخر ما قال ، فلا ينقطع الإشكال في ظنّ هذا المتلاشي إلاّ أن نلجأ إلى قوله تعالى : ﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴾ . انتهى حاصل ما قاله .

فأقول بحمد الله تعالى وتوفيقه : إنّ هذا الجواب عن تلك المسائل هو الجواب الشافي لمن هو مطمئنّ بالإيمان ، ومشرّح صدره للإسلام ، ولا كلام لنا على ذلك . وأجاب به بَعْض العُلماء ، بيد أن الملحدين يستهزؤون بنا بذلك الجواب ، والجاحدون يضحكون علينا . ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾ ، ويقولون : إن عادتكم أن تقولوا مثل ذلك القول وقت عجزكم عن الجواب وإقامة البرهان علينا ، ومن عادتهم أيضاً أن يقولوا على وجه الحكاية عنّا : لا تسألوا عن مثل ذلك ، فإنّك تكفر بذلك .

ويقول الآخر : أستغفر الله حكاية منّا على وجه الاستهزاء ، هذا حاصل مقولهم - خذلهم الله- .

ولأجله نجيب لتلك الآيات المذكورة بما أجاب به الفضَلآء من كبار علماء الإسلام ، رزقنا الله وإياهم الفوز بالنعيم المقيم ، ومرافقة النبيين والمقربين ، والحشر مَعَهُمْ آمين . قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ ﴾ . . إلخ . أي : بيّن الله تعالى أنهم أشركوا بمشية الله تعالى فقال : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ ﴾ ؛ أي : لو أردت توحيدهم لقدرت عليهم ، ولكنهم لمّا اختاروا الكفر وآثروا تقليد أسلافهم واتباع شهواتهم ، وأعرضوا عن اتباع الدليلِ باختيارهم والبرهانِ شئتُ لهم أن يشركوا بمشيتي . وقال الشيخ البيجوري في حاشيته على « تحفة المريد » على قول الماتن (وعندنا للعبد كسب كلّفا) : والضمير في عندنا لأهل السنة والحق بخلاف الجبريّة والمعتزلة المردودة عليهما فيما سيأتي ، وقد أشار المصنف في المتن إلى أنّ في هذه المسألة ثلاثة مذاهب : **مذهب أهل السنة** وهو : أنه ليس للعبد في أفعاله الاختيارية إلا الكسب[1] فليس مجبوراً ، كما تقول الجبريّة ، وليس خالقاً لها كما تقول المعتزلة .

ومذهب الجبرية : وهو أنّ العبد ليس له كسب ، بل هو مجبور ؛ أي : مقهور كالريشة المعلّقة في الهواء تقلّبها الريّاح كيف تشاء .

ومذهب المعتزلة : وهو أن العبد خالق لأفعاله الاختيارية بقدرة خلقها الله فيه ، ولقولهم (بقدرة خلقها الله فيه) لم يكفروا على الأصحّ .

فالجبرية أفرطوا ، والمعتزلة فرّطوا ، وتوسط أهل السنة ؛ وخير الأمور أواسطها ، فخرج مذهبهم من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين . انتهى ٥٦ .

---

(١) وهو : القصد ، كما قال الإمام الرباني قدس سره (حلمي حقي قدس سره ، من خطه) .

ومع هذا المذكور لا أدري وَجْهَ عدَم انقطاع الإشكال ، فإلى أين نلقي اختيار العبد إذا ارتكبنا على الجبر المحض ، فافهم ، وتدبّر ،

مشيِّة الله تعالى وإرادته إنما تتعلّق بها إذا اختار العبد

وقوله رحمه الله : (**فكيف العقاب له بما شاء الله وأراده**) . **أقول :** فعقاب العبد لكفره بفعله الاختياريّ ، وإنكاره وجحوده الحق . كذا في « الفقه الأكبر » للإمام الأعظم أبي حنيفة .

قوله (**فإن قلتم بمباشرة العبد وكسبه بالفعل ، فكيف المباشرة والكسب إلاّ بإقدار الله تعالى ؟!**) إلخ . **أقول :** لم يجبر الله تعالى على أحد من خلقه على الكفر والإيمان ، ولا خلقهم مؤمناً ولا كافراً . . الخ . « الفقه الأكبر » . يعني : أنّ الله تعالى لا يخلق الكفر والإيمان في قلب العبد بطريق الجبر والإكراه ، بل يخلقها باختيار العبد ، كذا في شرح « فقه الأكبر » أي : كلّ واحد من طاعة الإنسان ومعصيته وإهدائه وضلالته وإن كان منوطاً بمشية الله تعالى وإرادته إلا أنّ تلك المشية إنما تتعلق بها إذا اختار العبد وقصده وسعى في حصول ذلك ، واختيار الطاعة منوط ببعثة الرسول وبيانه ، كما أنّ اختيار المعصية منوط بغلبة الهوى واستيلائه ، فتبيّن أن يكون الحوادث مَنُوطاً بمشيّة لا ينافي البعثة والتكليف ، وأن من زعم ذلك استحقَّ الذمّ واللعْن . راجع « شيخ زاده » على قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ ﴾ من سورة « الأنعام » .

اعلم أنّ مشية الله تعالى . . إلخ . **جواب :** من يقول إنما أعصي الله تعالى لما أراده في الأزل ، فكيف أترك ما أراده الله تعالى في الأزل ، وكيف أكفُّ عما نهى عنه مع كونه مريداً له في الأزل ، ووقوع خلاف مراد الله تعالى باطل ومحالٌ .

وحاصله : أنّه لما كانت الإرادة الأزلية الإليهيّة تابعة لعلمه الأزلي ، وكان علمه الأزلي تابعاً لما يرتكب المكلّف عليه ؛ من الطاعات والسيئات

صحّ أن يقال العتب على العاصي . كذا أجابه المحقق طيّب – طاب الله ثراه – فإن أردت الزّيادة راجع « البريقة » شرح « الطريقة المحمدية » .

واعلم أن مشية الله تعالى وعلمه بما يكون للمشركين والعصاة لا يصحّ أن يكون علّة موجبة للكفر والعصيان ؛ لأنّ مشيّة الله تعالى تابعة لعلمه ، وعلمه تابع لما عليه أعيان المكلّفين قبل وجودهم ، كذا في « البريقة » راجعه من الجلد الأوّل . **وقال الإمام البركوي** في « الطريقة المحمدية » ما لفظه : إنّ الله تعالى وإن كان خالق أفعال العباد كلّها وغيرها لا خالق غيره ، **لكن للعباد اختيارات** جزئية وإرادات قلبية قابلة للتعلّق بكلّ من الضدين ؛ أعني : الطاعات والمعاصي . انتهى عبارته . أي : هذه الإرادة الجزئية ليست من الله تعالى ابتداء ، بل مِنَ العبد ، ولا يلزم كون العبد خالقها لعدم وجودها في الخارج ، والمخلوق ما يكون موجوداً فيه . انتهى راجع « البريقة » في ٥٦٨ .

قوله (وإرادات قلبيّة) . أي : ويدل على هذا أي : وجود الإرادة الجزئية قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ أي : إرادات ملابسة بأنفسهم ، وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ الآية ؛ إذ لو كان العبد مجبوراً لما صح هذا التعبير والتوبيخ ، ولما صحّ اللوم[1] وتعييرها ، وهو سنة قديمة للأنبياء والأولياء حتّى أقسم بها الله تعالى فقال : ﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ ، ولما كان للختم والطبع معنى زائد على خلق المشيّة ، ولما كانت النفس بالطبع أمارة بالسوء ، وشياطين الإنس والجنّ مُعينة لها ، ولما كان الغالب اختيار الشرّ لولا التوفيق والعناية ، فلذا قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ وهذا ممّا ألهمني الله ربي تعالى في تفسير هذه الآيات والحمد لله ربّ العالمين . انتهى « بريقة » ٥٧ .

---

(١) **وفي نسخة** : لوم النفس .

قلت : لو لم يكن وجود الإرادة الجزئية من العبد لكانت التكاليف وأحكام الشرائع عاطلة ، فافهم ، فإنّه نفيس . ذكر الإمام الشعراني قدس سرّه في « اليواقيت » ما نصّه : وقال في الباب الخمسين : **اعلم** أنّ الحق ما كلفنا إلا أن جعل لنا قدرة نجد أثرها في نفوسنا تعجز عنها العبارة ، وإذا فقدت لم يكلّفنا كما لم يكلف الزّمن القيام في الصلاة ، وهذه القدرة هي التي أظهرها النفخ الإلهي في الإنسان بواسطة الملك ، فلولا هذه القدرة ما توجه علينا التكليف ، ولا قيل لأحدنا : قل : ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فإنّ الاستعانة إثبات جانب من الفعل للعبد ، فصدقت المعتزلة في إضافة الأفعال إلى العبد من وجه واحدٍ بدليل شرعيّ ، وأخطأت في إضافتها الأفعال إليه بحكم الاستقلال ، وصدقت الأشعرية في إضافتها الأفعال إلى الله خلقاً ، وإلى العباد كسباً من الوجهين بدليل شرعيّ وعقليّ . انتهى .

وقال في « باب الأسرار » : ما في الوجود إلاّ أفعاله مع أنه حرّم الفواحش ، ولا تناقش . . إلخ . وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول : في قوله تعالى : ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ أي : إيجاداً وإسناداً ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ يعني : إسناداً لا إيجاداً ،

وتأمل يا أخي قول السيّد إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ كيف لم يقل : وإذا أمرضني ، بل أضاف المرض إلى نفسه حيث كان مكروهًا للنفس ، وأضاف الشفاء إلى الله لكونه محبوباً للنفس ، وكذلك تأمل قول أيوب عليه الصلاة والسلام ﴿رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ ولم [يقل] أمسستني الضر فارحمني ، بل حفظ أدب الخطاب ، وكذلك تأمَّل قول الخضر عليه الصلاة والسلام ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ فأضاف العيب إلى نفسه لما كان قوله تعالى : ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ . انتهى .

وفيه بعد كلام طويل في خلق الأفعال ما نصّه : فإنّ القلب المظلم من لازمه استشكال في الأمور الوَاضِحة ، فضلاً عن مثل هذه المسئلة . وقد قال الإمام الغزالي رحمه الله : هذه مسئلة لا يزول إشكالها في الدنيا ، وهو معذور في قوله (والله تعالى أعلم) . انتهى .

مهم

فلو قدّر أن عبداً قال : يا رب كيف تؤاخذني بما قدرته عليّ قبل أن أخلق . لقال له الحق تعالى : وهل تعلّق علمه بك إلاّ بما أنت عليه ، ولا افتتاح لعلمي ولا لمعلومي .

مهم

قال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ فأتى بمثل هذه الآية لإقامة الحجة على عباده مع أنه تعالى عالم بجميع ما يكون من العبد قبل كونه لثبوت ذلك في علمه تعالى ، ولكن ما كلّ أحد يبلغ إلى ذوق هذا العلم ، والحجج إنما تقام في الأصل على المحجوبين لا على أهل الكشف ، لعدم نزاعهم للحق تعالى في شيء أضافه الحق تعالى إليه أو إليهم ، فيجب على العبد أن يقيم الحجّة على نفسه إيماناً حتى يعرف ذلك يقيناً وكشفاً ؛ لأنه لا يجري على العبد إلا ما كان عليه في العلم الإلهي ، فما فعل الله تعالى بالعبد إلا ما كان في علمه تعالى ، وما فوق إقامة الحجة هو موضع ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ .

اختيار العباد غير مفوّض إليهم

واعلم يا أخي أنّ مسئلة الكسب من أدق مسائل الأصول وأغمضها ، ولا يزيل إشكالها إلا الكشف على نزاع في ذلك كما سيأتي في نقول الصوفية . انتهى . وسمعت أخي الشيخ زين العابدين المرصفي رحمه الله يقول مراراً : اختيار العباد غير مفوّض إليهم قطعاً . وأمّا قوله

تعالى﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ وعيد ، وليس بتفويض ؛ لقوله ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا ﴾ ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ لا يقال : إن كان خالق أفعالهم وحده فكيف يعذّبهم ، لأنا نقول الثواب والعقاب إنما هو على استعمال العبد الفعل المخلوق ، لا على أصل الخلق ، فيعاقب عليه لصرف الاستطاعة التي تصلح للطّاعة إلى المعصية ، لا على إحداث الاستطاعة . راجعه من المبحث الرابع والعشرين ، والخامس والعشرين ، عبارته في ١٢٨ وفي ١٣٩ . وقال السيد جمال الدين الأفغاني في كتاب « منتخبات » ما لفظه : أما من أتاه الحكمة ، ومنحه الهداية فيعلم أن الحكيم الخبير جلّ شأنه وعظمت قدرته قد أناط كلّ حادث بسبب ، وكل مكسوب بعمل ، وإنه قد اختصّ الإنسان من بين الكائنات بموهبة عظيمة ومقدرة روحانية يكون بها مظهرا لعجائب الأمُور ، وهذه القدرة وتلك الموهبة مناط التكاليف الشرعية ، وبهما استحقاق المدح والذم عند العقلاء ، وَالثواب أو العقاب عند واسع الكرم سريع الحساب . انتهى عبارته ، راجع المقالة الثانية في ٦ .

وقال صاحب « المختصر الصغير » ما نصّه : **إن معنى الإيمان بالقدر فهو أن تعتقد أنّ جميع ما يجري في العالم خيراً كان أو شراً كلها بتقدير الله تعالى وإرادته ، ولكن للعباد اختيار ، فالتقدير من الله والفعل من العباد بسبب اختيارهم ، وهما** ؛ أي : الفعل والتقدير **يجريان معاً** : لكن التقدير تابع للفعل ، فأيّ فعل اختار العبد يقدر الله تعالى ذلك الفعل ، وإلا ، أي : وإن لم يكن للعباد اختيار **فيكون بعثة الأنبياء وإنزال الكتب عبثاً** لا فائدة فيهما ، لأنّ الغرض من البعث والإنزال بيان طريق الإسلام للعباد لينقادوا له وينزجروا عن المعاصي والشر ، فلو لم يكن لهم اختيار لم يحصل هذه الفائدة ؛ إذ يكون بعثة الأنبياء وإنزال الكتب والأمر بما فيها على الإنسان كبعثتها وإنزالها ، والأمر بما فيها على الجمادات التي لا اختيار لها ، وإنه سفه ، يجب تنزيه الله تعالى عنه . انتهى من « شرح المحمدية » راجعه .

مهم

وفي « أساس الدين » للحاجّ عبد الرحمن الأختي ما لفظه : فالتقدير من الله تعالى والفعل من العباد ، وهما يجريان معاً زمناً ، وإلا فالفعل أصل للقدر ومقدّم عليه ذاتاً ، أعني : أنّ الفعل بمنزلة الأصبع ، والقدر بمنزلة الخاتم ، فمتى تحرك الأصبع تحرّك الخاتم معه زمنا لا على العكس ، وإلاّ ليصير إنزال الكتب . . والخ . إلى الناس عبثاً . انتهى راجعه .

وكان ابو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى [يقول] : ليس للقدرة الحادثة أثر ، وإنما تعلّقها بالمقدور ، مثل تعلّق العلم بالمعلوم في عدم التأثير ؛ وكان الشيخ أبو طاهر رحمه الله يقول : القضيات العقلية في هذه المسألة **ثلاثة** ، إمّا أن تكون الأفعال مقدورة لله تعالى على الاستبداد ، أو مقدورة للخلق على الاستبداد ، أو تكون مقدورة لله تعالى والخلق معاً ، فالأوّلان معلومتان ، وأما الثانية : وهي أن تكون مقدورة بين قادرين ، فيلزم عليه أن الحركة الواحدة تعلّق بها قدرتان ؛ قديمة وحادثة ؛ وهي إذا تعلّقت بها قدرة واحدة استغنت عن القدرة الثانية ، فما الفائدة الثانية ؟ ! بقي أن يقال : إنما يلزم المحال إذا تعلّق به القدرتان من وَجْه واحد ، أمّا إذا كان الفعل مُضافاً إلى قادرين من وجهَيْن مختلفين فلا استحالة فيه ، وذلك إنّ تعلّق القدرة القديمة من وجه الإيجاد ، وتعلّق القدرة الحادثة من وجه الاكتساب ، وهذا غير محال ، فيقال : لو جاز ذلك لجاز أن يقع الوجهان في حالتين ، يعني : كأن يقع الوجود بإيجاد القدرة القديمة في حالة ، ويقع الحدُوث باكتساب القدرة الحادثة في حالة ثانية ، وهو محال ، إذ حدوثها قد حصل بالقدرة القديمة ، فكيف يقال : تعلقت القدرة الحادثة بها بَعْد وجودها ؟ ولو وقع الفعل بقدرة ممتزجة من القديم والحادث حتى تصلح للإيجاد والاكتساب كان من أمحل المحال ، على أن الاكتساب للموجد محال ، والإيجاد للمكتسب محال ، وهذا القسم مَعَ دقته وغموضه هو اختيار الشيخ أبي الحسن الأشعري ، وممّن تابعه النجار من المعتزلة على

اختلاف بينهما ، قال الشيخ أبو طاهر : وإنما اختار الأشعري ومن تابعه هذا القسم على مذهب الجبرية ومذهب المعتزلة لكونه أسهل من مذهبهما ، قال : إذا لم يكن إِلاَّ الأَسِنَّةُ مركباً فلا أرى للمضطر إلاّركوبها .

قال : وقد توجهت على الأشعري ومن تبعه أسئلة ؛ أظهرها : إن كان للقدرة الحادثة أثر في المقدور فهو شرك ، وإن لم يكن لها أثر فوجود تلك القدرة وعدمها سواء ، فإن قدرة لا يقع بها المقدور بمثابة العجز ، ومن أجل هذا الاعتراض افترق أصحاب الشيخ أبي الحسن ، فقال بعضهم : لا أثر للقدرة الحادثة أصلا في المقدور فيلزمه الجبر ، وقال آخرون : القدرة الحادثة لها أثر في المقدور . وهو اختيار القاضي أبي بكر الباقلاني ، واستدلّ بأنّ الإنسان يحسّ من نفسه تفرقة بين حركتي الاضطرار والاختيار ، وهذه التفرقة لا ترجع إلى نفس الحركتين من حيث الحركة ، لأنّها مثلان ، بل ترجع إلى أمر زائد عليها ، وهو كون أحدهما مقدورة ومرادة ، والثانية غير مقدورة ولا مرادة . . . إلى آخر ما ذكره . قال الشيخ أبو طاهر : وقد غلا أبو المعالي إذ أثبت للقدرة الحادثة أثراً هو الوجود ، غير أنه لم يثبت للعبد استقلالا بالإيجاد ما لم يستند إلى سبب آخر ، ثم تسلسلت الأسباب في سلسلة الترقى إلى الباري جلّ وعلا المستقلِّ بالإبداع من غير حاجة إلى سبب . وقال في بعض الكتب : إن القدرة الحادثة مقدور القدرة القديمة ، لأنها من أثرها . وقال في « مدارك العقول » : العبد فاعل على الحقيقة ، وإن قدرته مؤثرة في إيقاع الفعل ومقدّمة عليه . وقال في موضع آخر منه : نحن نقول : بأن قدرتنا الحادثة تؤثر في غير محلّها على شرط الإتصال ، وقال : في « الفطامي » : إنّ القدرة الحادثة هي المؤثرة للفعل ، وشبّهها بالعبد في بيع ماله بإذن سيّده في البيع .

قال الشيخ أبو طاهر : وحاصل الأمر أنّ أبا المعالي كان تارة يثبت أثر القدرة الحادثة ، وتارة ينفيه ، هذه نهاية مذاهب الأئمة في هذه المسألة العويصة المشكلة ، فمن تأمّلها وكرّر النظر فيها علم غموض معانيها ،

وصعوبة مراقيها ، وملخّص الأمر أنّ من زعم أن لا عَمل للعبد أصلاً فقد عاند وجحد ، ومن زعم أنه مستبدّ بالعمل فقد أشرك وابتدعَ ، وما بقي مورد التكليف إلاّ ما يجده العبدُ في نفسه من الاختيار للفعل وعدمه ، فإنّ العبد من طرفي الاضطرار مضطرّ على الاختيار ، والله تعالى أعلم ، هذا أحسن ما وجدته من كلام المتقدمين .

وأمّا كلام الصوفية في هذه المسألة أكثر من أن يحصى ، ولكن نشير إلى طرف صالح منها ، فلعلّ الله تعالى يوضح لنا بعض معانيها حتى يأتينا الكشف عن الحق فيها ، وزوال اللبس إن شاء الله تعالى . فنقول : وبالله التوفيق : ذكر الشيخ الأكبر في الباب الثاني والعشرين من « الفتوحات » أن صورة مسألة خلق الأفعال صورة لام ألف ؛ حروف الهجاء ، فإنّ الرائي لا يدري أي الفخذين هو اللام حتى يكون الآخر هو الألف ، ويسمّى هذا الحرف الذي لام ألف حرف الالتباس ، فلم يتخلّص الفعل الظاهر على يد المخلوق لمن هو ، ولكن إن قلت : هو لله صدقت ، وإن قلت : للمخلوق مع الله صدقت ، ولو لا ذلك ما صحّ خطاب الله للعبد بالتكليف ، ولا إضافة العمل إليه بنحو : اعملوا . . إلخ .

وقال الشيخ أيضاً في الباب الثاني والعشرين وأربع مائة : إنما أضاف تعالى الأعمال إلينا لأنّنا محلّ الثواب والعقاب ، وهي لله حقيقة ، ولكن لما شهدنا الأعمال بارزة على أيدينا ، وادعيناها لنا أضافها تعالى إلينا بحسب دعوانا ابتلاء منه لأجل الدعوى ، ثم إذا كشف الله تعالى عن بصيرتنا رأينا الأفعال كلّها لله تعالى ، ولم نر إلاّحسنة فهو تعالى فاعل ما نحن العاملون ، ثم مع هذا المشهد العظيم لا بدّ من القيام بالأدب ، فما كان من حسن شرعاً أضفناه إليه خلقاً وإلينا محلاً ، وما كان من سيئ أضفناه إلينا بإضافة الله تعالى ، فنكون حاكين قول الله تعالى ، وحينئذ يرينا الله عزّ وجلّ وَجه الحكمة في ذلك المسمى سوءاً ، فتراه حسنا من حيث الحكمة ، فيبدّل الله سيّئاتنا حسنات ؛ تبديل حكم لا تبديل عين . انتهى .

وقال أيضاً في الباب التاسع وَالسبعين ومائتين : لولا النسبة بين الربّ والمربوب ؛ يعني : رابطة الاستمداد بالحقّ ما دلّ العبد على الربّ ، ولا قبل التخلقّ بأخلاقه . وقال : وبتلك النسبة كان الحق تعالى مكلفا عباده بالأمر والنهي ، وبها بعينها كان المخلوق مكلّفا مأمورا منهيّاً . قال محقِّق : ما نبّهناك عليه ، فإني أظن أنّه ما طرق سمعك قط ، وإن لم تكن كذلك فاتك أدب كثير .

وقال في الباب السادس والتسعين ومائتين : كنت لم أزل أنفي التجلّي الإلهيّ في الفعل تارة وأثبته أخرى بوجه يقتضيه ويطلبه التكليف **إذا كان** التكليف بالعمل من حكيم عليم ، ولا يصحّ أن يقول تعالى لمن يَعلم أنه لا يفعل : افعل . إذ لا قدرة له على الفعل ، وقد ثبت الأمر الإلهيّ للعبد بالعمل مثل ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ، فلا بدّ أن يكون له في المنفصل عنه تعلّق من حيث الفعل به يسمّى قابلا ، وإذا كان كذلك صحّت نسبته وقُوع التجلّي في الفعل فهذا الطريق كنت أثبته ، وهو طريق في غاية الوضوح ، بل يَدُلّ على أنّ القدرة الحادثة لها نسبة تعلّق بما كلفت عمله لا بدّ من ذلك .

وحاصله أنّ العبد ما صحّت له نسبة الفعل إلا من كون الحق تعالى جعله خليفة في الأرض ، فلو جرد عنه الفعل بالكلية لما صحّ أن يكون خليفة ، ولما قبل التخلق بالأسماء ، قال : وهذه الفائدة مما نبهنى عليها تلميذي إسماعيل حفظه الله تعالى ، ولما أفادَها لي لم يعرف أحد قدر ما دَخل عليّ من السرور . انتهى ملتقطاً من « اليواقيت » مع الاختصار . راجعه ، في ١٢٨ ج١ .

وبالجملة إنّ حاصل الجواب وزُبدته أنّ أفعال العباد وإن صدرت بقدرته تعالى لكنه بشرط إرادة العبد ، فإن وجد الشرط فيوجد المشروط ، وإلا فلا ، فلا جبر ؛ لعدم استقلال قدرة الله تعالى على عادته ، ولا تفويض ؛ لعدم صدوره من إرادة العبد ، بل شرطاً .

ثم لما لم يكن هذا الجواب حاسماً لمادة الإشكال في الظاهر ؛ لأنّ الشبهة بالقدرة الأزلية والجواب بكيفية صدور الفعل من العبد ، قال دفعاً لذلك : **وكون أفعال العباد بعلم الله وإرادته وتقديره وكتْبه في اللوح المحفوظ لا يستلزم كون صدورها بالعبد بالجبر** ، وظاهر الأمر أنّها تستلزمه ، إذ لو لم يصدر لا نقلب علمه جهلاً ، وإرادته كانت متخلّفة عن مراده ، وينتقض حكمه ، ويكذب كتبه ، وليس مثلها يرى كذلك ؛ لأنّه كما إذا علم زيد جميع ما يفعله عمرو يوماً من الأيّام فأراده ؛ أي : زيد وكتبه في قرطاس ، فهل يكون عمرو في فعله مجبوراً من جانب زيد ؟ وهل يكون له أي لعمرو أن يقول لزيد : فعلت ما فعلت لعلمك وإرادتك وكتبك إيّاه ؟ فظاهر فيه عدمُ الجبر ، فإن عمرا فعله باختياره وإرادته لذلك الفعل ، لا لأجل علم زيد وإرادته وكتبه ، فلا يتصوّر فيه الجبر ، فإذا لم يتصوّر الجبر في عمرو ، فكذلك فيما نحن فيه من الله تعالى بالنسبة إلى العبد ، فلا يجعَلِ علمهُ تعالى بفعل العبد وإرادته وتقديره وكتابته العبد مجبورًا على ذلكَ الفعل ، لعلّ المراد من المقام أراد المصنف أيضاً ، أو لم يرد أن يقال : أن كتبه تعالى تابع لتقديره وإرادته ، وهما تابعان لعلمه تعالى ، وعلمه تابع للمعلوم ؛ أعني : فعل العبد ، وفعل العبد كما عرفت حاصلٌ بقُدرة الله تعالى وخلقه ، **لكن بشرط تعلّق الإرادة الجزئية من نفس العبد ، بحيث إن تعلقت إرادة العبد بفعل تعلّقت قدرته تعالى ، وإلا فلا تتعلّق قدرته تعالى ، فلا يتصور الجبر أصلاً** ، فتدبر . فإنّ المقام صَعْبٌ والزالّون كثيرون ، وَالفهم خفي ، فإن تدبّرت تصل إلى مراد المقام ، وتزيل غوائل الشيطان ، وتتنعم بوصول لذة المرام ، وكن من الشاكرين ، وهذا الجواب هو الحاسم لهذه الوسوسة ، وهذا معنَى قول السلف (لا جبر ، ولا تفويض ، ولكن أمر بين أمرين) .

اعلم : حاصلُ هذا المقام إجمالاً أنّ الشيطان يقول : آخراً الأعمالُ مقدّرة بتقدير الله تعالى فالعبد مجبور ، والسعي باطل . ويدفعُ السالكُ : **أن الأعمال وإن كانت بقدرة الله تعالى ، لكن الله جَعل تعلّق قدرته بفعل عَبده**

مشرُوطاً بتعلّق الإرادة الجزئية من العبد الصالحة للضدّين ، فما لم تتعلّق تلك الإرادة الجزئية من العبد لا تتعلّق قدرته تعالى ، الإرادة الجزئية ليست بموجودة حتّى يَلزم خلق إرَادة[1] ، وعلمه تعالى تابعٌ لمعلومه ، والإرادة والتقدير تابعان للعلم ، والكتابة تابعة للإرادة .

مهم

فإذا كانت المعلوم صدور الفعل بتعلّق الإرادة الجزئية اختيارا ولو على طريق الشرط لا يلزم الجبر أيضاً بعلمه وإرادته وكتابته ، فاندفع بذلك وسوسة اللعين ، وانطبق قول السلف ، وأمّا على قول الأشعري[2] فلا تندفع ، ولا ينطبق ، إذ عنده الإرادة الجزئية حاصلة من الله جبراً ، فالعبد مختار في أفعاله ، ومضطرّ في اختياره ، فلا فرق بين الجبر المحض وبين قوله . انتهى . هذا حاصل ما ذكره الشيخ أبو سعيد الخادمي في « البريقة » ، فإن أردت الزيادة راجعه من صحيفة ٥٦٦ إلى صحيفة ٥٧٩ تفز المرام ، والحمد لله ربّ العالمين .

المقصد : في كنوز الآمان من فتن الأوان وتفريج الكروب

قال الله تعالى ﴿ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ﴾ وقال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥ ﴾ وقال تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ﴾ ويروى عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لو كان العسر في جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « عند تناهي الشدة يكون الفرج ، وعند تضايق البلاء يكون الرخاء » وقال علي رضي الله عنه : أفضل عبادة أمتي انتظارها فرَج

---

(١) **وفي نسخة** : وَالْإِرَادَةُ الْجُزْئِيَّةُ لَيْسَتْ بِمَوْجُودَةٍ حَتَّى يَلْزَمَ خَلْقُ الْعَبْدِ إرَادَتَهُ .
(٢) **(منه)** القائل بالجبر المتوسط فلا محيص منها .

الله تعالى ، وقال : الحسن لما نزل قوله تعالى ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ قال النبي ﷺ : « أبشروا فلن يغلب عسر يسرين »

ومن كلام الحكماء : إن تيقنت لم يبق همّ . وقال أبو حاتم :

إذا اشتملت على البؤس القلوب ... وضاق بما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت ... وأرست من مكامنها الخطوب
ولم نر لانكشاف الضرّ وجها ... ولا أغنى بحيلتها الأريب
أتاك على قنوط منك غوث ... يمنّ به اللطيف المستجيب

وقال آخر :

تصبر أيها العبد اللبيب ... لعلك بعد صبرك ما تخيب
وكلّ الحادثات إذا تناهت ... يكون ورائها فرج قريب

وقال آخر :

لئن صدع البَين المشتت شملنا ... فللبين حكم في الجموع صدوع
وللنجم من بعد الرجوع استقامة ... وللشمس من بعد الغروب طلوع
وإن نعمة زالت عن الحرّ وانقضت ... فإن لها بَعْد الزوال رجُوع
فكن واثقا بالله ، واصبر لحكمه ... فإن زوال الشر عنك سريع

انتهى .

مهم

ثم إن حُصول الأذيّات ، ونزول البَليّات مع تسليط الظلمة والإهانات لما كان غالبه بذنوب أذنبناها ، وأثام استعملناها لزم علينا الاستقصآء في أسبابه ، وإقامة الأعذار على أنفسنا ، والتوبة عن ذنوبنا ، والاستغفار عما وقع سبباً لتلك المذكورات ، دون مقابلة اذانا بآذاهم بنظير فعله ، ثم يشرع[1] في

(١) أي : وإن لم ترفع البلية وقتئذ ، فافهم (منه) .

استعمال الأسباب التي ترفع بها البليّات ، وتُزال بها الأذيّات ؛ من الأحزاب النافعة ، والأدعية الناجية قال تعالى ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ ، وقد تكون تلك البليّات ابتلاء من الله تعالى كما قال عز وجل ﴿لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ .

وفي « فتوح الغيب » ما نصّه : إنّ العبد تارة يبتلى بعقوبة مُقابلة لجريمة ارتكبها ومعصية اقترفها ، وأخرى يبتلى تكفيراً وتمحيصاً ، وأخرى يبتلى لارتفاع الدرجات وتبليغ المنازل العاليات ، ليلحق بأولي العلم من أهل الحالات والمقامات ؛ ممّن سبقت لهم الحسنى وعناية من ربّ الخليقة والبريّات ، فعلامة الابتلاء على وجه المقابلة والعقوبات عدَم الصبر عند وجُودها ، والجزع والشكوى إلى الخليقة والبريّات ، وعلامَة الابتلاء تكفيراً وتمحيصاً للخطيئات وجود الصبر الجَميل من غير شكوى وإظهار الجزع إلى الأصدقاء والجيران ، والتضجّر بآداء الأوامر والطاعات ، وعلامة الابتلاء لارتفاع الدرجات وجود الرضا وطمأنينة النفس والسكوت بفعل إله الأرض والسموات إلى حين الانكشاف على مرور الأيّام والساعات .
راجعه في ٩٢ .

مهم

وقال القطب الشيخ عبد الوهاب الشعراني في « المنن الكبرى » :
وممّا أنعم الله تبارك وتعالى به عليّ مبادرتي لإقامة العذر لمن أذاني دون اللوم عليه وَمُقابلته بنظير فعله ، وَذلك لعلمي بأنه ما أذاني بقول أو فعل إلا بإرادة الله تعالى بعد تقدّم وقوعي في ذنب يوجب ذلك ، وكان مَطْمَحُ بصَري حضرة الإرادة الإلهية دون حضرات الخلق ، ومن كان هذا مشهده لا يصحّ منه تكدير ممّن أذاه ، ولا سخط على مقدور من مقدّرات الحق تبارك وتعالى ما دام هذا مشهده ، فأمّا عدم تكديره من الخلق فلكونه يشهد

أنّ الخلق كلهم لا يتحركون ولا يسكنون إلا وهم تحت الإرادة الإلهيّة ، فهم كالسوط الذي يضرب به الضارب أحداً ظلماً ، فالعاقل لا يترك إضافة الضرب للفاعل الحقيقي ويضيف ذلك إلى السوط ، وأمّا عدم سخطه على شيء من مقدورات الحق ؛ فلكونه يشهد أن ذلك فعل حكيم عليم أرحم به من والدته على الكشف والشهود ،

وانظر يا أخي إلى الوالدة كيف تضرب وَلَدَها وتشكه بإبرتها إذا خافت عليه وقوعه فيما هو أشدّ ألماً من غرز الابرة أو الضرب ، كل ذلك شفقة عليه ، فإذا كان هكذا فعل الأمّ مع ضعف شفقتها ، فكيفَ بالحقّ جلّ وعلا ؟ ! فعلم أنه لا يصحّ التكدير من عبد آذاه أحد إلاّ إن كان مشهده أن ذلك من فعل الخلق ، وإلاّ فلا يصحّ منه تكدير أبداً حياء من الله تعالى تبارك وتعالى ، أو لعدم إضافة ذلك الفعل إلى الخلق ،

وتأمّل يا أخي إذا وقع العبد في معصية وهتك بين الناس ، كيف يجد قلبه قد تفتت من القهر وشدة الندم ؟ ! فإذا شهد أن ذلك كلّه كان بتقدير الله عليه قبل أن يخلق يخف عليه ذلك الألم .

وسمعت الشيخ أفضل الدين يقول : ينبغي لمن آذاه أحدٌ بغير حق أن ينظر إلى السبب الذي حرّك ذلك المؤذي له حتّى آذاه ، ثم ينظر إلى وجه الحكمة في ذلك حتى لا يسخط ولا يعترض . انتهى .

مهم

فوالله لقد فاز من احتمل الأذى من الخلق بعزّ الدارين ، وكذلك فاز من شهد أنّه لا فاعل حقيقة في الدارين إلا الله جل وعلا ، فإنه يتنعّم بكلّ فعل وقع له ؛ لأنه مع الحقّ لا مع الخلق ، فلا يجد من يُرسل تكدّره وسخطه عليه ؛ كالحكم في حال زبانية جهنّم يوم القيمة حين يكشف الغطاء عن كلّ عاصٍ لا يضيف إليهم أحدٌ فعلاً ، ولا يسمّيهم ظَلَمَة كما في الدنيا أبداً ، بل يراهم كالمجبورين ، فالكامل يرى جميعَ مَنْ ظَلمه في

دَار الدنيا تحت القضاء والقدر ، ولا يضيف إليهم ظلماً قط إلا بقدر نسبة التكليف لا غير ، موافقة للشرائع ، فلا بدّ له من هذه النسبة في هذه الدار ، بخلاف حاله مع الزبانية لزوال التكليف هناك ، فافهم ذلك واعلمه ترشد ، والله يتولى الصالحين ، والحمد لله ربّ العالمين . راجعه في ٢٢٦ ج٢ ،

وفيه أيضاً قبل هذا المنن ما نصه : وممّا أنعم الله تبارك وتعالى عليّ عدم إتعاب سرّي في تدبير حيلة تؤذي من أذاني بقول أو فعل كما يقع فيه كثير من الناس ، فربما سهر أحدهم الليلة كاملة يدبّر في الحيل التي تؤذي عدوّه ، ويصير يهدُّ ويبني إلى الصباح ، وقد حذر الله تعالى من حيث الإشارة بقوله ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ الآيات .

مهم

ومن فوّض أمره إلى الله نصره من غير أهل ولا عشيرة

وكان سيّدي خضر الكردي رحمه الله تعالى المدفون تجاه جامع الملك الظاهر على الخلج الحاكمي يقول : كلّ كلام مَعي مفسود ، ومن فوّض أمره إلى الله تعالى نصره من غير أهل ولا عشيرة ، وأغناه عن الحيل والمكايد . انتهى .

أقبح شيء يقع فيه العالم . .إلخ .

ثم لا يخفى عليك يا أخي أنّ من أقبح شيء يقع فيه العالم أو الصالح مُقابَلته بالأذى لمَنْ يؤذيه ، أو يكشف سوأته للناس ولو بحق فضلا عن الزّور والبُهتان ، فإن الله تعالى ستير ويحبّ من عباده الستارين ، فكما أنّ الحقّ تبارك وتعالى يرى العيب من عبده ويستره ، فكذلك ينبغي لعبده أن يفعله ، وقد منّ الله تبارك وتعالى عليّ بذلك ، فلا أفتري على من افترى عليّ ، ولا أشيع على أحد نقيصة عمّن أشاع مثلها عنّي ، ولا أفضحه كما

فضحني ، ولو قدّر أنني ترافعت أنا وإيّاه عند حاكم وسألني عنه لا أذكر عنه إلاّ خيراً ، ثم إنّ من سلك مع عدوّه هذا المسلك يخاف على عدوّه الهَلاك ، فمن الأدب مع ذلك مسامحة العدوّ فيما فعل ، وسؤال الله تبارك وتعالى أن يعفو عنه ، وكذلك من لازم من سلك مع عدوّه هذا المسلك النصرة من الله عزّ وجلّ عليه . انتهى .

وسمعت سيّدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول : إذا آذاك إنسان أو نقصك بين الناس ، فخذ ذلك من باب تنبيهات الحقّ لتتفكَّر في ذنوبك ، وتأخذ في التوبة والندم على ما فعلته من الزلات ، أو على ما فرَّطت فيه من الطاعات ، أو على ما كنت عزمت عليه من المخالفات أو المقابلات لمن كان آذاك ونحو ذلك ، وإياك أن تتفكر في نقائص من نقصَك ، وتستنبط منها نقائص آخر ، فإنّ ذلك منك جهلٌ بطريق مُعامَلَة الله عزّ وجلّ ومعاملة خلقه ، فإنّه تعالى إذا نهاك عن إشاعة ما رأيته بعَيْنك ، فكيف بما استنبطته بدقيق فكرك ممّا لعلّه لم يخطر ببال عدوّك .

مهم

واعلم يا أخي أنك لولا خرجت من حضرة ربّك عزّ وجلّ ما سلّط عليك أحداً ؛ لأنّ من كان في حضرة الحق تبارك وتعالى ، ويَعْلم أنه يراه فليس لأحد من الجنّ والإنس عليه سبيلٌ ، فكلّ من خرج من حضرة ربّه جلّ وعلا استوحشته الآفات من جميع الجهات .

وسمعته أيضاً يقول : إياك أن تستبطئ نصرتك على عدوّك إذا دعوت الله تعالى أن ينصرك عليه ؛ لأنه تعالى ربّما أبطأ عنك الإجابة ليعاملك بنظير ذلك إذا أذيت أحداً ظلماً ودعا عليك ، فيؤخر الله تعالى إجابة دعائه في حقك لعلّك تستعتب أو تستغفر جزائه وفاقا ، فعلم أنك إذا طلبت من الله تعالى تعجيلَ إجابة دعائك على عدوّك ، فلا تستغرب سرعة إجابة دعاء خصمك عليك . انتهى . فالعاقل هو من يفرح بعدم إجابة دعائه على خَصمه أصلاً أو يبطأ الإجابة ، وذلك ليعامله الله تعالى بنظير ذلك إذا دعا عليه خصمه . انتهى راجعه في ٢٢٢ .

مهم

وممّا أنعم الله تعالى به عليّ مبادرتي إلى إقامة الحجة على نفسي دون الله عزّ وجلّ إذا ظلمني ظالم ، فلا أقول قط : **العبد تحت التقدير والله فعّال لما يريد ، ولا نحو ذلك مما فيه رائحة عدَم إقامة الحجّة على النفس** « منن » ٦٥٧ .

من الأدب إذا نزل البلاء أن يتعرّف سببه

وقد قدّم في هذه « المنن » أنّ مِنَ الأدب إذا نزل على العبد البلاء أن يتعرّف سببه من الله عزّ وجلّ ، فإن رآى سبب ذلك ذنباً بادر إلى التوبة منه ، وإن رآه اختباراً من الله تعالى له استعان بالله تعالى على دفعه عنه ، أو سأل الله تعالى الصبر عليه إن كان قد حق به التقدير في علم الله عز وجلّ ؛ قال تعالى ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ .

فعلم أن الظالم ما ظلمنا إلا بذنوبنا ، وذلك في الحقيقة جزاء على أعمالنا لا ظلم لنا ، وإن اشتغالنا بسبّ الظالم أو مقابلته جهل منا ، لغلظ حجابنا ، وإلاّ فلو رقت حجابنا لرأينا حكم الظلمة في هذه الدار حكم زبانية جهنم على حدّ سواء ، من حيث أنهم ما عذّبُونا إلا بذنوبنا وسوء أدبنا ، وكما لا يسمّي الناس زبانية جهنم هناك ظلمة ، فكذلك ينبغي لمن كشف حجابه أن لا يسمّيهم بذلك ، فإن البحر واحد بيّن ، لكن لا بدّ من نسبة الظلم إلى من ظَلَمنا في هذه الدار لأجل نسبة التكليف بخلاف الزبانية ، فإنّهم ليسُوا في دار التكليف .

مهم

فمن أراد أن لا ينزل بَلاءٌ ولا يسلّط عليه أحدٌ فليسدّ الباب الذي يدخل منه الجزاء الّذي يسوءه ، وذلك بترك المعاصي جملة ، فلا يكون

في ظاهره ولا في سريرته شيء يكرهه الله أبداً ، وقد قالوا : من عقل العاقل إذا أراد أن ينزح حوضاً من الماء المُنْتن أن يسدّ الميزاب الّذي ينزل ذلك الماء ثم ينزحه ، وإلا فكلّ شيء نزحه نزل من الميزاب بدله .

وسمعت سيّدي عليا الخواصّ رحمه الله يقول : من جهل عظمة الذنب الذي وقع فيه وعوقب من أجله فلينظر إلى كبر العُقوبة ، وصغرها ، فإن كانت العقوبة عظيمة فالذنب عظيم ، وإن كانت صغيرة فالذنب صغير ، يعني من حيث صغره في رأي العين لا بالنظر لما عند الله تعالى ، فقد يؤاخذ الله تعالى العبد على ذنب صغير ويسامحه في الكبير . انتهى .

مطلب

وقد ذكرنا فيما تقدّم في هذه « المنن » أنه ليس **لمن يدّعي أنه مظلوم دواء أنفع له من كثرة الاستغفار ، لأنّ غالب العقوبات كالضرب والحبس والخزي إنما هي من أثر غضب الحقّ تبارك وتعالى ، ولو لم يشعر** بعض العبيد بذلك ، وما خرج عن هذه إلاّ الأنبياء وكمّل ورثتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فليس ما يصيبهم عن أغضاب من الحق تبارك وتعالى لعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وحفظ الأولياء رضي الله عنهم ، **وليس لمن أغضب ربّه دواء إلا الاستغفار** ، فإذا أكثر العبد من الاستغفار إلى الحدّ الذي يطفئ الغضب الإلهيّ العارض لهُ ذهَبت عنه العقوبة مِنْ وقتها ، وقد علّمت هذه الفائدة للكثير من أهل الحبوس فأسرع بخروجهم ، وقلت لهم : اجعَلُوا وِرْدكم الاستغفار ليلاً ونهاراً ،

مهم

فإنّ طول **مدّة الحبس قد تكون معلّقة على ترك الاستغفار ليلاً ونهاراً وعدَم رؤية الإنسان ذنبه ، فيَطول حبس أحدهم كما عليه أصحاب الجرائم الغلف القلوب** ، فيقول أحدهم : حبسوني ظلماً لا ذنباً ولا سيئة ،

ولذلك طال حبسهم ، ثم لا يخفى عليك يا أخي أنّ عقوبة أهل الله تعالى عزّ وجلّ أشدّ من عقوبة غيرهم لعلوّ مقامهم وعظم زلّتهم التي يستصغرها غيرهم ، بل ربّما كان غير أهل الله لا يعدّون ما يستعظمه أهل الله إذا وقعوا فيه ذنباً أصلاً لصغره في أعينهم .

مطلب

والقاعدة : أنّ كلّما عظمت مرتبته عظمت صغيرته ، فربّما يتناول أحدٌ من أهل الله شهوة مباحة مرة واحدة فتقطع يده ، وربما يسرق غيرهم النصاب مراراً ولا تقطع له يد . انتهى ٢٥٨ .

قول العبد : (أيْشٍ أعمل ، هذا كان مقدّرا عليّ)
سوءُ أدبٍ مع الله

فعُلم أن قول العبد إن وقع في معصية (أيْشٍ أعمل ، هذا كان مقدّراً عليّ قبل أَنْ أخلق) سوء أدب مع الله تبارك وتعالى لما فيه من رائحة إقامة الحجّة على نفسه ، بل من الواجب عليه أن يفرّ إلى الله تعالى أن يقيل عثراته ، ويغفر زلّته ، هذا هو الذي كلّف به ، وبإفشائه في هذه الدار ، فإنّ كون الأمور بتقدير الله تعالى تحصيل الحاصل ؛ وقد قال تعالى ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ وقال تعالى ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ وقد ذمّ الله تبارك وتعالى الذين قالوا ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ وإن كان ذلك القول حقا في نفسه ، لكنّه حق أريد به باطلٌ ، وهذا الخلق غريبٌ في الفقراء ، بل غالبهم يسلم الله تعالى على كره ، ويقول : العبد مجبُور في عين اختياره ، وربّما ينشد قول بعضهم :

ألقاه في اليمّ مكتوفا وقال له   إياك إياك أن تبتلّ بالماء

وربما قال أيضاً المثل السائر : لا تقدر على عضّها قبلها . ونحو ذلك ، وكلّ ذلك لا يجوز عند المحققّين ؛ لأنّ فيه رائحة عدَم إقامة العبد حجة الله على نفسه ، فإيّاك من مثل ذلك ، ثم إيّاك ، والحمد لله ربّ العالمين . انتهى ٢٥٨ ج٢ . وفيه أيضاً ما نصّه :

مهم

تسليط الخلق على العبد رحمة في صورة نقمة

وممّا أنعم الله تبارك وتعالى عليّ عدَمُ اشتغالي بمُقابَلة من آذاني ، وتنقيص مَن نقصني ، وإنما اَرْجعُ إلى تفتيش نفسي ، وأكثر من الاستغفار ، والاشتغال بالله عزّ وجلّ ، وشهودي أنّني جالس بين يدَيْه تعالى ، وهو يرى صنيع عبيده فيّ ، ومن كان مشهده هذا حمل أذى الثقلين ، وأيضاً فإني أعلم أن الحق تعالى لا يسلّط الخلق بالأذى على أحد وهو حاضرٌ بين يديه أبداً ، وإنه ما سلّط على أحد بالأذى إلاّ لغفلته عنه ، فيريد بذلك الأذى رجوع عبده إليه بالالتجاء ليدفع ذلك الأذى عنه ، **وكان في تسليط الخلق على العبد رحمة في صورة نقمة ، وقد جرّبنا فما وجدنا لتسكين الفتن أسرع من الاشتغال بالله ، وتفتيش النفس في جنايتها ، وكثرة الاستغفار ، ولذا قالوا : إذا اشتغل الناس بك فاشتغل أنت بربهم ، فإن بيده زمام أمورهم ، ولا تقابلهم تتعب وتزداد من الأذى .**

غالبُ الناس عنه غافلون

وقد غفل عن هذا المعنى غالب الناس ، فلم يرجعوا إلى الله تعالى ، ولم يستغفروه من ذنوبهم ، واشتغلوا بمقابلة من أذاهم ، فمزّق بعضهم أعراض بعض تارة بأصحابهم ، وتارة بأنفسهم ؛ إمّا باللفظ وإمّا بالتوجّه إلى الله تعالى بالدعاء عليهم ، فعدموا النصرة من الله تعالى . انتهى . راجعه في ٢١١ ج٢ .

مهم

ثم لا يخفى عليك أنّ تسليط الناس بالأذى عَلى الفقير قد يكون بذنب سلف ، وقد يكون محض اختبار من الله تعالى لا بسبب ذنب ، فاللائق بأمثالنا الأوّل ، واللائق بالأولياء الثاني ، ثم إن الأولياء إذا اختبروا ؛ فمنهم من يتفضّل الله تبارك وتعالى بخروجه كالذهب الخالص ، ومنهم من يخرج كالنحاس فيظهر له بذلك كذبه في دعواه مثلاً ، والاكتفاء به بعلم الله تعالى دون خلقه .

وسمعت أخي أفضل الدين رحمه الله يقول : ابتلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليس كفارة لذنب ولا اختباراً ؛ لعصمتهم ، وإنما ذلك ليتأسّى بهم قومهم وأتباعهم . انتهى .عبارته ٢٠٥ .

فائدة نفيسةٌ

قال القطب الشعراني في « منن »ـه ما لفظه : ثم لا يخفى عليك يا أخي أنّ الحق تعالى لا ينتصر قطّ لعبد من عبيده وهو مستند إلى أحد من خلقه إلا إن جَعَله واسطة ولم يقف معَهُ ، فإذا نظر الحق تعالى إلى عبده ورآه مستنداً إليه وحده فهناك لا تتخلّف عنه نصرة الحقّ تعالى ؛ وفي الحديث القدسي « وعزتي وجلالي لا ينتصر بي عبدٌ من عبيدي أعلم ذلك من قلبه يقينا ، فيكيده أهل السّموات وأهل الأرض إلا نصرته عليه » . انتهى راجعه في ٢١٤ .

انتهى إدخال ما أردنا إيراده في هذا المقصد ، ولنشرع

الآن في ذكر ما هو المقصود من المقصد ؛ من أسباب حُصُول الفرج وانكشاف الكرب ، ونقول بحمد الله تعالى وتوفيقه : **فمن ذلك** ما روينا في « صحيحي البخاري ومسلم » عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب : « لا إله إلا الله العظيم

الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ربّ العرش العظيم » . وفي رواية لمسلم : أنّ النبيّ ﷺ كان إذا حزبه أمر قال ذلك . قوله (حزبه أمر) أي نزل به أمر مهمّ أو أصابه غم . وروينا في كتاب « الترمذي » عن أنس ﵁ عن النبيّ ﷺ أنّه كان إذا أكربه أمرٌ قال : « يا حيّ يا قيّوم برحمتك أستغيث » قال الحاكم : هذا حديث صحيحُ الإسناد . وروينا فيه عن أبي هريرة ﵁ أنّ النبي ﷺ كان إذا أهمّه الأمر رفع رأسه إلى السماء فقال : « سبحان الله العظيم » وإذا اجتهد في الدعاء قال : « يا حيّ يا قيوم » ، وروينا في صحيحي « البخاري » و« مسلم » عن أنس ﵁ قال : كان أكثر دعاء النبيّ ﷺ « اللهم آتنا في الدّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » وزاد مسلم في روايته : وكان آنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها .

وروينا في « سنن النسائي » وكتاب ابن السّني عن عبد الله بن جعفر عن عليّ رضي الله عنهم قال : لقنني رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الكلمات ، وأمرني إن نزل بي كرب أو شدة أن أقولها : « **لا إله إلا الله الكريم العظيم ، سبحانه تبارك الله ربّ العرش العظيم ، الحمد لله ربّ العالمين** » وكان عبد الله بن جعفر يلقنها وينفث بها على الموعوك ، ويعلّمها المغتربة من بناته . قلت : الموعوك : المحموم ، وقيل : هو الذي أصابه مغث الحمى ، والمغتربة من النساء التي تزوّجت إلى غير أقاربها .

وروينا في « سنن أبي داود » عن أبي بكرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال : « دَعوات المكروب : اللهمّ رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كلّه لا إله إلا أنت » وروينا في « سنن أبي داود » و« ابن ماجه » عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « ألا أعلمك كلمات تقولينهنّ عند الكرب ، أو في الكرب : الله الله ربّي لا أشرك به شيئا » وروينا في كتاب « ابن السني » عن أبي قتادة ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ آية الكرسيّ وخواتيم سورة البقرة عند الكرب أغاثه

الله عزّ وجلّ » . وروينا فيه عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج عنه ، كلمة أخي يونس ﷺ ؛ فنادى في الظلمات أن : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » ورواه الترمذي عن سعد قال قال رسول الله ﷺ : « دعوة ذي النون إذ دعا ربّه وهو في بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين . لم يدع رجُلٌ مسلم في شيء قط إلاّ استجاب له » . انتهى « كتاب الأذكار » النووي .عبارته ٥٦ .

حزب النووي

ومن ذلك الأحزاب التي نذكرها منقولة من كتب السادات قدس الله أسرارهم : فمن ذلك حزب الإمام النووي ﷺ وقال : قال في « مطالع المسّرات » شرح « دلائل الخيرات » بعد قوله (ولا بارّا ولا فاجرا) هذا نحو ما نقل عن الشيخ القطب جمال الدين سيّدي يوسف بن عبد الله ابن عمر بن علي بن خضر الكوراني العجمي نزيل مصر فيمن واظب على قراءة حزب النووي بعد الصبح والمغرب ، أو قال بعد الصبح والعشاء لأنّه لا يقدر أن يتصرّف فيه لا من أهل الباطن ؛

أرباب القلوب المتصرّفين بالحقّ أو قال بالأحوال الصحيحة ، ولا من أهل الظاهر ؛ أهل الشطارة والسحر والمكر والحرب والخصام والعداوة والله تعالى أعلم . انتهى ٢٦١ . وهذا الحزب من أجلّ الأحزاب ، وأوّله : بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله أكبر الله أكبر الله أكبر أقول . . إلخ . وهو مكتوب على هامش « دلائل الخيرات » ، ولهذا الحقير إجازة صحيحة لقرائته وتلقينه . انتهى . وسلسلته مذكورة في الثبت ، فراجعه . فإني ذكرت الأحزاب المذكورة بحذف الأسانيد والسلاسل روماً بالاختصار واقتصاراً على المرام ،

حزب البحر

ومن ذلك حزب البحر للشيخ أبي الحسن الشاذلي الذي اشتهر فضله في الأقطار ، وطار في الأفاق كل مطار ، ويكرّره الأولياء والصّلحاء في الحاجات ، وعند الضرورات ، ويستعيذ به العباد عند المخوفات ، وقد ذكر صاحب كتاب « الرماح » أنه هو العدّة الوافية والجنّة الواقية التي فيها تفريج الكروب بألطاف الغيوب ، وما قرئ في مكان إلاّ سلم من الآفات ، وحفظ من حوادث العاهات ، وفي ذكره لأهل البدايات أسرار شافية ، ولأهل النهايات أنوار صافية . انتهى . وخواصّه ومنافعه مذكورة في « المناقب الأحمديّة » و« كشف الظنون » و« رماح حزب الرحيم » . وقد نقل مؤلف « التلخيص » جميع ما فيها بالتمام ، فمن أراد التفصيل فليراجع إليه ، ففيه ما يشفي العليل ، فمن أراد الأمن من حوادث دهره ، وتسهيل أمُور السعادة في حركاته وسكناته فعليه مواظبة قرائة هذا الحزب مع الإذن الصحيح من أربابها ، ومن لم يأخذ الإجازة فهو كراكب البحر من غير سفينة ، فالنفع التام لا يكون إلاّ بالإذن كما هو مذكورٌ في الكتب ، وهو الحزب الذي أخذه الشاذلي وكذا التجاني من النبي عليه السلام كما هو مذكور في « الرماح » ، وسلسلته في الثبت .

حزب الدور الأعلى

ومنها : حزب الدور الأعلى للشيخ الأكبر ، وهو حزب نافع لدفع البلاء ، وقهر الأعداء ، والنجاة من الأهوال . قال صاحب « الفيوضات الربّانية » : من حمله كان آمنا من البليّات الأرضية والسماويّة ، ومصوناً من جميع البليّات والأذيّات الشيطانية والإنسيّة ، وينفع من الطعن والطاعون ، ومن الريح الأحمر ، والسحر ، وعسر الولادَة ، ولحلّ المربُوط ، وَهُوَ حصن حَصِينٌ ، وحرز مكين ، وكنف أمين من كيد الأعداء ، والنصرة

عليهم تكون ظاهرة وباطنة ، خصُوصاً لمن واظب على قرائته بَعْد فريضة الصبح يفتح له الطاعة من العالم العُلويّ والسفلي ، ويرى العجائب والعجب ؛ من نفوذ الكلمة ، وتوجّه الناس إليه ، وإقبالهم عليه بالمحبة والمعزّة والمودّة والاجلال والهيبة ؛ لأنه سرّ من أسرار الله العجيبة ، وكنوزه المصُونة الغريبة ، لكن يحتاج وقت قرائته إلى حضور القلب وإخلاص النية والمواظبة عليه والفوائد في العقائد ، فاعرف قدره ترى بركته وخيره إن شاء الله تعالى ، ويحتاج أيضاً قبل الشروع أن يقرأ الفاتحة وآية الكرسيّ مرة واحدة ، وأوّل سورة الأنعام ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ . . . إلى ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ وبَعْد الختام يقرأ ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ ﴾ ثلاثاً ، ويصلّي على النبيّ ﷺ ثلاثاً ، وهو هذا الدرّ المبارك المسمّى بالدرّ الأعلى : بسم الله الرحمن الرحيم ، يا حيّ يا قيّوم بك تحصّنت فاحْمِني بحماية كفاية وقاية حقيقة بُرْهان حرز أمان سور بسم الله إلى آخره وهو أيضاً مكتوب في « دلائل الخيرات » ، فمن أراد الاشتغال بقرائته فليطلب ثَمَّ ، ولهذا الحقير إجازة مطلقة في هذا الحزب ، وفي أحزاب الشاذلي كلّها .

حزب الحصين

ومنها : **حزب الحصين** للغزالي رضي الله عنه كما نسب إليه الكمشخانوي في « مجموعة الأحزاب » لكن مؤلف « إغاثة اللهفان » قال بما نصه : وهو من إملاء الشيخ العارف الزاهد الناسك وحيد دَهْره وفريد عصره الشيخ سري الدين محمد بن تاج الدين عبد الرزّاق المراكشي ، نفعنا الله بعُلومه وبركاته في الدنيا والآخرة ، وقال : هذا الحصن لا يسع شرح خواصه أوراق ، ولكن من بعض خواصّه : تسهيل طرق الحقّ عزّ وجلّ على العبد ، ووصُوله إلى ما لا يَصل غيره في سنين عديدة ؛ في أربعين يوماً أو أقلّ من ذلك ، وترقي روحه في الملكوت الأعلى ، ومصافحة الأملاك ، والتصرّف التام في الملكوتَيْن ، والحفظ ، والأمن ، والعصمة ، والسلامة ، والبركة في

الرزق والعلم ، والتأهل للتلقيات الواردة في باب الفيض الأعظم ، والمدد الشريف الأكرم ، وقبولها للقلب بنور الخصوصية والتفهم ، والحجب على كلّ مكروه ، وتملّك الخلق أجمعين من جميع العالم حتى إن الذاكر به إذا دعى طائراً في الجوّ نزل عليه ، فكيف من يفهم ويعقل ؟ ! ولا يزال ذاكره محبوباً معصوماً مؤيّداً منصوراً مهاباً مطاعاً عند جميع خلق الله ، متصرّفاً فيهم بإذن الله تعالى ، لا يستطيع الواحد منهم أن ينطق في حقه إلا بخير ولا يمدّ يده إلا بخير .

مهم

ومن خواصه أيضاً إنها ما تلا عند مريض أو مسحور إلا عرف ونشط في الحال ، والأسرار عند الأخيار ، وذكره عند طلوع الشمس ، وجواز الصلاة مرّة واحدة ، ويذكر أيضاً بَعْد صلاة العشاء الآخيرة ، وهذا الحدّ اضطراريّ ، والاختيار ثلاث مرّات ، بأن يقرأ بعد صلاة الظهر ، **وهذا الذكر الشريف كاف عَنْ غيره من الأذكار المطولة والمختصرة** ، ولا يخفى ذلك على الطالب المتأهل . انتهى فراجعه ففيه الزيادة .

قال شيخ أحمد ضياء الدين في « مجموعة الأحزاب » بما لفظه : حزب الحصين للغزالي : بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله على يميني ، بسم الله على شمالي ، بسم الله على خلفي ، بسم الله على ما فيّ ، بسم الله على فوقي ، بسم الله اكتنفت وفي حرزه الحصين دخلت ، وبحصنه المنيع احتجبت ، وبأسمائه الحسنى تسربلت ، وبسرّ أنوار اسمه الجليل تردّيت ، وبقوّة إمداد أسرار اسمه القوي القاهر علوت وغلبت أعدائي ؛ من الجنّ والإنس وسائر المخلوقين ، واحتجبت وقهرت وانتصرت ، وبجلال بهاء سناء اسمه الأعظم الأكبر الحيّ القيّوم ذي الجلال والإكرام تدرّعت ، وببوارق أنوار أسرار كلامه العظيم احتجبت وتمسكت ، وبخفيّ لطفه الحسن الجميل تعلّقت ، وبركنه القويّ التجأت واستندت ، سبحانه وبحمده ، ليس

كمثله شيء وهو السميع البصير ، فتاح عليم باسط مُعزّ جواد كريم عليّ عظيم ، اللهمّ أسئلك بالكلمات التامّات ، والأسماء المعظمات ، والأحرف النورانيات ، والكتب المنزلات والآيات البينات بما واريت به سرادقات عرشك العظيم من الهيبة والجلال والقدرة والعَظمة ، وبما أودَعْته في الحروف والأسماء من الخواص والأسرار ، وبالحضرة الشريفة والشريعة المطهّرة ، والصّلاة الخمس ، واتصال الأسرار والرحمة للخواصّ من عبادك ، وأسئلك يا ربّ بما دعاك به أنبيائك ، وبما يسبّحك ويمجّدك حَملة عرشك وَالمقرّبون من ملائكتك أن تجعلني محصّنا محفوظاً من كلّ عدوّ من الجنّ والإنس ، وسائر العوالم ما علمت منها وما لم أعلم ، وأدخلني في سرّ أمداد أنوار خزائن حرزك العزيز المنيع ، محجوباً عن كلّ سوء مغموساً في بحر من نور هيبتك ، مؤيداً منك بروح القدس ، وكن اللهمّ لي وليّاً وناصراً وكفيلاً ووكيلاً وحسيباً وحفيظاً برحمتك وفضلك ومنّك وطولك ، واجعل جميع مخلوقاتك طوع يدي ، مَالِكاً أذمّة قلوبهم محجوباً عندهم ومعزّزاً مكرمّاً مهاباً لا يعصون أمري ، ولا أنال منهم مكروهاً أبداً معصوماً من أذاهم بشدّة المحبّة ، والألفة ، والمودّة ، واجعلني في ذلك قريباً من حضرتك الشريفة ، متمسّكاً بالشريعة المطهرة ، متلقياً للعلوم والحكمة التي تقذفها بفضلك في قلبي من فيض أنوارك ، واحفظني اللهمّ من العجب والكبر والرياء والنفاق والشرك الخفيّ ، وطهّرني من الدنس والزلات والعُيوب الباطنة والظاهرة ، واجعلني آمنا من عذاب القبر وفتنته ، وَاجْعل حياتي في طاعتك ، وفهمي في علمك اللدني ، واصحبني في عبادك الصالحين والأبدال والصوفية ، واجعلني منهم برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهمّ عافني من كلّ بلية ونجّني من كل هلكة ، ولا تَجْعلني من السافلين ، واسقني كأسا رويّاً من شراب محبّتك ولا تجعلني من القانطين ، يا هُو يا هُو يا هُو يا هيّاً شراهيّاً يا ذا الحجّة البالغة يا ذا العظمة والقدرة يا

حيّ يا قيّوم يا ذا الجلال والإكرام ، إلهي ما أعظم شأنك وأعزّ سلطانك ، بك اللهمّ نزلت وأنت خير المنزلين ، وبك اعتصمت وأنت خير الناصرين ، وبك اهتديت إلى صراطك المستقيم فاكفني اللهمّ شرّ كلّ مكروه ، واجعل دعائي مقروناً بإجابتك مع اللطف والرعاية والمنح الجسام والتلقيّات الكرام وترقيات الوصول إلى حضرتك ، وأهّلني لسماع الخطاب يا سريع يا بديع يا رفيع الدرجات يا سامع الأصوات على اختلاف اللغات أسئلك العصمة والأمن والسلامة واللطف والبركة والقناعة ، وأغننا بفضلك عمّن سواك يا أرحم الراحمين (٣) سلام قولاً من ربّ الرحيم (١٦) وصلوات الله البرّ الرحيم على سيّدنا محمّد السيّد الكامل الفاتح الخاتم وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريّاته عدد الأنفاس واللحظات والقطرات والنبات وجميع ما في الكائنات ، كلّما ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ، والحمد لله ربّ العالمين . انتهى ٢٦٧ ج١ .

حزب ابراهيم الدسوقي رضي الله عنه

ومنها : حزب إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه ذكر صاحب « الإبريز » رضي الله عنه ما نصه : وقد قدم علينا بعض أصحابنا من خيار تلمسان فأخبرني أنه سمع بعض من حج بيت الله الحرام يقول : إنه زار قبر سيدي إبراهيم الدسوقي نفعنا الله به ، فوقف عليه الشيخ سيدي إبراهيم الدسوقي نفعنا الله به ، وعلّمه دعاء ، وهو هذا : بسم الإله الخالق الأكبر ، وهو حرز مانع مما أخاف وأحذر ، لا قدرة لمخلوق مع قدرة الخالق ، يلجمه بلجام قدرته ، أحمى حمثياً أطمى طميسًا وكان الله قويّا عزيزاً ، حمعسق حمايتنا ، كهيعص كفايتنا ، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ، ولاحول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ، وصلى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم ، فقال له سيّدي إبراهيم : أُدْعُ بهذا الدعاء ، ولا تخف من شيء . انتهى عبارته ١٠ . وأمّا في « مجموعة الأحزاب » للشيخ أحمد ضياء الدين قدس

سره هكذا : كهيعص كفايتنا ، حمعسق حمايتنا ، بتقديم وتأخير بخلاف ما في « الإبريز » والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب ، وقوله (أحمى حميثا وأطمى طميثاً) ليس من لغة العرب ، بل هو من لغة عالم الملكوت والجبروت راجع « الإبريز » .

حزب اللطف

ومنها : **حزب اللطف** للشيخ أبي الحسن الشاذلي قدس سرّه ، وهو حزب نافع يدعى به في الشدائد والكروبات ، فإن له سرّ عجيبٌ لتفريج الكرب ، وإزالة كلّ ألم من أمراض الظاهر والباطن ، وهو هذا : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ربّ العالمين . . . إلى آخر الفاتحة ، اللهمّ صلّ أفضل الصلوات وأنمى البَركات في كلّ الأوقات على سيّدنا محمّد أكمل أهل الأرضين والسموات ، وسلّم عليه يا ربّنا بأزكى التحيات في جميع الحضرات ، اللهمّ يا من لطفه بخلقه شاملٌ ، وبرّه لعبده واصلٌ لا تخرجنا عن دائرة الألطاف ، وآمنّا من كلّ ما نخاف ، وكن لنا بلطفك الخفي والظاهر ، يا باطن يا ظاهر يا لطيف نسئلك وقاية اللطف في القضاء ، والتسليم مع السلامة عند نزوله ، والرضاء ، اللهمّ أنت العليم بما سبق منا في الأزل فحفّنا بلطفك فيما نزل ، يا لطيف لم يزل اجعلنا في حصن التحصّن بك ، يا أوّل ، يا من إليه الالتجاء وعليه المعوّل ، اللهمّ يا من ألقى خلقه في بحار قضائه ، وحكم عَليهم بحكم قهره وابتلائه اجعلنا ممّن حُمل في سفينة النجاة ، ووُقي من جميع الآفات ، إلهنا من رعته عينُك كان ملطوفاً به في التقدير ، محفوظاً برعايتك ، يا قدير يا سميع يا قريب يا مجيب الدعاء ارعنا بعين عنايتك ، يا خير من رعى ، إلهنا لطفك الخفي ألطف من أن يرى ، وأنت الذي لطفت بجميع الورى ، وحجبت سريان لطفك في الأكوان ، فلا يشهده الاّ أهل المعرفة والعيان ، فلمّا شهدوا سرّ لطفك في كلّ شيء آمنوا به من سوء كلّ شيء فاشهدنا سرّ هذا اللطف الواقي ما دَام لطفك الدائم الباقي ، إلهنا حكم مشيئتك في العبيد لا يُردّه همّة كلّ

عارف ومريد ، لكن فتحت لنا أبواب الألطاف الخفية المانعة حصونها من كلّ بليّة ، فأدخلنا بلطفك تلك الحصون ، يا من يقول للشيء (كُنْ) فيكون ، إلهنا أنت اللطيف بعبادك ، لاسيّما بأهل محبّتك ووِدادك ، فبأهل المحبّة والوداد خصّصنا بلطائف اللطف يا جواد ، إلهنا اللطف صفتك ، والألطاف خَلقك وتنفيذ حلمك في خلقك ، حقّك ، ورأفة لطفك بالمخلوقين تمنع استقصاء حقك في العالمين ، إلهنا لطفت بنا قبل كوننا ونحن للطف غير محتاجين أفتمنعنا منه مع الحاجة إليه وأنت أرحم الراحمين ، حاشا ، لطفك الكافي ، وجُودك الوافي ، إلهنا لطفك هو حفظك إذا رعيت ، وحفظك هو لطفك إذا وقيت ، فأدخلنا سرادقات لطفك ، واضرب عَلينا أساور حفظك يا لطيف نسئلك اللطف أبداً ، يا حَفيظ قنا السوء وشر العدى ، يا لطيف يا مَنْ لعبدك العاجز الخائف الضعيف ، اللهمّ كما لطفتَ بي قبل سؤالي وكوني كن لي لا عَليّ ، يا أمني وعوني ، ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ (ثلاثاً) آنسني بلطفك ، يا لطيف آنس الخائف في الحال المخيف ، تأنّستُ بلطفك ، يا لطيف تحصّنت بلطفك يا لطيف وقيتُ بلطفك من الردّى ، وتحجّبت بلطفك عن الأعداء ، بلطفك ربّي اللطيف الحفيظ ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾﴾ نجوت من كلّ خطب جسيم بقول ربّي ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ سلمت من كلّ شيطان وَحاسد بقول ربّي ﴿وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ﴾ وُقيت وُكفيت كلّ هم في كلّ سبيل بقولي : حسبي الله ونعم الوكيل ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ إلى آخره ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ﴾ إلى ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ إلى آخر السورة بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ إلى آخره اكتفيت بكهيعص ، واحتميت بحمعسق ﴿قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾ ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ أحونٌ قافُ أدُمَّ حم هاءٌ آمين . اللهمّ بحق هذه الأسرار قنا الشرّ والأشرار ، وكلّ ما أنت خالقه من الأكدار ﴿قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بحق كلاءة رحمانيتك كلأنا ، ولا تكلنا إلى غير

إحاطتك ، ربّ هذا ذلّ سؤالي في بابك ، ولا حول ولا قوة إلاّ بك ، اللهمّ صلّ على من أرسلته رحمة للعالمين ، سيّدنا ومولانا محمّد خاتم النبيين ﷺ ، ومجّد وشرّف وكرّم وعظّم سيدي ، لا تخلني من الرحمة والآمان ، يا حنان يا منان ، وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين . « انتهى مجموعة الأحزاب » ٤٤ ج١ .

حزب الطمس

ومنها : حزب الطمس يقرأ لكلّ أعداء ، ودفع كل مضرّة ، رواه ابن الصباغ لأبي الحسن الشاذلي قدس سره وهُو : بسم الله الرحمن الرحيم اللهمّ إني أسألك بأسمائك العظام ، وملائكتك الكرام ، وأنبيائك عليهم الصلاة والسلام ، ونتوسّل إليك بكلّ نبيّ أرسلته ، وكتاب أنزلته ، وعمل تقبّلته ، وحجج أوضحته ، وعسر يسّرته ، ورتق فتقته ، وظلام نوّرته ، وخائف أمّنته ، ومتكلّم أصممته ، أن تصرف كيد من كادني بسوء ، ومن أرادني بضرّ وقصدني برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهمّ اطمس على قلوبهم وعلى أيديهم ، وزلزل أقدامهم ، واجعل الدائرة عليهم ، وكن لي عوناً عليهم ، واصرف عني أبصارهم بحق قولك : ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴾ ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ اللهمّ أنت منتهى الأمل ، وعليك في كل الأمور المتكل ، ربّنا عليك توكلنا ، وإليك أنبنا ، وإليك المصير ، وما لنا ألاّ نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ، ولنصبرن على ما آذيتمونا ، اللهمّ إنا توكّلنا عليك ، وأسلمنا أمورنا إليك ، فلا تخب آمالنا فيك ، ولا اتكالنا عليك ، وخذ بنواصينا إليك ، يا غاية النهاية ، يا صاحب العناية ، يا رب الكفاية ، يا دافع البليّات ، يا كاشف الكربات ، يا غافر الزلات ، يا مقيل العثرات أقل عثرتي ، وارحم ذلّتي ، واكشف كربتي ، واغفر زلّتي ، وادفع عني بليتي ، يا من يقبل التوبة عن عباده ، ويعفوا عن السيئات بكهيعص كفيت ، وحمعسق حميت ، وبنونٍ والقلم والنور

والظلم والوجود والعدم واللوح والقلم وآجالي الأمم ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ۝٢٠ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ۝٢٢﴾ ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾ ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢﴾ ﴿طسٓ﴾ حم ، الم ، المص ، المر ، جلبهنا يا رحمان هزجُلَق يا ودود ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ سبحان ربك ربّ العزة عمّا يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله أجمعين . انتهى « مجموعة الأحزاب » ج١ .

حزب الحجب

ومنها : **حزب الحجب** للإمام القطب أبي الحسن الشاذلي ، وهو حفظ لكلّ جبّار وسلطان وشيطان وبلاء وغم وكرب وفساد ، وهو : بسم الله الرّحمن الرّحيم بتلألؤ نور بهاء حجب عرشك من أعدائي احتجبت ، وبسطوة الجبروت ممن يكيدوني استترتُ ، وبطَوْل حول شديد قوّتك من كل سلطان تحصنت ، وبدَيْمُوم قيّوم دوام أبديّتك من كلّ شيطان استعذت ، وبمكنون السرّ من سرّك من كلّ همّ وغم تخلّصت ، يا حامل العرش عن حملة العرش ، يا شديد البطش ، يا حابس الوحش احبس عنّي من ظلمني ، واغْلِبْ من غلبني ، كتب الله لأغلبنّ أنا ورُسُلي إنّ الله قويّ عزيز ، اللهمّ إني أسألك بسرّ الذات بذات السرّ هو أنت هو لا إله إلا أنت ، احتجبتُ بنور الله وبنور عرش الله وبكلّ اسم لله مِنْ عَدُوّي وعدوّ الله ، ومن شر كلّ خلق الله بمائة ألف ألف لا حول ولا قوة إلاّ بالله ، ختمتُ على نفسي وديني وأهلي ومالي وولدي وجميع ما أعطاني ربّي بخاتم الله القدّوس المنيع الذي ختم به أقطار السّموات والأرض ، حسبنا الله ونعم الوكيل (ثلاثاً) وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم . انتهى . منه عبارته ٦٣ .

حزب الإشراق

ومنها : حزب الإشراق ، وهو ممّا جرّب في الحجب عن الأعداء ، ويمنع من شر كلّ سلطان وشيطان وسبع وهامة ، يقراء سبع مرّات عند طلوع الشمس ، وهو : بسم الله الرحمن الرحيم أشرق نور الله ، وظهر كلام الله ، وثبت أمر الله ، ونفذ حكم الله ، استعنتُ بالله ، وتوكلتُ على الله ، ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله ، تحصّنت بخفيّ لطف الله ، وبلطيف صنع الله ، وبجميل ستر الله ، وبعظيم ذكر الله ، وبقوّة سلطان الله دخلت في كنف الله ، واستجرت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، برئت من حولي وقوّتي ، واستعنتُ بحول الله وقوّته ، اللهمّ استرني في نفسي وديني وأهلي ومالي وولدي بسترك الذي سترت به ذاتك ، فلا عينٌ تراك ، ولا يد تصل إليك يا ربّ العالمين احجبني عن القوم الظالمين بقدرتك يا قويّ يا متين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً إلى يوم الدين ، والحمد لله ربّ العالمين . انتهى « حياة الحيوان الكبرى » ٣٤٣ ج٢ ، كذا في كتاب « طب الرحمة » للشيخ العلامة جلال الدين السيوطي .

حزب المصون

ومنها : حزب المصون للإمام الغزالي رضي الله عنه ، وهو سرّ الأسرار ، وذخيرة الأبرار ، وبالتمسّك به يبلغ المؤمّل ما أمل ، ويعطى السائل ما سأل ، فعليك أيها المحبّ بكتمه وحفظه وتعظيمه ، فإنه من التحف التي قلّ أن يظفر بها في هذا الزمان ، وعزّ أن توجد في خزانة أمير أو سلطان ، وهو نافع قرائة وحملاً ، وكلّ صعب يصير ببركته سهلاً إلى غير ذلك ، ولم أزل شديد الحرص على معرفة مرتب هذه الآيات من هو ، فأخذتُ بالبحث من ذلك بسؤال كلّ من لقيته من أهل العلم فلم أعثر على ذلك حتى رأيت بخط الفاضل مَنْلا علي القاري الحنفي رحمه الله تعالى الكلام

على ذلك بعينه ، وإنه من جمع حجّة الإسلام أبي حامد محمّد الغزاليّ رضي الله عنه ، فاستمسك منه غاية الاستمساك ، وجعلته عدّة لي في جميع المهمّات ، فرأيت من بركاته وسرعة إجابته في شر الأعداء والنجاة من كيدهم وخذلان كلّ من قصدني بسوء ما يضيق الوقت من الاشتغال بكتابته ، وربما يسمع به أحدٌ ضعيف الاعتقاد فأنكره ، فإني قد كنت أقرأه على من يؤذيني فيقع له من الأمراض ما يوجب بكائي عليه حتّى أصير أدعو له خلف كلّ صلاة بخلاصه ممّا وقع فيه . انتهى من شرح محمّد بن عقيل قدس سرّه من هامش « مجموعة الأحزاب » في ٣١٩ ج١ .

وذلك الحزب أوّله الفاتحة ثم ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدًا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ . . إلخ . فإني أعرضت عن الكتبة في هذا المختصر لطوله ، فإن أردت ذلك فاطلبه من الجلد الأوّل من « مجموعة الأحزاب » في ٢٧٠ .

ومنها ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ آية الكرسي وثلاث آيات من الأعراف ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ إلى قوله ﴿مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ ، ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾ إلى قوله : ﴿لَّازِبٍ﴾ومن سورة الرحمن من ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ إلى قوله ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ **عصم من يومه من كلّ شيطان من الإنس ومن كلّ سلطان ظلوم** ، ومن كلّ لصّ ، ومن كلّ سبع ضارّ ، ومن قرأهن من ليله فله مثل ذلك ، وقال عليه الصلاة والسلام : « من قرأ آيتين من آخر سورة البقرة في ليلته كفتاه » وفي رواية « أجزأتاه عنه قيامه في تلك الليلة » ، وقال الغزالي : أعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً لم يعطهنّ أحداً ممّن كان قبله ؛ فرض عليه الصلاة ، وغفر لأمته المقحمات ما لم يشرك بالله شيئاً ، وأعطي خواتيم سورة البقرة ،

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله سبحانه وتعالى ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه الذي تحت العرش ، فتعلّموهما وعلّموهما نسائكم ، فإنها صلاة ودعاء وقرائة » . انتهى « الدرر النظيم » عبارته ٥٤ .

ومنها ما فيه وهو أن الخائف يدعو ويكثر من دعائه بحرف الحاء والميم ، فإنّ الحاء باردة رطبة والميم حارة يابسة ، ويخصّها من الأسماء الحسنى (الحيّ الحنان المنّان الحليم الحكيم المؤمن) ويكون تكراره ذلك (٤٨) مرة ، ثم يذكر بعد ذلك اسم الله الأعظم الذاتي ، وهو قوله : (يا الله يا الله يا الله) بألف القطع وهاء الرفع المدي (٦٦) مرّة ويسأل الله تعالى أمان خوفه وأمنه مما يخاف ويحذر ، ثم يعود إلى قوله (يا حنّان يا منان يا حليم يا مؤمن) (٤٨) أيضاً ، وهذا العود مخصوص بحرف الحاء وحرف الميم ، كما أنّ تكرار الجلالة (١٦) مرّة بعددها المخصوص بالألف واللاّمين والهاء . . إلخ عبارته ٦٥ .

ومنها ما روي عن أنس رضي الله عنه أنه قال : كنّا مع رسول الله ﷺ في غزاة فلقي العدو فسمعته يقول : « يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين » فلقد رأيت الرجال تصرع تضربها الملائكة من بين أيديها ومن خلفها قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ إلى ﴿ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴾ من كتب هذه الآيات ليلة الجمعة بعد صلاة العشاء الأخيرة وعلّقه عليه ، ويصبح ، فيدخل على السلطان أو على العدوّ أو على أحد الظلمة والمعاندين كفى شرهم « الدّرر النظيم » عبارته ١٧٠ .

ومنها ما فيه أيضاً من أنه ﷺ « كان إذا خاف قوماً يقول : اللهمّ إنّا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم » . وقال عليه

الصلاة والسلام : « إذا جئت سلطاناً أو غيره فقل : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله ربّ السموات السبع وربّ العرش العظيم لا إله إلا الله عزّ وجلّ ثناؤك » .

وكان إذا حزن أمر بهذا الدعاء وكان يقول : « هو دعاء الفرج ؛ اللهم احرسني بعينك التي لا تنام ، واكنفني بكنفك الذي لا يرام ، اغفر لي ، وارحمني بقدرتك عليّ أنت ثقتي ورجائي ، فكم نعمة أنعمت بها عليّ قلّ لك بها شكري ، وكم من بليّة ابتليتني بها قلّ لك بها صبري ، فيا من قلّ عند نعمته شكري فلم يحرمني ، ويا من قلّ عند بليّته صبري فلم يخذلْني ، ويا من رآني على الخطايا فلم يفضحني ، ويا ذا المعروف الذي لا ينقضي أبداً ، ويا ذا النعماء التي لا تحصى أبداً ، أسألك أن تصلّي على محمّد وعلى آل محمّد كما صلّيت وباركت وترحمت على إبراهيم إنك حميدٌ مجيد ، اللهمّ أعني على ديني بالدنيا وعلى آخرتي بالتقوى واحفظني فيما غبت عنه ، ولا تكلني إلى نفسي فيما حضرته ، يا من لا تضرّه الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي ما لا ينقصك واغفرلي ما لا يضرك ، إلهي أسألك فرجاً قريباً وصبراً جميلاً ، وأسئلك العافية من كلّ بلية ، وأسئلك دوام العافية ، وأسئلك الشكر على العافية ، وأسألك الغنى عن الناس ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم » قال : كتبه جماعة وجعلوه في جيوبهم فحصل لهم ذلك بفضل الله ، ومن دعا بهذا الدعاء حجبه الله عن قوم شر ، ومن دعا به حجب عن الظلمة وهو : اللهم أسبل علينا كنف سترك ، وأدخلنا في مكنون غيبك ، واحجبنا عن شرار خلقك ، وحُلْ بيننا وبين الرّزايا والبلايا يا أرحم الراحمين . انتهى عبارته ١٧٣ .

وفيه أيضاً : أن آية ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ ﴾ إلى قوله ﴿ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ تنفع لمن كثر همّه وغمّه وضاق صدره وعلم لذلك سبباً أو لم يعلم ، يقرؤها من به ذلك عند أخذ مضجعه (٧) أيام وينام فإذا استيقظ وجد ذلك زال عنه . انتهى راجعه في ١٧٧ .

وفيه : إن هذه الآية لتسكين الريح والإخفاء عن الظلمة ، وهي قوله تعالى ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ . انتهى عبارته ١٨٢ .

وفيه[1] : أن اسمه (الحفيظ) اسم سريع الإجابة للخائفين في الأسفار ، ولا يزال الذاكر يذكره في مواطن الخوف ، فلا يراه الله ما يكرهه ، ومن نقشه في خاتم فضة وحمله معه لو نام في سبعات الأرض ما ناله مكروه ، ويزيد بعد (يا حفيظ احفظني) ومن خاف أن يقع في أمر لا يطيقه فليكثر من ذكره ، ولا يستغني عن حمله ممن يخاف شيئاً . انتهى ٢٠٦ .

وفيه : أن أسمائه تعالى (الحليم الرؤوف المنان الكريم ذوا الطول الوهّاب الغفور الغافر العفوّ المجيد) هذا النمط من الأسماء مدار بقاء الموجودات ورفع الأضداد ، وجمع المتفرّقات ، فاسم (الرؤف والحليم والمنان) ذكر للخائفين ، ما داومه من يخاف شيئاً إلا أوجده الله بردّ الطّمأنينة وسكن رَوْعه ، وذكر لي من له إطلاع أن من استدام على هذا الذكر إلى أن يغلب عليه حال على خلوّ معدة ثم أمسك النار لم يحرق ، ولو نقش على قِدر يغلى بطل غليانه بإذن الله تعالى ، ولا يكتبها أحد ويقابل بها من يخاف منه إلاّ أطفأ الله شره . انتهى عبارته ١٢٤ . واسمه (اللطيف) ، ما أسرعه لتفريج الكروب في أوقات الشدائد لا يضاف إليه غيره ، يظهر من آثاره العجب العجيب ولا يذكره من يؤلمه شيء في نفسه وفي بدنه إلا أزاله الله عنه في أثناء الذكر . انتهى عبارته .

(واللطيف) يؤثر في دفع الشدائد والآلام وإزالة الأوهام . **أقول** : تأثير الأسماء فيما قاله إنما يكون بالذكر أو بالحمل أو العمل بها بشرائط ذلك ، وعلى حسب أعدادها ، وفي وفقها وحروفها . « الدرر النظيم » عبارته ٢١٦ . وفيه : إن قوله تعالى : ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ﴾ الآية

---

(١) **أي** : « الدرر النظيم » .

خاصيتها لمن يخاف من أسد ومن إنسان ظالم أو عدوّ أو سلطان فليكثر من قرائتها عند دخوله إلى فراشه ونومه ويقظته وعند الصباح والمساء ، فإنّ الله يحرسه ويكفيه جميع ذلك ، وهي وقاية للسفر من أهوال البحر ، فمن أكثر من قرائتها في السفر والسفينة لم يخف شراً ، وحرس من آفات البحر كلّها ، ومن قرأها وهو داخل على سلطان أمن شره ، وكفى وأمن على نفسه وماله ، ومن كتبها وجعلها في حرز وعلّقه على عنق صبيّ يأمن من الأفات . انتهى عبارته ٣٣٨ .

وقوله تعالى : ﴿طسٓمٓ﴾ إلى قوله ﴿خَـٰضِعِينَ﴾ ، وفي نسخة : إلى ﴿مُعْرِضِينَ﴾ هذه الآيات لخذلان العدوّ وقهره وذله ، إذا قرأتها على كف تراب من أرض لم تراها الشمس ورش التراب على وجه العدوّ خذله الله وقهره وأذلّه ، منه عبارته ٢٧٢ . وفيه : إن قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ ﴾ الآيات إلى قوله : ﴿ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ ما قرأها خائف إلاّ أمن ؛ سواء كان خائفاً من سلطان أو ظالم أو جائر وقي شره . انتهى عبارته ٢٧٨ .

قال حجة الإسلام : من قرأ سورة الحشر أمن في الدين والدنيا ، وذكر بعضهم : أن آخر سورة الحشر دواء من كلّ داء إلا الموت . راجعه في ٣٣٤ .

فائدة

من قرأ سورة ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ على اسم غائب رجع سالماً في أقرب وقت . وإذا قرأت على شيء نسي استعرف عليه .

وسورة « الانشراح » من قرأها على الصدر نفعت من ضيقه . انتهى ما التقطناه من « الدرر النظيم » ، وفيه فوائد أخرى إن أردت الزيادة ، راجعه .

منها

الآيات الخمس فيها خمسون قافاً

ومنها : **الآيات الخمس** التي فيها خمسون قافاً ، قال بعض الخواصّ في خاصيّة هذه الأيات العظيمة لملاقات الأعداء : من حملها معه نصره الله على أعدائه ولا يناله من شرهم ومكرهم وسلاحهم شيء ، ولا يخاصمه أحدٌ إلا قهره الله تعالى ، ويكون له هيبة في قلوب الناس ، وإن دخل على السلطان أو على نوابه أمن من شرّهم ومكرهم ، وهي حجاب من الإنس والجنّ والشياطين وتوابعهم المتمردين ، فاعرف قدرها ، وأحمد على ما أولاك الله تعالى قرائتها وحملها ، وصلّ على سيّدنا محمّد وآله وسلّم .

وروي عن الفقيه الكبير والوليّ المكين أحمد بن موسى ابن عجيل عليه رحمة الله الجليل خمس آيات فيها خمسون قافاً في كتاب الله تعالى ما قرأت في وجه عدوّ إلا غلب وقهر ، ولا في وجه من يخاف من شره إلا كفى الله عنه شره وحفظه من جميع الخطايا والآفات . وقال بعضهم : إذا كتبت وعلقت في رمح أو سلاح وجعلت في مقابلة الأعداء حال الحرب انهزموا وخذلوا جميعاً ، وقد جرّب ذلك مراراً .

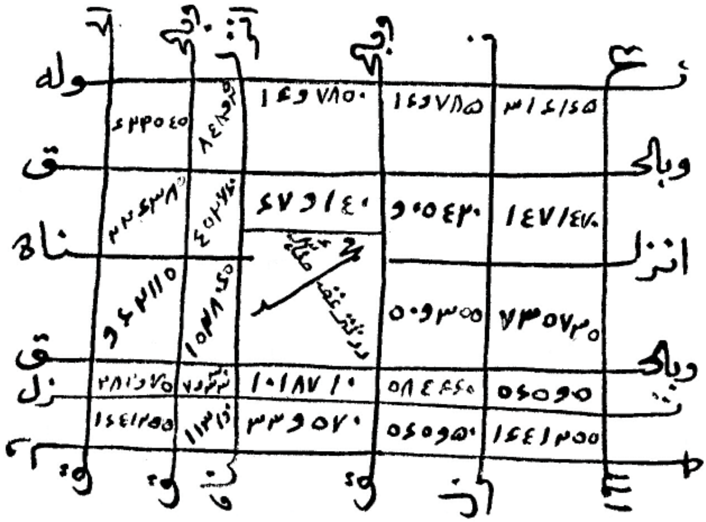
وقال الشيخ مجد الدين الكرماني قدس سره : كان في الدنيا أربعة آلاف متصرِّف من رجال الغيب والبدلاء والأوتاد والقطب كلهم يتصرفون بهذه الآياتِ الخمس ، ومن داوم على قرائتها وحمل وفقها كان من أهل التصرّف ظاهراً وباطناً وعلويّاً وَسُفْليّاً ويلاقي القطب ورجال الغيب . وفي تفسير صاحب « العرائس » : من قرأ هذه الآيات الخمس وحمل وفقها آمنه الله تعالى من السموم والسحر والبلايا والمؤذيات ، ووكّل عليه الجنّ وكان من أهل التصرّف ببركة هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ . انتهى . وقال الشيخ الشاذلي قدس سره : رأيت قطب الأقطاب أوصاني بقرائة هذه الآيات

الخمس مع بسط أوقافها وسألته عن أسرارها قال : من داوم على قرائتها آمنه الله تعالى من الأعداء والحساد ومكر الماكرين ، ولم يظفر به عَدُوّ ولو عَاداه أهلُ السمَوات والأرض ، وتفتح عليه النصرة والظفر وينال إلى درجة القطب ، وقال الشيخ الجميل اليمني قدس سره : رأيت قطب الأقطاب وتكلّمت معه وعلّمني هذه الآيات الخمس وقال : وجدت كلّ شيء ببركة هذه الآيات وقال : لا تخبر أسرارها إلاّ أهلها ، وروي عن الشيخ أبي يزيد البسطاميّ قدس سرّه أيضاً ، وعلّم الشيخ محي الدين العربي أسرار هذه الآيات الخمس ، ثم علم الشيخ حسام الدين فكان من بعد سنة من أهل التصرف ، وقال الشيخ جلال الدين : تعلّمت هذه الآيات وأسرارها وأوقافها عن الشيخ صدر الدين القنوي ، ثم علمني الشيخ محي الدّين العربي ترتيب وفق الشمس وشكل الزهرة ، وقال الشيخ محمود غازي : أوصاني الشيخ موسى السّدراني بهذه الآيات الخمس مع كسر العدد وبسط وفقها وحملها في الحضر والسفر والغزوات ، فعلمتها كما أوصاني ، فبارك الله عليّ وعلى عساكري ، ففتح بيدي بلاد الهند كثير ، وإلى أيّ مكان توجّهت وقصدت كنت منصوراً ومظفراً ، وعن ابن مسعود ﵁ قال : قرأ رسول الله ﷺ هذه الآيات الخمس في الحضر والسفر والغزوات ، وغلب على الكفار والمنافقين ، ونصره الله وفتح عليه . وعن عائشة الصّديقية رضي الله عنها : قال عليه الصلاة والسلام : « من كتب هذه الآيات الخمس فيها خمسون قافاً يوم الجمعة فشربها أدخل في جوفه ألف شفاء ودواء ، وألف صحة ، وألف رحمة ، وألف رأفة ، وألف يقين ، وألف قوة ، ومائة ألف نور ، ونزع عنه كلّ داء وغلّ والخوف والغم » .

وعن سلمان الفارسي ﵁ قال : يا رسول الله منذ عمري عملت العصيان - وكان آخر عمري - علّمني شيئاً أقرؤه حتى يطول عمري ، ويغفر ذنبي ، ويحصُل مرادي ، فعلَّمَه عليه الصلاة والسلام هذه الآيات الخمس ، وحمل كسر بسطها طال عمره وغفر ذنبه وحصل مراده . كذا في تفسير « العرائس » ، وتفسير « الكواشي » ، وبعض كتب خواصّ القرآن .

وتركت من أقوال المشائخ وحكاياتهم الغرائب في خواصّ هذه الآيات الخمس حذراً من التطويل . وفي « خواص القرآن » : **فائدة** : إنّ في القرآن العظيم خمس آيات في خمس سور ؛ أربع متواليات ، أولها سورة البقرة ، وآخرها سورة المائدة ، وإنه في سورة الرعد في كلّ آية عشر قافات ، وخاصيتها للحرب والقتال والنصر على الأعداء والحساد ، ومَنْ كتبها في ورقة وعلقها على رأسه ودخل على أرباب الجاه والأمراء العظام غظّموه وقاموا له وهابوا من هيبته وشوكته ، وهي للقبول ، وإذا كتبت أو جعلت في راية لم ينهزم جيش أبداً ، وقد انتصر على الأعداء ، ويتحفظ بها حفظ العين ، فإنها كنز لا يرام ، وهي هذه الآيات العظيمة الشريفة المباركة بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قدير على ما يريد ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ قوي لا يحتاج إلى معين ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ قهار لمن طغى وعصى ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ قدّوس يهدي من يشاء ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ .

قيوم[1] من يشاء القدرة ، وعدد مجموع هذه الآيات ستة وخمسون ألفاً وخمسمائة وخمسة وتسعون على حساب الجُمل وفق صحيح بلا طرح ولا كسر



واعلم أن هذه الآيات إذا قرأت كلّ واحدة منها مرة تكرر الأسماء المذكورة عقب كلّ واحد منها ثلاث مرات مثلاً : قيوم يرزق من يشاء القدرة (ثلاثاً) . كذا أجاز لي شيخ سليمان أدرنوي عن الشيخ أحمد السنادي وعن الشيخ محمود الطنوسي ، قدس الله أسرارهما ، من قرأ هذه الآيات الخمس لقهر الأعداء والحساد صباحاً ومساء ثلاث مرات أو زيادة ، ولو مرة واحدة فهي إكسير في سبب التأثير . انتهى « خزينة الأسرار » مع الاختصار ، إن أردت الزيادة راجعه في ٦٨ .

ومنها ما في « مجربات السنوسي » من أن من أصابه هم أوضيق في معيشة فليكتب هذه الكلمات في قرطاس ويلقيها في ماء جار ، فإن

(١) وفي « مجموعة الأحزاب » هكذا : قيوم يرزق من يشاء بقدرته .

الله يفرج عنه همّه ويوسع رزقه ، وهي : بسم الله الرّحمن الرّحيم من العبد الذليل الفقير إلى المولى الجليل الكبير ، ربّي إني مسّني الضرّ وأنت أرحم الرّاحمين ، اللهمّ بحرمة محمد ﷺ اكشف ضرّي ، وأغن فقري ، واجبر كسري ، وأزل همّي وغمّي ، إنك على كلّ شيء قدير .

ومنها ما رواه عنه ﷺ أنه قال : « ما من عبد يقول هذه الكلمات إلا فرّج الله عنه غمَّه ، وأقرّ عينه ، وأطال فرحه ، وهي هذه : اللهمّ إني أسئلك خوف العالمين بك ، وعلم الخائفين منك ، ويقين المتوكّلين عليك » . انتهى . كلّ ذلك مجرَّب سهولة ، كيف ؛ وقد قال الصادق المصدق الذي لا ينطق عن الهوى .

فائدة

في القرآن العظيم آيتان جامعتان حروف العجم بأسرها ؛ الأولى في سورة « آل عمران » وهو ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ ﴾ إلى قوله ﴿ ٱلصُّدُورِ ﴾ ، والثانية ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ إلى آخر « الفتح » ، فمن كتبهنّ وحملهنّ كان ملطوفاً في سائر أحواله ، ونصره الله على أعدائه ، وفرج كلّ هم وغم ، وهما ينفعان من الأمراض الظاهرة والباطنة دهناً وشرباً وحملاً ؛ يكتبان في إناء طاهر نظيف ، ويمحى بماء الورد أو الزيت الطيب ويدهن منه كلّ ألم ومرض ؛ مثل الدماميل والثآليل والجراحات وغيرها ، فيزال جميع ذلك سريعاً بإذن الله تعالى . راجعه من هامش « فتح الملك المجيد » في ٧٣ .

فائدة

عن اليافعي عن أبي إسحق عن إبراهيم بن شيبان قال : سمعت أبا عبد الله يقول : رأيت رسول الله ﷺ في المنام ، فقلت : يا رسول الله لي حاجة عند الله تعالى ، فبأيّ شيء أتوسل إليه فقال النبي ﷺ : « من كان له حاجة عند الله فليسجد ، وليقل في سجوده (أربعين مرّة) لا إله إلاّ أنت

سبحانك إني كنت من الظالمين ، مشيراً بذلك بسبابتك نحو السماء ثم تذكر ما تريد ، قضاه إن شاء الله تعالى » . وقال ﷺ : « من دعا بدعوة يونس بن متى استجاب الله دعائه » . (منه) عبارة ٧٢ .

ومنها ما هو المجرّب عندنا ؛ وهو : بسم الله الرّحمن الرّحيم أعوذ بكلمات الله التامّات من شرّ ما خلق (ثلاثاً) ، بسم الله طريقي ، الرحمن رفيقي ، الرحيم يحرسني من كلّ شيء يلمسني ، (ثلاثاً) ، بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السّماء وهو السّميع العليم (خمساً) ، ﴿ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَ ﴾ (ثلاثاً) ، قيل : إن من قالها في الصّباح يحفظ إلى المساء من الآفات السماوية والأرضية ، ومن قالها في المساء يحفظ إلى الصباح ، وإن قرأها المسافر وقت الذهاب والنزول يحفظ ، هذ مما كتبه شيخ الإرشاد قطب أوانه سيف الله قدس سره ، فاحفظه فإنه نفيس .

ومنها الآيات السبع المرويّة عن كعب الأحبار رضي الله عنه أنه قال : إذا قرأتُ هذه الآيات لا أبالي في هذا اليوم لو نزل من السماء إلى الأرض لأكون ناجياً(١) ببركة قرائتها .

الآية الأولى : بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ ،

الثانية : بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ،

الآية الثالثة : بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ ،

(١) وفي « فتح المجيد » : أن من قرأها ، أو حملها لم يقدر أحد على مضرته بإذن الله تعالى . (منه) عبارته ٦٢ .

الآية الرابعة : بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ ،

الآية الخامسة : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ ،

الآية السادسة : بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ .

الاية السابعة : بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾ . انتهى « مجموعة الأجزاب » عبارته ٤٣٥ ج ١ .

ومنها آيات الحفظ المشهورة ، ونصّ ما في « فتح الملك المجيد » .

فائدة

منقولة عن بعض الصّالحين أنه قال : خرجت يوماً إلى البريّة ، فوجدت شاة وعندها ذئب يلاعبها ولا يضرّها ، فلما تقربت منها هرب الذّئب ، فأمسكت الشاة ، فوجدت في عنقها كتاباً مربوطاً ، فأخذته وفتحته ، فوجدت مكتوباً فيه هذه الآيات .﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ ﴿ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ﴾ ﴿ وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ ﴾ ﴿ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ ﴿ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ﴾ ﴿ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾ ﴾ ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ ﴾ ﴿ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً ﴾ ﴿ فَمَآ

﴿ أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ وما أنت عليهم بحفيظ ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ له معقات ﴿ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ ﴿ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴾ ﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ ﴿ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ ﴿ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾ ﴿ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴾ .

فمن كتب هذه الآيات وعلّقها على رأسه أو عنقه لم يضره شيء ، وحفظ من كلّ مكروه ، ووقي من كلّ همّ وضير بإذن الله تعالى . انتهى عبارته ، راجعه في ٢٦ .

وفي « تقريب الأصول » ما لفظه : وروى الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما كربني أمرٌ إلا تمثّل لي جبريل فقال : يا محمد قل : توكّلت على الحيّ الذي لا يموت ، الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له وليّ من الذّل وكبّره تكبيراً » . انتهى راجعه في ٢٨ .

فضيلة لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم

وفي الفشني على « الأربعين النوويّة » : ومن الأدعية المستجابة أنه إذا حلّ للشخص أمر ضيق يطبق أصابع يده اليمنى ، ثم يفتحها بكلمة (لا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم ، اللهم لك الحمد ، ومنك الفرج ، وإليك المشتكى ، وبك المستعان ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم) ، وهي فائدة عظيمة ، وبالجملة فـ(لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ عظيم) لها تأثير عظيم في طرد الشياطين والجنّ ، وفي جلب الرّزق ، والفناء ، والشفاء ، وتحصيل القوة ودفع العجز « إعانة » عبارته ٣١٢ ج٢ .

وفي « درر الأذكار » ما نصّه : ط ابن عباس جائني جبريل بدعوات ، فقال : إذا نزل بك أمر من أمر دنياك فقدّمهن ، ثم سل حاجتك : يا بديع السّموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا

صريخ المستصرخين ، ويا غياث المستغيث ، يا كاشف السوء يا أرحم الراحمين ، يا مجيب دعوة المضطرّين ، يا إله العالمين ، بك أنزل حاجتي ، وأنت أعلم بها فاقضها . انتهى .

فائدة

ما يقرأ عند حلول الشدائد والكروب . .إلخ .

يقرأ عند حلول الشدائد والكروب سبع مرات وهي هذه : يا سطيع النور الذي وضع المذلّة على رقاب الجبابرة والفراعنة ، فهم من سطوته خائفون ، وصلى الله على سيّدنا محمّد النبيّ الأميّ وعلى آله وصحبه وسلّم . انتهى من خاتمة « مجموع الخطب » لابن ميتة . راجعه في ١٠٦ .

وهو من المجرّب عندنا ، بيد أنّ التأثير وفق الاعتقاد بعد القرائة بالحضور ، جعلنا الله تعالى من أهل اليقظة والحضور ، وحفظنا الله تعالى من نكبات الزّمان ، وكدرات الأوان ، آمين .

دعاء المعراج

ومنها دعاء المعراج المشهور ، وفيه أثر ، عن جعفر الصّادق بن محمد عن أبيه محمّد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ، وهو دعاء عظيم نافع لتفريج الهمّ والغم ، وكشف الشدائد والحظوب وغير ذلك ، وله شرح طويل وهو هذا : بسم الله الرّحمن الرّحيم ، اللهمّ إني أسئلك ، يا من أقر له بالعبودية كل معبود ، يا من يحمده كل محمود ، يا من يفرع كلّ مجهود ، يا من يطلب عنده كلّ مطلوب ، يا من سائله من فضله غير مردود ، يا من بابه لسؤاله غير مسدود ، يا من هو غير موصوف ولا محدود ، يا من عطائه غير ممنون ولا منكود ، يا من هو لمن دعاه غير بعيد ، وهو نعم المقصود ، يا من رجاء عباده بحبله مشدود ، يا من ليس له شبيه ولا مثله موجود ، يا من ليس بوالد ولا مولود ، يا من ليس يوصف

بقيام ولا قعود ولا بحركة ولا بجمود ، يا الله يا رحمن يا ودود ، يا راحم الشيخ الكبير يعقوب ، يا غافر ذنب داود ، يا كاشف ضرّ أيّوب ، يا منجي إبراهيم من نار نمروذ ، يا من ليس له شريك ولا معه أحد مقصود ، يا من لا يخلف الوعد ، ويعفو عن الموعود ، يا من برّه ورزقه للعاصين ممدود ، يا من هو برّ حليم ونعم المقصود ، يا من هو ملجأ كلّ ملهوف ومطرود ، يا من أذعن له جميع خلقه بالسجود ، يا من ليس عن باب جوده أحد مطرود ، يا من ليس عن بابه أحد مفقود ، يا من لا يحيف في حكمه ، ويحكم على الظالم الجحود ارحم عبداً ظالماً مخطأً لم يوف بالعهود ، إنك فعّال لما تريد ، وأنت المقصود ، يا الله يا الله يا الله يا ربّ (٣) يا رحمن (٣) يا رحيم (٣) يا ودود ارحمني برحمتك يا أرحم الرّاحمين ، يا ربّ يا معبود ، اللهمّ أسئلك بحرمة هذا الدّعاء وعظمته عندك أن تصلّي وتسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آل محمد ، وأن تغفر لي ، ولوالديّ ، وللمسلمين أجمعين ، ثم يسأل حاجته تقضى بإذن الله تعالى .

وفي « مسند » الإمام أحمد و« صحيح » ابن حبّان عن ابن مسعود رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « ما أصاب عبداً همّ أو غمّ أو حزن فقال : اللهم إني عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماض فيّ حكمك ، عدل فيّ قضاؤك ، أسئلك بكلّ اسم هو لك سميت به أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعَل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور بصَري ، وجَلاء حزني ، وذهاب غمّي . إلاّ ذهَب الله حزنه وهمّه وَأبْدله مكانه فرحًا » .

ومنها ما يروى عن عبد الله بن أبي زيد القيرواني رحمهُ الله قال : رأيت جملة من الأدْعية ، فما رأيت وَلاَ جرّبت أسرع فى الإجابة من هذا الدعاء ، وكان الشيخ الفقيه أبو إسحق التونسي يدعو به على كلّ سلطان جائر ، وعلى كلّ لصّ خائِن ، وفي المصائب والشدَائد والنوائب ، فمن وقف عَليْه فليحفظه أو يصنه ، لأنّه دعاء الخواصّ ، ولا يدعُو به إلاّ على

مستحقه ، فإنه مجرّب وهو هذا الدعاء المبارك : بسم الله الرّحمن الرّحيم ، اللهمّ يا موضع كلّ شكوى ، ويَا شاهِدَ كلّ نجوى ، ويَا عَالم كلّ خفيّة ، ويَا كاشف بَليّة ، يا منجي موسى ومحمّد وإبراهيم الخليل صَلوَات الله عليهم أجْمعَين ، أدْعُوك يا إلهي دُعَاء من اشتدّت فاقته ، وضعف قوّته ، وَقلّت حيلته ، دعاء الغريق الملهُوف المكرُوب المشغوف الذى لا يجد لكشف مَا نزل به إلاّ أنت ، ولا إله إلاّ أنت ، فارْحمنا يا أرحم الرَّاحمين ، واكشف عنّا ما نزل بنا من عدوّنا وعَدُوّك الشيطان الرّجيم ، من هؤلاء القوْم الظالمين الباغين ، أو من فلان الظالم إن كان وَاحدًا يا ربّ العالمين ، إنك على كلّ شيء قدير ، واغوثاه (٣) يا الله (٣) اللهمّ يا بارئ لا بارئ لك ، يا دائم لا نفاد لك ، يا حيّ يا محي الموتى ، يا قائما عَلى كلّ نفس بما كسبت ، إلهي إنك أنت الله العزيز الجبَّار الذى لا إله إلا أنت ، إلهناً وإله كلّ شيء إلهًا واحدًا أسْئلك بالكلمات التامّات كلّها الأمن والعفو والعافية والمعافات الدَّائمة في الدنيا والآخرة ، وفى الأهل والجسد والمال والوَلد والمسلمين أجمعين ، يا ربّ العالمين إنك عَلَى كلّ شيء قدير ، وارحمني برحمتك يا أرحم الرّاحمين ، واكشف عَنّي مَا نزلَ بي من ضرّ ، وكلّ مَا أردْت ، وخلّصْني خلاصًا جميلاً يا ربّ العالمين ، وصلى الله على سيّدنا محمّد وعَلى آله وصحبه وسلّم .

حزب النصر

ومنها حزْبُ النّصر لمولى أبى الحسَن الشّاذلى وهو : بسم الله الرّحمن الرّحيم ، اللهمّ بسَطوة جَبروت قهْرك . . إلخ . وهو مكتوب على هامش « دَلائل الخيرات » و« مجمُوعة الأحزاب » .

دُعاء لقضاء الحوائج

ومنها دُعاء عظيم لقضاء الحوائج يدعو به بعد صَلاة ركعتين ، وإخلاصِ نية ، وحمد الله تعالى ، والاستغفار ، والصلاة عَلَى النبيّ صَلَّى

الله عليه وَسلّم ، ثم يقول : اللهمّ يَا جَامع الشتات ، ويَا مخرج النبات ، ويَا محي العظام الرفات ، وَيَا مجيبَ الدعوَات ، وَيَا قاضيَ الحَاجَات ، ويَا مفرج الكربَات ، ويا سَامع الأصْوات من فوق سبع سَموات ، ويا فاتح خزائن الكرامَات ، ويا مَالك حَوائج جميع المخلوقات ، ويا مَنْ مَلاء نوره السمَوات والأرْض ، وَيا من أحَاط بكلّ شيء علماً وأحصَى كلّ شيء عدداً ، وعالماً بمَا مضى وما هو آت ، أسئلك اللهمّ بقدرتك عَلى كلّ شيء ، وباستغنائك عن جميع خلقك ، وبحَمْدك ومجْدك يَا إله كلّ شيء أن تجُود عَليّ بقضاء حَاجتي ، إنك قادرٌ عَلى كلّ شيء ، يَا ربّ العالمين . ويسمّي حَاجته ، فإنها تقضى إن شاء الله ، وَإلاّ فليكرر العدَدَ (٣) أو (سبعًا) يحصُل المطلوب بإذن الله تعالى .

دعاء سفيان الثوري رحمه الله

ومنها دعاء سفيان الثوري رحمةُ الله وهُوَ هذا : اللهمّ ربّ كلّ شيء ، وإله كلّ شيء ، ووَليّ كلّ شيء ، وَخالق كلّ شيء ، وقاهر كلّ شيء بقدرتك ، يَا مَالك كلّ شيء ، والعَالم بكلّ شيء ، والحاكم على كل شيء ، والقاهر عَلى كلّ شيء بقدرتك عَلى كلّ شيء ، اغفر لي كلّ شيء ، واقض لي كلّ شيء ، وَهَبْ لِي كلّ شيء ، ولا تسألني عن شيء ، ولا تحاسبني بشيء ، ويُرْوى أنّ بَعْض الناس رآى بعض الصّالحينَ فى النوم بَعْد مَوْته ، وكان ممّن يَدْعو بهَذا الدعاء ؛ فقال له : مَا فعل الله بك فقال لهُ : أوقفني بين يَديْه وقال لي : اُدْعني بالدعاء الّذي كنتَ تدعوني به في الدنيا ، فدعوت به حتّى انتهيت إلى (اغفر لي كل شيء) ، فقال : غفرت لك ، ثم قلت : اقض لي كلّ شيء ، فقال : قد قضيت لك ، ثم قلت : وهَبْ لِي كلّ شيء ، فقال : قد وهبت لك ، ثم قلت : ولا تسألني عن شيء ، فقال : وَلاَ أسْألك ، فقلت : وَلا تحاسبني بشيء ، فقال : ولا أُحاسبك بشيء ، وبَعْض الناس يزيدُون (ولا يضرّه شيء ، ولا ينفعهُ شيء ، ولا ينقصهُ شيء ، ولا يكدره شيء) وأشياء كثيرة . والأوّل هو المشهور .

من دعا به قوي إيمانه

ومنها دُعاء الشيخ ابن أبي حمزة ؛ عن حذيفة عن النبيّ ﷺ وقال له : « ادع به وقدّمه في أوّل دُعائك ، ثم ادع بَعده بمَا شئت يستجيبُ لك » ومن دعا به قوي إيمانه ، وهُوَ : اللهمّ لا مَانع لما أعطيت وَلا مُعْطي لما منعت ولا رادّ لما قضيت وَلا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ ، اللهمّ لا مُضلّ لمن هديته ، وَلا هَادي لمن أضللته ، ولا مشقي لمن أسعَدْته ، ولا مُسْعد لمن أشقيته ، ولا مُعزّ لمن أذللته ، ولا مذلّ لمن أعززته ، ولا رافع لمن خفضته ، وَلا خافض لمن رفعته ، اللهمّ اهْدنا لما أمرتنا ، ووَفّ لنا بما ضمنت لنا ؛ من خير الدنيا والآخرة ، وقوّ لنا إيماننا ويقيننا فيما رجيتنا ، وانصرنا على أعدائنا في الظاهر والباطن ، وأسئلك بما سألك به خليلك إبراهيم عليه السلام من النور واليقين ، وبما سألك به سيّدنا ومَوْلانا محمّد ﷺ ؛ النصرة ، والتوفيق ، وحقيقة التمكين ، إنك حميدٌ مجيدٌ . انتهى .

دعاء ردّ به بصر عمياء

ومنها ما روي عن الحسن بن سالم رحمه الله تعالى أنه قال : قد كانت لى جَدّة عَمْيَاء لا تبصر شيئاً ، فأتاها آتٍ ، فقال لها : ألا أعلّمك اسمًا من أسماء الله تعالى تدعين به يرد الله عليك بَصرك ، فقالت لهُ : وما هُوَ - جزاك الله عنّي خيراً كثيراً فغفر لك - فقال لها : ارفعي يَديْك إلى السّماء ، وادعي الله عزّ وجلّ ، ثم امسحي وجهك وعيْنَيْكِ بيدَيْك ، قال : ففعَلت مَا أمَرها به ، فردّ الله عليهَا بصَرها أحسَن مَا كانت ، فرأت بَيْن يَديْها شيخاً قائماً ، ثم ذهب عنها وكتمته مدّة طويلة وأخبرت به عند موتها ، وهُوَ من أوّل سورة « الحَديد » إلى إلى قوله ﴿عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ وآخر « الحشر » .

وسئل عليّ رضي الله عن أحسن ما خصّه به النبيّ من الدعاء فقال : ما ظننت أن أحداً يسألني عن هذا ، ثم قال : إذا أردت أن تسأل الله حاجته فاقرأ ست آيات من أوّل سورة « الحديد » ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ إلى قوله : ﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ وآخر « الحشر » : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ

﴿عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ إلى آخر السورة ، ثم يقول : اللهمّ يا من هو واحدٌ أحدٌ ، ولا يزال كذلك ، ولا يكون كذلك أحدٌ غيره افعل بي كذا وكذا ، فإنه يكون ذلك ، والله على كلّ شيء قدير .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال : يا رسول الله هل من الدعاء شيء لا يردّ ؟ قال : نعم ، تقول : أسئلك باسمك الأعلى الأجلّ الأكبر . وعن بعضهم : إذا سألت الله حاجة فابدأ بالصّلاة على النبي ﷺ ، وسل حاجتك ، واختم بالصلاة على النبي ﷺ ، فإنّهما دعوتان لا تردّان ، ولم يكن ليرد ما بينهما .

ومن ذلك ما روي عن بعض الصالحين من أهل التجربة أنه قال : إذا كان لك حاجة عند الله تعالى فاعمد إلى مسجد ، وقِفْ في قبلته ، وتوجّه إلى الله ، وقل : اللهمّ إليك قصدت ، وببابك وقفت ، فبجنابك التجأت ، وإياك سألت ، وبمحمّد ﷺ توسّلت ، وبأنبيائك ورسلك وأوليائك تشفعت ، فاقض اللهمّ حاجتي ، ونفّس كربتي ، وما نزل بي من حيرتي ، ثم يسمّي حاجته وما يريد ، ثم بعد ذلك يصلّي ركعتين ؛ الأولى « بالفاتحة » ، و﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾ ؛ والثانية « بالفاتحة » و« الإخلاص » ، و« المعوّذتين » ، ويقول في آخر سجدة منها وهو ساجدٌ : ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ إلى قوله ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَـٰبِدِينَ﴾ ، ثم يرفع رأسه ويتشهّد ويسلّم ، ثم يقوم واقفاً في القبلة ويهزّها بيده ، ويقول : اللهمّ علمك فيّ الحال أغناني عن المقال ، وفضلك وجودك والنوال أغناني السؤال ، إلهي إنّ العرب والعجم إذا استجار بها مستجير أجاروه ، وأنت إله العرب والعجم وجميع الأمم ، وقد استجرت بك ، فأجرني ولا تردّني خائباً ، ولا تحرمني ، ومن عثرتي فأقلني ، وقد أملت منك الإجابة فأجبني ، وأعطني أمنيتي ، وما أطلب منك برحمتك يا أرحم الراحمين . ويسأل الله حاجته ، فإنّها تقضى بإذن الله تعالى كائنة ما كانت . والأصل في ذلك حسن النية وإخلاصها ، فقد قال ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » وبالاعتقاد تصل إلى المراد إن ، شاء الله تعالى .

ومنها : حديث زيد ابن حارثة حين أراد الكردي قتله ، وقال له : يا زيد تهيّأ للموت ، فقال له : زيد : أمهلني حتى أصلي ركعتين ، فقال له الكردي : هيهات قد صلاهما غيرك ، فلم تفده صلاته شيئاً ، فتوضأ زيد ، وصلّى ركعتين ، ودعا بهذا الدعاء ، فاصطفت حوله الملائكة ، وهو هذا الدعاء ، تقول : اللهم يا ودود ، (ثلاث مرات) يا ذا العرش المجيد ، يا مبدئ يا معيد ، يا فعّال لما يريد ، أسئلك بنور وجهك الّذي ملأ أركان عرشك ، وبقدرتك التي قدرت بها على جميع خلقك ، وبرحمتك التي وسعت كل شيء ، لا إله إلا أنت ، برحمتك أستغيث ، يا غياث المستغيثين أغثني (٣) . ثم أقبل عليه الكردي ورفع حربته ليقتله ، وإذاً بفارس يركض ، وهو ينادي : لاتقتله فالتفت الكردي فرأى الفارس قد أقبل عليه وبيده حربة ، فضربه بها ، فرماه من أعلى دابته وقتله ، وقال له : يا زيد لَما دعوت المرة الأولى نادى جبرائيل : من لهذا الملهوف ؟ قلت له : أنا ، وكنت في السماء السابعة ، فلما دعوت الثانية كنت في سماء الدنيا ، فلما دعوت الثالثة جئتك وقتلته .

واعلم يا زيد أنه لا يدعو أحدٌ بدعائك هذا إلا استجيب له في الوقت . فلما رجع زيد إلى المدينة أخبر النبي ﷺ بذلك ، فقال له : « يا زيد لقد لقنك الله اسمه الأعظم الذي إذا دعا به أجاب ، وإذا سأل به أعطى » . وقد بوّب عليه محمد بن إدريس الرازي في كتابه « الجامع للأدعية والأذكار » فقال : يا ربّ الأسماء التي تزعزعت الملائكة منها . وخرّجه بعضهم في الكتب ولم يذكروا زيداً إلا نادراً .

ومنها : ما نقل عن أبي زيد عمارة بن زيد رحمه الله تعالى . قال عمارة : حدّثني سفيان الثوري عن ابن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه قال : « إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها أو حفظها دخل الجنة » . قال عمارة : فكنت أطلبه ، فلم أجد من يخبرني بها عن حقيقتها حتى لقيت رجلاً ذا همة في استنباط العلم من

آل بيت رسول الله ﷺ ، وكان رجلاً ورعاً عالماً مجاب الدّعوة يقال إنه كان يخرج من المدينة إلى مكة يوم عرفة ، فيشهد الموقف مع الناس ، ثم يرجع إلى المدينة في اليوم الرابع من الحج . وأخباره مشهورة إلا أنه سألني أن لا أشهر اسمه . قال عمارة : وإني لما سألته عن أسماء الله العظام التي لا يخيّب من دعا بها ، فقال لي بعد تلوّم وامتناع : يا عمارة لو لا ثقتي بك ما أخبرتك ، فهي أمانة عندك ، فلا تعلّمها إلا لمن ترضى دينه ، يا عمارة إنها موجودة في كتاب الله تعالى ، وبيّنها لي ، وقال : دعوت الله بها غير مرّة ، فرأيتها قريبة الإجابة ، وكتبها عنّي جماعة ، وكلّهم أخبروني أن إجابتها سريعة . ثم قال لي : يا عمارة فإنّ فيها الاسم الأعظم ، فإذا أردت الدعاء بها فصم يوم الخميس ، وادع بها ليلة الجمعة في ثلث الليل الأخير وقت السحر ، فوالله الذي لا إله إلا هو لا يدعو بها عبدٌ مؤمن إلا أجابه الله تعالى في كلّ ما يريد ، حتى لو سأل أن يمشي على الماء أو على الهواء لأجيب له ، وهي هذه : يا الله ، يا رحمن ، يا رحيم ، يا مالك ، يا محيط ، يا قديم ، يا عليم ، يا حكيم ، يا تواب ، يا بصير ، يا واسع ، يا بديع ، يا سميع ، يا كافي ، يا رؤوف ، يا شاكر ، يا إله ، يا واحد ، يا غفور ، يا حليم ، يا قابض ، يا باسط ، يا حيّ ، يا قيّوم ، يا علي ، يا عظيم ، يا وليّ ، يا غنيّ ، يا حميد ، يا وهّاب ، يا قائم ، يا سريع ، يا رقيب ، يا حسيب ، يا شهيد ، يا عفوّ ، يا مقيت ، يا وكيل ، يا فاطر ، يا قاهر ، يا لطيف ، يا قادر ، يا خبير ، يا محيي ، يا مميت ، يا نعم المولى ، ويا نعم النصير ، يا حفيظ ، يا قريب ، يا مجيب ، يا قوي ، يا مجيد ، يا ودود ، يا ذا العرش المجيد ، يا فعّال لما يريد ، يا كبير ، يا متعال ، يا حنان ، يا منان ، يا خلاق ، يا رزاق ، يا صادق ، يا وارث ، يا شكور ، يا غافر ، يا قابل التوبة ، يا شديد العقاب ، يا ذا الطول ، يا ذا القوة ، يا متين ، يا بارٌّ ، يا مليك ، يا مقتدر ، يا باقي ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا أوّل ، يا آخر ، يا ظاهر ، يا باطن ، يا قدوس ، يا سلام ، يا مؤمن ، يا مهيمن ، يا عزيز ، يا جبّار ، يا متكبّر ، يا خالق ، يا بارئ ، يا مصوّر ، يا مبدئ ، يا معيد ، يا أحد ، يا صمد . تمت هذه الأسماء الشريفة المستنبطة من القرآن العظيم جميعه .

ومن الفوائد النافعة لقضاء الحوائج ختم القرآن ؛ قال بعض العلماء : وجدت بخطّ بعض العلماء نفعني الله بهم ما مثاله : ختم القرآن لقضاء الحاجة مجرّب لا شك فيه ، وإن قرأه على هذا الترتيب كان أسرع للإجابة ، بأن يبدأ بالقرائة من يوم الجمعة من أوّل سورة البقرة إلى آخر المائدة ، يوم السبت من أول الأنعام إلى آخر التوبة ، ويوم الأحد من أوّل سورة يونس إلى آخر سورة مريم ، ويوم الإثنين من طه إلى آخر القصص ، ويوم الثلثاء من أوّل سورة العنكبوت إلى آخر سورة ص ، ويوم الأربعاء من سورة الزمر إلى آخر سورة الرحمن ، ويوم الخميس من سورة الواقعة إلى آخر القرآن العظيم ، فإذا ختم يسجد ، ويسأل الله تعالى حاجته ، فإنها تقضى إن شاء الله تعالى .

وأمّا الاستغاثات : فمنها :

إليك فانت العالم الشكوى — وأنت الّذي تدري السّرائر والنجوى
سألتك بالكتب التي منك أنزلت — وبالمرسلين المنقذين من البلوى
وبالعلماء العاملين بعلمهم — وبالأولياء السالمين مِنَ الدّعوى
وبالبيت والمسعى وزمزم والصّفا — وبالحرمين الآمنين من الأسرا
وبالمسجد الأقصى وبالجبل الّذي — تحط عليه السيئات كما يروى
تقيض لي رزقاً حلالاً بلا عنا — وترزقني العلم الشريف مع التقوى
وتحفظني من شر خلقك والزنا — ومن شر شيطان ونفس وما هوى
وتقبضني عند مماتي مسلماً — وتدخلني يا ربنا جنة المأوى
وصل على المختار ما هبّت الصبا — وما هام مشتاق إلى نحوه ألوى
كذا الآل والأصحاب ما لاح كوكب — وما فاح عطر ثم علم لهم يروى

ومنها الاستغاثة عن سيدي محمد البكري رحمه الله وهي :

يـا رب عـالـم الـسـرائـر يـا مـن ... هـو لا غـيـره الـلـطـيـف الـخبير
أدرك عـبـدًا ذلـيـلاً حـقـيـراً ... مـسـتـجـيـراً ومـا سـواك المجير
ربّ إنـي كـمـا تـرى وانـكساري ... أنـت جـبْـري وأنـت نـعـم النصير
حـاشـا الله أن أضـام وأنـى ... لـك مـنـي مـمـا أخـاف أشـيـر
أه أو أه يـا إلـهـي وحـسـبـي ... ومـلاذي مـا لـي سـواك نـصـيـر
إن تـكـن شـدتـي لـذنبٍ فكم لي ... مـن ذنـوب وأنـت رب غـفـور
أنـا فـي شـدة فـفـرِّجْ فـفـرِّجْ ... أنـا فـي وهـمـهـا ذلـيـل أسـيـر
قـد تـوسّـلـت بـالـنـبـي وحسبي ... إنـه الـمـصـطـفـى الـبشير النذير
فـعـلـيـه يـا رب صـل وسـلـم ... مـا أمـيـطـت غـيـاهـبٌ وسـتور

ومنها الاستغاثة المنقولة عن الجلال السيوطي رحمه الله تعالى :

يـا مـن إلـيـه بـجـوده أتـوسّـل ... وعـلـيـه فـي كـلّ الأمـور أعـول
أدعـوك يـا ربّ تـضـرعـاً ذلـيـلاً ... فـإذا رددت يـدي فـمـن ذا أسأل
قـد قـادنـي أمـلـي إلـيـك ودلني ... جـود عـلـيـك وفـاقـة وتـذلّل
وعـلـمـتُ أنـك لا تـخـيـب آملا ... أضـحـى لـجـودك يـا كريم يؤمّل
فـبـنـور وجـهـك كن لذنبي غافراً ... فـعـلـيـك فـي غـفـرانـه أتـوكّـل
يـا رب مـا زال لـطـف يـشـملني ... وقـد تـجـدّد بـي مـا أنـت تعلمه
فـاصـرفـه عـنـي كما عودتني كرماً ... فـمـن سـواك لـهـذا الـعبد يرحمه

ومنها استغاثة مباركة ، ما دعا بها أحد في حاجة إلا قضيت ، ولا توسل بها مريض إلا شفي بإذن الله تعالى وهي هذه :

يـا من يـرى ما في الضمير ويسمع   أنـت الـمـعـدّ لـكـل مـا يـتـوقـع
يـا مـن يـرجـى لـلـشـدائـد كلها   يـا مـن إلـيـه الـمـشتكى والمفزع
يـا مـن خـزائـن رزقه في قول كن   أمـنـن فـإن الـخـيـر عندك أجمع
مـا لـي سـوى فـقري إليك وسيلة   فـبـالافـتـقـار إلـيـك فـقري أدفع
مـالـي سـوى قـرعـي لبابك حيلة   فـلـئـن رددت فــأي بـــاب أقـرع
ومـن الـذي أدعـو وأهـتف باسمه   إن كـان فـضـلـك عـن فـقير يمنع
حـاشـا لـجـودك إن يـقنط عاصياً   الـفـضـل أجـزل والمواهب أوسع
ثـم الـصـلاة عـلـى الـنـبـي وآلـه   خـيـر الأنـام ومـن بـه يـتـشـفـع

ومنها **استغاثة مباركة** من كررها في جوف الليل استجاب الله دعائه ، وهي هذه :

ليست ثوب الرجا والناس قد رقدوا   وبـتُّ أشـكوا إلـى مـولاي ما أجد
وقـلـت يـا أمـلـي فـي كـل نـائبة   ومـن عـلـيـه لـكشف الضر أعتمد
أشـكـو إلـيـك أمـوراً أنت تعلمها   مـا لـي عـلى حملها صَبْرٌ ولا جَلَدٌ
وقـد مـددت يـدي بـالـذل مفتقراً   إلـيـك يـا خـيـر من مدّت إليه يد
فـلا تـردّنـهـا يـا رب خـــائـبــة   فـبـحـر جـودك يـروي كل من يرد

وفيها إشارة إلى قول النبي ﷺ : « إن الله حيّ كريم يستحي من عبده أن يرفع إليه كفيه ثم يردّهما صفراً خائبين » . انتهى .

ومنها :

إلـيـك رسـول الله أشـكـو نـوائـباً   مـن الـدهـر لا يقوى لها المتحمل
وإنـي لأرجـو أنـــهـــا بـك تنجلي   فـإنـك لـي جاه وحصن ومعقل .

ثم تقول :

يا رسـول الله أنت عمدتي   فأغثني في شدّتي ألف مرة

فائدة

قال بعض العلماء : من كانت له عند الله حاجة فليواظب على هذه الأبيات ، ويكررّها في جميع أوقاته ، فإنها مجرّبة لقضاء الحاجات وهي هذه :

يـا ربّ هـيّـئ لـنـا من أمرنا رشداً ... واجـعـل مـعونتك الحسني لنا مدداً
ولا تـكـلـنـا إلـى تـدبـيـر أنـفسنا ... فـالنفس تعجز عن إصلاح ما فسدا
أنـت الـعليم وقد وجّهت من أملي ... إلـى رجـائـك وجـهـاً سائلاً ويداً
ولـلـرجـاء ثـواب أنـت تـعـلـمـه ... فـاجـعل ثوابي دوام الستر لي أبداً

ونقل عن سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه أن من قال هذين البيتين (أربعاً وثمانين) مرة فرّج الله كربه :

أيُـدركـنـي ضَـيْـمٌ وأنت ذخيرتي ... وأظـلـم فـي الـدنيا وأنت نصيري
وعـار عـلى راع الحمى وهو قادر ... إذا ضـاع فـي الـبـيـد أعقال بعير

انتهى « فتح الملك المجيد » ٤٠ .

ومنها قراءة السبع المنجيات ، وهنّ : سورة السجدة ، وسورة يس ، وسورة الدخان ، وسورة الواقعة ، وسورة الملك ، وسورة هل أتى ، وسورة البروج ؛ كذا قاله بعض العلماء ،

وقال : من داوم على قرائتهنّ صباحاً ومساء أمن من جميع الفتن ، ونجى من جميع الآفات ، وناهيك تسميتهنّ المنجيات . انتهى عبارته ١٦ **(منه)** .

فائدة

منقولة عن بعض العلماء المحققين أنه قال : مما جرب لإذهاب الخوف والفزع والهمّ والغم أن يكتب بعد البسملة والصلاة على النبي ﷺ هاتان الآيتان ؛ الأولى من سورة آل عمران وهي : ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ

﴿ٱلْغَمِّ أَمَنَةً﴾ إلى قوله ﴿ٱلصُّدُورِ﴾ ، والثانية : من سورة الفتح ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ إلى آخر السورة . ثم يحملان ، فمن حملها بارك الله في جميع أحواله ، ونصره على أعدائه ، وفرج الله عنه كلّ غم وهمّ ، وهما ينفعان للأمراض الباطنة ، وكلّ ألم يحدث في بدن الإنسان . انتهى .

فائدة جليلة

للخوف والفزع من قطاع الطريق وغيرهم ، قال بعض الصالحين وهو : محمد بن سيرن كما قال بعضهم : نزلنا في بعض الأسفار بنهري تبري ، فأتانا قوم ، فقالوا لنا : كلّ من نزل في هذا الموضع قتل ونهب متاعه أو سرق ، فرحل جميع أصحابي من الخوف ، فتخلّفت أنا لحديث سمعته من ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « من قرأ ثلاثاً وثلاثين آية من كتاب الله تعالى لم يضرّه في تلك الليلة سبع ضارّ ، ولا لصّ عاد ، وعوفي في نفسه وماله وولده حتى يصبح » فلما أمسيت قرأتها فلم أنم حتى رأيت جماعة قد جاؤوني بسيوف يدنون منّي ، فلم يصلوا إليّ ، فلما أصبحت جائني منهم شيخ راكباً على فرس ومعه قوس عربية وقال لي : يا هذا إنسي أم جني ؟ فقلت : بل إنسي من بني آدم ، فقال ما بالك قد آتيناك في هذه الليلة أكثر من سبعين مرة لنقتلك ونأخذ متاعك فيحال بيننا وبينك سور من حديد فتعجبنا من ذلك ؟ فقلت له : حدثني ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « من قرأ ثلاثاً وثلاثين آية من كتاب الله تعالى في ليلة لم يضره سبع ضار ولا لصّ عاد ، ويكون في أمان الله تعالى إلى الصباح » فلما سمع ذلك مني نزل عن فرسه وكسر قوسه ، وقبّل رأسي ، وأعطى الله عهداً على أن لا يعود أبداً إلى ما كان فيه من السرقة وقطع الطريق .

وهذه الآيات المذكورة أربع آيات من أوّل البقرة إلى قوله : ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ ، وآية الكرسيّ ، وآيتان بعدها إلى قوله : ﴿خَٰلِدُونَ﴾ ،

وثلاث آيات من آخر البقرة ، ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ ، إلى آخر السورة ، وثلاثة من الأعراف ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ إلى قوله ﴿ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ، وآخر الإسراء ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾ إلى آخرها ، وبسم الله الرّحمن الرّحيم ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴾ إلى قوله : ﴿ لَّازِبٍ ﴾ وآيتان من سورة الرحمن ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ ، وأربع آيات من آخر الحشر : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ ﴾ إلى آخر السورة ، ومن سورة : ﴿ قُلْ أُوحِيَ ﴾ إلى قوله : ﴿ شَطَطًا ﴾ كذا ذكره اليافعيّ .

وفي غيره : ومن آخر الحشر ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ إلى آخرها ، ومن سورة الجنّ : ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَدًا ﴾ .

واعلم أنّ هذه الآيات تسمّى آيات الحرس والحرز . ويقال : أن فيها شفاء من مائة داء مثل الجزام والبرص ، ومنافعها لا تُعدُّ ولا تحصى . وروي عن محمد بن علي رضي الله عنهما قال : قرأتها على شيخ قد أفلج فاذهب الله عنه ذلك ببركتها ، وهي حجابٌ عظيم ، وحرز جسيم ، ومن قرأها عند جبّار أمن من شره .

قال بعض العارفين : وينبغي أن يضاف إليها هذه الآيات أيضاً ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ الآية ، وأوّل سورة الحديد إلى قوله : ﴿ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ وآخر سورة التوبة : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ إلى آخرها . « فتح الملك المجيد » عبارته ٢٧ .

اعلم - وفقني الله وإيّاك - أن من كانت له حاجة إلى الله تعالى أو كان في كرب أو همّ أو نزلت مصيبة فليقم في جوف الليل ويتوضأ ويصلي ركعتين ممّا تيسر من القرآن ، فإذا سلّم من صلاته وهو مستقبل القبلة صلّى على رسول الله ﷺ ألف مرة يقول : اللهمّ صلّ وسلّم على سيّدنا ومولانا محمد ، صلاة تحلّ بها عقدتي ، وتفرج بها كربتي ، وتنقذني بها من وحلتي ، وتقيل بها عثرتي ، وتقضي بها حاجتي ، فإن الله يفرج عنه ما نزل به ، فشدّ يدك على هذه الذخيرة ، فمنافعها كثيرة . قاله العلامة

السّنوسي في « مجرّباته » . انتهى منه ٢٨ .

ومنها : قراءة سورة الأنعام ، فهي من المجرّب عندنا ، فهي سورة جليلة ظهرت بركتها ، واشتهر فضلها في النصر على الأعداء وهلاكهم ، فعليك بالإكثار من قراءتها بقصد ذلك ، وبالدعاء بين الجلالتين بهذا الدعاء ، وهو : إلهي من الذي دعاك فلم تجبه ، ومن الذي سألك فلم تعطه ، ومن الذي استغاث بك فلم تغثه ، ومن الذي توكل عليك فلم تكفه ، وا غوثاه (ثلاث مرات) أغثنا يا مغيث ، افعل بنا ما أنت أهله ، ولا تفعل بنا ما نحن أهله ، فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة ، يا سريع الحساب ، يا شديد العقاب ، يا غفور ، يا رحيم ، يا فالق الحبّ والنوى ، يا مفتّح الأبواب ، يا مقيل العثرات ، يا وليّ الحسنات ، يا قاضي الحاجات اقض حوائجنا ، واشف مرضانا ، وارحم موتانا ، واستجب دعوانا ، وتب على أحيانا ، اللهم اغفر لنا ولآبائنا ولأمهاتنا ولجميع المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات برحمتك يا أرحم الراحمين .

ويأتي بهذا الدعاء بعد الفراغ من السورة : بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين ، اللهم يا سريع الحساب ، يا شديد العقاب ، يا غفور ، يا رحيم ، يا فالق الإصباح ، يا مفتح الأبواب ، يا مسبّب الأسباب ، يا غافر الخطايا ، يا ساتر العورات ، يا مانع البليّات ، يا مقيل العثرات ، يا محي الأموات ، اقض حاجتي ، وهي كذا وكذا ، يا إله الأوّلين والآخرين ، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين . « فتح الملك المجيد » ٢٢ .

ومنها : قراءة قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ الآية ، لمن عجز عن تحصيل المطلوب ، وتذهيب المرهوب ، وكشف الهموم ، ورفع الغموم ، والتخليص عن المظلوم ، والنصر على الأعداء ، وقضاء دين ، أو غير ذلك ممّا كان على مقتضى الشرع ، فليقرأ هذه الآية المذكورة ألفاً ومائة وثلاثاً وخمسين مرة بعددها على الدوام في الأيّام أو في الليالي على

نية خالصة متوجهاً إلى الله تعالى ، ومستشفعاً بالنبي ﷺ ومستمدّاً بأرواح المشائخ ، فينال مطلوبه ، ويدرك غرضه بلا شك ولا شبهة فيها ، مجرّب ، واللهِ مجرّب . « خزينة الأسرار » راجعه ٧٦ .

ومنها : ما روي عن بعض العارفين أنه قال : من أراد أن يكفيه الله شرّ خلقه وييسّر عليه رزقه ويلقي محبّته في قلوب خليقته ، ويجعل له من كل ضيق مخرجاً ، فليقرأ في كلّ يوم : حسبنا الله ونعم الوكيل عدد حروفها ، وهي (٤٥٠) مرة ، ثم يقرأ بعد ذلك قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ (٧ مرات) ، وفي المرة السابعة يقول : ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ ، ومن داوم على ذلك كان له سرّ عجيب في تسهيل العسر . راجع كتاب « شرح حسبنا الله ونعم الوكيل » في ٢٩ من خط شيخنا قدس سرّه ، هذا من المجرّب عندنا ، فاحفظه ، فإنه عجيب في هذا الأمر .

ومنها : آيات الحجاب وهي : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾ ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ . راجع « مفتاح السّعادة » في ٥٨ انتهى من خط شيخنا المذكور .

ومما كتبه إلينا أيضاً ما نصّه : اللهمّ إني أنزلت بك ما يهمني من أمور الدنيا والآخرة ، فإنه لا يرفع البلاء إلا من أنزله . راجع « لطائف المنن » والسلام والوصيّة بالدعاء ، الظن الغالب أن لا يرانا الله ما يرى غيرنا إن شاء الله . انتهى من خطّه ، والحمد لله على ذلك .

ومما كتبه إلينا بخطّه لتفريج الكرب هذه الآية ، ونحن استعملناها من ذلك الزمان ، ورأينا بركتها وهي ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ . انتهى من خطه .

ومنها : قراءة هذه الأبيات المذكورة بعد ، بعددها : وسألتك بالاسم المعظم قدره باج أهوج جلجلوت هلهلت ، من واظب على قراءته في كل يوم خمسة عشر مرّات فاض رزقه ، وانبسط سرائره وأشرق وجهه بالنور ، وأطال عمره وانعقدت ألسنة أعدائه عنه ، راجع شرح « الجلجلوت » للشيخ أبي حامد الإمام الغزالي قدس سرّه في ٥٢٨ من هامش « مجموعة الأحزاب » ج ١ :

عليَّ ضياء من بوارق نوره فلاح على وجهي ضياء فأبرقت

ومن قرأ البيت وحده كلّ يوم (سبعة وعشرين مرّة) أحجبه الله عن أعدائه وحسّاده ، ويظفر على أعدائه وينصر عليهم . انتهى عينه راجعه في ٥٣٠ .

فصُبَّ عليّ شآبيب رحمة بحكمة مولانا العظيم فانطقت

هذا البيت من قرأ في كلّ يوم سبعة وأربعين مرة في الصباح وفي المساء تفجرت من قلبه الحكمة ، وانجلت عنه الظلمة ، ونطق بالغيب ، وكان من أصحاب الكشف والأسرار . راجعه في ٥٣١ .

أحاطت بي الأنوار من كل جهة وهيبة مولانا العظيم بنا علت

هذا البيت من قرأه سبع مرات قبالة حاكم أو ظالم أو جبّار أو سلطان خضع له ، وقضى حوائجه ، وإن قرأه لأيّ حاجة قضيت بإذن الله . انتهى ٥٣٢ .

ألا وألبسني هيبة وجلالة وكف يد الأعداء عني بغلمهت

من قرأ هذا البيت كل يوم خمس مرات فإنه يكون في حرز الله وحصنه من جميع الأعداء والماكرين والغادرين والضاربين والناظرين بسوء . انتهى عبارته ٥٣٤ .

وخـلّصنـي مـن كـلّ هـول وشدة   فأنت رجاء القلب الكسير من الخبت

هذا البيت من قرأه سبعة عشر مرّة خلصه من الشدائد ، ونجاه من مصائب الدنيا والآخرة . راجعه في ٥٣٨ .

نـرد بـك الأعـداء مـن كـلّ وجهة   وبـالاسـم ترميهم من البعد بالشتت

هذا البيت ، من قرأه في وجه أعدائه (ثلاث مرات) أو في وجوه القوم العادية إلا فرّقهم وبرد شملهم وعمى أبصارهم ، وإن كتبه ثلاث مرات والخطيب على المنبر يوم الجمعة ، ويحمله على زراعه ، ويدخل الحرب والمعركة فلا يستطيعه أحدٌ الوقوف بين يديه ، وتعقد عنه آلات الحديد والسلاح والسيوف والرمّاح ، ويكون مهاباً ذو عز وشرف بإذن الله تعالى . راجعه في ٥٤٣ . وفيه زوائد أخرى أعرضتها خوف الإملال ، إن أردت الزيادة اطلبها منه ، والسلام .

فائدة

إذا دخلت على من يخاف شرّه إقرأ كهيعص ، وحمعسق ويعقد لكلّ حرف من هذه الحروف العشرة إصبعاً من أصابع يديه بإبهام يده اليمنى ويختم بإبهامها اليسرى ، فإذا فرغ من عقد جميع الأصابع قرأ في نفسه سورة الفيل ، فإذا وصل إلى قوله ﴿ تَرْمِيهِم ﴾ كرّر لفظ ﴿ تَرْمِيهِم ﴾ عشر مرات يفتح في كلّ مرّة إصبعاً من الأصابع المعقودة فإذا فعل ذلك أمن من شره وهو مجرّب عجيب من عين « تاريخ إسحق » راجعه .

فمن الفوائد لمقابلة الحكام ودفع ضررهم ، وإطفاء غضبهم ونحو ذلك أن تقرأ عند المقابلة بعد البسملة والصلاة على النبي ﷺ : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ﴾ إلى ﴿ يَرْهَبُونَ ﴾ ثم تقول : اللهمّ أسألك بهيبة عظمتك وبسطوة جلالك أن تجعل محبّتي في قلب هذا أو

فلان وألف المودّة والمحبة في قلبه وعطّفه عليّ بفضلك يا كريم وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم وذلك مجرّب .

ومنها : أن تقرأ قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ إلى قوله : ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ .

ومنها : أن تقول عند الدخول : ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ أطفأت غضبك بلا إله إلا الله واستجلبت رضاك بلا إله إلاّ الله واستقضيت حوائجي منك بلا إله إلا الله .

ومنها : لمن غضب عليه سلطان أو ذو جاه أن يقرأ عند دخوله عليه هذه الآية : ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ﴾ إلى ﴿يَرۡهَبُونَ﴾ ثم يقول أطفأت غضب فلان بلا إله إلا الله واستجلبت مودته بسيدنا محمد رسول الله ﷺ .

ومنها : لمن عرضت له حاجة عند أحد أن يقرأ في ذهابه : ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم﴾ إلى ﴿قَضَىٰهَا﴾ يقول ذلك سبعاً ، فإن الله ييسر قضاءه .

ومنها : إذا خفت من حاكم أن يجور عليك في حكمه ، فاقرأ عند دخولك عليه هذه الآيات سبع مرات وهي ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ ﴿وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ ثم تقول : الله غالب ثلاثاً ، فإن الله يكفيك شره .

ومنها : إذا خفت من حاكم أو غيره أن تقول : ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ كفيت ، (حمعسق حميت) ، وأن تقبض مع كلّ حرف إصبعاً من أصابع اليد اليمنى من كهيعص ، ومع كلّ حرف إصبعاً من اليد اليسرى من (حمعسق) ، ثم تفتح يديك في وجهه ، فإنّك تأمن من شره ولا ترى منه

مكروهاً بإذن الله تعالى . **ومنها** : إذا خاف من ظالم ، أو سبع أن يقرأ عند خروجه من منزله فاتحة الكتاب ، وآية الكرسي ، وسورة القدر ، وقريش ، والمعوذتين ، ويكرر ذكر الله بقلبه ولسانه ، ثم يمضي لشأنه يحصل له المراد .

ومن الفوائد النافعة لاستعطاف القلوب أن تقرأ في النصف الأخير من ليلة الجمعة قوله تعالى : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ ثلاثين مرّة وتقول في آخر كلّ مرّة : اللهمّ يا ربّ أنت حسبي على فلان بن فلانة عطّفْ قلبه عليّ وذلّـلْهُ لي فإنّ الله تعالى يعطف قلبه عليك ويمنع كيده عنك والله على كلّ شيء قدير .

وقال بعضهم : إذا أردت ذلك تقوم نصف الليل الأخير من ليلة الجمعة وتصلّي ركعتين خفيفتين ثم تقرأ ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ . . إلخ . ثلاثين مرة ثم تصلّي على النبيّ ﷺ مائة مرة ثم تقول : اللهمّ حبّب إلى فلان بن فلانة حتى يأتي لي خاضعاً ذليلاً من غير مهلة واشغله بمحبّتي إنّك على كلّ شيء قدير . راجع « الفتح الملك المجيد » في ٣٠ .

وفيه أيضاً ما نصّه :

فائدة

عن بعض الثقات من أهل اليمن قال : إذا كنت مسافراً فوجدت حرباً أو معركة أو لصّاً أو جبّاراً فاقرأ سورة ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ واضرب بيدك على الأرض وارم بالتراب في وجه العدوّ ، وامسح بيدك على رأسك ثم اقرأ قوله تعالى : ﴿ فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ ﴿ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ حلف الراوي إيماناً مؤكدة أنه وجد الحرب نهاراً ففعل ذلك وقعد تحت شجرة وأنهم وصلوا إليه ولم يروه ، وقال بعضهم لبعض : الساعة كان هنا فاحتفظ بذلك فإنه من الأسرار . انتهى في ٥٥ .

ومنها لخلاص المسجون؛ دعاء الطير الّذي علّمه الأسير في بلاد الروم ونصّ ما في « حياة الحيوان الكبرى » هذا : **فائدة** روى ابن بشكوال بسند إلى أحمد بن محمد العطاري عن أبيه قال : كان لنا جار فأسر وأقام في الأسر عشرين سنة وأيس أن يرى أهْله قال : فبينما أنا ذات ليلة أفكر فيمن خلّفت من صبياني وأبكي إذاً أنا بطائر سقط فوق

حائط السجن يدعو هذا الدّعاء ، قال : فتعلّمته من الطائر ثم دَعوْت الله ثلث ليال متتابعات ، ثم نمت فما استيقضْتُ إلاّ وأنا في بلدي فوق سطح داري ، قال فنزلت إلى عيالي فسرّوا بي بَعْد أن فزعوا منّي لما رأوني ، ورأوْ ما بي من تغيّر الهيئة والحال ثم إني حججت من عامي فبينما أنا أطوف وأدعو بهذا الدعاء إذاً أنا بشيخ قد ضرب يَده على يَدي وقال : من أين لك هذا الدّعاء فإن هذا الدّعاء لا يدعو به إلاّ طائر ببلاد الرّوم متعلّق بهواء ؟ فحَدثته بقصّتي وبما جرى عليّ وأني كنت أسيراً ببلاد الروم وتعلّمت الدعاء من الطائر ، فقال : صدقت ، فسألتُ الشيخ عن اسمه ، فقال : أنا الخضر . وهو هذا الدعاء : اللهمّ إني أسألك يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يَصفه الواصفون ، ولا تغيّره الحوادث ولا الدهور ، يعلم مثاقيل الجبال ومكائيل البحار ، وعدد قطر الأمْطار ، وعَدد ورَق الأشجار ، وعَدد ما يظلم عليه اللّيل ويشرق عَليه النّهار ، ولا تواري منه سماء سماء ولا أرض أرضاً ولا جَبَل ، إلاّ يعْلم ما في وعره ، وسهْله ، ولا بحر إلاّ يَعْلم ما في قعْره وساحله . اللهمّ إني أسئلك أن تجعَل خير عمري آخره ، وخير عَملي خواتمه ، وخير أيامي يوم ألقاك فيه ، إنك على كلّ شيئ قدير ، أللهمّ من عاداني فعاده ، ومن كادَني فكدْه ، ومَنْ بغى عليّ بهَلكة فأهلكهُ ، ومن أرادني بسوء فخذه واطف عني نار من اشبّ لي ناره واكفني همّ مَنْ أدخل عليّ همه ، وأدْخلني في درعك الحَصينة ، واسترني بسترك الوَاقي ، يا من كفاني كلّ شيء اكفني مَا أهمّني من أمر الدنيا والآخرة ، وصدّق قوْلي وفعْلي بالتحقيق ، يا شفيق يَا رَفيق فرّج عنّي كلّ ضيق ، ولا تحمّلني مَا لا

أطيق أنت إلهي الحق الحقيق ، يَا مشرق البرهان ، يَا قوي الأركان يا من رحمته في كلّ مَكان ، وفي هذا المكان يا مَنْ لا يخلو منه مَكان اُحْرسنِي بعَيْنك الّتي لا تنام ، واكفني في كنفك الّذي لا يُرام ، إنه قد تيقن قلبي أن لا إله إلا أنت ، وأني لا أهْلَكُ وَأنت مَعي ، يَا رجائي فَارْحَمْني بقُدْرتك عَليّ يا عظيماً يُرْجَى لكل عظيم يا عَليم يا حَليم أنت بحَاجتي عليم وعَلى خلاصي قدير وهُوَ عليك يسير ، فامنن عَليّ بقضائها يا أكرم الأكرمين ، ويا أجْود الأجْودين ، ويا أسرع الحاسبين ، يَا ربّ العَالمين ارحمني وارحم جميع المذنبين من أمة محمّد ﷺ إنك على كل شيئ قدير ، اللهمّ استجبْ لنا كما استجبت لهم برحمتك عجّل عَلينا بفرج من عندك بجوُدك وكرَمك وارتفاعك في علوّ سمائك يَا أرحم الراحمين إنك على ما تشاء قدير وصلّى الله على سيّدنا محمّد خاتم النبيّين وعَلى آله وصَحْبه أجمعين .

وهذا الدعاء روى الطبراني بإسناد صحيح قطعة منه عن أنس أن النبيّ صَلَى الله عليه وسلّم مرّ بأعْرابي وهو يدعو في صلاته ويقول : يا من لا تراه العيُون ولا تخالطه الظنون ولا يَصفه الوَاصفون ، ولا تغيّرالحَوادث ، ولا يخشى الدّوائر ، يَعْلم مثاقيل الجبَال ، ومكاييلَ البحَار ، وعَدد قطر الأمْطَار ، وعَدد ورَق الأشجَار ، وعَدد مَا أظلم عليه اللّيْل ، وأشرق عَليه النّهار ، ولا تواري منه سماء سماء ولا أرض أرْضاً ، ولا بحر ، إلا يعْلم مَا في قعْره ، ولا جَبلٌ إلا يَعْلم مَا في وَعْره ، اجْعَل خير عمري آخره ، وخير عَملي خواتمه ، وخير أيّامي يوم ألقاك فيه ، فوكل رسول الله ﷺ بالأعرابيّ رجلاً فقال : « إذا فرغ من صلاته فأتني به » ، فلما قضى صَلاته أتاه به وقد كان أهْدي لرسول الله ﷺ ذهبٌ من بعْض المعادن ، فلمّا أتى الأعْرابي وهَبَ لهُ الذهب وقال : « ممّن أنت يَا أعْرابيّ » قال : من بني عَامر بن صعصعة ، فقال ﷺ : « هَلْ تدري لم وهبت لك هذا الذهب » قال : للرحم التي بيننا وبينك يَا رسول الله ، قال ﷺ : « إن للرحم حقاً ، ولكن وهبْت لك الذهب لحسن ثنائك عَلى الله عزّ وجَلّ » . انتهى عبارته ٨٣ من الجلد الثاني .

ومنها ما هُوَ المجرّبُ عندنا وعند إخواننا وهُوَ مَا في « زيل التذكرة » من أن بسْم الله الرّحمن الرّحيم إذا تلاهَا المسجُون ، أوْ تليت له ثلاثة أيام كلّ ليْلة وكلّ يَوْم ألف مرّة خلّصَهُ الله تعالى ولو كان في قفل . راجعه ٨٩ .

وفي « خزينة الأسرار » : بلا تعيين الأيَام هكذا : وإن قرأها المحبوس أو المسجوُن أو المكروُبُ فرّج الله كربه وخلّصَ من سجنه وإن وجَب عَليْه القتل وهُوَ تقرأ كلّ يوْم ألف مرّة ليْلاً وَنهارًا ، وكذا يقرأ العَدد المذكور في جَلب المحبّة والمودّة بَيْن الخلاَئق عَلى قدح ماء المطر وسَقاه لمن يريد فإنه يتحَاب خصوصًا إذا سقى البَليد من ذلك الماء كلّ يَوْم إلى سبعة أيّام عند طلوع الشمس زالت عنه البَلادَة ويَحْفظ مَا سمعهُ . . إلخ . ومن دَاوَم على قرائتها كلّ يَوْم ألف مرّة قضى منه حَاجتهُ باليُسر في الدنيا وَالآخرة . انتهى رَاجعْهُ في ٨٤ . وخرج ابن السنى والدّيلمي عن ﵁ عنه مرفوعًا إذا وقعت في وَرْطة فَقُلْ : بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلاّ باللهْ العَليّ العظيم فإنّ الله يَصْرف بهَا مَا يشاء من أنواع البَلايَا . وروي عن ابن عباس رَضيَ الله عنهُمَا أنه قال : قال رسول الله ﷺ « من قال بسم الله الرّحمن الرّحيم ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العَليّ العظيم صرَف الله سَبْعين بَابًا من أنواع البَلايَا والهمّ والغم واللمم » ، كذا في « الدرر المنثور » . انتهى راجعه في ٧٩ . **وفيه** أيضاً إن من قرأها في وَجْه ظالم أوْ حاكم جَائر خمسين مرّة ذلّ له وخشعَ لهُ ودَخل رعبٌ في قلبه وألقى علىَ القارئ هيبة وأمِنَ من شرُورهم رَاجعْه في ٨٤ .

وفيه أيضاً : أنّ من قرأ سُورة « الكوْثر » ثلثمائة مرّة في موضع خال بنيّة النصر على الأعداء نصَره الله عليْهم وظفر بهمْ ، وكذا يقرأ لإخراج المسجُون وفصْل الحكم ، والدعوى ، فإن قرأها ألفاً يحْصُل المطلوب سريعًا كذا في « بحر المعَارف » . فيقول الفقير أيّده الله القدير : أخبرني الشيخ الحَاجّي محمد الموصلي والشيخ يعقوب مكةَ نفعَنا الله بهَما آمين قرائة سورة الكوثر لكلّ مطلوب ألف مرّة خصُوصاً في جلب الأرزاق والمال ،

وطلب الجاه والمراتب ، وغيْرهَا لفعْل الخيرات وظهور التجلّيات انتهى .
قال الإمام التميمي رحمه الله تعالى : من أدْمَن على قرائة إنا أنزلناه رق قلبه وخشع لرَبّه وثبت عَلى الطاعَة ، وإذا قرأت عند نزول المطر مائة مرّة ودعا القارئ بمَا يحب من أمر الدنيا والآخرة يستجَاب لهُ دعائه علىَ الفور ، وهُوَ من المجرّبات ، ومن قرأهَا عَلى عين مَاء انقطع مَائهُ ونقصَ جَرْيُها في كلّ يوم سبع مرّات عزر مَائهَا وكثر . انتهى « خزينة الأسرار » عبارته ٥٩ .

ومنها مَا في « فتح الملك المجيد » وهُوَ أن قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ ﴾ إلى ﴿ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ إن كتبها من طال سجنه وهُوَ مظلوم وله عدُوّ وعَلّقها على عضده الأيمن وكثر من قرائتهَا خلص بإذن الله تعالى . راجعه في ٢٢ .

ومنها آية خلاَص المسجون ﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ . انتهى ٣٦ .

فائدة

آيَة قضاء الحوائج قوله تعالى : ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ ، وآية الإخفاء عن أعْيُن الظلمة قولهُ تعالى ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ . كذا في « فتح الملك المجيد » . ومَنْ أرَادَ إهْلاَك ظالم أوْ جبّارٍ فليُصل الصّبح ويقول وهُوَ جالس قبل أن يتكلم : بسم الله الرّحمن الرّحيم ولا حَول ولا قوة إلاّ بالله العَليّ العظيم ، يا قديم يا قائم يَا دَائم يَا فرد يَا وتر يَا أحد يَا صَمدُ يَا حيّ يَا قيّوم يا كريم يا رحيم يا سند من لا سند لهُ يا من إليه المستند يا مَنْ لم يلد ولم يُولد ولم يكن لهُ كفواً أحد يا ذا الجلال والإكرام مائة مرّة وسَأل الله تعالى حَاجته قضيت في الوقت خصُوصاً إذا دعا على ظالم أوْ جبّار ، ويحصُل المطلوب ، ومَنْ حصَل لهُ كرب ، فليُصَلّ ركعتين لله تعالى ويقُول بَعْد ذلك : حسبنا الله ونعم الوكيل أرْبَعَمائة وخمسين مرّة فان الله يفرج كرْبَه ، ولا يخفى عليك ما تقدم من الآيَات والسور فلا تغفل عنه .

ومنَ الفوائد المجرّبة لهلاك الظالم وهُوَ مجرّب صحيحٌ لا شك فيه فاتق الله تعالى فيه لأنّه من الأعْمال الجليلة المهلكة في الوقت والساعة ، فإذا أردت ذلك في عدُوّ الدّين تصُوم لله ثلثة أيام مجتنباً كلّ ذي رُوح وما خرج من روح مُدّة الصيام ، وفي اليوْم الثالث تأخذ ألف حَصْوة من الملح وتقرأ على كلّ حَصْوة ﴿تَبَّتۡ يَدَآ﴾ بغير بسمَلة مرّة وَاحدة إلى أن تكمل مائة حَصْوة ، وعَلى كل رأس كلّ مائة تقرأ الدّعاء مرّة وهكذا تفعَل إلى أن تتم الألف ، ثم تلفهم في خرقة بَيْضاء وترميَها في بئر أو نهر أو أيّ مكان فإنه يهلك لوقته جرّب وصَحّ ، واعْلم أنه كما يستجاب لك يستجاب عَليْك والسلام ، فهلاكه موقوف على إذابة الملح وهذه العزيمة التي تقرأ عَلى رأس كلّ مائة تقول : اللهمّ أهلك عدوّي فلان بن فلانة كما أهلكت أعْداء الأنبيَاء والمرسلين ، واقهر فلاناً بن فلانة في هذه السَّاعة ، اللهمّ يَا قاهر يَا ذا البطش الشديد يَا فعَّال لما يُريد ، اللهمّ أهْلك عَدوّي فلان بن فلانة بحق سورة ﴿تَبَّتۡ يَدَآ﴾ وبحرُوف ﴿تَبَّتۡ يَدَآ﴾ وبكلمات ﴿تَبَّتۡ يَدَآ﴾ اللهمّ بسرّ أنبيَائك ورُسلك وبسرّ حبيبك محمّد عليه أفضل الصّلاة والسّلام ، وبسرّ قهْر جلالك وبسرّ جيد أسمائك ، وما أنزلته في كتابك مَالك رقاب جميع العبَاد فإنك قلتَ وقولك الحق ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ إنك لا تخلف الميعاد يا قاضي الحاجَات يا مجيبَ الدّعوات يا قادر ، يَا قاهِر ، يَا كبير فإنك عَلى كلّ شيء قدير . انتهى عبارته ٣٤ من « فتح الملك المجيد » .

فائدة

قال صَاحبُ « الدرر النظيم » مَا لفظهُ : إنّ من أسرار الله لكلّ من أهمّه أمرٌ من الأمُور أوْ نزل كرب إمَّا بسبب في الدين أو الدنيا مما لا بُدّ منه أن يتطهّر عند المغرب من ليلة الجُمْعة ويَعْكف نفسه لله في صَلاته ولا يتكلم أحدًا حتّى يصلّي العشاء الأخيرة فإذا أوتر قال في آخر سجْدة من

وَتره : يَا أللهُ يَا ربّ يَا رحمن يَا رحيم يَا حيّ يَا قيّوم بك أستغيث يَا الله . يقول ذلك مائة مرّة ، ثم يسأل الله حَاجته تقضى ويجتنب أن يدعو بهلاك مسلم ، أوْ عَلى مضرة .

وَرَوى الترمذي عنه عَليْه الصلاة والسلام أنه : « كان إذا أكربهُ أمرٌ قال : يَا حيّ يَا قيّوم بك أستغيث » قال الحاكم : هذا صَحيحُ الإسناد . وفيه ؛ كان إذا أهمّه الأمْر رفع رأسه إلى السماء فقال « سبحَان الله العظيم » وإذا اجتهدَ في الدعاء قال : « يا حيّ يَا قيّومُ برَحْمتك أستغيث » . انتهى عبارته ١٤٢ . وفيه أيضاً : مَا نصّه اللطيفة الأُولى ١١ اسمًا أمَان للخائفين والمستوحشين وإطلاق المسجُونين **الواحدْ الله الرّحمنْ الرّحيمْ الرؤوف الغفار المنان الكريم ذو الطول ذوالجلال والإكرام** . منه عبارته ٢٢ من سورة « الأعراف » .

وفيه أيضاً مَا حَاصلهُ : إن هذه الآيات الخمس المذكُورة بَعْدُ لزوال الهمّ والغم ودفع كيْد الكائدين ، وهي خمس آيَات متفرّقات فمن أهمّه أمرٌ من أمور الدّنيا أوْ ضاقت عليْه أسبَابه فليَرْجع إلى الله تعالى ويَتوب إليه ويستغفره ٧٠ مرّة ويُصَلّي علَى النبيّ ﷺ ثم يتوضّأ وَيُصَلّي ركعتين يقرأ فيهما بمَا أحبّ من القرآن فإذا سلم جلس ويستغفر الله ويصلي علَى النبي عليه السلام كما فعَل أوّلاً ثم يسجدُ ويقرأ الآيات الخمس ويسأل الله زوال الهمّ والغم وتعجيل الفرج فإن الله يفرج عنه ويزيل عنه الآفات . والآيات الخمس قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ إلى قوله : ﴿ٱلْوَكِيلُ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ إلى قوله : ﴿لِلْعَٰبِدِينَ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ إلى قوله : ﴿نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ،وقوله تعالى : ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ إلى قوله : ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ . انتهى راجعه في ٢٦٣ .

وفيه أيضاً أن مَنْ اَدْمَن على قرائة سورة الفلق يسرَت له الأرزاق ، وحفظ من شرّ الخلق وحسده ، ومَنْ أدْمَنَ عَلى قرئة سورة الناس كان في عَافية وسلامة ومن قرأها على منظور بَرئ ، ومن قرأهَا على مَريض عُوفي ، وإذا كان محضراً هوّن عليه ، ومن قرأهَا عند نومه أمِنَ من الجنّ والإنس والوسواس ، ومن كتبهَا وعَلّقهَا علَى الصغار حفظوا من الجنّ والهوام ، ومن قرأهَا عند الدخول على السّلاطين والحكام كفى شرّهم وكان بقدرة الله تعالى في أمَان وسلام واطمئنان انتهى « الدرر النظيم في خواصّ القرآن العظيم » لأبي محمّد عَبْد الله بن أسعد اليمني الشافعيّ .

ومنها دُعَاء الأميرين ؛ أخبرنا أخونا الشيخ الإمَام الأجَلّ شيخ الإسلام والمسلمين أبُو المؤيّد أبي الفتح بن أبي نصر بن حرب رحمه الله تعالى ، أخبرنا الشيخُ الإمام أبُو سعيد بن محمّد بن علي أخبرنا الشيخ الإمَام أبو سعد بن سعيد بن محمد بن علي أخ الشيخ أبو الحسن الدّينوري ، أخ الشيخ أبو القسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم السّهمي ، أخبرنا أبُو أحمد عبْد الله بن عدي الحافظ لفظاً من كتابة أخ أحمد بن حفص بن عمر بن حَاتم السعدي أخ سويد بن سعيد الأنباري أخ سليمان وهُوَ ابن أبي هوذة أخ سفيان الثوري أخ أخ إبراهيم بن أدهم عن موسى بن يزيد عن أويس القرني عن عمر بن الخطاب وعَلي بن أبي طالب رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : « ما من عبْد دعا بهذا الدعاء إلا استجاب الله تعالى له » قال النبيّ ﷺ « والذي بعثني بالحقّ إن دعا بهذا الدعاء على مفاتيح الحديد لذابت » ، قال النبي ﷺ : « والذي بَعثني بالحق إنْ دعا بهذا الدعاء عَلى مَاء جَار يسكن له حتى يمرّ عليه ، والذي بَعثني بالحقّ لو أن رَجُلاً دعا عَلى جبَل بينه وبين موضع يُريده لانثقبَ له الجبَلُ حتى يسلك فيه إلى موضع الذي يُريده ، والذي بَعثني بالحق إن من بَلغ إليه الجُوع والعطش ثم دعا بهذه الأسماء أطعمهُ الله وسقاه ، والّذي بعثني بالحقّ لو دعا رجُلٌ في المدينة بهذه الأسماء والمدينة تحرق ومنزله في وسطها لنجا ولم يحترق ، والّذي بَعثني بالحق لو دعا بهَا

أربعين ليْلة من ليَالي الجمعة غفر الله تعالى له كلّ ذنب بينهُ وبين الأدميّين ، والذي بعثني بالحق من دعا على سلطان جَائر لاستجاب الله تعالى لهُ والذي بعثني بالحق من دعا فرّج الله جميع همُوم الدنيا ، والذي بعثني بالحق من دعا على سلطان جَائر ثم دَخل عليه قبل أن ينظر إليْه جعَل الله تعالى ذلك السلطان طوْعاً بيَده ، والّذي بَعثني بالحق من دعاها ثم نام وهُوَ يدعُو بهَا بَعث الله تعالى بكلّ حرْف مائة ألف ألف مَلَك من الروحانيّين وجوههم أحسن من القمر سبعين ألف جزء ويستغفرون له ويكتبُونَ له الحسنات ويمحو عنه السيئات ويرفعون له الدرجات » قال : قال سلمان الفارسي بأبي أنت وأمّي يَا رسول الله ﷺ أيعطى الرجل بهذه الأسماء هذا كلّه ؟ قال : « يا أبا عَبْد الله لا تخبر الناس حتى أخبرُك بأعظم من هذا » يا نبي الله ولم تأمرني بكتمان هذا ؟ ! قال : « يا أبا عبد الله إني أخشى أن يدعوا العمل ويقتصروا على هذه الأسماء » قال : « يا أبا عبد الله من دعا وقد ارتكب الكبائر كلّها وقد دعا بهذه الأسماء فإن ماتت من ليلته فهو شهيد عند الله تعالى وإن مات بغير توبة » وقال : « يا أبا عبد الله يغفر الله تعالى له ولأهل بيته ومؤذن مسجده وإمامه .

مهم

وهي هذه الأسماء : اللّهمّ إنّك حيّ لا تموت وخالق لا تعاب وبصيرٌ لا تُرتاب وبديئ لا تفقد وصادق لا تكذب وقاهر لا تغلب وقريب لا تُبعد وقادرٌ لا تضاد وغافر لا تظلم وصمد لا تطعم وقيّومٌ لا تنام ومجيب لا تسام وجبار لا تكلم وعليم لا ترام وعالم لا تعلم وقويّ لا تضعف وعظيم لا توصف ووفيّ لا تخلف وعدل لا تحيف ، وغنيّ لا يفتقر ، وكبير لا تهرم ، وحكيم ، لا تجور ، ومنيع لا تقهر ، ومعروفٌ لا تنكر ، ووكيلٌ لا تُخفر ، وغالبٌ لا تغلب ، ووترٌ لا تستأمر ، وفردٌ لا تستشير ، ووهّاب لا تملّ ، وسريعٌ لا تعجل ، وجواد لا تبخل ، وعزيز لا تذلّ ، وباق لا تبلى ، وواحدٌ لا تشبه ، ومقتدر لا تنازع ، يا كريم الجواد المتكرم ، يا قريب

المجيب المتعال ، يا جليل المجد ، يا سلام المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتعزز ، يا مَنْ ينادى من كلّ فجّ عميق بألسنة شتى ولغات مختلفة وحوائج أخر ، لا يشغله سمع عن سمع ، أنت الذي لا تغيّرك الأزمنة ولا تحيط بك الأمكنة ، ولا يأخذك نوم ولا سنة ، يسّر لي من أمري ما أخاف عسرته ، وفرّج عني ما أخاف ضيقة ، وسهّل لي ما أخاف حزونته ، سبحانك اللهمّ وبحمدك لا إله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، سبحانك اللهمّ وبحمدك لا إله إلا أنت ذو الجلال والإكرام ، بديع السموات والأرض ، اللهم أسئلك ولا أسأل غيرك ، وأرغب إليك ولا أرغب غيرك ، وأسئلك أمان الخائفين ، وجار المستجيرين ، الفتاح إلى الخير مقيل العثرات ، ماحي السيئات ، وكاتب الحسنات ، ورافع الدرجات ، وأسئلك بأفضل أسمائك كلّها أعظمها وأنجحها التي لا ينبغي للعباد أن يسئلونك إلا بها ، يا الله ، يا رحمن ، يا رحيم ، وبأسمائك الحسنى ، وبأسمائك العلى ، ونعمك التي لا تحصى ، وبأكرم أسمائك عليك ، وأحبها إليك وأشرفها عندك منزلة وأقربها منك وسيلة وأجزلها منك ثواباً وأسرعها منك إجابة وباسمك المخزون الجليل الأجلّ العظيم الأعظم الذي تحبّه وترضى ممّن دعاك به ، وتستجيب له دعائه وحق عليك أن لا تحرم سائلك ، وبكلّ اسم هو لك في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، وبكلّ اسم دعاك به حملة عرشك ، وملائكتك ، وأصفيائك من خلقك ، وبحق السائلين عليك والراغبين إليك ، والمتعوّذين بك والمتضرعين إليك وبحق كلّ عبد متعبّد لك في برّ أو بحر أو سهل أو جبل ، وأدعوك دعاء من اشتدّت فاقته ، وعظم جرمه ، وأشرف على الهلكة ، وضعفت قوّته ، ومن لا يثق بشيء من علمه ، ولا يجد لفاقته حيلة ، ولا لذنبه غافر غيرك ولا مستعيناً سواك ، جئت إليك معترفاً غير مستنكف ولا مستكبر عن عبادتك ، بائساً فقيراً مستجيراً ، وأسئلك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام ، عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم ، إلهي أنت الربّ وأنا العبد ، وأنت الملك وأنا المملوك ، وأنت العزيز وأنا الذليل ،

وأنت الغني وأنا الفقير ، وأنت الحيّ وأنا الميت ، وأنت الباقي وأنا الفاني ، وأنت المحسن وأنا المسيئ ، وأنت العفوّ وأنا المذنب ، وأنت الرحيم وأنا الخاطئ ، وأنت الخالق وأنا المخلوق ، وأنت القويّ وأنا الضعيف ، وأنت المعطي وأنا السائل ، وأنت المؤمن وأنا الخائف ، وأنت الرزاق وأنا المرزوق ، وأنت أحقُّ من شكوت إليه واستعنته وسألته ورجوته ؛ لأنك كم من مذنب قد غفرت له ، وكم من مسيئ قد تجاوزت عنه ، فاغفر لي وتجاوز عنّي برحمتك يا أرحم الراحمين » . « مفتاح السعادة » .

ومنها حرز جعفر الصادق : أخبرنا الشيخ الإمام الأجلّ شيخ الإسلام أبو المؤيّد بن أبي الفتح بن أبي نصر بن حرب ، أخبرنا أبو عبد الله بن سليمان بن النصر بن قتية قال : سمعت جعفر بن محمّد الصادق يرويه عن آبائه أنه قال : من دعا بهذا الحزب في يوم أو في شهر أو في سنة أو في عمره مرّة أمن من آفات الدنيا وبوائقها وهو : ربّ استجرت بك ، وتوكلت عليك ، ربّ إني فوّضت أمري إليك ، ربّ إني ألجأت ظهري إليك وضعف قوّتي إلى قوّتك ، مستجيراً بك على ذوي التعزّز عليّ والتشمّر لي والقوّة على ضيمي ،[1] ربّ إني في جوارك ، وإنه لا ضيم على جارك ، ربّ فاقهر عنّي قاهري بقوّتك ، وأوهن عنّي مستوهني بعزّتك ، واقبض عن ضائمي بقسطك ، وخذ لي عن ظالمي بعَدْلك ، وأعذني بعياذك ، فبعياذك امتنع عائذك ، وأدخلني في جوارك عزَّ جارك ، وأسبل عليّ بسترك ، فمن سترته فهو المحسن الذي لا يراع ، واضممني إلى كنفك فمن تكنّفته فهو الآمن المحفوظ ، لا حول ولا حيلة ولا قوة إلا بالله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولم يكن له شريكٌ في الملك ولم يكن له وليّ مِن الذلّ وكبّره تكبيراً ، من لك ذو حيلة في سببه أو حول ينقلبه أو قوة في أمره بشيء سوى الله ، فإن حولي وحيلتي وقوّتي بالله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، كل ذي ملك مملوك لله ، وكل ذي قويّ ضعيفٌ

(١) ضامه مثل ضاره لفظاً ومعنى (مص) .

عند قوة الله تعالى ، وكل ذي عز فغالبه الله ، وكلّ شيء في قبضة الله ، ذلّ كل عنيد لبطش الله ، صغر كلّ عنيد عند عظمة الله ، تضال[1] كلّ جليل عند جلال الله خضع ، كلّ جبّار عند سلطان الله استظهرت واستطلت على كلّ عدوّ لي درأت في نحر كلّ عات عليّ بالله ضربت ، بإذن الله بيني وبين كلّ مشرف[2] ذي سورة[3] وجبار ذي نخوة[4] وول ذي إمرة[5] ومتسلّط ذي قدرة ومستعيذ ذي أهبة وعدوّ ذي أُبْهة وعنيد ذي قوة وحاسد ذي ضغينة[6] وماكر ذي مكيدة ، وكلّ معين[7] أو معان مُغْرية[8] أو ساعية[9] مشلية[10] أو حيلة مردية إلى كلّ طاغ ذي كبرياء ، أو معجب ذي خيلاء على كلّ سبب وبكلّ مذهب ، واتخذت لنفسي وأهلي وولدي ومالي حجاباً دونهم بما أنزلت من كتابك وأحكمت من وحيك الذي لا يؤتى بسورة من مثله ، وهو الحكم العدل والكتاب العزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد .

---

(١) تضال - أي : تصغر (م) (**هامش الأصل**) .

(٢) أثرفته النعمة : أطفأه (م) (**هامش الأصل**) .

(٣) سورة السلطان - سطوته واعتدائه (م) (**هامش الأصل**) .

(٤) النخو - الكبر (م) (**هامش الأصل**) .

(٥) والإمرة بالكسر - أي : صار سيداً (م) (**هامش الأصل**) .

(٦) **أي** : حقد .

(٧) عناه : يعني : إذا كلّفه ما يشق عليه (م) (**هامش الأصل**) .

(٨) أغريت بين القوم : أفسدت (م) (**هامش الأصل**) .

(٩) وسعى به إلى الوليّ : وشي .

(١٠) وأشليته على الصيد : أغريته . وزناً ومعنى .

دعاء المحبوس

ومنها دعاء المحبوس عن عبد الله بن أيوب قال رأيت يعقوب بن داود في الطواف ، فقلت : أحب أن تخبرني كيف كان سبب خروجك من السجن ، والمهدي من أغلظ الناس عليك ؟ ! قال : إني كنت من المطبق ، وقد خفت على بصري فآتاني آت في المنام ، فقال لي : يا يعقوب ترى مكانك ؟ فقلت : وما سؤالك ، أما ترى ما أنا فيه ليس يكفيك هذا . قال : نعم ، فأسبغ الوضوء ، وصلّ أربع ركعات ، وقل : يا محسن ، يا مجمل ، يا مفضل ، يا ذا النوازل والنعم ، يا عظيم ، يا ذا العرش العظيم ، اجعل ممّا أنا فيه فرجاً ومخرجاً . فانبتهت ، فقلت : يا نفس هذا في النوم . فرجعت إلى نفسي ، وتحفظت الدّعاء ، وقمت وتوضّأت وصلّيت ودعوت ، فلما استقرَّ الصبح جاؤوا وأخرجوني ، فقلت : ماذاك إلاّ ليقتلني ، فلما رآني أومى بيده أن ردوه واذهبوا به إلى الحمام ، فنظّفوه وأتوني به ، فطابت نفسي ، وسجدت شكراً لله تعالى ، فأطلت السجود ، فقالوا لي : قم . قال : دعوه ما كان ساجداً ، ثم رفعت رأسي ، فلما ردّوني إليه خلع عليّ ، وضرب بيده على ظهري فقال : يا يعقوب لا يمنن عليك أحد ، فما زلت الليلة قَلِقاً بأمرك « مفتاح السعادة » . عبارته راجعه في ٧٣ .

وفيه ما نصّه أنه يقال للهمّ والوحشة ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ . عبارة ٥١ .

وفي « مفيد العلوم » ما لفظه : وفي الخبر : أنّ فرعون كان يخلط السمّ بالأدم ويجعله في طعامه كلّ يوم مرتين ، ثم يقدّم الطعام بين يدي موسى ، فألهمه الله تعالى هذا الدعاء : أعوذ بالذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه من شرّ ما خلق وذرأ وبرأ ، ومن شرّ الشيطان وشريكه . انتهى راجعه في ١١٧ .

ومنها ما حكي من أن بعض الملوك غضب على فقير ، فسجنه في قبّة ولم يجعل لها باباً ، ومنع منه الطعام والشراب ، ثم بعد ثلاثة أيام أخبر الملك بأن الفقير قد خرج من القبة وهو صحيحٌ سليم ، فأمر بإحضاره بين يديه ، قال له : يا الذي نجاك من هذه الشدة ، وفرج عنك هذه الكربة ، وأخرجك من هذا الضيق ، ما سبب خلاصك ؟ ! فقال له الفقير : دعاء دعوت به ، فقال له الملك : وما هو ؟ ! فقال : هو اللهمّ إني أسألك يا لطيف يا لطيف يا لطيف يا من وسع لطفه أهل السموات والأرض أسألك أن تلطف بي بلطفك الخفيّ (ثلاث مرّات) الذي لطفت به بأحدٍ من عبادك كفى فإنّك قلت وقولك الحق ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ الآية . فألطفه الملك وأحسن إليه . انتهى « نوادر »عبارته ١٤٠ . **وفي** « مفيد العلوم ومبيد الهموم » ما نصّه :

واعلم أنّ من عوفي في أوّل يومه كوفي في آخره ، فليقرأ في كلّ يوم حتماً مقضيّاً بالغداة (ثلاث مرات) هذا الدعاء : بسم الله وبالله أعددت لكل هول لا إله إلا الله ، ولكلّ همّ وغمّ ما شاء الله ، لا يخلو مكان من قدرة الله ، ذلّ كلّ شيء لعظمة الله ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم . ففي الخبر أن من قرأه أمن من السلطان والشيطان وكلّ ظالم جائر وكلّ شيء يخاف ، ويقول كلّ يوم (ثلاث مرات) لا إله إلا الله الحليم الكبير ، ثم سبحان الله ربّ العرش العظيم وربّ العالمين ، اللهم إني أعوذ بك من شر كل ذي شرّ ، وأدرأ بك في نحره ، وأستعينك عليه ، فاكفني شرّ كلّ ذي شرّ بما شئت يا أرحم الراحمين . ففي الخبر من قرأه يدفع عنه قضاء السوء ، وكلّ يوم يقرأ هذه الكلمات حتى لا تعمل عليه النار يوم القيمة : لا إله إلا الله الملك الجبّار ، لا إله إلاّ الله الملك القهار ، لا إله إلاّ الله العزيز الغفار ، لا إله إلا الله الكبير المتعال . وكان الشيخ أبو بكر الكتاني رضي الله عنه من أعلى الناس في طبقات الصوفيّة ، فرأى النبيّ ﷺ في المنام فقال : يا رسول

الله ماذا أصنع من الأعمال حتى لا يموت قلبي ؟ فقال النبي ﷺ : « إذا أردت أن يحيا قلبك فقل كلّ يوم (سبعين مرة) : يا حيّ يا قيوم لا إله إلاّ أنت » . انتهى راجعه في ١١٥ .

وفي الخبر : « من خاف سلطاناً ظالماً أو عدوّاً يقصده فليصلّ أربع ركعات ، يقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب وخمساً وعشرين مرة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، فإذا فرغ يقول خمساً وعشرين مرة : يا ربّ يدك فوق أيديهم اكفني شرَّ فلان . فإنّ الله يدفع عنه شرَّه ، ويعطف قلبه عليه بالشفقة . انتهى منه راجعه في ١١٧ .

فائدة

إذا كان لك حاجة عند بخيل شحيح ، أو سلطان جائر ، أو غيرهم[١] فاحش تخاف من فحشه ، فقل هذا الدعاء : اللهمّ أنت العزيز الكبير ، وأنا عبدك الذليل الضعيف الذي لا حول ولا قوة إلاّ بك ، اللهمّ سخّر لي فلاناً كما سخّرت فرعون لموسى ، وليّن لي قلبه كما ليَّنت الحديد لداود ، فإنّه لا ينطق إلاّ بإذنك ، ناصيته في قبضتك ، وقلبه في يدك ، جلّ ثناء وجهك يا أرحم الراحمين . « نوادر » راجعه في ١٤٤ .

وفي « الإتحاف » شرح « الإحياء » : أن من خاف سلطاناً يقول : اللهمّ إله جبريل وميكائيل وإسرافيل ، وإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق عافني ، ولا تسلّط عليّ أحداً من خلقك بشيء لا طاقة لي به . انتهى عبارته . وفي « مفتاح السعادة » : أن من أراد أن يقهر خصمه وعدوّه يقرأ : ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٥٠ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥١ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٥٢ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٥٣ ﴾ ﴿ ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ . انتهى .

---

(١) غريم

دعاء الحبس

ومنها : دعاء الحبس المرويّ عن الحكم بن هاشم الثقفي ، قال : أأُخْبِرُك ؟ أن رجلاً أخذ سنين ، ثم ألقي في جبّ ، ووضع على رأس الجبّ صخرة ، فلقن فيها : سبحان الملك الحق القدوس ، سبحان الله وبحمده ؛ فأخرج من غير أن يكون لإخراجه إنسان . انتهى « مفتاح السعادة » راجعه .

ومنها : ما فيه عن إبراهيم ابن الأشعث قال : سمعت فضيل بن عياض يقول : كان رجل على عهد رسول الله ﷺ أسره العدوّ ، فأراد أن يفدوه فأبوا عليه إلا بشيء كثير ، فشكا بذلك أبوه إلى النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ : « اكتب إلى ابنك أن يكثر من قول : وتوكلت على الحي الذي لا يموت ، والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذلّ وكبّره تكبيراً » . قال : فكتب الرجل إلى ابنه ، فجعل يقولها ، فغفل عنه العدوّ ، فانساق أربعين بعيراً من إبلهم فقدم بها على أبيه . انتهى منه راجعه في ٦٧ . أخبرنا بعض الفقراء المظلومين أن أميراً كان يسمّى الدم الأسود بمصر قد ظلمه فقرأ المظلوم على نهر جار هذا الدعاء ، فقصمه الله تعالى من ليلته ، وجرّب مراراً فصحّ . وكيفيته أن تجلس على شاطئ نهر جار ، وتصلّي أربع ركعات تقرأ في كلّ ركعة بفاتحة الكتاب (مرة) ، و﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ﴾ (أربعين مرّة) في القيام (عشرة) ، وفي الركوع (عشرة) ، وفي كلّ سجدة (عشرة) ، فإذا سلمت من الصلاة تثني على الله تعالى بما هو أهله ، ثم تصلّي على النبيّ ﷺ وتقول : اللّهمّ أنت الحاضر المحيط بمكنونات الضمائر ، وأنت الناصر المطلع العالم مالك روح فلان الظالم ، اللهم أهلكه وسربله بسربال الهوان ، وقمّصه بقميص الردّى ، وأقصم عمره ، وكوّر نثيمه[1] ،آيه ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ ، وكذلك أخذ ربّك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن

---

(١) نثم تكلم بكلام قبيح (**هامش الأصل**) .

أخذه أليم شديد فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم وتقول : يا حادثات الليالي جدي السير إليه فإنّنا بك نرجوا خلاصنا من يديه ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ فلان سوّقي إليه الرزايا ، سوقي الرزايا إليه واسلبه سريعاً ، والنائحات عليه دمّر الله دمّر الله عليه . تقول هذا الدعاء ، وتصلّي هذه الصلاة ، وأنت على نهر جار ، وتكتب في ورقة : ربّي إني مغلوب فانتصر . وارمها في النهر ، فإن الله يهلكه عاجلاً . من « زيل التذكرة » . عبارة في ١٧٩ . وفي « مفتاح السعادة » عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : قال لي جبريل عليه السلام : ألا أعلّمك الكلمات التي قالهنّ موسى عليه السلام حين فلق البحر لبني إسرائيل قال : قلت : بلى ، قال : قل اللّهمّ لك الحمد وإليك المشتكى ، وأنت المستعان وعليك التكلان ، ولا حول ولا قوة إلاّ بك . قال عبد الله فما تركتهنّ منذ سمعتهنّ من رسول الله ﷺ . ورُوي أن موسى عليه السلام لما دخل على فرعون قال هذه الكلمات ، فنصره الله عليه ونجاه وقومه ، وأهلك فرعون وأهله : لا إله إلاّ أنت الحليم الكريم ، سبحان ربّ السموات وربّ العرش العظيم ، والحمد لله ربّ العالمين ، اللهمّ إني أدرأ بك في نحر عدوّي ، وأعوذ بك من شره ، وأستعين بك عليه ، فاكفنيه ، فأمسكه بما شئت .

ذكر وهب أن موسى وهرون لما دخلا دار فرعون ، ووقفا بين يديه ، لقَّن الله تعالى موسى دعوة دعا بها ، وهو هذا ، فتحوَّل ما في قلب موسى من الخوف أمناً ، وتحوّل ما في قلب فرعون من الأمن خوفاً . فمن دعا بهذا الدعاء وهو خائف آمنه الله تعالى ، وفرّج كربه ، وخفف عنه كرب الموت . انتهى راجعه في ٤٠ .

وعن علي بن الحسين بن زين العابدين عن النبيّ ﷺ : « لما اجتمعت اليهود على عيسى بن مريم عليهما السلام ليقتلوه بزعمهم ، أتاه جبرائيل عليه السلام فغشاه بجناحه ، فطمح عيسى ببصره فإذا هو بكتاب في باطن جبرائيل : اللهمّ إني أسئلك باسمك الأحد الأعز ، وأعوذ بك اللهم باسمك

الأحد الصمد ، وأعوذ بك اللهمّ باسمك العظيم الوتر ، وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعال الذي ملأ الأركان كلّها أن تكشف عنّي ما أصبحت وأمسيت فيه . فلما دعا بهنّ دعى الله تعالى إلى جبريل أن ارفع إلي عبدي » ، ثم قال رسول الله ﷺ : « ما دعا بهنّ عَبْدٌ مؤمن مخلصاً إلا اهتزّ لهنّ العرش والسموات السبع ، والأرضون السبع وقال تعالى لملائكته : اشهدوا أني قد استجبت للداعي بهنّ ، وأعطيته سؤله في عاجل دنياه وآجل أخراه » ثم قال رسول الله ﷺ : « سلوا ربكم بهؤلاء الكلمات ، ولا تستبطؤا بها الإجابة ، فإنما هو خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكّلون » . انتهى « مفتاح السعادة » عبارته في ٤٣ .

ومنها دعاء المكروب والمغموم والمريض والمديون عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لأعرابي من بني سُليم « ألا أعلمّك تسعة أسماء علّمني ربي عزّ وجلّ لا مغموم إلا فرّج الله تعالى عنه ، ولا مكروب إلاّ نفّس الله عنه كربته ، ولا غائب إلاّ ردّه الله تعالى ، ولا مريض إلا شفاه الله تعالى ، ولا مديون إلا قضاه الله تعالى دينه ، ولم يكن هذه الأسماء في منزل ولا وطن إلاّ طردت إبليس وجنوده ، فقل إذا أصبحت وأمسيت : اللهمّ إني أسألك يا رحمن يا رحيم ، يا جار المستجيرين ، وأمان الخائفين ، ويا عماد من لا عماد له ، ويا سند من لا سند له ، ويا ذخر من لا ذخر له ، ويا حرز من لا حرز له ، ويا غوث الضعفاء ، ويا عظيم الرجاء ، ويا منقذ الهالكين ، ويا منجي الغرقى ، ويا محسن ويا مجمل ويا منعم ويا مفضل ويا عزيز ، أنت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار وشعاع الشمس وخفيق الشجر ودويّ الماء ونور القمر ، يا الله يا الله يا الله لا شريك لك أسئلك بهذه الأسماء أن تصلّي على محمد وعلى آل محمد . ثم ادع بحاجتك . انتهى راجع « المفتاح السعادة » في ٧١ .

عن أنس ﵁ ما أصاب النبي ﷺ كربة قط إلا قال : يا أحد . منه ٧١ .

ومنها دعاء الهمّ والحزن المرويّ عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أصاب مسلماً قطّ همّ ولا حرب فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي في يدك ماضٍ فيّ حكمك عَدْل فيّ قضائك أسألك بكلّ اسم لك سمّيت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو أعلمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب أن تجعل القرآن ربيع قلبي وجلاء حزني وذهاب همّي . إلا ذهب همّه وأبدل مكان حزنه فرجاً . منه راجعه في ٧١ .

وفي « نزهة المجالس » أن سعيد بن المسيب ﵁ لما هرب من الحجاج استخفى في بعض حجر النبي ﷺ ، فكان لا يعلم أوقات الصلاة إلا بهمهمة يسمعها من قبر النبيّ سمع صوتاً يقول : يا ابن المسيب قل : اللهم أنت الملك وأنت على كلّ شيءٍ قدير وما تشاء من أمر يكون . فما قلتها والله في كربة إلا فرّج الله عنّي . انتهى .

حكاية

طلب الحجاج رجلاً من الأكابر ، فلما قدر عليه جعله في السجن وأمر أن يقيد ، فلما صار في السجن ووضع القيد في رجليه رفع رأسه وقال : لا حول ولا قوة إلا بك لك الخلق والأمر . فلما جنّ اللّيل غلق السجّان الأبواب ، فلما أصبح وجد القيد مطرُوحاً ولم ير للرّجل أثراً ، فخاف من الحجّاج فجاء إلى أهله فودعهم ، ثم جاء إلى الحجاج وأخبره بأمر الرجل ، فقال : هل قال شيئاً ؟ قال : نعم ، لما جعلت القيد في رجليه رفع رأسه إلى السماء وقال : لا حول ولا قوة إلا بك لك الخلق والأمر . فقال الحجاج : إن الذي ذكره وأنت حاضر خلّصه وأنت غائب . انتهى راجعه في ٧٢ ج ١ .

دعاء الفرج

وفيه في صحيفة ٧٨ ما نصّه : إن عائشة رضي الله عنها قالت : لما قال أهل الإفك ما قالوا هجرني القريب والبعيد حتّى ، الهرّة وتركت الأكل والشرب ، وكنت أنام جائعة ، فرأيت في منامي رجلاً ، فسألني عن أمري ، فأخبرته ، فقال : قولي دعاء الفرج :- اللهم يا سابغ النعم ، يا دافع النقم ، يا فارج الهمّ ، يا كاشف الظلم ، يا أعدل من حكم ، يا حسيب من ظلم ، يا وليّ من ظلم ، يا أوّلاً بلا بداية ، وآخراً بلا نهاية ، يا من له اسمٌ بلا كنية ، اجعل من أمري فرجاً . قالت : فانبتهت شبعانة ريّانة ، وقد أنزل الله برائتي . انتهى عبارته .

وفيه أيضاً أن هارون الرشيد حبس موسى بن الكاظم ﵁ في بغداد ، ثم أمر بإخراجه وإعطاء ثلاثين ألف درهم ، فسئل عن ذلك فقال : رأيت عبداً أسوداً ومعه حربة ، وقال إن لم تخرج موسى وإلا قتلتك ، ثم قال موسى : رأيت النبي ﷺ في المنام وقال : يا موسى حُبسْتَ ظلماً فقل هذه الكلمات فإنك لا تبيت هذه الليلة في الحبس فقال : يا سامع كل صوت ويا سابق كلّ موت ويا كاشف العظام ومنشرها بعد الممات ؛ أي : الموت أسئلك بأسمائك العظام وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون الذي لم يطلع عليه أحدٌ من المخلوقين ، يا حليماً بخلقه يا ذا المعروف الذي لا ينقطع معروفه أبداً ولا يحصى له عدد فرّج عنّي . ففرج الله عنه . انتهى راجعه في ٧٣ .

روى الطبراني في « الكبير » و« الأوسط » بإسناد حسن عن النبي ﷺ : من دعا بهؤلاء الكلمات الخمس لم يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه ؛ الله لا إله إلا الله والله أكبر ، لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير ، لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله . انتهى .
قال رجل لأبي الدرداء ﵁ قد احترق بيتك ، فقال : لم يكن الله يفعل ذلك بكلمات سمعتهنّ من رسول الله ﷺ ؛ من قالها أوّل النهار لم تصبه مصيبة حتى يمسي ، ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح ، وهي :

اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، أعلم أن الله على كل شيء قدير ، وأنّ الله قد أحاط بكلّ شيء علماً ، اللهم إني أعوذ بك من شرِّ نفسي ومن شر كلّ دابّة أنت آخذ بناصيتها إنّ ربي على صراطٍ مستقيم . منه راجعه في ٧٥ .

وفيه أيضاً أن يوسف عليه السلام لما طُرح في الجبّ واستوحش جاءه جبريل عليه السلام بهذا الدعاء : اللهم يا كاشف كل كربة ويا مجيب كلّ دعوة وجابر كل كسير ويا سامع كل نجوى ويا حاضر كلّ بلوى ويا مؤنس كل وحيد و يا صاحب كلّ غريب لا إله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين أسألك أن تقذف في قلبي حبّك حتى لا يكون لي شغل ولا همّ سواك وأن تجعل لي من أمري فرَجاً ومخرجاً فأنت رحيمي يا أرحم الراحمين .

وذكر القرطبي في تفسيره نحو هذا ، ثم ذكر أنه أقام في الجبّ ثلاثة أيّام وكان عمره اثنتا عشرة سنة ، ولما دخل السجن في مصر وكان عمره ثلاثين سنة قال وهبٌ : مَكث يوسف في السجن سبع سنين ، وقيل أقل ، وقيل أكثر . انتهى ٧٧ .

وفي « ذيل التذكرة » ما لفظه : إذا ظلمك إنسان وأردت الانتصار منه من ساعتك فسر إليه حتى تراه واقفاً أو جالساً أو راقداً ، فكبِّر عليه أربع تكبيرات كالجنازة ، واقرأ سورة « الفاتحة » وسورة « الفيل » خمساً وأربعين مرة ، ولا تفصل بين القرائة بكلام ، وقل : اللهم تعلم أعدائنا عدداً فبدّد شملهم بدداً ، وفرق حالهم أبداً ، ونكِّس رؤسهم مدداً حتى لا يبقى منهم أحداً إنك أنت الواحد الأحد الصمد الباقي سرمداً ، ومكروا مكراً ، ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ، تدمّر كلّ شيء بأمر ربّها فأصبحوا لا يُرى إلا مساكنهم كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ، أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيّدة . انتهى . راجعه في ١٧٩ .

فائدة

عن الشيخ شهاب الدين القيلوبي لهلاك الظالم ؛ تصوم ، وتتطهّر ، وتأخذ ألف حصاة من الأرض ، وتخرج خارج البلد التي فيها العدوّ ، وتقرأ على كلّ حصاة سورة « الفيل » إلى آخره ، وكل مرة تقول هلّك فلان كما هلّك أصحاب « الفيل » ، ثم بعد تمام العدد يرمي الحصاة في بئر مهجور ، وإن أردت العجلة ففي تنور خبزاً وفي مستوقد حمام . انتهى منه ١٧٩ .

حزب إبراهيم الدسوقي

ومنها : حزب شيخ الاسلام العارف بالله تعالى الداعي إلى الله ، شيخ الطريقة ، ومعدن الحقيقة ، كنز الولاية ، الشيخ الحقيقي سيّد إبراهيم الدسوقي . وحاصل ما في شرحه للشيخ الشمس الرملي أن من قرأه أو حمله يأمنه من شرِّ أهل السموات وأهل الأرض ؛ من الجن والإنس وغير ذلك ، وهو : بسم الله الرحمن الرحيم ، رفعتُ وحجبتُ ومنعتُ عن حامل هذا الكتاب شرَّ كلّ من هدر وبغي من تجبّر وألم وتمرّد وكاد واجتهد وقام وقعد ورمد وهذر وهدّد بألف ألفي بسم الله الرحمن الرحيم ، ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤ ﴾ رفعت وحجبت ومنعت وصرفت عن حامل هذا الكتاب شر كلّ طارق طرق إلا طارقاً يطرق بخير ، وحجبت عنه شر كلّ من صاح ونعق ورمق وعارض في الطرق وأرعد وأبرق بالمكر والسوء نطق بسرِّ بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الفلق إلى آخره وقل أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك ربي أن يحضرون من اللعين إبليس وأتباعه المواديس من أخذ التلبيس ، يرسل عليكما شواذ من نار ونحاس فلا تنتصران ، فهدّد منكم الانساس وتخمر منكم الأنفاس بسرِّ بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الناس إلى آخره تحصّنت حامل هذا الكتاب بالاسم الذي أسّسه الله صوره لا إله إلا الله بابه محمد رسول الله ﷺ همثاً

لمثاً ميمونة إن الأسد سهمي نفذ منه المدد على طول الأبد ، لا أبالي بأحد بسرِّ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين إلى آخره « مجموعة الأحزاب » ١٩٤ .

حزب الاحتجاب

ومن ذلك حزب الاحتجاب للإمام الغزالي رحمه الله ، وهو : بسم الله الرحمن الرحيم احتجبت بنور وجه الله القديم الكامل ، وتحصّنت بحصن الله الشامل ، ورميت مَن بغى عليّ بسهم الله وسيفه القاتل ، اللهم يا غالباً على أمره ، وقائماً فوق خلقه ، ويا حائلاً بين المرأ وقلبه حُلْ بيني وبين الشيطان ونزغه وبين ما لا طاقة لي به من أحد من عبادك كفَّ عليّ ألسنتهم وأبصارهم ، واغلل أيديهم وأرجلهم ، واجعل بيني وبينهم سدّاً من نور عظمتك وحجاباً من قوتك وحرزاً من سلطانك إنك حيّ قادر ، اللهم غشّ على أبصار الناظرين حتى أرد الموارد ، وغشّ على أبصار النور وأبصار الظلمة حتى لا أبالي عن أبصارهم ، يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ، يقلّب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ، بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص ، بسم الله الرحمن الرحيم حمعسق ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾﴾ شاهت الوجوه وعميت الأبصار وكلّت الألسن ، جعلت خيرهم بين عينيهم وشرهم تحت قدميهم وخاتم سليمان بين أكتافهم فسيكفيكم الله وهو السميع العليم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين الطيبين الطاهرين والحمد لله رب العالمين . انتهى منه ٢٨١ ج١ .

حزب الشاذلي قدس سرّه

ومنها : حزب الدائرة لسيدنا القطب الشيخ أبي الحسن الشاذلي قدس سره ، يقرأ للتحفظ من أنواع البلايا والكروبات والشدة ، وهو بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم بك منك إليك أستغفرك وأتوب إليك فاغفر لي وتب عليّ ، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخره والمعوذتين وفاتحة الكتاب ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ إلى ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ وآية الكرسي إلى آخره ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ إلى آخر السورة ، **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ إلى ﴿عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ إلى آخر السورة ، ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ إلى ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠﴾ الر كهيعص طس حم ق ن جبرائيل ميكائيل إسرافيل عزرائيل عليهم السلام ، أبو بكر عمر عثمان علي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنهم الله أكبر (سبعاً) طاء ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ آية ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ ، حكمت على أنفس أعدائي الطاء طهور (سبعاً) لا إله إلا الله (سبعاً) باء سلام قولاً من رب رحيم ، قلقت عقولهم بالقاف بدعق (سبعاً) سبحان الله (سبعاً) ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ إلى ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ حاء فتحت بها باب الاستمطار من الفتاح العليم مَحْبَهْ (سبعاً) يا سلام سلبت عن نفسي وأهلي ومالي وولدي جميع المضارّ صوّره (سبعاً) الحمد لله (سبعاً) عين ملأت قلبي عزة ونوراً مَحْبَهْ يا سلام (سبعاً) سينٌ أسئلك بالسناء الأعظم أن تعطيني مفتاح قلبي سقفاً ، طيس (سبعاً) الله (سبعاً) رب أعوذ بك من همزات الشياطين

وأعوذ بك ربّ أن يحضرون ، ربّ أسئلك حولاً من حولك وقوة من قوتك وتأييداً من تأييدك حتى لا أرى غيرك ولا أشهد سواك سقاطيم (سبعاً) أحون قافُ أدُمَّ حُمّ هَاءٌ آمينٌ ، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ إلى آخر السورة ، بحق محمد وجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والروح عليهم الصلاة والسلام وبحق أبي بكر الصدّيق وعمر الفاروق وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهم أن تقضي حاجتي وتكفيني مهماتي ، اللهم يا عظيم عظمتك وقائي من القوم الظالمين وجمالي على العالمين فاعضضني بالملائكة أجمعين ، فاستجب لي إنك أنت السميع العليم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين . راجعه « مجموعة الأحزاب » في ٨٩ ج ١ .

حرز الحفظ

ومنها حرز الحفظ لسيدنا أبي الحسن الشاذلي قدّس سرّه اللهم احفظنا من جميع أعدائنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وشمائلنا أبداً ما أبقيتنا واحفظ ديننا بما حفظت به كتابك العزيز ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ اللهم احفظنا من جميع أعدائنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمالنا أبداً ما أبقيتنا واحفظ ديننا بما حفظت به الذكر حيث قلت ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ اللهم احفظنا من جميع أعدائنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا أبداً ما أبقيتنا واحفظ ديننا بما حفظت به السماء حيث قلت : ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ اللهم احفظنا من جميع أعدائنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا أبداً ما أبقيتنا واحفظ ديننا بما حفظت به عبدك الذي فهّمته وسخّرت له الشياطين ثم قلت : ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ اللهم احفظنا من جميع أعدائنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا أبداً ما أبقيتنا ، واحفظ ديننا بما حفظت به السقف المحفوظ حيث

قلت : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾ اللهم احفظنا من جيمع أعدائنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا أبداً ما أبقيتنا واحفظ ديننا بما حفظت به السموات والأرض ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ اللهم احفظنا من جميع أعدائنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا أبداً ما أبقيتنا واحفظ ديننا بما حفظت به عبادك المحفوظين الذين قلت : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ . اللهم احفظنا من جميع أعدائنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا أبداً ما أبقيتنا واحفظ ديننا بما حفظت به السماء حيث قلت : ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ اللهم احفظنا من جميع أعدائنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا أبداً ما أبقيتنا واحفظ ديننا بما حفظت باللوح المحفوظ حيث قلت : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾ ﴾ اللهم احفظنا من جميع أعدائنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا أبداً ما بقيتنا واحفظ ديننا بما حفظت به عبادك حيث قلت : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ اللهم استحفظك بما يستحفظك به عبدك وابن عبدك ونبيّك يعقوب حيث قال : ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ اللهم قنا سيئات ما يمكرون بنا أبداً ما أبقيتنا واحفظ ديننا بما حفظت به عبدك الذي قال : ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ اللهم احرسنا بعينك واحفظنا بحفظك ، اللهم احفظنا بحياطتك ، اللهم احفظنا بحسن كلائتك ، أيها المريد بنا سوء أيها المحيق بنا شراً أيها المكائد بنا إساءة إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيّاً ﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴾ ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ أخذت أسماعكم وأبصاركم بسمع الله وبصره وأخذت قوتكم بقوة الله تعالى بيني وبينكم ، استترت منكم بسر النبوة والأمان الذي كانت الأنبياء يستترون به من سطوات الفراعنة ، فسترهم الله بستره ، جبرائيل عن إيماننا ، وميكائيل عن شمائلنا ، ومحمد ﷺ أمامنا ، والله العظيم مظلّ علينا يحجر عنّا شرّكم

ويمنعنا منكم ، علم الله محيط بنا وبكم ، وعين الله يرعانا ويرعاكم ، اللهم من أراد بنا مكراً أو غشياً أو مكرًا أو مسناً من جنّ وإنس فإنا نسئلك أن تخرج ذلك من صدورهم ، وتختم على قلبه ، وتضرب على أذنه ، وتسدّ بصره وتفخم لسانه وتشدّ يده وتقلّ رجله وتميته بغضبه وتردّ كيده في نحره ، وأن يحيط ذلك السوء به ويحيق ذلك المكر به كإحاطة القلائد على ترائب الولائد ، وكرسوخ السجّيل على هامة أصحاب الفيل ، يا خير الناصرين ، و يا أكرم القادرين ، و يا خير من دعي ، و يا أفضل من أجاب ويا بذل[1] من سئل ، ويا أجود من أعطى ، ويا خير من تجاوز ، ويا أرحم الراحمين ، رميت كل من يريد بنا سوء بحسبي الله ونعم الوكيل ، رميت كلّ من يريد بنا سوء بكهيعص ، رميت كل من يريد بنا سوء بحمعسق ، رميت بكل من يريد بنا سوء بالتوكّل على الحي الذي لا يمُوت ، وكفى بالله وكيلاً وهو أرحم الراحمين ، رميت كلّ من يريد بنا سوء بمحاريز السبع المثاني والقرآن العظيم ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، آمين برحمتك يا أرحم الراحمين . « مجموعة الأحزاب » ٦٥ ج١ .

ومنها : دعوة قوله تعالى لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وهي لتفريج الكروب والخلاص من كلّ غم والنجاة من كلّ مكروه ، وقال رضي الله عنه بِتُّ ليلة في غم عظيم ، فألهمت أن أقول : بسم الله الرحمن الرحيم إلهي مننت عليّ بالإيمان والمحبّة والطاعة والتوحيد ، وأحاطت بي الغفلة والشهوة والمعصية وطرحتْنِي النفس في بحر الهوى ، فهي مظلمة ، وعبدك محزون مهموم مغموم قد التقمه نون الهوى وهو يناديك نداء المحبوب المعصوم نبيك وعبدك يونس بن متّي وهو يقول :

---

(١) **وفي نسخة** : أعدل

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ، فاستجب لي كما استجبت له ، وأيّدني بالمحبة في محلّ التفريد والوحدة ، وأنبت عليّ أشجار اللطف والحنان ، فإنك أنت الله الملك المنان ، وليس لي إلا أنت وحدك لا شريك لك ولستَ بمُخلف وعدك لمن أمن بك إذ قلت وقولك الحق : ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وقال : اللهم إنك لم تشهدنا على خلقنا ولا خلق أنفسنا ولم تتخذ أحداً من المضلين عضداً ، ولم يكن لك شريك في الملك ولم يكن لك وليّ من الذلّ ، كبّرتَ نفسك قبل أن يكبّرك المكبرون ، وعظّمت وجودك قبل أن يعظمك المعظمون ، نسئلك بالتعظيم الذي له سبب ولا نسب أن تعزّنا عزّاً لا ذلّ بعده ، وغناً لا فقر معه ، وأنساً لا كدر فيه ، وأمناً لا خوف بعده ، واسعدنا بإجابة التوحيد في طاعتك حسب ما كنا يوم الميثاق الأوّل في قبضتك إنك على كل شيء قدير . انتهى دعوة الشيخ القطب أبو الحسن الشاذلي ، راجع « مجموعة الأحزاب » ١٢٠ ج١ .

الحزب المسمّى بكمياء السعادة

ومنها حزب العارف بالله الإمام العالم العلامة أبي عبد الله سيدي محمد بن يوسف السُنوسي الحسني المسمى بكمياء السعادة وهو : بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله الخالق الأكبر لا طاقة لمخلوق عليَّ مع الله ، اللهم إنني في حماك وتحت لواك ، فاحم حماك فانشر عليّ لواك واصرف عنِّي بلائك النازل من السماء والمنتشق من الأرض ، فإن تولّوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (سبعاً) اللهم يا من جعل نبيّنا ومولانا محمداً ﷺ بالمؤمنين رؤفاً رحيماً وذَلِّـلْهُ لي ومكّني من ناصيته ومجامع قلبي بخفي لطف الله بلطيف صنع الله بجميل ستر الله دخلت في كنف الله ، وتحصّنت بأسماء الله وتشفعت برسول الله ﷺ بدوام ملك الله وبلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ياهٍ ياهٍ ياهٍ ، أهيال أهيال أهيال ، أهياشٍ أهياشٍ أهياشٍ ، حجبت نفسي

بحجاب الله ومنعتها بآيات الله وبالآيات البيّنات وبالذكر الحكيم وبحق من يحيي العظام وهي رميم ، جبرائيل عن يميني ، وميكائيل عن يساري ، وإسرافيل عن خلفي ، وسيدنا محمد ﷺ أمامي ، وعصا موسى عن يدي ، فمن رآني هابني ، وخاتم سليمان على لساني فمن تكلّمت إليه قضى حاجتي ، ونور يُوسف على وجهي فمن رآني يحبّني ، والله محيط بي وهو المستعان به على أعدائي ، لا إله إلا الله الكبير المتعال ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد نبي الأمة وكاشف الغمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً . انتهى « مجموعة الأحزاب » وفيه سلسلته ، ومأخذه ، راجعه ١٨٠ ج١ .

فائدة

في « مصباح الظلام » ما نصّه قال الشيخ زروق : أن اسمه (**القهار**) يذكر عند طلوع الشمس ، وفي جوف الليل لأهلاك الظالم بهذه الصيغة يا جبار يا قهار يا ذا البطش . ثم يقول : خذ حقي ممّن ظلمني وتعدّى عليّ . وباسمه (**القابض**) أن من أراد إهلاك عدوّه واتخذه ورداً أهلكه . واسمه (**الرافع**) أن من قرأه (سبعين مرة) عند قدومه على الظالم المتمرّد حصل له الأمن منه ، ومن لازم العدد كلّ يوم لا يصل إليه ظالم ولا باغ ولا لِصٌّ . واسمه (**المذلّ**) إذا قرأ من يخاف من ظالم أو حاسد وقال : اللهم آمني من فلان ، اللهم اكفني شره . آمنه الله منه ، وأجاره من شرّه وحسده . واسمه (**العدل**) من كتبه على عشرين لقمة من خبز ليلة الجمعة وأكلها ذلل الله له الخلائق أجمعين . واسمه (**الخبير**) من كان في يد إنسانٍ يؤذيه فليكثر قرائته . واسمه (**المحصي**) خاصيته تسخير القلوب ، حتى أنّ من قرأه (عشرين مرة) على عشرين كسرة خبز وأطعمها لمن أراد تسخيره له تسخر له بإذن الله تعالى . واسمه (**التواب**) من قرأه على ظالم (عشر مرات) خلص منه مظلومه . واسمه (**المحي**) من خاف الفراق أو الحبس فليقرأه على بدنه عدده . واسمه (**الباقي**) أن من ذكره (ألف مرّة) تخلّص من ضرّه

وغمّه وهمّه ، ومن كان متحيّرا في شيء يصنعه ، وذكره بين المغرب والعشاء (ألف مرّة) اهتدى لما فيه رشده . « مصباح الظلام » في شرح « نيل المرام » للسيد محمد ابن عبد الله الجرجاني . انتهى .

فائدة مهمة

قال الجيشي في كتاب « البركة » من قرأ يس (أربع مرات) لا يفرق بكلام في موضع نظيف خال ، ثم قال ثلاثاً : سبحان المنفِّس عن كلّ مَدْيون ، سبحان المفرّج عن كلّ محزون ، سُبحان من أمْرُه بين الكاف والنون ، سبحان من إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، يا مفرِّج الهموم ، يا حيّ يا قيّوم صلّ على سيدنا محمد وعلى آله افعل بي كذا وكذا قضيت حاجته . انتهى « بغية ٣٢٥ .

فوائدٌ استطراديّةٌ

لا ينبغي أن يخلو الكتاب عنها وهي ما ورد في حفظ الإيمان وحسن الخاتمة .

منها : ما ذكره مؤلّف « بغية المسترشدين » لحفظ الإيمان من قرائة (اللهم إني أعوذ بك أن تصدّ عنّي وجهك يوم القيمة ، اللهم أحيني مسلماً وأمتني مسلماً) خلف تكبيرة الاحرام .

ومنها : ما ذكر فيه لحسن الخاتمة نقلاً عن القطب الحدّاد من قرائة (أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحيّ القيّوم الذي لا يموت وأتوب اليه ربّ اغفر لي) (أربع مرات) بعد المغرب . وعن بعض العارفين من قال بعد صلاة المغرب أيضاً قبل أن يتكلّم (اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه بعدد كلّ حرف جرى به القلم) (عشر مرات) مات على الإيمان . راجعه في ٤٥ .

ومنها : ما جرّب لحفظ الإيمان ، وهو قراءة (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا . . . إلى الوهاب) (سبع مرات) خلف كلّ صلاة كذا في « الدليل التام » من هامش « فتح العلام » .

ومنها : ما ورد في الحديث « أن للقيامة ألف ألف هول ، وأدناها سكرات الموت ، وإن للموت تسعة وتسعين جذبة وألف ضربة بالسّيف أهون من جذبة منها فمن أراد أن ينجو من تلك الأهوال فليقل عشر كلمات خلف كلّ صلاة » ، قالوا يا رسول الله ما الكلمات ؟ قال : « أعددت لكلّ هول ألقاه في الدنيا والآخرة **لا إله إلا الله** ، ولكل هم وغمّ **ما شاء الله** ، ولكل نعمة **الحمد لله** ، ولكل رخاء وشدّة **الشكر لله** ، ولكل أعجوبة ، **سبحان الله** ، ولكل ذنب **أستغفر الله** ، ولكل مصيبة **إنا لله وإنا إليه راجعون** ، ولكلّ ضيق **حسبي الله** ، ولكل قضاء وقدر **توكلت على الله** ، ولكل طاعة ومعصيةٍ **لا حول ولا قوة إلا بالله** » .

وذكر بعضهم أن مما يفيد الإيمان أن يقال عقب كلّ صلاة من الصلوة الخمس (اللهم إني أسئلك إيماناً لا يرتدّ ، ونعيماً لا ينفد ، وقرة أعين لا تنقطع ، ومرافقة نبيك سيدنا محمد ﷺ في أعلى جنات الخلد ، اللهمّ لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، ولا تنزع مني صالح ما أعطيتني ، يا كريم يا كريم يا كريم يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين) . راجع « الفتح العلام » في ٧٧ ج١ ، وفي ٢٨٨ ج١ .

ومنها : ما في « خزينة الأسرار » نقلاً عن « التذكرة » للقرطبي : أن رسول الله ﷺ قال : من قرأ قل هو الله أحد في مرضه التي يموت فيه لم يفتتن في قبره ، وأمن من ضغطة القبر ، وحملته الملائكة يوم القيمة بأجنحتها حتى يجيزوه من الصراط إلى الجنة . كذا في « الفرائد » . قال ﷺ : إن من قرأ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ . . . (ثلث مرات) في مرضه التي توفي فيه مات شهيداً ، وعدّه العلماء في الذين ماتوا شهداء لا يسئلون في قبورهم ، ولو لم يقرب موته بل طال مرضه بعد قرائتها . انتهى عبارته ١٥١ .

تأييد

فلقد اجتمعت في بعض الوقائع مع واحد من معارفي الذي مات في السنين الماضية ، وسألت عنه عن كلّ ما وقع له بعد موته ، وأخبرني كلّ ذلك مفصّلاً ، بيد أنه قال : لم يُسأل في قبره ، ولم يحضر عنده الملكان للسؤال عنه ، ونازعته فيه قائلاً كيف يكون ذلك مع أنه ورد في الحديث بالسؤال وحضورهما لدى كلّ من مات ؟ ! فقال : إنه لا يعلم ما في الكتب ، وإنما يقوله لك ما وقع له . انتهى . ثم بعد ذلك أخبرت هذه الوقيعة لشيخنا قدس سره فقال : لعله كان قرأ سورة الإخلاص في مرض موته ، ثم بعد ذلك تفحّصت عمّن كانوا عنده أيام مرضه عن حاله ، فقالوا : إنه لم يزل منذ مرضه إلى أن مات من كونه يقرأ سورة الإخلاص ، فعجبت على ذلك مع أني لم أظهر هذه الوقيعة لأحد مّا ، هذه بشارة لمن مات على قرائة تلك السورة في مرضه التي يموت فيه ، رزقنا الله تعالى ذلك ، وحفظنا من سوء الخاتمة .

تذييل

ينبغي أن يلحق هنا ما في « تقريب الأصول » ونصّه وخلاصته[١] الأمر الذي يتم به المراد الاستقامة ، وخلاصتها امتثال الأمر واجتناب النهي ، ورؤية الفضل والمنة لله تعالى والتبرّي من الحول والقوّة ، والرجوع إلى حول الله وقوته ، وتسليم أمره إلى مولاه ، ويعلم أن الخيرة له في جميع ما به يتولاّه ، وإن خالف ذلك مراده وهواه ، فإذا دعا وطلب من مولاه أمراً يرى أنّ له فيه مصلحة أيقن بالاجابة لا محالة ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من أحد يدعو بدعاء إلا أتاه الله ما سأل أوكفّ عنه من السوء مثله ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم » .

---

(١) عله : وخلاصة الأمر .

وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ : « ما من داع يدعو إلا استجاب الله دعوته ، أو صرف عنه مثلها سوأ أو حط عنه من ذنوبه بقدرها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم » ،

مهمّ

فإذا الإجابة المطلقة حاصلة لكلّ داعٍ بحقٍّ حسبما ورد الوعد الصادق إلا أن الإجابة أمرها إلى الله تعالى يجعلها متى شاء ، وقد يكون المنع وتأخير الإعطاء إجابة واعطاء لمن فهم عن الله تعالى ذلك ، فلا ييأس العبد من فضل الله تعالى إذا رأى منعاً أو تأخيراً وإن ألحّ في دعائه وسؤاله ، وقد يكون تأخير ذلك إلى الآخرة خيراً له ، فقد جاء في بعض الأخبار : « يبعث عبداً فيقول الله تعالى : ألم آمرك برفع حوائجك إليَّ ؟ فيقول : نعم ، وقد رفعتها إليك ، فيقول الله تعالى : ما سألت شيئاً إلا أجبتك فيه ، ولكن نجزت لك البعض في الدنيا ، وما لم أنجزه في الدنيا فهو مدَّخر لك ، فخذه الآن ، حتى يقول ذلك العبد ليته لم يقض له حاجة في الدنيا » .

وقد ورد عن رسول الله ﷺ معنى النهي عن الاستعجال في إجابة الدعاء في قوله « يستجاب لأحدكم ما لم يعجّل ، فيقول قد دعوت فلم يستجب لي » وقد دعا موسى وهرون عليه السلام على فرعون فيما أخبر الله عنهما حيث قال : ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ ثم أخبر أنه قد أجاب دعائهما بقوله سبحانه : ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ قالوا : وكان بين قوله تعالى لهما ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾ وهلاك فرعون أربعون سنة .

قال سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَقِيمَا ﴾ أي على عدم استعجال ما طلبتما ، ﴿ وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ هم الذين يستعجلون الإجابة . انتهى ٢٢٧ .

فالحاصل أن سبب قبول الدعوة هو إطاعة المولى جلّ سلطانه كما قيل : اسم الله الأعظم هو نفس الإنسان . يعني : إذا أطاع الله في الأمر والنهي يطيعه الله تعالى بإجابة ما سأل باسمه الأعظم الذي إذا دعا به أجاب ، وإذا سئل به أعطى ، فإنّ الردّ إنما يكون من البخيل ، أو ممّن ليس عنده شيء يعطيه ، والله تعالى أيضاً عنده خزائن السموات والأرض ، أو لنقصان شيء بما أعطاه ، والله تعالى أيضاً لا نقص لخزائنه ، تعالى عن ذلك ، ألا ترى أن الله تعالى لا يردّ دعاء الملائكة لكونهم لا يعصون الله ما أمرهم ، فلم يبق سببٌ للردّ إلا العصيان ، أعاذنا الله تعالى من مخالفة أمره ، وجعلنا من المتبعين لأوامره . آمين .

وينبغي أن يكتب في هذا الموضع ما في « الجواهر المعاني » من الفوائد والوصايا وهي ما نصّه : أما بعد فالذي أوصيكم به وإياي المحافظة على قوله ﷺ : « ثلاث منجيات ، وثلث مهلكات ، فأمّا المنجيات ؛ فهي تقوى الله في السر والعلانية ، وكلمة الحق في الرضا والغضب ، والقصد في الغنى والفقر ، وأما المهلكات ؛ فشحّ مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء برأيه » وعلى قوله ﷺ : « ما تحت قبّة السماء إله يعبد من دون الله أعظم من هوًى متَّبع » ، وعلى قوله ﷺ : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

وعلى قوله ﷺ : « لا تتمنّوا لقاء العدوّ ، واسئلوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا » الحديث . هذا وإن ورد في ميادين الجهاد في قتال الكفار ، فهو منقلب في هذه الأزمنة في الصفح عن شرِّ الناس ، فمن تمنّى بقلبه وأراد تحريك الشر منه على الناس سلّطهم الله عليه من وجه لا يقدر على دفعهم ، وعلى العبد أن يسأل الله العافية من تحريك شرّ الناس وفتنتهم ، فإن تحرك عليه من غير سبب منه فالوجه الأعلى الذي تقتضيه رسوم العلم مقابلتهم بالإحسان في إساءتهم ، فإن لم يقدر فبالصفح والعفو عنهم إطفاء لنيران الفتنة ، فإن لم يقدر فبالصبر لثبوت مجاري الأقدار ، ولا يتحرك في شيء من إذايتهم لإسائتهم ، فإن اشتعلت نيران شرّهم فاليدافع

بالتي هي أحسن بلين ورفق ، فإن لم يقدر ذلك فعليه بالهرب إن قدر الخروج عن مكانه ، فإن عوّقت العوائق عن الارتحال ولم يجد قدرة فاليدافع بالأقلّ فالأقلّ من الإذاية فليفعل ذلك ظاهراً ، ويكثر التضرع إلى الله تعالى والابتهال سراً في دفع شرهم عنه مداوماً ذلك حتى يفرِّج الله عليه .

فائدة

الوجوه التي ذكرناها هي التي تقتضيها رسوم العلم ، والحذر لمن تحرك عليه شر الناس منكم أن يبادر إليه بالتحرك بالشر لمقتضى حرارة طبعه وظلمة جهله وعزة نفسه ، فإن المبادر للشر بهذا وإن كان مظلوما فاضت عليه بحور الشر من الخلق يستحق الهلاك به في الدنيا والآخرة ، وتلك العقوبة لإعراضه عن جناب الله أوَّلاً ، فإنه لو فزع إليه بالتضرّع والشكاية واعترف بعجزه وضعفه لَدَفع الله عنه ضرر الخلق بلا سبب أو بسبب لا تعب عليه فيه ، أو يشغلهم بشاغل يعجزون عنه ، فإمّا أن يفعل الله له هذا ، وإما أن ينزل عليه اللّطف العظيم أو الصبر الجميل فيكابد غصص تلك الشرور ، بما هو فيه من اللّطف والصبر حتى يرد عليه الفرج من الله تعالى فيكون مثاباً دنياً وأخرى ، أمّا ثواب الدنيا فبحمد العاقبة وظهور نصره في الخلق على قدر رتبته ، وأما ثواب الآخرة فبالفوز بما لا غاية له من ثواب الصابرين وعده الله تعالى قال سبحانه وتعالى : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وقال تعالى حاكياً عن نبيّه يوسف عليه الصلاة والسلام : ﴿مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وقال تعالى : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ . . . إلى غير ذلك من الآيات ، ولعدم اعتبار الناس لما ذكرنا ، ترى الناس أبداً في عذاب عظيم من مكابدة شرور بعضهم بعضاً ، ووقعوا بذلك في المهالك العظام في الدنيا والأخرة إلا من حفته عناية عظيمة إلهية ، فإن العامة لا يرون في تحريك الشر عليهم إلا صورة الشخص الذي حركه عليهم لِغَيبتهم

عن الله سبحانه وتعالى وعن غالب حكمه ، فنهضوا في مقابلة الشرور ، وحُبسوا في سجن العذاب على تعاقب الدهور ، فإن الكيّس العاقل إذا نصب عليه الشر من الناس ، أو تحركوا له به رآه تجلّيًا إلهيًّا لا قدرة لأحد على مقاومته إلاّ بتأييد إلهيّ ، فكان مقتضى ما دلّه عليه علمه وعقله الرجوع إلى الله بالهرب والإلتجاء إليه ، وتتابع التضرّع والابتهال لديه ، والاعتراف بعجزه وضُعْفه ، فنهض معتصمًا بالله في مقابلة خلقه ، فلا شك أن هذا يدفع عنه الشرور بلا تعب منه ، ولو التهبت عليه نيران الشرور من الخلق لعجزوا عن الوصول إليه لاعتصَامه بالله تعالى ، فإن من تعلق بالله تعالى لا يقوى له شيء ، قال سبحانه وتعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ إلى قوله ﴿فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ .

كل الخلق محتاجون إليه في هذا الوقت

وهذا الباب الذي ذكرناه كلّ الخلق محتاجون إليه في هذا الوقت ، فمن أدام السير على هذا المنهاج سعد في الدنيا والأخرة ، ومن فارقه وكّله الله إلى نفسه ، فنهض إلى مقابلة الشرور بحوله واحتياله فهلك كلّ الهلاك في عاجله وآجله ، وفيما ذكرناه كفاية . انتهى عبارته .

فإنه الكبريت الأحمر مطلب لمن أهمَّ

فائدة جليلة ذكرها الشيخ السيد أحمد ابن زيني دحلان في كتابه « تقريب الأصول » في ترجمة الشيخ أبي المواهب الشاذلي نقلا منه ، فعبارة ما ذكره فيه : وقال ﵁ ومما جرّبناه فصحّ أن من أراد قضاء حوائجه ودفع مصائبه فليرفع الأمر إلى الله تعالى قبل أن يعلم بها الناس ، هكذا عادة الله تعالى مع من يتعلق به أوَّل مرة فاعمل على ذلك ، فإنه الكبريت الأحمر ، والفرج القريب ، والمعين على ذلك الصبر . وقال ﵁ : بلغنا أن يونس عليه السلام اجتمعت روحه بروح قارون لما إلتقمه الحوت ، فرأى قارون نازلا ، فقال ليونس عليه السلام : تعلّق بربك يا يونس في أوّل أمرك

تنجيك ، فقال له يونس : وأنت تعلق ، قال : تعلقت بإبن الخالة موسى ، فوكّلني إليه أي لأنه لما أمر موسى الأرض أن تأخذه كان يستغيث به وهو يقول : يا أرض خذيه . ولهذا قيل : عاتب الله موسى عليه السلام وقال : وعزتي وجلالي لو اسغاث بي لأغثته .

مهم

وقال رضي الله عنه : أحسن الظن بربك من حيث محبة جماله وجلاله ، فإن ذلك وصف له لا يتحوّل ، ولا تحسن الظن بربّك لأجل إحسانه إليك ، فربّما قطع ذلك عنك فتسيئ الظنّ به ، فليحذر السالك من علّة هذا المقام ، انتهى راجعه في ٧٩ .

ولقد اكتفينا بهذا القدر من الأدعية والأحزاب وخواصّ أيات القرآن الشريف ، وفيها كفاية لمن إلتجأ إلى مولاه الكريم وحصنه المنيع ، ولمن له اعتقاد صحيح في خواصها ومنافعها ، وأما من لم يكمل اعتقاد فيها ولم يلتجأ إليه وفق ما ذكرناه بتضرع وانكسار فلا ينفعه الأسباب والوسائط والحمد لله رب العالمين .

خاتمة في أشراط الزمان وعلامات السّاعة

أمّا وقت قيامها فلا يعلمه إلا الله ، وفي حديث جبرائل الذي رواه مسلم : « ما المسؤل عنها بأعلم من السائل » وفي القرآن العظيم : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ وقال : ﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ . ورويّ عن الشعبي قال لقي جبريل عيسى عليهما السلام فقال له عيسى : متى الساعة ؟ فانتفض جبريل في أجنحته وقال : ما المسؤل عنها بأعلم من السائل ، ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلاّ بغتة .

وروى الحافظ أبو نعيم عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : « للساعة أشراط ، قيل : يا رسول الله ما أشراطها ؟ قالو : علوُّ أصوات الفسق في

المساجد ، وظهور أهل المنكر على أهل المعروف ، فقال أعرابيّ : فما تأمرني يا رسول الله ؟ قال : دع ما تنكر وخذ ما تعرف ، وقال : كن حلس بيتك ، أي : ألزم الجلوس في بيتك كلزوم الحلس لظهر الدابة . قال العلمآء رحمهم الله تعالى في تقديم أشراط الساعة عليها تنبيه الناس من رقدة الغفلة ، وحثهم على الأخذ بالاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة وتأدية الحقوق إلى أربابها قبل أن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن أمنت من قبل ، ومن قبل أن يحال بينهم وبين سعادتهم . قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة على أهبة واستعداد لقيام الساعة الموعود بها ، فإن تلك الأشراط قد جعلها الله تعالى علامة على انتهاء مدّة الدنيا . انتهى « تذكرة » .

مهم

عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « إنكم سترون أثرة وأموراً تنكروها » قال فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : أدوا إليهم حقَّهم ، واسئلوا الله حقكم ، وسأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ

قال : يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسئلوننا حقهم ويمنعوننا حقنا فما تأمرنا ؟ قال : اسمعوا وأطيعوا ، فإنما عليهم ما حملو وعليكم ما حملتم « مصابيح » عبارته من كتاب « الأمارة » يعني : أطيعوا فيما أمركم ، وأعطوهم ما يطلبون منكم ظلماً منهم ، ولا تطلبوا حقوقكم منهم كرهاً ، وإن لم يعطوا حققوكم فلا تحاربوهم ، بل اتركوها ، واسال الله الثواب على ما يطلبونكم « مظهر » عبارته ، يعني : إنما يسألهم على أمرهم ، بل ويسألهم على أمركم ، هذا مثل (لهم ما كسبوا ولكم ما كسبتم) . منه عبارته .

عن أم سلمة إنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « يكون عليكم أمراء تعرفون وتنكرون ، فمن أنكر فقد برئ ، ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع ، قالوا : أفلا نقاتلهم ؟ قال : لا ما صلّوا ، ما صلّوا » يعني :

من كره بقلبه وأنكر بقلبه « مصابيح » عبارته ، يعني : سترون أنهم يفعلون أفعالاً ، ويقولون أقولاً تعرفونها من الشرع ، فمن أنكر فقد برئ ، أي : فمن أنكر أفعالهم وأقوالهم القبيحة بلسانه فقد برئ ، ومن لم يقدر أن ينكر بلسانه وكرهها بقلبه فقد برئ من الإثم ، ولكن من رضي وتابع ، يعني : ليس على المنكر بإنكاره إثم ، ولكن الإثم من رضي وتابع أفعالهم وأقوالهم القبيحة « مظهر » .

ونقل اللبودي في « الترغيب والترهيب » عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « يكون في آخر الزمان قوم وجوههم وجوه الأدميين وقلوبهم قلوب الشياطين أمثال الذياب الضواري ، ليس في قلوبهم شيء من الرحمة ، سفاكون الدماء ، لا يرغبون عن قبيح ، إن تابعتهم ركبوك ، وإن تواريت عنهم اغتابوك ، وإن حدثوك كذبوك ، فإن ائتمنتهم خانوك ، صبيّهم عارم[1] ، وشبّانهم شياطين ، وشيخهم لا يأمرك بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ، الاعتزاز بهم ظل ، وطلب ما في أيديهم فقر ، الحليم فيهم غار[2] ، والصادق فيهم متَّهم ، والمؤمن فيهم متضعِّف ، والسنة فيهم بدعة ، والبدعة فيهم سنة ، فعند ذلك يسلّط عليهم شرارهم ، فيدعو خيارهم فلا يستجاب . شرح « سلك العين » على قول المتن : هم الشياطين في قول وفي عمل .

وفيه على قول المتن : نِعَمْ بَلَى[3] أبدلوا لله ما ظُلِمُوا . . إلخ ما لفظه . وروى البزاز حديث : « لم تظهر الفاحشة في قوم إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ، ولا نقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدّة المؤنة وجور السلطان ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، ولو لا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله وعهد

---

(١) أي : قليل الحياء .
(٢) وفي نسخة : غاو .
(٣) وفي نسخة : بَلاً .

رسول الله إلا سلّط الله تعالى عليهم عدوّهم ، فاخذوا بعض ما كان في أيديهم ، وإذا لم يحكم أميرهم بكتاب الله تعالى إلا جعل الله تعالى بأسهم بينهم . انتهى ٦٨ عبارته .

وفيه أيضاً على ذلك البيت : نعم بلى . . . إلخ ما نصّه وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون . قوله : ما ظلموا . . . البيت ، يعني : إرسال الرزايات والمصائب عليهم كالمطر من السحاب ليس بظلم من الله تعالى في حقهم يدلّ عليه : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا ﴾ . .الآية ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ . .الآية . فلا جرم جعل الله بأسهم بينهم وجعل بعضهم لبعض فتنة . وحديث مسلم عن ابن عمر : كنا في سفر مع رسول الله ﷺ فنزلنا منزلاً ، فمنّا من يُصلح خباءه ، ومنا من ينتضل ، أي : يرمي بالسهام ، ومنّا من هو في حشوه ، يعني : المواشي التي ترعى أمام البيوت ، إذ نادى منادي رسول الله عليه الصلاة والسلام : الصلاة جامعة ، اجتمعنا إلى رسول الله عليه السلام ، فقال : إنه لم يكن نبيّاً قبلي إلا كان حقا عليه أن يدلُّ أمته على خير ما يعلمه لهم ، وإن أمتكم هذه جعل الله تعالى عافيتها في أوّلها ، سيصيب آخرها بلاء وأمور ينكرونها ، فتجيئ الفتنة فيدفق بعضها بعضاً ، فيقول المؤمن : هذه مهلكتي ، ثم تنكشف وتجيء الفتنة ، فيقول هذه هذه فمن أراد أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأت منيته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يحبّ أن يأتى إليه (الحديث) انتهى .

وروى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة ، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلثين ، كلّهم يزعم أنه رسول الله ﷺ ، وحتى يقبض العلم ، وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ويكثر الهرج ؛ وهو : القتل[١] ، وحتى يكثر فيكم المال

(١) وفي حديث آخر وهو القتل بغير حق (منه) .

فيفيض حتى يهمّ رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه ، فيقول الذي يعرضه عليه ، : لا إرب لي فيه ، وحتى يتطاول الناس في البنيان ، وحتى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيقول : ياليتني كنت مكانه ، وحتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن أمنت من قبل أوكسبت في إيمانها خيراً ، ولتقومنّ الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ، ولتقومنّ الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي منه إبله ، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمهما » .

قال الإمام القرطبي رحمه الله : فهذه ثلث عشر علامة رواها أبو هريرة في حديث واحد ولا حاجة لما ورد في الأحاديث الضعيفة من العلامات المؤذية بوقوع أمور معينة في سنين معيّنة كما روى عن رسول الله ﷺ : إن في سنة ثمانين يكون كذا وكذا ، وفي سنة عشر ومائتين يكون كذا وكذا ، وفي العشرين ومائتين كذا ، وفي الثلاثين ومائتين كذا ، وفي سنة ستين ومائتين تكشف الشمس ساعة فيموت نصف الجن والإنس . انتهى . وقد مضت هذه المدة ولم يقع شيء مما قيل ، ولو أنه وقع لم يخف على الناس نقله لمن بعدهم . وأيضاً فإنّ التاريخ إنما وضع في زمن عمر بن الخطاب بعد موت النبي ﷺ على أنه قد مضى كثير من العلامات في حديث حذيفة الصحيح ، وإنما الكلام في تعيين التاريخ ، وحاصل الأمر أن جميع ما أخبر به النبي ﷺ من الفتن والكوائن لا بدّ من وقوعه ، وأما تعيين وقته فيحتاج إلى طريق صَحيح ، والحمد لله رب العالمين .

ومعني حديث « لا تقوم الساعة حتي يمر الرّجل فيقول يا ليتني كنت مكانه » ، أي : لما يرى في ذلك الزمان من شدّة البلاء ، وتعظيم الجهّال ، وظهور رياستهم ، وخمول العلمآء ، وغبن الأولياء ، واستلاء الباطل في الأحكام ، وعموم الظلم ، والجهر بالمعاصي ، واستلاء الحرام على أموال الخلق ، والتحكم في الأبدان والأموال والأعراض بغير حقٍّ .

وقال الإمام القرطبي : قد وجد غالب هذا في زمننا هذا . قال وروينا عن أبي ذر رضي الله عنه : أنه كان يقول : « يوشك أن يأتي على الناس زمان يغبط فيه خفيف الحاذ » ، يعني : الّذي لا أهل له ولا ولد ، كما يغبط اليوم أبو عشرة من الأولاد ، « ويغبط الرجل ببعده عن السلطان كما يغبط اليوم بقربه منه لمصالح العباد ، وتمرّ الجنازة في السوق فيهزّ الناس رؤسهم ، ويقولون : ليت أحدنا مكانه . قال عبادة ابن الصامت : يا أبا ذر إنّ هذا الأمر عظيم ، فقال : نعم ، الأمر أعظم مما تظنون » . انتهى من « تذكرة القرطبي » للشيخ عبد الوهاب الشعراني عبارته ١٣١ .

روي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا فعلت أمتي خمسة عشر خصلة حلّ بها البلاء ، وقيل وما هي يا رسول الله عليه السلام ؟ قال : إذا كانت المغنم دولاً ، والأمانة مغنما ، والزكاة مغرمًا » . وفي رواية : « وتعلم لغير الدّين ، وإطاع الرجل زوجته ، وعق أمّه ، وبرّ صديقه وجف أباه ، وارتفعت الأصوات في المساجد ؟ وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأُكرم الرجل مخافة شرّه ، وشربة الخمور ، ولبس الحرير ، واتخذ القينات والمعازف ، ولعن آخر هذه الأمّة أوّلها . فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمرآء أو خَسفا أو مسخا » . حديث غريب رواه الترمذي . وفي رواية « فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا وقدوم ايات متتابع كنظام إنقطع سلكه فتتابع » .

وأخرج الحافظ أبو نعيم من حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اقتراب الساعة إثنان وخمسون خصلة إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة ، وأضاعوا الأمانة ، وأكلوا الربا ، واستحلّوا الكذب ، واستخفوا الدّمآء ، واستعلوا البنآء ، وباعوا الدين بالدنيا ، وتقطعت الأرحام ، ويكون الصدق ضعيفا ، والكذب صدقا ، والحرير لباسا ، وظهر الجور ، وكثر الطلاق ، وموت الفجأة ، وائتمن الخائن وخوّن الأمين ، وصدّق الكاذب وكُذّب

الصادق ، وكثر القاذف ، وكان المطر قيضًا[١] ، والولد غيْظًا[٢] وفاض اللّئام فيضا وغاض الكرام ، وكان الأمراء فجرة والوزرآء كذبة ، والأمنآء خونة والعرفآء ظلمة ، والقرَّآء فسقة ، إذا لبسوا مسوح الضأن ، قلوبهم أنتن من الجيفة وأمرّ من الصبر ، يغشاهم فتنة يتهاوكون فيها تهاوك اليهود والظلمة ، وتظهر الصفرآء ، أي : الدنانير وتطلب البيضاء أي الدراهم ، وتكثر[٣] الخطبآء ، وتقلّ الأمنآء ، وحليت المصاحف ، وزخرفت المساجد ، وطوّلت المنابر ، وخربت القلوب ، وعطلت الحدود ، وولدت الأمة ربّتها ، وترى الحفاة العرات قد صاروا ملوكا ، وشاركت المرأة زوجها في التجارة ، وتشبّه الرّجال بالنسآء والنسآء بالرجال ، وحلفٌ بالله كاذباً ، وشهد الرجل من غير أن يتشهّد ، وسلَّم للمعرفة ، وتفقه لغير الدين ، وطلب الدنيا بعمل الأخرة ، واتخذ المغنم دُوَلاً ، والأمانة مغنمًا ، والزكاة مغرمًا ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وعق الرجل أباه ، وبرّ صديقه ، وجفا أمَّهُ ، وأطاع زوجته ، وَعَلت أصوات الفسقة في المساجد ، واتخذ القينات والمعازف ، وشربت الخمور في الطرق ، واتخذ الظلم فخرا ، وبيع الحكم ، وكثرت الشطّ[٤] ، واتخذ القرآن مزامير ، وجلود السباع خفافا ، ولعن آخر هذه الأمة أوّلها فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء وخسفا ومسخا » إنتهى راجع شرح « سلك العين » في بيت (في قَرْنِ عاشر الأهوال) . .إلخ .

---

(١) **أي** : حارا . **(هامش الأصل)** .
(٢) **أي** : يغيظ والديه . **(هامش الأصل)** .
(٣) ما كثرة خطبآء هذا الزمان أكثرهم الصبيان ، وهم يخطبون في كل ليلة وفي كل يوم في الطرق والمجامع وفي الأشكولات . هذا فافهم .
(٤) والشطّ في القضية جار **(هامش الأصل)** .

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : إن من أشراط أن تتخذ المساجد طرقا ، وأن يسلّم الرجل على الرجل بالمعرفة ، وأن يتجر الرجل وامرأته جميعا ، وأن تغلوا مهور النّسآء والخيل ، ثم يرخص فلا يغلوا إلى يوم القيمة . إنتهى عبارته ١٣٣ « تذكرة القرطبي » .

وقال الشيخ حسن العدوي في « مشارق الأنوار » ما نصّه : **اعلم** إن أشراط الساعة كثيرة جدّا ، أوصلها بعضهم إلى خمسمائة ، فمنها بعثة النبي ﷺ لقوله ﷺ : « بعثت أنا والساعة كهاتين » وأشار بالسبابة والوسطى .

ومنها : قبض العلم بموت أهله ، وظهور الجهل ، وكثرة الزنا ، ومعاملة الربا ، وكثرة الزلازل ، وانشقاق القمر ، ورجم الشياطين من السمآء ، وتأمين الخائن ، وتخوين الأمين ، وكثرة العقوق ، وإمّارة الصّبيان ، والتطاوُل في البنيان ، وفساد البلدان ، وكثرة الفتن فيها . انتهى « تفراوي » .

ومنها : أن يشرب الخمر ، وتكثر النسآء وتقلّ الرجال ، حتى يكون للخمسين امرأة قيِّم واحد أي : رئيس . **ومنها** رفع الأسافل ، قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس لُكَعْ ابن لُكَعٍ » ، يعني بذلك السفلة من الناس .

وفي الحديث : « مَا مِنْ عام إلاّ والّذي بَعْده شرّ منه حتى تلقوا ربكم » . انتهى عبارته ١٨٢ .

ومن علامتها : جور الحكام ، وعدم النصفة في الأحكام ، وكثرة المظالم ، وارتكاب المآثم ، وقلّة الأمانات ، وكثرة الخيانات ، وقلّة العلماء ، وكثرة الجهّال . ففي الحديث « إن الله لا يقبض العلم إنتزاعًا ، ولكن بموت العلمآء ، حتى إذا لم يَبْق عالم اتخذ الناس رؤساً جهّالا فافتوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا » .

ومنها : كساد الأسواق ، وقلة البركة في الأرزاق ، وكثرة الشكاية من الناس ؛ قلّ من تجده إلا ويظهر لك الشكوى وعنده ما يكفيه .

ومنها : كثرة الرّبا ، وإفشائه في المعاملات فتجد غالب الفجار يعطي الشرة بخمسة عشر ، وما كثر وما قلَّ . ففي الحديث : « لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض بيت إلا دخل فيها الربا ، إن لم يصبه منه أصابه من غباره أو من صاحبه أو صديقه أو قريبه .

ومنها : اتخاذ القرآن مغنّىً يغنى به في صُدور المجالس والأسواق والقهاوي .

ومنها : **عمّارة القهاوي** أكثر من المساجد التي هي محلّ العبادة والذكر والفوائد ، **والقهاوي** محلّ الغيبة والنّميمة والمفاسد .

ومنها : ما حَدث في هذا الزمان من شرب الدخان ، فإنها بدعة منكرة في سائر الأديان ، لأنه يلهي عن ذكر الله الواحد الديّان . انتهى .

وقال المحقق العلاّمة الأمير في مجموعه : القهوة والدخان تعتريها الأحكام الخمسة بحسب الأشخاص تحريما وَوُجوباً وكراهَة وندباً وإباحة . انتهى . وهذا لا ينافي كونه بدعة من علامات الساعة . **ومنها** أخذ الرشوة على الحكم ، حتى لو جآء الخصمان إلى الحاكم أحدهما على الحق والآخر على الباطل فوعَده الذي على الباطل بالرشوة لَمال معه وترك الحقّ . وعلى هذا جاء الحديث « القضاة : ثلاثة . قاض في الجنّة وقاضيان في النار » .

ومنها : إنقلاب الشتآء صيفاً والصيف شتآء ، والتكالب على الدنيا وترك الآخرة .

ومنها : رفع الأصوات في المساجد ولو بالعلم لقول مالك : ما للعلم ورفع الصوت وتعليم العلم لغير الدين وإطاعة الرجل امرأته وإقساؤه أباه وأمّه . وهذه بَعْض العلامات الصغرى ، وإلا فقد وصل عدّها إلى خمسمائة . انتهى راجعه في ١٨٢ .

ومنها : ما ذكره الشيخ الشعراني في « مختصر تذكرة القرطبي » وهو قوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾ ونحوها من الآيات . وفي حديث مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تكون فتنٌ كقطع اللّيل المظلم يصبحُ الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعَرض من الدنيا » . انتهى .

وروي أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة فقال : « يا أصحاب الحجرات سعّرت النار وجائت الفتن كأنها قطع الليل المظلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » . وفي الحديث عن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الفتنة تجيئ من هاهنا ، وأومأ بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان ، وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض ، إنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ فقال الله له ﴿وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗا ﴾ . وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « العبادة في الهرج كالهجرة إليّ » . قال العلمآء في حديث : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : « نعم » إلى آخره ، وفي ذلك دليل على أن البلآء قد يرتفع عن غير الصالحين إذا كثر الصالحون ، فإن كثر المفسدون وقلّ الصالحون هَلك الكلّ إذا لم يكرهوا ذلك ولم ينكروه ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾ ، بل يعمُّ شومها من يتعاطاها ومن رضيها ، هذا بفساده وهذا برضاه وإقراره .

وروي أن الله تعالى أمر ملكاً من ملائكته أن يخسف بقرية ، فقال : يا ربّ إن فيها فلانا العابد ؟ فأوحى الله تعالى إليه أن به فابدأ ، فإنه لم يتغير وجهه حين انتهكت محارمي . انتهى .

وروى البخاري عن الزبير بن عدي رضي الله عنه قال : آتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج ابن يوسَف الثقفي ، فقال : اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والّذي بعده شرّ منه حتى تلقوا ربّكم ، سمعت ذلك من نبيّكم ﷺ .

وروى الشيخان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « يتقارب الزمان ، وينقص العمل ، ويلقى الشحّ ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهَرج » . انتهى . قال العلمآء ومعنى « يتقارب الزمان » أي تقصر الأعمال وتقلّ البركة فيها . وقيل : المراد قصر مدّة الأيّام كما يَدُلّ عليه حديث « إن الزّمان يتقارب حتى تكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة ، والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كإحراق السعفة » . رواه الترمذي . قال الخطابي : ويحتمل أن يكون يتقارب الزمان من شدّة الالتذاذ بالعيش كما في أيام المهدي عليه السلام . ومعنى « يلقى الشحّ » أي يتلقّى ، وتتواصى الناس به ، ويدعون إليه ، ويتعلّمونه ، ومنه ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ أي فتعلّمها . قال القرطبي : ومعنى ذلك أن الشحّ يزيد ، لا أنه يوجد ، فإن الشحّ لم يزل موجودا قبل تقارب الزمان والله أعلم .

وروى مسلم عن أبي بكرة قال : قال رسول الله ﷺ « إنها ستكون فتن ، ثم فتن ثم فتن القاعد فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، فإذا نزلت » أو قال : « وقعت فمن كان له إبل فليلحق بابله ، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه » فقال رجل : يا رسول الله أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض ؟ قال : « يعمد إلى سيفه فيكسّره بحجر ، ثم ليَنْجُ إن استطاع النجاة ، اللّهمّ هل بلغت » قالها ثلاثا ، فقال رجل : يا رسول الله أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين ، أو إحدى الفئتين فيضرّني رجل بسيفه أو يجيء السهم فيقتلني ، قال : « يبوء بإثمه وإثمك ، فيكون من أصحاب النار والله تعالى أعلم » . **وروى** أبو داود عن أبي موس قال : قال رسول الله ﷺ « إن بين أيديكم فتنا كقطع اللّيل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمنا ، ويصبح كافراً ، القاعد فيه خير من القائم ، والقائم فيها خير من الساعي » قالوا : فما تأمرنا يا رسول الله ؟ ، قال : « كونوا أحلاس بيوتكم » أي : ألزموا بيوتكم كما يلزم الحلس ظهر

الجمل . انتهى . وفي الحديث « فتنة الأحلاس » مراده بها فتنة الدوام ، أي : يطول زمنها ، كما يلزم الحلس ظهر البعير ، يقال : فلان حلس بيته . أي : لا يكاد يبرح منه . وأمّا قوله حزب فالمراد به زوال الأهل والمال ، يقال : حزب الرجل ، فهو حزب إذا سلب أهله وماله . انتهى . وفي حديث الترمذي أن رسول الله ﷺ قال : « إذا كان أمرائكم خياركم ، وأغنيائكم سمحائكم ، وأمركم شورى بينكم ، فظهر الأرض خير لكم من بطنها ، وإذا كان أمرآئكم شراركم ، وأغنيآئكم بخلائكم ، وأمركم إلى نسائكم ، فبطنُ الأرض خير لكم مِنْ ظهرها » .

وروى الترمذيّ عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يأتي على الناس الزمان الصابر فيه على دينه كالقابض على الجمر » . **وروى** أبو داود عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « ستكون فتنة تستنطق العرب قتلاها في النار » أي ترميهم ، والاستنطاق : الرمي « اللّسان فيها أشدّ من قتل السيف » . وفي رواية أخرى أن رسول الله ﷺ قال : « ستكون فتنة عميآء صمّآء بكمآء ، من أشرف لها استشرفت له ، وإشراف اللسان فيها كوقع السيف » . وفي رواية لإبن ماجه « إياكم والفتن ، فإنّ اللسان مثل وقع السيف من حيث الكذب عند أهل الجور ونقل أخبار الناس إليهم ، فربّما نشأ من ذلك النهب والقتل والجلاء والمفاسد العظيمة أكثر من وقوع الفتنة نفسها » . وفي الصحيحَيْن أن رسول الله ﷺ قال : « إن العبد ليتكلم بالكلمة من سَخط الله لا يلقي إليها بالاً » . وفي رواية : « ما يتبيّن فيها يهوى بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب » . وفي رواية « يهوى بها في النار سبعين خريفا » . انتهى مع الإختصار راجعه في ١٨٠ من كتاب « الفتن » عن عبد الله بن عمر ابن العاص رضي الله عنه أنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذا ذكر الفتنة فقال : « إذا رأيتم الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا » وشبّك بين أصابعه ، قلت : فماذا أصنع عند ذلك جعلني الله فداك ؟ ، قال : « إلزم بيتك ، واملك عليك لسانك ، وخذ

ما تعرف ، ودع ما تنكر ، وعليكم بأمر الخاصّة ودَعْ عنك أمر العامّة » وذكر في خبر آخر أنه قال عليه السلام : « ذاك أيّام الهَرج » قيل : وما أيّام الهرج ؟ قال : « لا يأمن الرجل جليسه » . وذكر ابن مسعود رضي الله عنه في خبر آخر للحرث من عميرة أنه قال : « ان لم تدفع[1] عن عمرك فسيأتي عليكم زمان كثير خطبائه قليلُ علمآئه ، كثير سؤاله قليل معطوه ، والهوى فيه قائد العلم ، ومتى ذاك إذا أُهينت الصلاة ، وقبلت الرشا ، ويباع الدين بيسير من الدنيا ، فالنجاة ويحك »

قلت : وجميعُ ما ذكر في هذه الأخبار تراه بعينك في زمانك وأهله ، فانظر لنفسك كذا في « منهاج العابدين » راجعه في ٢٧ . وفي « السراج المنير » عن النبي ﷺ أنه قال : « ستكون عليكم أئمة يملكون أرزاقكم ، يحدّثونكم ، فيكذّبونكم ويعملون فيسيئون العمل ، لا يرضون منكم » أي عنكم « حتى تحسّنوا قبيحهم ، وتصدّقوا كذبهم ، فأعطوهم الحق ما رضوا به ، فإذا تجاوزوا ، فمن قتل على ذلك فهو شهيدٌ من شهدآء الآخرة ، خاطبهم بذلك ليُوطّنوا أنفسهم ، حتى تلقوه من الأذى فيصبروا عليه » . طب عن أبي سلمة الأسلمي أو السلمي بإسناد ضعيف انتهى في ٣١٤ ج ٢ .

وفيه حديث : « ستكون أمرآء فتعرفون بعض أفعالهم » أي ترضون بها لموافقتها للشرع « وتنكرون » بعضها لمخالفتها للشرع « فمن كره » ذلك المنكر بلسانه بأن أمكنه تغييره بالقول فقال « فقد برئ » من النفاق والمداهنة « ومن ضعف » عن ذلك « وأنكر » بقلبه « سلم » من العُقوبة « ولكن من رضي بالمنكر » وتابع عليه في العمل « لم يبرأ » من العقوبة . م د . عن أم سلمة « تكون بعدي أمراء يقولون » أي : ما يخالف الشرع « ولا يردّ عليهم » أي لا يستطيع أحدٌ ان يأمرهم بمَعْروف ولا ينهاهم عن منكر « يتهافتون » أي يتساقطون « في النار يتبع بعضهم بعضا » أي كلما

---

(١) **أي** : ان طال عمرك (**منه**) .

مات واحدٌ ولي غيره مكانه فعمل بعلمه ؛ منه عبارته في ١٥٧ ج ٢ . قال النبي ﷺ « يأتي على الناس زمان يقال للرجل ما أظرفه وما أعقله وما أجلده وما في قلبه من الإيمان ما يوزن بخردَلة » وقال : « يأتي على الناس زمان يذوبُ قلبُ المؤمن في جوفه كما يذوبُ الملحُ في الماء مما يرى من المنكر لا يستطيع تغييره » وقال : « يأتي على الناس زمان لأن يُربي أحدكم جرو كلب وخنزير خير له من أن يربّي ولدًا من صلبه » انتهى . وقال : « يأتي على الناس زمان هممهم بطونهم ، شرفهم متاعهم ، قبلتهم نسآئهم ، دينهم دراهمهم ودنانيرهم ، أؤلئك شرّ الخلائق » . وقال : « يأتي على الناس زمان يكون السّلطان كالسبع ، ومن قبله كالذئب ، ومن قبله كالثعلب ، ويكون المسلمون كالشاة ، فمتى تسلم الشاة بين سبع وذئب وثعلب ؟ ! » وقال : « يأتي على الناس زمان الموت أحبّ إلى أحدكم من الذهب الأحمر » . وقال : « يأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلاّ أن يكون مستندا إلى منافق » . انتهى « مفيد العلوم » ٤١٣ . هذه المذكورات بعض العلامات الصغرى .

وأما العلامات الكبرى

قال الشيخ أحمد النفراوي على « الرسالة » : للساعة أشراط وعلامات يجب الإيمان بها ، وهي على قسمين ؛ صغرى وكبرى ، فالكبرى عشر ، خمس متفق عليها ؛ خُروج الدجّال ، ونزول عيسى بن مريم من السمآء الثانية ، وخروج الدابة ، ويَأجُوج ومَأجوج ، وطلوعُ الشمس من مغربها ، وخمس مختلف فيها ؛ خسف بالمشرق ، وخسفٌ بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، ودخان باليمن ، ونار تخرج من قعْر عدنٍ تروح مع الناس حيث راحوا وتقيل معهم حيث قالوا حتى تسوقهم إلى المحشر . انتهى .

ثم ذكر العلامات الصغرى كما تقدّم ، **وعدّ منها ظهور المَهْدي ،** وعدّ بَعْضُهم من الكبرى . انتهى سرد ما أردنا سرده في هذا المختصر ، واكتفينا فيه بهذا القدر ، وصار الكتاب بذلك كتاباً حاوياً بجميع المقاصد ، فللّه الحمد أوّلاً وآخراً ، وصلّى الله على سيّدنا محمد تنحلّ به العقد وتنفرجُ به الكُرب وتخرجنا من الظلمات إلى النور ، ولما كان جمعه بإشارة بَعْض الفقرآء أهل التصرف الباطني وفقني الله تعالى في ذلك توفيقاً عجيباً في أسرع وقت على خلاف طبعنا المعهود قبله ، نسألُ الله تعالى أن لا يحرمنا من بركات أنفاسهم العاطرة ، وفيوضاتهم الوافرة ، آمين يا مجيبَ الدعآء ، ويا أرحم الراحمين ، والحمد لله رب العالمين .

تم الكتاب بعَوْن الملك المعبود فريد أحقر الأنام

وأخس الورى عملا اللهم اجعَلْ سعيه

مشكوراً وعمله مقبولاً بحرمةالسادات

الكرام والمشائخ العظام وبحرمة

من خُلق الأكوان لأجله

آمين يا مجيب .

قصيدة هائية

في

أشراط الساعة وأحوال العصر

أَلَّفه

العلامة الجليل المرشد محمد بن نور محمد
النقشبندي الشاذلي الداغستاني
المتوفى سنة ١٣٦١ هـ

دار الرسالة

قصيدة هائية[1] في أشراط الساعة وأحوال العصر

يَـا رَسـوُلاً يَـا سَـيِّدَ الـثَّـقَـلَـيْـنِ   أَنْـتَ حَـسْبِي يَا مُصْطَفَى فِي الْبَرِيَّهْ
أَنَّ أَشْـرَاطَ الْـحَـاقَـةِ الْـمُـفْـزِعَاتِ   قَـدْ أَحَـاطَـتْ وَدَارَ بِنَا الْكُؤُوسَهْ[2]
كَـادَرَتْ[3] عَـيْـشَـنَـا نَـوَائِبُ دَهْرٍ   أَذْهَـلَـتْـنَـا الْـحَـوادِثُ الْـقَـادِحِـيَّهْ
وَمَـرَرْنَـا عَـلَـى الْـقُـبُـورِ[4] وَقُـلْنَا   لَـوْ قَـضَـى اللّٰهُ فِـي رُقُـودِي مَقَامَهْ
وَأَهَـانُـوا[5] الْـمَـسَـاجِدَ الْمُرْفَعَاتِ   رَفَـعَـتْـنَـا[6] الأَسَـافِـلُ الـلَّـكِـعِيَهْ
وَتُـبَـاعُ[7] الْـعُـقْـبَى بِعَرْضٍ يَسِيرَهْ   بِاعْـتِـيَـاضِ[8] الْفُلُوسِ عَنْ أَفْضَلِيَّهْ

---

(١) والقصيدة من بحر الخفيف .

(٢) لما شبه أشراط الساعة بالخمر في السكر والدهشة أثبت لازماً من لوازم المشبه به وهو الكأس للمشبه وهي أشراط الساعة .

(٣) إشارة إلى ما ورد في الحديث : « لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض إلا دخله الربا ، إن لم يصبه من أصابه من غباره أو من صاحبه أو صديقه أو قريبه » . كذا في « المشارق »

(٤) هذا مأخوذ من حديث : « لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيقول : ليتني كنت مكانه » أي : لما يرى في ذلك الزمان من شدة البلاء وتعظيم الجهال وظهور رياستهم . انتهى كذا في « تذكرة القرطبي » .

(٥) وهو إشارة إلى ما ورد في الحديث من اتخاذ المساجد طرقاً كما سمعنا في ولاية السهل وغيره **(منه)** .

(٦) إشارة إلى حديث ابن عباس في خبر الحرث : « لا تقوم الساعة حتى يكون زعيم القوم أرذلهم ، وحتى تكون الأسافل رؤوساً ، وحتى تكون أسعد الناس ابن لكع » **(منه)** .

(٧) إشارة إلى حديث ابن عباس في خبر الحرث : « فسيأتي عليكم زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه ، كثير سؤاله قليل معطوه ، والهوى قائد العلم فيه ، وذلك إذا أهينت الصلاة ، وقبلت الرشا ، ويباع الدين بيسير من الدنيا ، فالنجاة النجاة ويحك » **(منه)** .

(٨) كما ورد في الحديث : « إنهم يبيعون الدين بالدنيا ، ويقطعون الأرحام » **(منه)** .

طَالَتِ الْحُفَاةُ الْعُرَاةُ دُؤُوراً[١] وَبَغَوْا فِي الأعِزَّةِ[٢] ذِي السَّعَادَهْ
فَحْتَرِزْنَا يَا رَبَّنَا يَا كَرِيمُ مِنْ هَلاَكٍ وَدَهْشَةٍ هَائِمِيَّهْ
وَأَعِذْنَا مِنْ خِزْيِ دُنْياً وَ أُخْرَى[٣] وَعَذَابِ الْمُسَعَّرِ الْمُقْشَعِرَّهْ
فَسَدَ الْبُلْدَانُ الْبَرِيَّةَ بَغْياً[٤] قَبَضَ الْعِلْمُ[٥] فَاشَ زِناً رَزِيلَهْ
شَرِبُوا الْخَمْرَ[٦] الْخَامِرَ وَالْخَسِيرَهْ وَهُوَ الأصْلُ فِي الْآثَامِ الْخَسِيسَهْ[٧]
كَسَدَ[٨] الأسْوَاقُ الْمُعَمَّرَةُ الْعَا ئِلَةُ الذُّخْرَى الْعَاجِلُ وَالْمُزَالَهْ
يَا لَعُجْبُ فِي شُرْبِهِمْ بِالدُّخَانِ كَيْفَ يَلْهُوا مِنْ ذِكْرِ رَبِّ الْبَرِيَّهْ
وَزَعِيمُ الْقَوْمِ[٩] الرَّذِيلُ يَجُورُ وَيَعَقُّ[١٠] الْفَتَى أَبَاهُ الأوِيَّهْ

---

(١) وهو مأخوذ من حديث جبريل : « وأن ترى الحفاة العراة يتطاولون في البنيان » كما في « الأربعين النووية » (منه) .

(٢) بالإجلاء والحبس وسلب الاختيار والمال من كل أحد (منه) .

(٣) وهو مأخوذ من حديث : « اللهم إني أعوذ بك من خزي الدنيا وعذاب الآخرة » فإنّ من قاله يموت قبل الوقوع في الفتن . كذا في « المنتجاب » (منه) .

(٤) وفي « النفراوي » ما لفظه من الحديث : « ومنها إمارة الصبيان وفساد البلدان » . . . إلخ (منه) .

(٥) وهو مأخوذ ممّا ورد في أشراط الساعة : « ومنها قبض العلم بموت أهله وظهور الجهل » .

(٦) وهو مأخوذ من حديث حذيفة ، وفيه ما لفظه : « وشربت الخمور في الطرق واتخذ الظلم فخراً » (منه) .

(٧) لأنه كلّ الآثام تنشأ منها كما ورد كذلك وكما رأيناه .

(٨) وأصل الكساد الفساد . راجع « القاموس » .
وهو مأخوذ مما في « مشارق الأنوار » ومثله : « ومنها كساد الأسواق ، وقلة البركة في الأرزاق ، وكثرة الشكاية من الناس » (منه) .

(٩) وصحّ أن من أشراط الساعة أن يكون زعيم القوم أرذلهم ، وإكرام الرجل مخافة شرّه ، وشرب الخمور (منه) .

(١٠) وفي حديث حذيفة في بيان وقت الساعة ما لفظه : « وكان زعيم القوم أرذلهم ، وعق الرجل أباه وبر صديقه ، وجفا أمّه وإطاع زوجته » . . إلى آخر الحديث (منه) .

وَيَبِـرُّ الأخَ الـطَّـغِـي وَهْـوَ جَافٍ　أُمَّـهُ أَنْـهَـارَ الْـجُـفُـونِ مُـسِـيلَـهْ
أَمَّـنُـوا الْـخَـائِـنَ[1] الْبَغْيِ ذَاكَ خَوَّ　نُوا الأمِينَ الْخَاجِي[2] أَخَا الْخَلَدِيَّهْ
عَـادَتِ[3] الأيَّـامُ الْـمُـنِـيـرَةُ حُلْكاً　فَـكَـأَنَّـهَـا الـلَّـيْـلَـةُ الْـمُـظْـلِـمَـهْ
رَكِـبَ الْفُـرُوجُ[4] الْـجُـنَاةُ الْجَرِيمَهْ　بِـالـسُّـرُوجِ الْـمُـزَيَّـنَـةِ الْـبَـهِـيَّـهْ
صَـبْـرُنَـا بِـالـدِّينِ الْقَوِيمِ[5] الْمُرَامِ　مِـثْـلُ قَـبْـضٍ بِـالْـجَمْرَةِ الْمُحْرِقَهْ
وَسَـقَـانَـا أَيَّامُنَا الْهَرَجِيَّةُ[6] غُصَصَ　الأكْـدَارِ الـشَّـنِـيـعِ الْـمُـعَـمَّـهْ
ذَاتُ أَيْـدِيـنَـا[7] فِـي تَـصَرُّفِ وُلاَّةِ　أُمُـورٍ صَـارَتْ كَـذَاكَ الـصَّـبِـيَّـهْ
أَفْـسَـدُونَـا سَـنِـيَّـةَ الْـمُـسْنَدَاتِ[8]　مَـنَـعُـونَـا عَـنِ الـشِّـعَارِ[9] الشَّهِيَّهْ

---

(١) وهو مأخوذ من حديث حذيفة : « إن من أشراط الساعة ائتمان الخائن ، وتخوين الأمين » (منه) .

(٢) خجي كرضي : استحي .

(٣) وفي حديث مسلم : « لا تقوم الساعة حتى تكون فتن كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي كافراً ويصبح مؤمناً يبيع دينه بعرض من الدنيا » . « تذكرة القرطبي » .

(٤) إشارة إلى ما ورد : « لا تقوم الساعة حتى ركبت الفروج بالسروج » (منه) .

(٥) عن أنس بن مالك ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يأتي على الناس زمان الصابر فيه على دينه كالقابض على الجمر » . كذا في « مختصر تذكرة القرطبي » .

(٦) إشارة إلى حديث : « إذا رأيتموا الناس مرجت عهودهم » . .إلى آخر ما قاله « وذلك أيام الهرج » . قيل : ما أيام الهرج ؟ قال : « القتل القتل » . وقيل في موضع آخر : « أن لا يأمن الجليس جليسه » (منه) .

(٧) وفي « السراج المنير » عن النبي ﷺ قال : « ستكون عليكم أمراء يملكون أرزاقكم ، يحدثونكم فيكذبونكم ، ويعملون فيسيؤون العمل ، لا يرضون منكم حتى تحسنوا قبيحهم وتصدّقوا كذبهم » . . . إلخ (منه) .

(٨) من أمور الآخرة .

(٩) **أي** : شعار الإسلام .

وَأَزَالُوا[1] الأهلا كَذَ الْمَالَ سَلْباً هَمُّهُمْ[2] فِي الْبُطُونِ[3] وَالسَّقْي نَالَهْ
وَيَذُوبُ الْقُلُوبُ[4] فِي أَجْوَافِهْ فَكَمَا ذَابَ الْمِلْحُ فِي الْمَا الْحَرَّهْ
لَمْ يُسَلَّمْ ذُو دِينِ دِينُهُم وَيْ[5] إِلاَّ بِاسْتِنَادِ الْمُنَافِقِ يَالَهْ
وَرَأَيْنَاهُمْ كَالذِّئَابِ فَصَالُوا وَالْمُوَحِّدُ الْحَائِرُ شَاةً آهْ[6]
فَمَتَى يُسْلِمُ[7] الشِّيَاهُ إِذَا كَا نَتْ رُعَاةُ ذِئَابَهَا ذَا الْقَوِيَّهْ
بَيْدَ أَنَّ الْحُكْمَ الْمُحَكَّم كُلَّهْ لِلْحَكِيمِ الْمُهَيْمِنِ الأَحَدِيَّهْ
نَحْنُ رَاضُونَ مَا قَضَى مَا يَشَاءُ يَا إِلَهِي بِالْحِكْمَةِ الأَزَلِيَّهْ
يَا حَكِيمِي أَدِمْ لَنَا بَرُّ[8] دِيناً مَعْ شُيُوخِي وَوَالِدَيَّ الْحَمِيَّهْ
حَالُ يَعْسُوبِكُمْ كَذَلِكَ فَادْعُوا لَهُ بِالْفَوْزِ رَأْفَةً[9] أَخَوِيَّهْ
رَبِّ حَصِّلْ مُرَامَنَا وَاهدِنَا مَا هُوَ خَيْرُ لَنَا غَدَاةَ الْمَنِيَّهْ
صَلَوَاتُ اللهِ الْكَرِيمِ الْهَا دِي وَحِيدِ[10] مُشَفَّعٍ فِي الْخَلِيقَهْ

تَمَّتْ فلله الحمد والمنة أولاً وآخراً .

---

(١) كما رأيناه بأعيننا والسلام .
(٢) كما رأينا ذلك جهاراً .
(٣) وقال : « يأتي على الناس زمان همّهم في البطون ، شرفهم في المتاع » . (منه) .
(٤) وقال : « يأتي على الناس زمان يذوب قلب المؤمن في جوفه كما يذوب الملح في الماء ، فما يرى من المنكر لا يستطيع تغييره » كما في « مفيد العلوم » . (منه) .
(٥) وَيْ : كلمة تعجّب . « قاموس » .
(٦) يقال عند الشكاية أو التوجع : آهَ أوَهاً . « قاموس » .
(٧) وهو إشارة إلى حديث : « يأتي على الناس زمان يكون السلطان كالسبع ومن قِبَلُهُ كالذئب ، ومن قِبَلُهُ كالثعلب ، ويكون المسلمون كالشاة ، فمتى تسلم الشاة بين سبع ، وذئب ، وثعلب » . راجع إلى « مفيد العلوم » .
(٨) اسم من أسماء الله تعالى .
(٩) **أي** : بالرأفة الأخوّة الدينية كما ورد : « دعاء الأخ للأخ بظهر الغيب تعدل سبعين دعوة »
(١٠) اسم من أسماء نبيّنا محمّد ﷺ .

توسّل محمد اليعسوبي قدس سره

إلَهي وغَفَّارِي ورَبِّي وسَيِّدِي … إلَيْكَ تَوسَّلْتُ بِكُلِّ الأكَابِرِ
خُصُوصًا بِحَقِّ الأبْطَحِيِّ مُحَمَّدٍ … رَحِيمٍ عَلِيمٍ شَافِعٍ فِي الْمَعَاشِرِ
وَمَنْ خلَقَ الْأكْوَان بِدْاءً لِأجْلِه … وجَاءَ بِهِ الْأنْوَارُ مَحْوًا لِحَائِرِ
وَبِالْأنْبِيآءِ وَالْمُرْسَلِينَ جَمِيعِهِمْ … وَحُرْمَةِ أزْوَاجٍ وآلٍ مَنَاوِرِ
وَبِالْخُلَفَآءِ الْمُرْشِدِينَ لِأُمَّةٍ … وَأَصْحَابِه الْأبْرَارِ مُبِيدِي الأكاسِرِ
بِحُرْمَةِ صِدِّيقٍ وَسَلْمَانِ قَاسِمٍ … وَجَعْفَرِ طَيْفُورٍ مُزِيلِي السّتائِرِ
أَبِي الْحَسَنِ ثُمَّ الإمَامِ أبِي عَلِي … بِيُوسفِ هَمْدَانٍ هُدَاة الْهَوَاجِرِ
بِشَيْخٍ شَهِيرٍ شَاكِرٍ عَبْدُ خَالِقٍ … بِعَارِفِ رِوْكِيرِي كَرِيمِ الْعَنَاصِرِ
بِمَحْمُودِ انْجِيرٍ عَلِيٍّ بِرَامِتِنِي … بِبَابَا مُحَمَّد مُنِيرِ الشّراشِرِ
تَشَفَّعْتُ بِالْمِيرِ الكُلاَلِ المُحمّد … بِحُرْمَةِ قُطْبِ الأَوْلِيآءِ النَّضَائِرِ
إمَامِ الطَّرائِقِ سمِّي مُحَمَّدٍ … وَحُرْمَةِ عَطَّارٍ عَظِيمِ الذَخَائِرْ
وحُرْمَةِ يَعْقُوبٍ عُبَيْدُكَ أحْرَارٍ … مُزِيحِ الْقَوَادِحِ مُجِيرِي الدَّيَاجِرِ
بِحُرْمَةِ زَاهِدِي يُسمّى مُحَمَّدا … وَحُرْمَةِ دَرْوِيشٍ شَهِيرِ النَّوَابِرِ
وَبِالأمْكِنَكِيِّ كَرِيمِ المَوَاكِبِ … بِحَقِّ مُحَمَّدٍ بِبَاقِ الْمُنَوّرِ
بِحُرْمَةِ غَوْثِ الْعَالِمِينَ مُجَدِّدٍ … إمَامٍ رَبَّانِيِّ مُلاَذِ الْغَداوِر
بِحُرْمَةِ مَعْصُومٍ مُزِيلِ الشّقَاوَةِ … بِحَقِّ حَبِيبِ اللهِ مَاحِ الخَوَاطِرِ
وَحُرْمَةِ عَبْدِ اللهِ عَينِ الْعِنَايَةِ … وَبِالْغَوْثِ خَالِدٍ مُبِيدِي البَوائِرِ
بِحَقِّ ذَبِيحِ اللهِ زَيْنِ الْعِنَايَة … بِحَقِّ مُحَمَّدْ صَالِحْ ذِي النَّوَاصِرِ
بِحُرْمَةِ إبْرَاهِيمَ أَمِينِ الوِلاَيَةِ … بِحَقِّ يُونُسٍ فَيَسْرِي بِكَافِرِ

بـحُـرْمَـةِ مَحْمُود حَمِيدِ المَحَاسِنِ رَحِـيم مُفِيضٍ فِي الصُدُورِ السّرَائِرِ
فَـجَـبْـرَائِـيـل الْـجَزِيلِ جَامِع فَائِح آبـا عَـبْـدِ الـرَّحْمَنِ مُضِيئ البَصَائِرِ
خُـصُـوصًـا بِشَيْخِنَا شَهِيرِ المَرَاتِبِ حِـلْـمِي حَبِيبِي فِي البِحَارِ الغذَامِر
تَـوَسَّـلْـتُ يَـا رَبِّ بِسَادَاتِك الكِرَام فَـأَسْـئَـلُـكَ الـتَّـقْـرِيبَ مِنْكَ بِظَافِر
إِلَـهِـي أَمِـدَّنَـا بِـكَـشْـفٍ بـكُـرْبَةٍ وَوَصْـلٍ إِلَـيْـكَ يَا مُجِيبَ الجَمَاهِر
وَتُـحـرسْـنَـا مِـن حَـرِّ نَارٍ وَغُصَّةٍ وتـجـبـرَنَـا الكَسْرَ بِكَشْفِ الكَدَاوِرِ
إِلـهِـي كَـريـمِـي كُنْ رَؤُفًا وساتراً لِإِثْـم سـلَـفْـنَـاه بـسَـهْـو ودَغـمَرِ
وأَنْ تَـدْفَـعَ عَـنَّـا الـمَـفَـاسِدَ كُلّهَا وتـحـفِـظـنـا مِـن شرّ دُنْيا ومَنْشَرِ
وتَـخْـتِـمَ أعْـمَـالِـي بِصَالِح ذِكْرِك وَخَـيْـرُ لِـقَـائِـي فِي لِقَاكَ بِمَحْشَرِ
وتَـحْـشُـرَنَـا فِي السَّابِقِينَ الاَمَاثِكِ والـحـقـنـي بـهِـمْ وَبـي بِـالذَّرَائِرِ
وتـرحـم وَالِـدَيَّ أَهْـلَ مَـوَدَّتـي كـذا الـمُحْسِنِينَ مِنْ حِزْبِ العَشَائِرِ
فـقِـيـرٌ فـيَـعْـسُوبِي عَظِيمُ الجَرَائِم قَـلِـيـلُ الـمـكـارم كَـثِيرُ الْمَوَازِرِ
سَـمِـيُّ نَـبِـيًّـا سَـقِـيـمٌ فـؤادُهُ فـيـرجُو مِنَ الإِخْوَانِ دَعْوَى لناشِرِ
وَصَـلّ عـلى خَـيْـر الأنـام مُحَمَّدٍ وَآلٍ وَأَصْـحَـابٍ وَكُـلِّ الْأَكَـابِـرِ

تمَّت .

فائدتان : **الأولى** : قال بَعض الفضلآء من أراد أن ينجو من عذاب القبر فعليه أن يُلازم أربعة ويجتنب أربعة .

فأما الأربَعة التي يلازمها : فالمحافظة علَى الصّلوات والصّدقة وقرائة القرآن وكثرة التسبيح ، فإن هذه الأشيآء تضيئ القبر وتوسّعهُ .

وأما الأربَعة التي يجتنبهَا : فالكذبُ والخيَانة والنميمَة والبَوْل فإن عَامَّة عذاب القبر منه .

الثانية : ذكر الأستاذ الشيخ محمّد أبو خنسير حفظه الله تعالى في كتابه « نهَاية الأمَل » أنه نقل عن سيّدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه أن من كتب هذه الأبيَات ووضعَها في كفنه أمِنَ مِن فتنة القبر ومن سؤال منكر ونكير لكن بشرط أن يَجْعَلَهَا في حرز يحفظها من النجاسة كقصبة أو نحاسٍ وهي هذه :

يا قاهرًا بالمنايا كل قهّار ... بنور وَجهك أعتقني من النار
إليك أسلمني من كان يعهدُني ... من أهل ودّي وأصحَابي وأنصَاري
في قعر مظلمة غبرآء موحِشة ... فردًا غريبًا وحيدًا تحت أحجار
أمسيت ضيفك يا ذا الجُود مرتهنا ... وأنت أكرم منزول به قاري
فاجعَلْ قرائي منك نيل مغفرة ... أنجو إليك بهَا يَا خير غفار

ومثل ذلك للأستاذ البكري حيث قال :

يا ربّ إن ذنوبي في الوَرى كثرت ... وليس لي عملٌ في الحشر ينجيني
وقد أتيتك بالتوحيد يَصْحَبُهُ ... حبّ النبي وهَذا القدر يكفيني

« مصباح الظلام » ج١ عبارته ١٢٠ .

توسّل آخر لليعسوبي قدس سره

تَوَسُّلِي بِالنَّبِيِّ سَيِّدِ الرُّسُلِ ... رَسُولِنَا وَشَفِيعِ الخَلْقِ كُلِّهِم
وَبِالصِّدِّيقِ أَبِي بَكْرٍ رَفِيق نَبِي ... فِي غَارٍ مِنْ جَبَلٍ ثَوْرٍ بِلاَ وَصَم
وَالْحِبِّ سَلْمَانَ لِلرَّسُولِ كَالْبَصَرِ ... وَالْقَاسِمِ الْقَائِدِ الْكَرِيمِ كَالْعَنَمِ
وَجَعْفَرِ الصَّادِقِ الإِمَامِ سَيِّدِنَا ... وَالْبَسْطَامِي أَبِي يَزِيدَ ذِي الْهِمَمِ
وَبِالْمَحبُوبِ غِيَاثِنَا أَبِي الْحَسَنِ ... وَالْفَارْمَدِيِّ أَبِي عَلِيٍّ ذِي الحِكَمِ
وَيُوسُفِ الفَاضِلِ الْهَمْدَانِي ذِي السَّبَقِ ... وَالْغُجْدُوَانِي جَلاَلِ الدِّينِ ذِي الْعَظَمِ

وَالرِّوْكَرِي الْعَارِفِ الْمَعْرُوفِ بِالْخُلُقِ   والـفَـغْـنَوِي الإِنْجِيرِ الْمُحَمَّدِ الدِّيَمِ
والـرَّامِـتِـيـنِـي عَـزِيزَانِ عَلِيَ الْوَلَهِ   ولِلسِّوَى النَّاسِ السَّمَاسِيِّ ذِي القَدَمِ
وَذِي الْـكَـمَـالِ كُـلَالِ مَنْبَعِ الرُّتَبِ   وَعُـمْـدَةِ الْـقَوْمِ شَيْخِ الْكُلِّ كَالْعِرَمِ
مُحَمَّدٍ شَاهِ نَقْشُبَنْدِي ذِي الْحُضَضِ   إِلَـهِ اجْـعَـلْـهُ لَـنَا مَرْقًا إِلَى الْعِظَمِ
وَالْـعَـطَّـارِيِّ عَـلاَءِ الـدِّيـنِ وَالْمِلَلِ   وَذِي الْـكَرَامَاتِ يَعْقُوبِ الْجَرْخِي القَطِمِ
وَالْبَحْرِ أَحْرَارِ عَبْدِ الله ذِي الرَّشَدِي   والـزَّاهِـدِ الـزَّائِـدِ الْـمُـحَمَّدِ الْقَرِمِ
وَالـدُّرِّ دَرْوِيـشِـنَـا مُـحَـمَّـدِ السَّنَدِ   وَالْلاإِمْكَنَاجِي[1] ابْنِهِ الْخَوَاجَكِي الْكَرِمِ
وَالْبَاقِي ذِي السَّكْرِ لِلْبَاقِي مُحَمَّدِهِمْ   وَالْـفَـارُقِـيِّ الْـمُجَدِّدِيِّ ذِي الجُزُمِ
وَبِـالْـمَعْصُومِ الْعَلِيمِ الْمُرْشِدِ الْوَلَدِ   وَالـسَّـيْـفِ لِلهِ فِـي الأَدْيَانِ والْهُجُمِ
والـشَّـيْـخِ نُـورْ مُحَمَّدِ الْمَعْزُوِّ إِلَى   بَـدْوَانَ ذِي الْـفَيْضِ والآثَارِ وَالرَّزَمِ
وَالْمِرْزَجَانِي حَبِيبِ اللهِ ذِي الْفَـخَرِ   وَالدَّهْلَوِي الشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ ذِي الرَّدَمِ
وَالسَّائِرِ الْغَوْثِ لِلْإِرْشَادِ ذِي التُّحَفِ   مُـحَـمَّـدِ الْـخَالِدِ الْبَغْدَادِي كَالْكُرُمِ
وَالشَّيْخِ إِسْمَاعِيلِ الْكُرْدَمِيرِي الْكَلِمِ   وَالْقَائِمِ الصَّالِحِ الشِّرْوَانِي ذِي الْوَجَمِ
وَالْحَاجِ إِبْرَاهِيمِ الْقَدْقَاشِنِي الْعَـطِـرِ   وَالحَاجِّ يُونُسْ أَفَنْدِي الْفَائِضِ النِّعَمِ
وَمَنْ عَلَى أَمْرُهُ فِي الشَّرْقِ والْغَرْبِ   وَسَـيِّـدِ الأَوْلِـيَـاءِ الْجَدِّ ذِي الْكَرَمِ
الخَالِدِ النَّقْشُبَنْدِي الْخِضْرِي ذِي الْخَبَرِ   الشَّيْخِ مَحْمُودْ أَفَنْدِي الْقُطْبِ فِي الأُمَمِ
وَسَـيِّـدِ الْـكُـمَّلِ السَّادَاتِ ذِي العِبَرِ   غَوْثُ الْفُقَرَاءِ كَالشَّمْسِ الْمُضِي الضِّيَمِ
مُـرَبِّـي أَرْوَاحِـنَـا رُوحِ الْـحَـيَاةِ لَنَا   اَلْحَاجِّ جِبْرَئِلْ أَفَنْدِي الْحَازِي لِلْحَتَمِ
وَشَيْخِنَا الْجَنَاحَيْنِ الحِبِّ ذِي الأَدَبِ   اَلْحَاجِّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْعَسَلِي الشَّهِمِ

---

(١) **علّه** : والإمكناكي .

أَعْـلَـى الْإِلَـهُ لَهُ الْمَقَام فِي الْقُرَبِ وَوَسَّـعَ الْـبَـاعَ لِـلـشَّـفَـاعَةِ العَكِم

قَـدَّسَ سِـرَّهُمُ الْقُدُّوسُ في الْقُدُسِ فِـي حَـضْرَةِ اللهِ عِنْدَ الْعَرْشِ وَالْقِيَم

الـلَّـهُـمَّ أَفِـضْ عَلَيْنَا مِنْ فُيُوضَاتِهِمْ وتَـمِّـمْ لَـنَـا مـنْ بَـرَكَـاتِهِمْ آمين .

توسّل آخر لليعسوبي قدس سره

ألاَ يَـا رَحـيماً بِي بِحَالِي وَحَاجَتِي حَـكـيـمـاً بِـصُـنْعِه بَصِيراً بِعَجْزَة

لَـطِـيـفـاً بِـفَـضْـلِـهِ قَديراً بهَلْكَتِي مُـجِـيـبـاً لِـدَعْـوَةِ مُـزِيـلاً بِـحِيرَةِ

تَـفَـضَّـلْ بِـفَـقْدَتِي تَرَحّمْ بِوَحْدَتِي تُـؤَنِّـسْ لِـوَحْـشَـتِي تَكَشَّفْ بِكُرْبَة

تَـوَسَـلْـتُ يَـا ربِّ بِسَادَاتِكَ الكِرَام إلَـى دَرْأ قَـسْـوتِـي وَفَـوْزِ الـسّعَادة

خـصُـوصـاً بـحَقِ الهَاشِمِيّ محمّدٍ نَـبـيّ رَسـولٍ سـيّـدٍ فِـي الـقِـيَامةِ

وحُـرْمـةِ أزوَجٍ وآلِ كَـرَامَـةٍ وَبِـالأَنْـبِـيَـا وَالـمُـرْسلِينَ بِجُمْلَةِ

وَبِـالأَوْلِـيَـاءِ الـفَـائِـزِيـنَ بِـرُؤيَـة بِـحـقِّ عـلـيٍّ ذِي عُـلُـومٍ عَـجِيبَةِ

وبِـالـحَـسـنِ الْـعَـالِي عَدِيم بِمِثْلِهِ بِـحُـرْمـةِ جَـابِـرِ الْـجَزِيل بضرعةِ

أَيَـا بِـالسَّعِيدِ الْفَزَوَانِي ذَوِى الهدى فَـفَـتْـح الـسعُودِ مِنْ فِئام الْحَبيكَةِ

وسـعْـدٍ سَـعِـيدٍ مِنْ ثُقَاتِ السَّوَابِقِ وَبِـالأَحْـمَدَ المرْوَانْ مَلِيحٍ بِحِكمةِ

بِحُرْمَةِ زَيْـنِ الـدِّيـنِ زَيْـنِ الْـهِدَايَة بِحُرْمَةِ شَمْسِ الدِّينِ شَمْسِ الْوِلاَيَةِ

بِـحُـرْمَـة تَـاجِ الـدِّينِ تَـاجِ الأعِزَّة بِـحُـرْمَـةِ نُـورِ الـدِّين نُورِ الْكَرَامَةِ

بِـحُـرْمَـةِ فَـخْرِ الدِّينِ فَيْضِ الْعِنَايَةِ بِـحُـرْمَـةِ تُـقَـي الـدِّينِ دَاوٍ لِبُهْجَة

كَـذَا عَـبْـدِ الرَّحْمَنِ حَمِيدِ الْمنَاقِبِ فَـعَـبْـدِ الـسَّلاَم مُرْشِدٍ فِي الطَّرِيقَة

بِـحَـقِّ أَبِـي الْحَـسَنِنَا الشَّاذِلِيِّ صُنْ مِـنَ الْعُجْبِ وَالْآفَاتِ ذَاتِ الشَّنَاعَةِ

رَئِـيـسِ الْـطَّـرِيـقَـةِ عِمَادِ الشَّرِيعَةِ شَـرِيـفِ الـسَّـلاَسِـلِ شَـهِيرٍ بِرُفْعَةِ

بِحَقِّ أَبِي الْعَبَّاسِ عَالٍ بِنَشْأَةٍ ... وَبِابْنِ عطَاءِ اللهِ عَالٍ بِنَسْبَةِ
بِحُرْمَةِ دَاوُدٍ سُمِّي بِبَاخِلِي ... بِحَقِّ مُحَمَّدٍ بِبَحْرِ الْصَفَائَةِ
بِحَقِّ عَلِيِّ ابْنِ الْوَفَاءِ أَفِضْ لَنَا ... بِحُرْمَةِ يَحْيَا مِنْ دَوَاءِ الْقَرِيحَةِ
بِحُرْمَةِ أَحْمَدٍ حَلِيفِ الأَكَابِرِ ... أَجِرْنَا عَنْ الْعَجْزِ وَجَوْرِ الْحُكُومَةِ
بِحُرْمَةِ إِبْرَاهِيمْ أَبِي سَالِمِ الصّفِي ... هَيَا عَبْدِ رَحْمَنٍ حَمِيدٍ بِجَذْبَةِ
بِحَقِّ عَلِي السَّنْهَاجِ جَانِ الْكَرَامَةِ ... بِيُوسُفِنَا الْفَاسِي مُزِيلِ السَّفَالَةِ
أَيَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَقِيقِ الْمَآثِرِ ... بِحَقِّ مُحَمَّدٍ حَكِيمٍ لِمِلَّةِ
بَحُرْمَةِ قَاسِمٍ وَقُورٍ بِخَلْقَةِ ... بِحُرْمَةِ أَحْمَدٍ مُذِيعٍ بِحِكْمَةِ
بِسَيِّدِي فِي الْعرْبِ عَظِيمِ الْوِجَاهَةِ ... بِحَقِّ أَبِي الْحَسْنِ سَنِيِّ الْكَمَالَةِ
بِحُرْمَةِ مَوْلا الْعَرْبِ هَادٍ لِأُمَّةِ ... بِحُرْمَةِ فِنْجِيرِ جَلِيلٍ بِشَأْنَةِ
بِحَقِّ حَبِيبِ[1] الرَّحْمَنِ ذِي الْحِمَايَةِ ... بِحَقِّ مُحَمَّدٍ عَلِي ذِي إِضَائَةِ
بِحَقِّ مُحَمَّدٍ بِصَالِحِ ذِي الْحِكَمِ ... بِحُرْمَةِ سَيْفِ اللهِ وَالٍ بِعِزَّةِ
بِحُرْمَةِ شَيْخِنَا شَهِيرِ الشَّمَائِلِ ... حَبِيبِي حَسَنْ حِلْمِي حَدِيدِ الْفِطَانَةِ[2]
وَأَسْأَلُ يَا رَبِّ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى ... وَآيَاتِكَ الْعُظْمَى رَفِيعٍ بِرُتْبَةِ
وبِالَّذِي ذَكَرْتُهُمْ وَرَهْطٍ دَعَوْتُهُمْ ... وَقُطْبٍ وَأَبْدَالٍ وَغَوْثِ الْخَلِيقَةِ
أَنِلْنَا مُرَامَنَا وَتَغْفِرْ ذُنُوبَنَا ... وَأَعْطِ إِلَهَنَا سُؤَالِي بِمِنَّةِ
إِلَهِي أَعِذْنَا مِنْ عَنِيدٍ عَدَا بِنَا ... وَأَسْبِغْ عَلَيْنَا مِنْ عَمِيمِ السَّمَاحَةِ

---

(١) بقصر الميم ، ومد النون من حبيب الرحمن ، وكذا بتخفيف الراء من عبد الرحمن للضرورة ، فتفطن بمثله .

(٢) عفى الله ذا الشيخ ونال مرامه وفاز من الجنان حورا برحمته ٣٠ كساه الإله ثوب فوز وعزة وشاع علومهم بكل البرية ٣١ .

وَفَـرّجْ عَـنَـا مـا تَرَى مِنْ مَخَاوِفِ وَحَـقِّـقْ مُـرَادَنَـا بِـنَـيْـلِ الـزِّيَـادَةِ
فَـقِـيـرٌ فـيَعْسُوبِي عَدِيمُ الْمَحَاسِنِ عَـظِـيـمُ الْـجَـرَائِـم غـزِيـرٌ بِجُرْأَةِ
سـمِـيٌّ نَـبِـيِّـنَـا أَسِـيـرٌ بِـنَـفْسِهِ فَـيَـرْجُـو مِنَ الأَخْدَانِ دَعْوًى بِغَيْبَةِ
وَصَـلِّ عَـلـى خَـيْـرِ الأَنَـامِ محمّدٍ إِلَـى آنِ نَـشْـرٍ مِـنْ مَـقَـابِـرَ رَقْـدَةِ

فهرسة

(١) **لعله** الجلولتية

تمت فهرسة كنوز الأمان من فتن الزمان وزخيرة النجاة من طوارق الا . . فلله الحمد المنة أوّلا وآخرًا .

رسالة من منمات الشيخ الكامل محمد اليعسوبى

قدس سره العزيز

فصل في رُأيتِه شيخَ شيخه الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره ، فكتب قدس سره ما عبارته هذا :

« رأيت في ليلة شيخنا المرحوم الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره يقرأ قوله تعالى بصوت رقيق : (كهيعص حم عسق طه) انتهى ، وفي اليوم الخامس من رمضان بعد صلاة العصر وقت كوني على الرابطة رأيت شيخنا المرحوم ذا الجناحين الحاج عبد الرحمن العسلي كأنّه يحضر من ولاية چار ، وصار الناس يقولون إنه بات ثلاث ليال في قرى لِبلل بمزاحمتهم عليه لأخذ الورد عنه ثمّ حضر إلى قريتنا ، وخرجنا قدامه للترحيب ، وأعطى حقيبته المملوءة بالأمتعة أي :« خُجَلْ » إلى يدي ، ووضعتها في بيتي ، ونزل في داري ، ثم خرج قدس سره بين الناس للتكلم والنصيحة لهم ، وخرجت خلفه ، وصرت أتوضأ ، فحضر الشيخ لدي لأخذ الماء للاستنجاء ، فحين رآني أتوضأ لم يأخذ الماء منّي ، وذهب إلى إصطبل محمد ولد علي العسوي لقضاء حاجته ، وسرت خلفه بأخذ الماء للطهارة ، وصار الشيخ يقضي حاجته وكانت عنده في تلك الإصطبل النساء الأجنبيات ولم يستح منهنّ ولم يكن على الشيخ الإزار بانتزاعه منه لما عليه من البطانة ، فبكيت بكآء شديدا رحمة عليه حين رأيت ضعفه وهزله ، ولم أعلم ما وقع بعد » اهـ .

ثم رَأَيْتُهُ قدس سره ثاني مرة بعد ذلك في ذلك اليوم كأنّه يقضي حاجته في البستان الذي خلف بيتي ، وأعطيت إلى يده الماء للطهارة والوضوء اهـ .

ورأيته في ذلك اليوم ثالث مرة وكنت أعلم كونه ميتاً ، وأعجب بحضوره إلينا مع كونه ميتاً ، وصار الناس يتفحّصون منّي عن علّة حضوره وأقول لهم :إنّه حضر للتوجه والنظر إليّ على قصد السكون عندي ، ولا يكون له حرفةغيره ولا يتوجه إلىغيري ، ثم فقدت الشيخ في الحجرة فتفصّحت من الناس من مذهبه ، فقال الناس :إنّه ذهب إلى بيت الحاج كمر ، وسرت خلفه على قصد حمله إلى بيتي ، فدخلت في البيت ووجدته مضطجعاً على فراش مرتفع ، فقعدت قدامه ، فتبسم الشيخ وأرسل يده الشريف إليّ للمصافحة ، فصاحفتها وقبّلت عليها ، ثم صِرت أبكي رحمة عليه حين رأيت ضعفه وهزاله ، وكنت لا أترك أن أتوجّه قلبي إلى قلبه خوفاً من وقوع الضرر له لكونه مريضاً ، فقال الشيخ قدس سره :« ولا تضجر ولا تظن أني مريض » ، ثم توجه الشيخ إلي ، فتوجهتُ إلي قلبي بعلمي تَوَجّهِهِ إليّ ، فصرت كأنّي بالروح مع الجسم أرتفع إلى العلى وأذهب إلى جهة السماء ، فنظرت فوجدتني في البيت عنده ثم نظر الشيخ إليّ وقال :« الحمد لله » كأنّه يحمد بذلك بالرضاء على

أحوالي الباطنية بيد أنّه لم يزد القول على ذلك ثم قصدت لمباسطة الكلام معه فانتبهت فوجدت قلبي يدور ويرتعش ارتعاشاً شديداً ، وكنت في هذا الحال في الهفوانية اهـ .

ثم في ليلة أخرى رأيت شيخنا ذا الجناحين وولده محمد رسول مع رجل آخر في بيت من الزجاج - يرى مِن باطنه مَن في ظاهره ومَن في ظاهره مَن في باطنه - كأنّهم مريضون ، فحين رآني ذو الجناحين ناداني بالحضور عنده ، وأمرني بأن أحكّإحدى يديّ على جسده لأزيل عنه القمل والأخرى لتسريح شعره ، ثم أعطيته بيضة الدجاجة ، فكسرها بنصفين وأكل نصفه وأعطى النصف الآخر لمن كان عنده وأكله ، ثم أمرني بأن أقول على فاطمة زوجة الحاج شعبان محمد وعائشة زوجة خَيَجِلْ محمد بإعطاء سمن البقرة له ، وأمرني أيضاً بإعطاء الماء له من جبل فلاني ، ثم قال لي : »هلتفكرت في حق ما يكون في حق ن«[١]» ، فقلت : »تفكرت « ، بيد أنّي لم أعلم ما يكون في حقه ، وكأنّه يريد من ذلك علمي أحوالَه بطريق الكشف وكون آخر أمره على الهلاك ، ثم تكلم قدس سره بالعجب عليّ بكوني لم أعلم حقيقته ، ونسيت ما وقع بعد ذلك ، انتهى من خطه قدس سره .

« ١ » لعل الإشارة بها إلى نجم الدين ، « كاتب » ، « من الهامش » .

ورأيت في ليلة أخرى شيخنا العسلي قدس سره كأنّه حيٌّ ، وكنتُ عنده مع جمع كثير من المريدين ، ثم صار الشيخ في مرض كأنّ ذلك أثرُ مشقَّةِ التوجه ، وأعطيتُ إلى يده سبحتَه وافترشت له ، واضطجع الشيخ في الفراش ، فلم أعلم ما وقع بعد ذلك ، اهـ .

ورأيت في ليلة أخرى الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره في جمع من المريدين العسويين ، وخرج من بينهم ولم يتوجه لأحد ، وتركهم ناظرين خلفه ، وكانوا يحبّون توجهه إليهم ، وذهب في طريقه وكان معه المرحوم هِطِنَوْ محمد ولد عبد الله وابنه المرحوم عبد الله ، وسرت أنا معهم ، فوصلنا إلى بنيان مجهول ، فحينئذ اطلعنا في حجرة من ذلك البنيان ، ورأينا فيه المرحوم خَلِأَحْمَدِلَوْ العُرَادِي مع تلميذ واحد ، ثمّ صار الحاج عبد الرحمن أنا ، وصار هِطِنَوْ محمد المذكور كأنّه الحاج بِجِ إبراهيم ، وصار عبد الله المذكور كأنّه الحاج بُدُنْ أو حَجِيَصُلْ محمد ، ثم قال الحاج إبراهيم حَجِيَوْ المذكور لِخَلِ أَحْمَدِلَوْ المذكور :« ألا ترى أنّ شيخ الطريقة يحضر » مشيراً إلي ، ثم نظر خل أحمدلو إلي وقال :« يا ولدي كنت أعرفك قبل في زمن كونك متعلماً في لِنوب وغيره ، فأني أوصيك بالدعاء » ، ثم اضطجع تحت الشجر الذي يشبه اللحاف وأخرج يديه إلى الخارج ورفعهما إلى السماء

ودعى إلى الله تعالى بدعاء طويل بيد أنّه لم أفهمه ، ثم قال ذلك التلميذ الذي عنده :إنه كان في جيش الإمام مع طلحة وإنه أسره الجيش ، انتهى .

وأنت تعلم تأويلاتها يا أبا الروح إجعلني يا رب مقبولاً عندك وبعّدني عن الطرد والإبعاد ، آمين يا مجيب السائلين .

ورأيت في ليلة أخرى أنَّ الحاج يقول للناس :« إنَّ مقام المريد المرحوم أبي بكر الِلاخِي في زمن كذا كان مقام هذا » مشيرا إليّ ، وذلك المقام المذكور قوله تعالى : (الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب) اهـ .

ثم قال في ذلك المجلس :« إنَّ سعيد باشا وغَيْتْمَازْ قد حصرهم البَلْشَوِكُونَ بالحيلة » ، انتهى من خطه قدس سره العزيز .

ففي ليلة الإثنين وهي ليلة ٢٢ من شهر صفر نمتُ بعد قراءة الختمات الثلاثة ، ثم قمت وقت انتصاف الليلة ، وصلّيت ثمان ركعات من التهجد فاستغفرت الله تعالى ألف مرّة ، وصلّيت على النبي ألف مرّة ، فدخلت في الرابطة ثم حضر لدي العابد المرحوم قريبي قربان ولد شعبان العسلي ، فسألت عنه عن كلّ ما وقع له

بعد الموت ، وعن أحوال الأموات الذي ماتوا بعده ، وعن كونه راضياً عن الأحياء من أقربائنا وعياله ، فقلت له :« هل كنتَ راضياً عنّي » ، فقال :« لا يقدر أن يتصف لرضائه عنك » ، وعانق إليّ وقبّل على ناصيتي وأكرمني غاية الإكرام ،

وهكذا سألت عن أحوال سائر الأحيآء والأموات عن أحوال كلّهم بحيث يطول شرح أحوالهم ، حتى سألت عنه عن أحوال شيخنا قطب الإرشاد الشيخ الحاج عبد الرحمن العسلي ، فقال :« إنّه كان قدس سره بموت القلب والحال مدة زمان ، فالآن رجع إلى حاله بفضله » .

ففي هذا الوقت حضر لديّ ذلك الشيخ الحاج عبد الرحمن قدس سره ، وجهه كالبدر ، فكنت وقتئذٍ بحيث أسمع طنين الساعة التي في البيت ، فبادرت إليه وعانقته وعانقني بالإكرام ، وقبّلنا على نواصي كل واحد منّا ،

وفي أثنآء ذلك كنت أتعجب بوقوع هذه الواقعة في اليقظة ، وسألت عنه عن أحواله وعن أحوال مريده الذي ماتوا من قريتنا ، فبيّنني أحوال كلهم فرداً فرداً ، وكذا سألت عنه عن رضائه عن الأحياء من قريتنا وقلت له : »فهل كنت راضيا عنّي » ، فأجاب قدّس سرّه لا

يقدر أن يتصف لرضائه عنك ، وكذا لا يقدر الوصف للمقام الذي ستصل إليه في الدنيا ، وللدرجة التي أعدّهاالله لك في الآخرة ، ونسيت باقي الكلام ، هذا من فمّ شيخنا العسلي قدس سره .

ثم في ضحوة يوم تلك الليلة ذهبت في قبورنا في مدفن مرأة ماتت في ذلك اليوم ، فوجدت هناك رجالنا الذين ذهبت أعمارهم على جرّ الدخان وملازمة التنباك ، فطلب منّي واحد منهم النصح في حق التنباك ومحّضتهم النصح وألنت الكلام معهم بتبيين مضراته وإظهار ما أعدّه الله تعالى من الفضل الجزيل لمن ترك حظوظ نفسه وخالف هواه لأجله .

فترك خمسة رجال تلك الخصلة الشنيعة ولقّنتهم التوبة وتابوا ورجعوا إلى الله فَبَكَوْا كلّهم ، وندموا على ما صدر منهم طول أعمارهم ، وذلك فضلكم وبركاتكم الشاملة على أمثالنا الضعفآء وأشباهنا النقصآء ، فأدام الله دولتكم ومتّع المسلمين بطول بقائكم هذا ، والسلام ، انتهى من خطه قدس سره .

رأيت في المنام في ليلة الجمعة شيخنا الحاج عبد الرحمن العسوي قدّس سرّه العزيز كأنّه حيٌّ بعد الموت ، وكان معه طائفة من المريدين كأنّهم في بيت رجل هُلُوقِيٍّ أو دَتُونَطِيٍّ ، وكان بيدي

قصعة مملوئة بالزاد والجبن على قصد الضيافة له ، وخرجنا من البيت على قصد رجوعنا إلى قريتنا العسوية ،وحملت الزاد معنا إلى وقت الحاجة وإلى أن يبرد الطعام ، وأيضاً كان بيدي سراجٌأنوّر به له والعَرْعَرُ الموقد ، فسلّمت العرعر والزاد للحمل إلى يد المريد محمد ولد علي العسوي ، وقال لي محمد المذكور إنّه أعطى الزاد للحمل إلى يد مريد آخر ، فتكلمت معه بكره ما صنع ، وقلت له :« إن الأشياخ يحترزون من أكلهم الأطعمة المعيونة ، وأنك أَرَيْتَها على عين رجل ثالث » ، ثم صرت أتكلّم مع الشيخ الحاج عبد الرحمن العسوي في حق شيخنا حسن أفندي قدّس سرّه وقلت له :« إنَّ الشيخ . . . . قد أحسن النظر إلينا وربَّانِي خاصة بأحسن تربية ، وجعلني من أخصّ أولاده كما جعلتني كذلك ، أظن وقتئذٍ كون شيخنا . . . قد الزم أمري عليه لكونه حيّا ، وكنت كرهت ذلك في قلبي خوفاً من عدم تكامل المحبّة بيننا لتكالمها بيني وبين حسن أفندي لكون محبتي معه أبلغ وأتمّ ، وأخاف من عدم إطاقتي حفظ أدبه وحرمته لكون شيخنا العسلي قدس سره يغضب سريعاً مع ولده محمّد رسول ومع سائر المريدين ، وإنّه لا يتسامح في عثرات المريدين وزلاتهم كما يتسامح الشيخ حسن أفندي ، وكنت مسروراً من وجه بحيائه بعد الموت ، ولم أعلم ما وقع بعد ذلك ، اهـ من خطه قدّس سرّه .

ففي هذه الليلة الخميس رأيت في الواقعة شيخنا المرحوم ذا الجناحين الحاج عبد الرحمن العسلي وشيخنا وولدنا المحبوب حسن حلمي أفندي ووالدي المرحوم القاضي نور محمد مع جمع كثير من المريدين من الرجال والنساء فقال الشيخ الحاج عبد الرحمن قدّس سرّه كأنّه يعظ للناس :« إنّ الله تعالى فضلكم بإيجاد هذا » مشيراً إلي وبيده تاب الناس إلى الله ، وبسببه رجع الخلق إلى الخالق ، وذهبوا إلى الشيخ .

ثم قال الشيخ حسن حلمي أفندي لتقوية كلامه : « إنّ الأمر وقع كما قال » ، وخاطَبَ فِي الكلام إليّ ثانياً وقال :« إنك تصل قبل تمام ثلاث سنين إلى مقام لا مقام فوقه » ، وفرح الحاج عبد الرحمن على هذا الكلام وأظهر الرضاء عليه وقال« ١ » مخاطباً إليّ :« لو قلت للمريدين المجتمعين بإعلام عقائد الإسلام ، ومعنى الإيمان والإسلام ، وتصحيح حروف الفاتحة والتشهد ، وكلّ ما يجب علمه لكان خيراً » فقلت لهم :« إني ذو عجز وتقصير بيد أنّ الله تعالى منّ عليّ بإرشاد كلّ من جلس علي وصحبني ولو لحظة إلى الشيخ ولا أعلم رجلاً صحبني ولم يذهب لدى المرشد » .

« ١ » الحاج عبد الرحمن ، « من الهامش » .

ثم قال والدي المرحوم نور محمد :« إنّه يكون في حياء من الناس حين يتكلم ولدي هذا معه وإنّه كان يزعمني ويترك أدبي فالآن بفضل الله تعالى وقع أمره هكذا فلله الحمد على ذلك » .

ثم فرقوا قدس الله أسرارهم من ذلك المجلس ، ورجع الناس إليّ ، وقالوا إليّ :« كيف لا تقول للناس ما قال الشيخ الحاج عبد الرحمن وبمثله » وإنّ الحاج عبد الرحمن قد نصح لي بنصح كثيرة بيد أنّي نسيته .

ورأيت في ليلة أخرى شيخي حسن أفندي يتوجه إليّ فَبِهِ حصل لي الأثر والجذبة ورأيته في ليلة أخرى كذلك فلله الحمد ، ورأيت في ليلة أخرى أحمل جنازة لا أعلمه .

ورأيت في ليلة أخرى أحرث المزارع وأتممت الحرث ، ورأيت في ليلة أخرى شيخنا المرحوم الحاج عبد الرحمن العسلي وبيده شيء مملوء بالكمثرى الحلوى الكبير ، وأخذ الناس منه وأخذته منه قدر ما أردت واخترت من بينه ما تمّ نضجه وحسن لونه ، أظنّ كأنّي مالكه ، اهـ من خطه قدس سره .

رأيت في ليلة في واقعة أو غيبة وقت السحر أقرأ قوله تعالى هكذا : (الله وليّ الذين آمنوا . . ، وعملوا الصالحات . . ، يخرجهم

من الظلمات إلى النور . . . ، . . .وأولئك هم المفلحون) بزيادة (وعملوا الصالحات . . ، . . .وأولئك هم المفلحون) مما في الآية في القرآن .

ورأيت في ليلة الجمعة الثاني والعشرين جماد الأولى في المنام سيّدنا ومولانا وحبيبنا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم مرتين بأحسن صورته البهية ، وجهه كالشمس ، ولحيته مليحة مدوّرة سوداء شديد السواد ، وعليه قباء خضراء ، بيد أنّه عليه الصلاة والسلام رأيته من بُعْدٍ ، كان بيني وبينه مسافة يسيرة ، وكان في رجال كثير كأنّه يسعى ويسرع في حاجتهم ، ثم بعد ذلك رأيته واحداً منك ومن الشيخ الحاجي عبد الرحمن العسلي وظنّ الغالب كونك ، وأخبرت على أحدكما رأيته النبيّ عليه الصلاة والسلام وقلت لأحدكما كنت أريد رؤية قباء النبيّ عليه الصلاة والسلام من قرب لأنظر إليه وألمس يدي عليه لحصول البركة ، ثم أراني أحدكما ذلك القباء الذي كان ملبوساً على رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً : « انظر إلى قباء النبيّ عليه السلام هذه كيف والْمِسْ عليه بما أردت » ، فنظرت إليه ، ولمست يدي عليه ، وفرحت بذلك ، وظننت وقتئذٍ لا يجد أحد غيري في هذا الزمان من رأى قباء النبيّ ومسّ يده عليه ، بيد أني لم أعرف هل هو ملبوس عليكم أو مقبوض في اليد والظنّ الغالب فيه كونه ملبوساً عليكم ، انتهى .

ورأيت في هذه الليلة كأنّي والحاج سعد البقلخي والحاج شرز المحمد العسوي في مسجد بَقْلُخْ كأنّنا نريد إقامة الصلاة فيه ، وسرنا لدى المنبر لأداء الصلاة عنده بالجماعة ، وعند وصولنا لدى المنبر قعدا بلا اداء صلاة للتكلّم والخبر مع أنّ الوقت كان يفوت ،فلم يصلّوا وصلّيت أنا قبل الجلوس عندهم ولم أعلم ما وقع بعد ، انتهى .

ورأيت في هذه الليلة كأنّه حضر معاليق كثيرة وأدارف غفيرة في ذلك المسجد البقلخية كأنّ حضورها للقسمة فيه ، وأعطى الحاملون لي معاليقَ كثيرةً وأدرفة كبيرة من بينها لي قبل القسمة ، انتهى .

ورأيت في ليلة أخرى أقرأ سورة الفاتحة في الواقعة ، ورأيت في ليلة أخرى أقرأ قوله تعالى : (لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة)بسلام آمنين) .

ورأيت مرة أخرى أقرأ « الله كان عفواً ، الله كان رحيماً ، الله كان شكوراً » .

ورأيت في ليلة أخرى آكل شيئاً حلواً حبه وطعمه مثل كِشْمِشْ ، بيد أنَّ لونه كان أيضا مثل الأرز المقشور المغسول .

ورأيت في ليلة أخرى في المنام أصلّي في مكان فلاني مع القاضي هِطِنَوْ محمد الهَنْدَخِي ومع رجل آخر وفعلت الإقامة للصلاة ، أظنّ أن القاضي هطنو محمد كان إماماً لنا ، وبعد السلام اشتغل القاضي هطنو محمد بالصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام بدل الأذكار ، وحصل له الفناء في النبي وقتئذٍ ، ثم قلت للناس :« إنّ رؤية الفاني في النبي كرؤية النبي عليه الصلاة والسلام بلا فرق وإن كان هم من يريدون رؤيته صلى الله عليه وسلم فانظروا إلى القاضي هطنو محمد » ،

ثم قال القاضي هطنو محمد :« إنّ الشيخ الحاج عبد الرحمن العسلي إنّه قال لي « دُدِ تَذَكُّرْ فَنَاءْ بَجُلَ سُ سُجِ هَدِنْ هَوِزِكُّلَ » ، انتهى .

ثم بعد ذلك رأيت الشيخ الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره وعلّمني أسرار مخفيات الطريقة ، وأعطى إليّ شيئاً واحداً ، وكنت حفظت الكلّ وقت الرؤية ، بيد أنّي نسيت الكلّ قبل الكتبة بحيث لا يمكن ضبطها للكتبة .

ورأيت في ليلة كأنّي صاعد على رأس منارتنا جالساً فوقه على منتهاه ، وتارة أضطجع فيها بلا خوف ، فوقتئذٍ وجدتُ الأخباز المملوءة بالجبن موضوعة في ذيلي ، وكان من بينهنَّ من

الأخباز بعضها متلطخة بالخبيص والحلوى ، فعجبت على ذلك من أين طرحت إلى هذا المكان المرتفع الذي لا يصل إليه يد أحد ، ثمّ نُودي مريد واحد من قريتنا من تحتي أنّه طرحها لك من هنا ، فأكلت منها المتلطخة بالخبيص ورددت الباقية إليه .

ورأيت في هذه الليلة أتهيئ للذهاب إلى الحجّ ، وأخرج من البيت على ذلك القصد مع ثلاثة رفقآء لم أعرفهم ، انتهى .

ورأيت في هذه الليلة كأنّي مقتول بالمكفل بالبناديق الحاصلة على رأسي ، يظنُّ الناس كأنّي أموت وأظنّ كذا ، بيد أنّي حين تفكّرت في جسدي لا أعلم موضع الجرح ولا أجد مكاناً يؤلم ، فأنت تعلم تأويله يا أبا روحي .

ورأيت في ليلة أقرأ القرآن من عدّة مواضع منها ، بيد لم أعرف تفصيل ما كنت أقرأه .

ورأيت في ليلة كأنّي أصلّي راتبة الصلاة القبليّة في مسجدنا العسوية ، ففي أثنآء طرأ عليّ الفناء في النوم ، وبقيت كذلك مدّة ، ثم أفقت عنه فوجدتني عطشاناً جداً ، فأحضرت المآء البارد ، فشربته حتى أروى ، فشرع الناس الكائنون في المسجد لإقامة الجماعة فيها فسِرْتُ مسرعاً هرولةً إلى موضع الوضوء للتوضأ ،

فتوضّأت فيه بالإتمام وسرت لأدآء الصلاة مع الجماعة ، فقبل وصولي لديهم فات مني ركعة لسبقهم منّي ، فصلّيت ثلاث ركعات مع الجماعة وركعة واحدة بعد سلام الإمام وأتممته كذلك وصلّيت بعدها راتبة تلك الصلاة بالإتمام ، ولم أعلم ما وقع بعد ذلك ، انتهى .

ورأيت في ليلة أخرى أصلّي في موضع فلاني إماماً ، وكان خلفي من المأمومين رجلان أحدهما مسلم والآخر كافر ، وأتممنا الصلاة ، فرأيت كأنّي أعجب عل علم الكافر اقتدائي في الأفعال والأقوال ، انتهى .

وأخرى رأيت في ليلة في المنام شيخنا المرحوم الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره كأنّه رجع من السفر إلى القرية ، وذهبت لديه إلى البيوت التي كانت له قبل في القرية ، فوجدته قدس سره مع جماعة من المريدين الذين كانوا له قبل موته مثل الحاج قربان العسوي وأمثاله ، فصافحته وأكرمته وقبّلت يده وأرجله ، وقعدت قبالته واستفضت منه ، ثم ذكروا الله تعالى جهرا بالنفي والإثبات كأنّه تهليل عن ميّت ،وكان لحم كثير يقسم لهم أجرة التهليل ، ففي أثناء ذلك حين نظرت إلى الشيخ قدس سره رأيته كأنه يحكّ بدنه ويقتل القمل أو البراغيث من ضمن فروته

كأن فروته مقمّل ، فذهبت إلى حجرتي لأخذ فروتي للبسها عليه ولإصلاح البيت قبل حمله إلى بيتي ، ولم أعلم ما وقع بعد ذلك ، انتهى من خطه قدس سره .

ففي ليلة الأحد الثامن والعشرون من ذي الحجة الحرام رأيت شيخنا ذا الجناحين الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره حاضراً في حجرتي كأن حضوره للختم والصلاة ، وعلّمني كيفيّة إعطاء ثواب الختم لأرواح المشايخ ، بيد أنّي نسيتها ، وقال لي :« ألا تقرؤون الختم ؟ » ، فأجبت له أنّ الختم قرأناه في ليلة الإثنين ، ولا نقرأ في هذه الليلة إلا الصلاة المشهورة ، فسكت عليه قدس سره ثم تكلمت معه بإعلام كوني راضيا عن حسن أفندي وإظهار كونه ينظر إليّ ويتوجه فيّ كما ينظر إلى ابنه الصُّلبي .

ثم قلت له أن ولدك حسن أفندي يحكي كل وقت عن أقوالك وأفعالك كيف حفظها بلا نسيان فأظنّ أنّه كان يكتب كلما سمعه منك ، وقلت له :« إنّي أكتب كلما سمعته من أقوال حسن أفندي كما كان يكتب منك » ، فقال قدس سره :« **إنّ ولدي حسن أفندي كان ذا عقل وفير وظرافة أكيدة متورّعاً جداً وكان أنفع ما كان عليه ولدي حسن أفندي أنّه كان ينظر في أقوالي ويتدبّر في أفعالي ويعمل كلّما علمته ويترك غيرها ويعتقد فيّ في كلّ**

شيء ، وبذلك وصل إلى ما وصل وارتقى إلى ما ارتقى » ، وكأنّه قدس سره يريد بذلك تأدبي هذا الأدب مع حسن أفندي ، وأخدم له بذلك كما كان حسن أفندي يتأدّب به معه وإظهار رضائه عنه ونسيت باقي الكلام .

فانتبهت وقمت وتوضأت وصلّيت ركعتي التهجد ، واستغفرت الله تعالى ألف مرة ، وصلّيت على النبي عليه الصلاة والسلام ألف مرة ، وقرأت « حزبالحصين » للغزالي ، ثم دخلت في الرابطة فدخل علي السِنة ، فحضر لدي شيخنا ذو الجناحين ثانياً في حجرتي مع ابنه محمد رسول ، فوقع بيننا محاورات ومكالمات كثيرة ، بيد أنّي نسيت أكثرها ، وكنت أفعل الزاد لهم بيدي ، ثم خرجت في أثنائه إلى الخارج ، فنظرت إليه من بين لَوْحَيْ باب الحجرة فرأيته قدّس سرّه يصلّي إماماً ، وكان خلفه ابنه محمّد رسول مع رجل آخر ، ووقفت على الباب حتى تتمّ صلاتهم ، فدخلت عندهم وتكلّم قدّس سرّه معي بِطَلق الوجه بشاشة ، وكنت في ذلك الوقت في فرح أكيد وسرور بليغ بكون حجرتي مرجع الشيخ ومنزله ، فتارة أظنّ كونه حياً وكون حضوره للاطلاع في البيت من الغربة ، وتارة أظن أنه صار حياً بعد الموت وكان أعلى سروري وأبلغ مرادي وقتئذٍ السؤالَ عنه بالنظر إليّ ،

ثمّ خرج قدّس سرّه إلى الخارج لحاجته وذهب ، فلم أطق الصبر لأسكن في البيت حتى يرجع الشيخ بنار العشق الكائن فيّ معه ، وخرجت إلى طريق القرية للنظر إلى قدومه ، فوجهت قلبي إلى جهة مذهبه ، فغلب عليّ الحضور ، وكان عندي وقتئذ ابنه محمد رسول وجمع كثير من الناس ، وكانت قِبَلِي بنتان صغيرتان تقطعان الحطب بالمنشر ، فلما اشتدّ توجّهي وحضوري لم أفهم من صوت المنشر إلا الذكر بلفظة الجلالة ، وصارت ألطافي كلّها تتحرّك تحرّكاً عجيباً خاصة اللطيفة الأخفى ، فصرت في وجه أكيد وخرج مني أصوات رافعة بشدة الوجد ، فنظرت إلى البنتين اللتين قبلي ، فرأيت ألطافهما تتحرّك من تحت القميص تحرّكاً عجيباً بالأثر الحاصل منّي بمواجهة قلبهما إلى قلبي .

ففي أثنآء ذلك رأيته قدس سره يحدد السكين على قصد حلق رأسي ، فحين شرع للحلق وجد رأسي جافاً ، ثم غسله بيده الشريفة بالدلك بالصابون وبيّضه كأنّه قطعة ثلج ، ثم وضع يده على خزانة الخيال من رأسي وقال : »هذا موضع الفيض واطلب الفيض من الخزانة « ،

ثمّحضر في ذلك المجلس كتاب كبير وجريدة مطوية مكتوبة من جهة عالم أحوال هذا الزمان إلى ولد الحاج عبد

الرحمن أظنّ كون الكاتب العالم محمد الحريكلي ، فنظرت فيه فوجدت فيه أخباراً كثيرةً بيد أنّي لم أعلم قراءة أكثرها بكونه مكتوباً بقلم الرصاص .

فحاصل : ما كان الوصية إلينا بأن لا نثق على أقوال الواشين الساعين بالنميمة من الأغنيآء ومحبي الفراق المنشئين الأقوال والكذوب من عندهم ويريدون به الفساد بين الخلق ، وكان فيه إنّه في خوف عظيم ووجل شديد في حقنا من أن يحلّ علينا . . . إن اقتدينا خلف مرادات أولئك اللئام ، ووثقنا على أقوالهم ، فإنّه يوصيكم بأن نربط ألسنتنا ولا نتحرّك خلفهم إلى وقت كذا ، ونسيت ذلك الوقت ، ثم صرت في تلّ عند قلعة شوراه وفي الهوآء على قدر التلّ ارتفاعاً ، ونظرت إلى المتوطنين فيه من المساكين ، ورأيتهم في راحة جداً ، فبعضهم متوغلين في البيع والشرآء ، وبعضهم يجمعون الميرة والقرع الحاصلة لهم بالقسمة ، فرغبت لو كنت معهم وعلمت كون الأخبار المنشئة في حق البَلْشَوِكينَ كذب محض فانتبهت وقمت إلى صلاة الصبح ، انتهى من خطه .

ورأيت في ليلة كان الشمس قد انكسفت فناديت التذكار[1] على قصد انجلائها فانجلت ساعتئذٍ ، ورأيت في هذه الليلة في

« ١ » أي صَلَحْ ، « من الهامش » .

الواقعة شيخنا المرحوم ذا الجناحين الحاج عبد الرحمن العسلي كأنّه حضر إلى القرية بإحيائه الله تعالى بعد الموت ، وأنا أشكر الله تعالى بعدم هذه الواقعة في النوم ، وكنت أطلب آلة الكتبة لأكتب إليكم بإعلام حضوره إلينا وبطلب حضوركم عنده ، فقبل الكتبة حضرتم إلينا واجتمعنا معه في بيتنا ، وذهبت الليلة كلها كذلك ونحن مستمعون على أخباره ، وكان شيخنا المذكور يحترمنا احتراماً كاملاً ، وكان يقول كلّما يخاطبني :« وإياكم يا أستاذ يا أستاذ » إكراماً لنا وكأنّه يريد بذلك : ليس على الأرض من يصحّ أن يخاطَب باسم الأستاذ غيرنا ، اهـ والسلام من خطه .

ورأيت في ليلة أخرى في المنام شيخنا المرحوم الحاج عبد الرحمن العسلي مع رفيقه المرحوم هطنو محمد ولد عبد الله في الحديقة التي قبالة بيوت هطنو محمد المذكور ، وفي تلك الحديقة كوارة نحل كبير وفي تلك الكوارة نحول أظن أنها كان على تدبير إرجاع النحل في الكوارة ولم أعلم ما وقع بعده ، اهـ من خطه .

واقعة عجيبة : رَأتها زوجتي وهي عجيبة الرؤيات والوقائع ، ولا بدّ من وقوع ما رأتها في الظاهر كما شاهدناه كثيراً في حق من يموت ومن سيولد من الذكور والإناث ، وأخبرته كثيراً قبل الوقوع لهذا الحامل ، وقالت :« إنّها رأت في ليلة الجمعة كانت ناعسة

بعد فعل الرابطة والذكر كأنّها تذهب إلى بلپيخ ومعها خيجل محمد وأخته فاطمة ، وهذا الكاتب زوجها محمد ، فحين وصلنا إلى بلپيخ قد حضر بيت مربع مصنوع من شيء يشبه النحاس طائراً من الهواء من جهة القبلة فيقال إنّه يحضر من جهة . . . ومعه نور مشرق فصادفناه فوجدنا في ذلك البيت سبعة رجال وهم القطب الشهير سيف الله قادي والشيخ الحاجي عبد الرحمن العسلي وابنه الحاج محمد رسول والحاج قربان العسلي وقربان ولد شعبان العسلي ورجل آخر من زِرْ ولم تعرف رجلاً واحداً منهم ، فدخلنا في البيت بأمرهم ، ثم تكلم الشيخ الحاجي عبد الرحمن خطاباً إليّ .

وقال : « إنّه قد اصطفى هؤلاء الرجال السبعة من بين الرجال ليكونوا رفقآء له وهم أمنآؤه » ، وقال أيضاً مشيراً إليّ :« يا ولدي لا تغترّ بأمر الدنيا ولا بأمر الآخرة ، فإنّه كفيل لك لإتمام حوائجك » ، وقال : إن جهة واحدة من ذلك البيت كانت مملوئة بالقلانيس الحمراواة ، والجهة الأخرى مملوءة بالقباءات مختلفة الألوان والأشكال ، والجهة الأخرى مملوئة بالأزهار والأشيآء العجيبة المنورة ، ففي أثنآء ذلك قام ولد الحاج عبد الرحمن بفعل چاي ضمن صَمَاوُرْ ، وأضاف به علينا ثم قام الحاجي عبد الرحمن وأخذ الأقمشة الكثيرة فوضعها في تَابُوتَيْنِ ، ثم وضع واحدة على ظهرها لحملها إلى بيتها والأخرى

على ظهر أخت خيجل محمد ، ثم قام البيت إلى الهوآء طائرا ورجع إلى جهة القبلة ومعه صوت عال يقول : لا إله إلا الله ، لا إله إلا الله ، له له له ، لا إله إلا الله ، له له له ، اهـ من فمها اهـ .

هذه واقعة زوجتي وأخبرتني وقالت : « إنّها رأت في ليلة أن الشيخ الحاج عبد الرحمن العسلي والحاج قربان والحاج هطنو محمد حضروا إلى غرفتي في يوم الجمعة وقت ذهاب الناس إلى الجمعة مهلّلين وقعدوا على الباب حتى يذهب تعبهم ويجف عرقهم ، ثم دخلوا إلى حجرتي وذكروا الله فيها وعليهم الأقبة الخضروات والقلنسوات الحمرآء المسماة بِفسْ طُرْغُلْ وعليهن العمامات وبأيديهم عصيهم ، وكان بيد الحاج عبد الرحمن قلنسوة أخرى لونها حمرآء وفي طرفها السفلية شعور سودآء جميلة جداً » .

ثمّ قالت :« إنّي حضرت عندهم وقلت لهم أين تكونون يا شيخي فقال الحاج عبد الرحمن :إنّهم يكونون في جرّه ثم قال لي الحاج عبد الرحمن ما أحوال بدنك حين كنت في البيت وحين حضر الناس عندك وهل تحب الخروج بين الناس ؟ فقلت له :إنّي أكون في راحة حين كنت في البيت ولا أحب الخروج في الناس حين كنت . . . وأن أحوالي حين حضر الناس عندي أن جسدي يصير وقتئذ في لين وعرق وتعب » .

ثم قال الحاج عبد الرحمن :« إنّ ذلك أحوالهم ولا يليق لك الذهاب بينهم » ، ثم أخذ كتاب واحد من كتبه وقبّله ، ثم قال لي الحاج عبد الرحمن المذكور :« إنّي راض منك ومن أحوالك وأفعالك يا ولدي ورضي الله عنك » ، ثم وضع تلك القلنسوة الكائنة بيده على رأسي ثم طرح الأزهار الجميلة العجيبة التي لا تقدر أن توصف في حجرتي ، فصارت الحجرة مشرقة ومنورة ، ثم قلت له : « أين لك يا شيخي هذه الأزهار العجيبة » ، فقال :« إنه أخذ من مكة الشريفة » ، ثم قال لي :« فالآن ترسلهم في طريقهم » ، فخرجت قبالتهم وذهبوا في طريقهم بعد المصافحة ، انتهى من لسانها .

أنت تعلم تأويلات كلها يا أبي الروح ، جعلني الله تعالى من المقبولين عندكم ، آمين يا مجيب ، من خطه قدس سره العزيز .

ورأيت في الليلة الماضية كأني في مكة الشريفة المنورة طول الليل ، وذهبت إلى بيوت كل أحد منهم لحاجة وحصل الفيض بالسعي إلى زيارة قبورهم ، فوصلت إلى قبر شيخنا العسلي ، ورأيت مشائخ العجم فيه ، وكذا وصلت إلى قبر الشيخ العبودي ، ورأيت مكتوبا على نصابه : هذا قبر شيخ داغستان ، ثم لمّا لم أجد على قبر شيخنا العسلي وعلى نصابه اسمه كرهت ذلك وسعيت لطلب النصاب واللوح الذي يصح الكتبة في أرض مكة ، ثم وجدت واحداً

يكتب ألواح الميت ، ووجدت عنده نصاباً حسناً ، فوهب لي ذلك النصاب ، وكتبت عليه اسم شيخنا العسلي وعبارة ما كتبت فيه : « هذا نصاب شيخ الطريقة الحاج عبد الرحمن العسلي الداغستاني » ، ووضعت على قبره وفرحت من ذلك .

فصل في رأيته قدس سره شيخ شيخه مير سيف الله الغازي الغموقي قدس سره وآه ، وعبارته هذه : فإني رأيته في ليلة حاضراً إلى حجرتكم كأنّه حضوره لعيادتكم لكونكم في مرض قليل ، وسألته بحضوره إلى بيتي للضيافة ، وقال يحضر إن آذنتم لذلك مشيرا إليكم وكنتم تريدون ذهابه إلى بيتي بيد أنّه لم يحضر وقتئذٍ ، ثم بعد وصولي إلى البيت حضر هو قدّس سرّه وأنت إلى حجرتي فرحين متبسمين ، ثم دخل الشيخ في التكلم معي بالوعظ اللذيذ والنصيحة النفيسة ، ودام على ذلك مبتدأً من وقت عشاء تلك الليلة إلى وقت بقاء ساعة ونصف من الليل ، وكنت وقتئذٍ في الليلة كلها بين النوم واليقظة ، وكنت أريد الخروج لصلاة التهجدوأصبر خوفاً من مفارقته منّي قدس سره قبل تمام وعظه ، ثم بعد أن صرت في اليقظة الصريحة وبعد مفارقته منّي قصدت كِتبة ما نصحني به بيد أني لم أقدر لكثرته ولعدم ضبطه بحيث يصح الكتبة ، فظننت إن كتبت كلَّ ما قاله القطب المذكور ينفي القرطاس ويضيق العبارة ، وكنت أيضاً تسأل منه أشيآء مخفية عندكم ،

ومن جملته ما سألتم منه : هل يصح قراءة الختم والصلاة ليلة الجمعة بغيركم من المريدين مع كونكم في المجلس ، فأجاب لكم أن شيخكم العسلي كان يفعل كذا ، ولقّنني قدس سره سورة الانشراح كأنه يلقِّن مراقبة إلى ما فوق مقامي وأمرني بالمداومة على قراءته ، وقال :« إنّ في قراءته يكون لكم الفتح الإلهي والمعارف الرباني » ، وسلّمت إلى يده الكتاب الذي صنّفته في الحال ، ونظر فيه من أوله إلى آخره وصدق كلّ ما فيه وحسنه ورضي على ذلك ، وقال إنَّ كل ما فيه حق صادق ، ثم أمر على ولده المعنوي غزم الحَرِيكُلِي بأن يقول على الزائرين لديّ بعدم إطالة جلوسهم عندي كأنه خائف من ضياع وقتي باشتغالي معهم ، وكان قدس سره يعلن الفرح والسرور على إجازتكم لهذا الأحقر .

فالحاصل : لم يترك شيأ رطباً ولا عطباً ولا مخفياً إلا أطهره عندي لو لا سبق عليّ النسيان حتى ذهب لدى أمي ونصح لها ، أمّا علة أمره عليّ بقراءة سورة الانشراح والله تعالى أعلم أظن أني كنت قرأتها في تلك الليلة وهي ليلة الإثنين بعد قراءة ختم محمد النقشبندي للآية بدل ما كنت اقرأه إلى تلك الليلة وكنت إلى ذلك الوقت أقرأ الآية فيها قوله تعالى : (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) الخ ، وأمَّا علة شدة فرحه قدّس سرّه منّي أظنّ والله أعلم أني كنت

في اليوم الذي قبل تلك الليلة لقنت الطريقة الشاذلية على نحو عشرة رجال بعد قراءة الفاتحة مرة وسورة الإخلاص ثلاث مرات قبل تلقين كلّ واحد منهم وبإعطاء ثوابها إلى أرواحهم الطاهرة الزكية ، انتهى من خطّه قدّس سرّه .

رأيت في ليلة أنَّ القطب الشيخ السيّد مير سيف الله اضطجع في غرفتي بأمري ، فخفت من أن يضرّه الأعدآء إن ترك في الغرفة بلا إرساله في الحجرة ، وأظنّ كون عدوّه نجم الدين وأمثاله ، انتهى من خطه .

فصل في رُأيته شيخه . . . حلمي أفندي قدس سره ، فكتب قدس سره ما عبارته هذا : « ففي ليلة رأيت في المنام شيخنا « ح » والشيخ « س » قدّس الله أسرارهم على مشاورة في أمر معلوم عندهما ، فحين نظرتهما رأيت كأنّ مقام ودرجة « ح » أعلى من مقام « س » ، فخِلت كيف اشتهر « س » بين العلمين ، فظننت أن اشتهاره إنما كان بكون الشيخ « ح » خليفته .

وفي ليلة أخرى رأيت خالد « س » وبيده كتب كثيرة مكتوب فيها بالطبع فهرسة أوراد الشاذلية يقسمها بين الناس ، فقلت له :« إنّ شيخنا « ح » كان مأذوناً في الطريقة الشاذلية » ،

فقال :« نعم » ، ثم قلت له :« إنّه كان زمن كونك حياً في فرح وفرج بأن تزيل عنه المشتبهات الدينية والدنياوية فالآن إنّه صار في حزن وحيرة في حق دوران الزمان ومصالح الأمور ، فنظر إلي وتبسم وقال :« يا ولدي إنّي أكتب إليه عواقب الأمور وتصاريف الزمان ثم تفرق مني وسعيت خلفه لطلب ذلك الكتاب فلم أجده ، انتهى من خطه قدس سره .

ورأيت في ليلة في المنام شيخنا « ح » . . . حلمي أفندي وشيخنا المرحوم القطب مير سيف الله الغموقي قدس الله أسرارهم كأنّهما حضرا إلي بيتنا وحجرتنا ، فوقع بيننا كلام طويل في مناقب المشائخ ، وكان الشيخ سيف الله كأنّه راضٍ عنا وعن شيخنا « ح » أفندي ، ورأيته كأنه محتاج إلى بعض اللباس أظنّه الجبة أو الفروة أو اللبدة لا أعلمه الآن بالضبط واليقين ، وألبست عليه ذلك اللباس وأهديته له ، ففرح الشيخ من ذلك ، فحين وقع الكلام على المشائخ القادرية قلت له :« ما حال وما مقام الشيخ عبد القادر الكيلاني قدّس سرّه ورزقنا من فيوضاته » ، فقال :« إنّه شيخ عظيم ذو مقام رفيع جدا لو لم يكن له عُتْمَةٌ » ، فقلت له :« ما معنى العتمة ؟ » قال :« إفراده بالمشيخة والمقام وعدم اعتبار مشيخة أحد ما » ، اهـ .

ثم رأيت إزار شيخنا حسن أفندي عتيقاً خلقاً ، وكان عندي أقمشة سوداء نفيسة ، فأظهر الشيخ احتياجه إلى تلك الأقمشة لفعل الإزار لهفأهديتها له ، فقبل منّي تلك الهدية ، ففرحت من ذلك وفرح الشيخ من إعطائي إياه تلك الأقمشة ،ثم ذهب الشيخ إلى بيتي السفلي للاضطجاع والقيلولة ولم أعلم ما وقع بعد ذلك ، اهـ .

رأيت في ليلة في المنام كأنّي أذهب إلى ولاية چار مع مرافقتي معكم ، وكنت أسير خلفكم ، فوصلنا إلى أرض أنصخ ، وصرت أتوجه قلبي إلى قلبكم وقت السير حين كنتمتسيرون قبلي ، ثم صرت وقتئذ أرى أنوار قلبكم وكذا نور قلبي ، ثم صار خيطاً ممدوداً من نور من قلبكم إلى قلبنا ويسيل الفيض والنور إلى قلبي ، وكنت أجد في قلبي أثر ذلك الفيض الواصل إلى قلبي من قلبكم ولم أعلم ما وقع بعد ذلك ، وأخبرتني زوجتي بأنها رأت عين هذا الرؤيا في هذه الليلة ، انتهى .

ورأيت في ليلة ثانية كأنّي عندكم أتوجّه على بعض المريدين ، وكنت على قصد تلقين الذكر على لطيفة نفس ذلك المريد ، فقلتَ لي وقتئذٍ خطاباً لي : « يصح أن تصبر لنقل ذكره إلى لطيفة النفس حتى أفرغ من كتبة صكّ الإجازة لكم » ، ثم رأيتَ بعد ذلك جزأً من القرطاس كتب فيه الإجازات المكتوبة

منكم لهذا الأحقر بيد أنّه كان الخط المكتوب فيه من خط شيخنا العسلي ، وكنت أعجب في نفسي كون خطّه من خطّ شيخنا العسلي مع كون الكاتب شيخنا حسن حلمي أفندي ، فلم أعلم ما وقع بعد ذلك ، انتهى .

ورأيت في هذه الليلة كأنّي عندكم في بيتكم وبيدي وعاء مملوءة بالدهن وأودعتها عندكم للبيع ، ثم صرت كأنّك في مرض قليل وعلى جسدك الشريف غباراً ، وأمرتني بإزالة الغبار عن جسدك ، فصرت أزيله وأفشّه بقلنسوتي ، ثم صار جسدك نظيفاً من الغبار وأثر المرض ، وفرحت من ذلك فرحاً أكيداً ، وصرتَ في بسط بذلك ، ورأيت في ليلة أخرى كأنّك في حجرتي مع المريدين وأنا عندكم فتوجّهتَ إليّ فوجدت أثر الفيض ، انتهى .

رأيت في ليلة شيخي وسندي . . . قدس سره كأنّه في مكان ، وكنت عنده في جهة يمينه وعندي سَيِّدَوْ وعنده الحاج حبيب الله ، ففي أثنآء ذلك قد أذّن الشيخ قدس سره تماماً ، فحصل فينا الجذبة بسماع صوته ، وصرنا في حال عجيب وخرج منّا أصواتٌ عاليةٌ بشدة الوارد الحاصل فينا ، اهـ .

ورأيته قدس سره في ليلة أخرى يتوجه إليّ فحصل لي الجذبة بذلك ، اهى .

ورأيته في ليلة أخرى قدس سره كأنّه عندي وسألت عنه عما أشكل عليّ من تفسير معنى الأخ في الله لله بالله من الله على الله ، فأعطى إليّ الكتاب بكتبة تفاسيرها فحين نظرتها وجدتها مكتوبة بلسان الترك أو السرياني فقرأتها في النوم كثيراً ، فوقتَ الانتباه وجدتني قد حفظتها بكثرة تكرار القراءة فيها بيد أني نسيتها قبل الكتبة .

ورأيته قدس سره في ليلة أخرى كأنّه في مكان وأنّي ضيّفت له بإعطآء لحم الغنم المطبوخ للأكل ورضي على ذلك .

ورأيت في ليلة أخرى كأنّي أقبّل بفمي على ولد الشيخ محمد حَجِيَوْ على جسدي من رأسه إلى رجليه قائلا أني كتمت هذا الحب الذي كان في شيخي . . . أفندي طول زمان والآن أظهره في ولده كي يطمئن قلبي بذلك ، وكنت أفرح مرةً وأبكي مرةً بلذّة إظهار تلك المحبة ، انتهى .

ورأيت في ليلة أخرى كأنّي في مفازة كبيرة قد طفق عليها المآء الصافي مثل البحر ، ودخلت في ذلك البحر ، وكنت أسعى فيها وأقطعها من جهة إلى جهة كيف شئت ، بيد أنّي كنت خائفاً من عضّ الحية التي في المآء ، وقال شيخي : « لا تخف عن ذلك فإنّها لا تقدر للعض على رجلك » ولم يعض عليّ ، انتهى .

رأيت في ليلة شيخي . . . كأنّه في بيت رجل بَقْلُخِيٍّ ، وعنده هذا الأفلس الأفقر والحاج حبيب الله والحاج سعد والقاضي محمد البقلخي ، وصلينا في ذلك البيت صلاة الظهر مع رواتبه القبلية والبعدية ومع الأذكار خلفه ، فوقع في ذلك المكان كلام طويل نسيته ، انتهى .

ورأيته قدس سره في تلك الليلة ثاني مرة كأنّه في ريفه ونحن على حرفة الشيخ ولم أعلم ما وقع بعد ذلك ، وأمّا رؤيته قدس سره في سائر الليال لا أقدر لضبطها بل لم يرد عليّ ليلة ما لم أره فيها قدس سره فللّه الحمد على ذلك في كل حين وآنٍ ، وأسأله تعالى أن لا يحرمني من رؤيته كلّ الأزمان في الدنيا والآخرة ، وأن يجمع بيننا وبين رسوله الأكرم عليه الصلاة والسلام ظاهراً وباطناً يقظةً ومناماً ، وأن يجعله صلى الله عليه وسلم روحا لذواتنا من جميع الوجوه في الدنيا قبل الآخرة ، يا عظيم« ١ » .

ورأيت في يوم كأنّي أحضر إليكم مع الحاج إبراهيم العسوي ، فلقيناكم في أثنآء الطريق ، وأمرتنا بحضورنا في بيتكم ، ثم لقينا الحاج شافع الخشدادي يحضر إليكم يريد أن نحمله معنا ، بيد أنّنا لم نحمله

« ١ » وأكثر ما أرى في المنام والوقائع بحيث أعجز عن الكتبة توجّهكم إليّ وعبور المياه والأنهار ، انتهى من خطه قدس سره ، « من الهامش » .

ولم نعتبر مقاله ، فصرنا في مسجد فلاني معك ، ثم وقع بيني وبينك كلام طويل ، وقلت لي ما مقام المريد في البداية ، فقلت لك « مقام الذلّ والافتقار » ، ثم أخبرتني : »كلّما وقع بينك وبين الحاج علي العبوخي وبين الحاج نور محمد العكندي من الكلام والمكاتبة » ، وقلت :« إنّ العالم عبد الله العسوي كتب على مكتوباته وأبطل ما فيها بالبراهين والحجج ، ثم أمرتنا بحضورنا إلى الحجرة ، فحضرنا معكم وتوجهت إلينا ، فحصل فيّ أثر التوجه ، فالله الحمد » ، ثم حضر الحاج شافع في تلك الحجرة معنا ، بيد أنكم لم تعتبروه ، أظنّ أنّه كان يريد أخذ الطريقة منكم .

رأيت في ليلة الإثنين في يوم العاشر من محرم بعد قراءة ختم الإمام الرباني في غفوة حضر الشيخ الحلمي لدى وجرّ كلينا إلى الفوق حتى وصلنا إلى غار ثور ، وكان فيه قبة كبيرة رفيعة خضرآء جداً كلّها نور خضرآء ، وكان في القبة النبي صلّى الله عليه وسلّم ولكن لم أره وذهب الحلمي لدى المصطفى صلي الله عليه و سلم ، وخرج وجاء لديّ ووجدنا في باب القبة محمّد نقشبندي ، وإمام ربّاني ، خالد شاه ، محمود أفندي ،وحضر هناك أبو الحسن الشاذلي ، وكان وجه خالد شاه كوجه مسلم أفندي ، وذهب سيف الله إلى داغستان مع جنود كثيرة والفرس الأبيض

مركوب كل واحد منهم وكأنّهم مع أفراسهم يطيرون وفي جبهة كل فرس خاتم النبي المصطفى صلي الله عليه وسلم حمرآء جداً .

ورأيت في ليلة أنّ الشيخ . . . حضر في حجرتي مع المريدين الكثيرين ، فقعدوا كلّهم في الحجرة والشيخ في وسطهم على التراب بلا حائل ، ثم ذهبت إلى حجرتي الأخرى وأخذت منها فروتي وألقيتها تحت الشيخ حسن أفندي مطويّاً وصلّى عليها ، ففي أثنآء ذلك توجّهني الشيخ قدس سره إليّ خاصة وقال :« إنّ الأوراد لا تنفع إلا بالاستعمال ، فاستعمل الورد هكذا » كأنّه راض عنّي ، انتهى .

ثم في ليلة الجمعة السابعة من جمادي الأخير اجتمعت في المنام مع شيخي « ح » . . . أفندي قدس سره خمس مرات متفرقاً ، ففي المرة الأولى اجتمعت معه في مسجد قَحِبْ ، وكان معه الحاج حبيب الله ، وقرأ لي الدرس من كتابه « بداية الهداية » إلى قوله « والأخلاق الرذيلة . . » ، ثم قال :« ليس كتاب أنفع لمعرفة الأخلاق منه » ، وكان كتاب عتيق ، وكان في حواليه شروح مكتوبة بخطه ، وفيه شروح مطروحة مكتوبة بخطه ،وشكله صغير من هيئة « عُزْمِلْقَعِدَ » ، ثم قال الشيخ حسن أفندي للحاج حبيب الله :« اسئل الإذن من الله تعالى ليقرأ هذا الطالب كتب « الإحياء » بعد موتي » ، وسأل الإذن منه ثم قال :« ورد الإذن من الله » .

وكان الحاجي حبيب الله يقرأ "إنا أنزلناه" بين دعاءه ، ثم قرأ الشيخ حسن أفندي الدرس لي من « الإحياء » وسلّم كتب إحيائه إليّ .

وفي المرة الثانية اجتمعت معه في ذلك المسجد مع المريدين وكان في ذلك المسجد عالمنا المرحوم عبد الله ، وسأل الشيخ عنه قائلاً :« أيّ الأعمال أفضل يا عبد الله ؟ » فأجاب بقوله :« على أهله يعرف » ، ثم سأل ثانيا فأجاب ثانيا قائلاً :« التقوى والمال » ، ثم قال الشيخ :« أيّ شيء المال ؟ فإن المال شيء ذكرٌ لا نفع فيه » .

وفي المرة الثالثة حضر الشيخ في حجرتي مع الحاجي حبيب الله وصنعت له الضيافة وأكل من ضيافتي فللّه الحمد بيد لم يأكل الحاجي حبيب الله .

وفي المرة الرابعة اجتمعت معه في مسجد قَحِبْ وكان في المسجد رجال كثيرون من المريدين فوجدهم نائمين بلا إسراج السراج إلا هذا المفلس وعاب على المريدين بذلك وتكلّم معهم بالبغض ، ثم نوّرت له بالسراج ففرح بذلك وصلّى فرداً وكان الحاج حبيب الله فيه يفعل الذكر بحبس النفس بسرعة مثل الذكر القلبي المسمى باسم الذات ، ثمّ قال : « إنّه يقدر فعل الذكر بحبس النفس مسرعة هكذا » .

وفي الخامسة حضر الشيخ لديّ قائلاً :« إنّ عيون زجاجه مع بيتها بقيت في حجرتك بالنسيان منه حين حضر أوّلاً وذهبت في حجرتي ووجدتها فيه وسلّمتها للشيخ ففرح بذلك ، هذه كلها رأيت في ليلة ، انتهى من خطه قدس الله أسرارهم . أولا

ورأيت في ليلة أخرى كأني وشيخنا « ح » . . . حلمي أفندي في خنزاخ مع المريدين نسعى بين الناس في حاجة لا أعلمها بيقين أظنّ أنّ السعي كان لأجل المصلحة بين الناس ، ثم صرت أنا والشيخ حسن حلمي أفندي في مسجد حسن فيه مرتف سقف مهيئ بأحسن تهيءٍ ، وتوضأنا من الحوض في ذلك المسجد ، ثم بعد الوضوء وضع الشيخ « ح » . . . حلمي أفندي قلنسوة بيضآء جديدة على رأسي ، ثم قال لي :« اذهب إلى البيت » فإذا نظرت إلى تلك القلنسوة وجدت فيها موضعاً يسيراًبقدر موضع ثلاث أصابع لم يتمّ الخيط فقلت له :« هل يصح أن أكون عندك حتى يتمّ خيط هذا الموضع » فقال :« لا يصح ذلك لأن الناس قد نظروا إلى حضورك ومترقبون إلى قدومك ، فلا يصح إسكانهم كذلك ، فيصح خيط ذلك الموضع بعد الوصول إلى البيت أو بعد الحضور عندنا ثاني مرة » ، ثم سرت منه مع المريدين ، ولا أعلم ما وقع ، وكان بيدي كتاب كتب فيه المراقبة في تلك الواقعة .

ورأيت في ليلة أخرى يتوجه إلي شيخنا « ح » . . . أفندي ، ورأيت في ليلة كأنّي ذاهب عنده للزيارة صائما فأفطرني بإطعام الطعام ، ورأيت في ليلة أخرى كأنّه حضر إلى ريفي والبقعة التي فيها مزارعي مع ابنه محمد عارف ومع المريدين الكثيرين من قريتنا ، فأمرني بتوسيع بيتي الصغير فيه ، وأراني كيفية بنائه وموضع البناء وموضع الجدران وربّع الموضع المذكور بوضع الحبل كي يستقيم الجدار وأعطى طرفاً واحداً من الحبل إليّ وأخذ طرفه الآخر بنفسه وأمر المريدين ببنائه ، وقال :« إنّه يحضر غداً للإعانة وكان الوقت وقت العصر ثم قصد للذهاب والرجوع إلى بيته ثم سألته بأداء صلاة العصر في ذلك الموضع لوصول البركة لي فقال :« هل كان المآء عندكم » قلت :« نعم » ، وكان المآء كثيراً بيد أنّي قصدت للذهاب لأخذ المآء الجديد من الحوض مع ابنه محمد عارف ، فحين نذهب صار الموضع الذي نذهب كأنّ المآء الذي عند قريتنا ، وصار معنا ابنه الآخر محمد حجيو ، وصار الشيخ كأنّه في بيتي فوقتئذ قبل وصولنا عند المآء مطر علينا الغيث سجالاً ، ورجعنا إلى الخلق فارّين من المطر ، ووقع في أواننا التي كانت بأيدينا مآء المطر ، وفي سري وقتئذ سرور أكيد من إمطار المطر لأجل بقاء شيخي في بيتي بلا ذهاب إلى قريته في تلك الليلة ، انتهى . ولم أعلم ما وقع بعد .

ورأيت في ليلة أخرى أصلي مع شيخنا « ح » . . . أفندي في صف واحد مأمونين ولم أعرف الإمام ورأيت في تلك الليلة أصنع چَايْ وأضيف به لشيخنا « ح » . . . أفندي فسقاه منه ، انتهى .

ورأيت في ليلة أخرى أزيل الطين من نعال شيخنا « ح » . . . أفندي وأنقيها بشيء بيدي مع وضع قدميّ فيه مع الحياء بترك الأدب بذلك .

ورأيت في ليلة كأنّ الشيخ « ح » . . . حلمي أفندي وخليفته الحاج حبيب الله مع المريدين الكائنين من قريتنا في حجرتي يذكرون الله فيها فخرج مني غائط وخفت من ظهور ذلك عندهم وانتشار رائحة الروث لدى الأشياخ فصرت أحمله بيدي خفية منهم فلا أعلم هل شمّ رائحته لديهم أو لا ، انتهى .

ففي ليلة أخرى رأيت شيخنا « ح » . . . حلمي أفندي يتوجه إلي فنظرني في ألطافي بالترتيب ثمّ أمرني بالنظر إلى لطيفة النفس فنظرت إليه ونفخ فيه بأنفاسه المباركة وبدل ذكري إليه وعلمت وقتئذ اختلاج تلك اللطيفة ، انتهى .

ورأيت في ليلة أخرى كأنّي عندكم على الحضور ثم حضر واحد لديكم بأخذ دفتر من القرطاس وفيه الكتب المكتوبة إليك

من جهة سَمُورْسْكِي ومعه إناء من الزجاج فيه الخمر والمسكر ، ثم قال الحامل لك :« إن هذه المذكورة هي هدية سَمُورْسْكِي » ، وكنت أتعجب من إرساله المسكر لدى الشيخ للهدية ، اهى . فأنت تعلم تأويلاتها يا أبا روحي ، من خطه قدس سره .

ففي ليلة ٦١ من محرم رأيت شيخي « ح » . . . حلمي أفندي قدس سره يتوجه إلى المريدين كأنّه على جزوع موضوعة في الهواء وعنده المريدين صفوفاً فأوقفني تحته بإيذائه وتوجه إليّ أولاً وحصل لي البركة والفيض فالله الحمد . وقال في أثنآء ذلك حين يتوجه إليّ مخاطبا للمريدين الكائنين عنده :« لو توجهت إليك بالجذبة الإلهية وسقطت بغلبة الحال ومتُّ بذلك فما يكون » ، انتهى .

وفي هذه الليلة رأيته قدس سره ثانياً بين جماعة كثيرة في مسجد مجهول عندي فحضر لديّ واحد من المريدين قائلا :« إنّ الشيخ حسن حلمي أفندي يدعوك عنده لكونك أخصّ مريديه فإنّه يجمع الخواص من أحباء المريدين ليكونوا عنده لو آل أمره إلى إرساله إلى صِبرْ من جهة الأعداء » ، فوصلت عنده وأوقفني قريباً منه وصلى الجمعة في ذلك المسجد إماماً للخلق وأنا واقفاً خلفه ولم يكن أحد أقرب مني إليه وأتمها ، وخرج قدس سره إلى الخارج قبل أداء الراتبة فوجد خلقاً كثيراً من الناس يعملون الحرف

بضوء القمر ، فصار القمر يقرب إلى الغروب وقلّ ضوءه ، فأومأ إليه شيخنا المذكور بالرجوع إلى وسط السماء والتنوير ، فرجع ونوّر ومنع الكاسبون عن الحرفة قائلاً :« لا يجوز لكم أن تعملوا قبل علمكم انكسار قوة البَلْشَوِكينَ » ، ووقع بعد ذلك مناقب كثيرة لكن نسيتها ، انتهى من خطه .

ثم رأيت في ليلة أن ولدي الشيخ المجدد حسن حلمي يتوجه إليّ ويأمرني بقراءة (شهد الله أنّه) والتوجه إلى القلب بعد القراءة فقرأته وفق أمره إلى قوله تعالى (وترزق من تشآء بغير حساب) وتوجهت بعد ذلك إلى قلبي ووقع بعد ذلك وقائع نسيتها .

فصل في رؤيته قدس سره عائشة رضي الله عنها زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة الزهرآء بالظن القوي أو امرأة أخرى من آل النبي صلى الله عليه وسلم اسمها فاطمة بالشك وغير ذلك من الوقائع وإلخ .

كتب رضي الله عنه ما عبارته هذه : ففي ليلة الإثنين الحادي والعشرين من محرم نمت على الرابطة والحضور بعد قراءة الختم فرأيت عائشة رضي الله عنها زوجة النبي عليه السلام وفاطمة الزهرآء– وكانت امرأة جسيمة – بالظنّ القوي أو امرأة أخرى من آل النبي صلى الله عليه وسلم اسمها فاطمة بالشك وكانتا بين جمع

كثير من الصحابة تبكيان بذكر المصائب التي حملها النبي عليه الصلاة والسلام من جهة الأعدآء فسرت لدى واحد من الصحابة الذي رئيسهم فوجدته كذلك يبكي بذكر تلك المناقب والمصائب وقلت له أن عائشة زوجة النبي وفاطمة تعلمان ما حمله النبي صلى الله عليه وسلم أزيد مما تعلمها وتذكران فقال لي :« أين كانتا » فذهبت عندهما وحملتهما لدى ذلك الرجل وكان رجلاً عرابياً أسود اللحية غليظ الشعر ومنبته ، فوقتئذ نادت إحداهما شعراً بذكر المصائب والبلايا التي حملها النبي صلى الله عليه وسلم من جهة الأعداء وكان فيه هذا القول « حَبِبَصْدِ وُرْتَنَ طَهَايَصْدِ هُنْقَنَ » فبكى الخلق كلّهم وبكيت أنا ونسيت باقي الكلام .

ورأيت في ليلة أخرى كأني أذهب في الطريق الكبير في نهرنا وصرت أنا كأني محتاج إلى شيء في قعر المآء والنهر وسرت لدى النهر على ذلك القصد فعند وصولي لديه صار ماء النهر قليلاً بحيث أقدر العبور منه وصار الشيء الذي كنت أطلبه على فوق الماء وأخذت منه ثلاثة أشيآء مثل الأحجار المدورات فصارت الأشياء أخباز برّ حسن اللون ، وصارت كبيرة ومنتفخة ليّنة ، فأكلت منها وأعطيت للرفقآء فوجدناها شيئاً لا نشبع وإن أكلناه كثيراً بشدة لذّته وحلاوة طعمه ، انتهى .

وفي ليلة أخرى وقت كوني بالمراقبة والحضور قد احتوى حولي ظلمة أكيدة من كلّ الجهات وسواد شديد ، وضاق عليّ البيت وصار يضمني ضمةً بحيث يختلع أضلاعي كأنّه وقع عليّ ، وكدت أن أموت بالضيق والخوف فتذكرني بتوفيق الله تعالى قراءة السلسلة فقرأتها ، فعند شروعي في القراءة صارت الظلمة والسواد يقلّ شيئاً فشيئاً ، فعند وصول القراءة إلى اسم الشيخ محمود أفندي قد انتهى تماماً ، انتهى من خطه قدس سره .

ففي ليلة واحدة رأيت في المنام أو في الواقعة شيخاً كبيراً حسن الوجه مشرق اللون طويل اللحية أبيض لونها جداً فلم أر مثله إلى الآن في صفاء اللون وحسن الوجه وظننت أنّه الحاج عبد الرحمن الصغوري وعليه قباء مطويّ عجيب اللون لم أقدر لوصف لونه بل لم يكن من أقمشة الدنيا وفيه منسوج بحبوب الزجاج الأبيض المشرق ، ورأيت فيه أسماء السلسلة النقشبندية مكتوب فيه بخطّ عجيب ، ورأيت فيه اسم الحاج عبد الرحمن وظننت كون اسمك بعد اسمه ورأيت فيه بعد اسمه أو بعد اسمك أسماء ثلاثة خلائق الذين يكونون بعده أو بعدك بيد لم أعرف لأقرأه ، انتهى .

رأيت في ليلة كأنّي على طرف نهرنا الكبير في جهتنا أحمل العامّين الذين لا يبصرون من النهر بإراءة الطريق لهم ، انتهى من خطه قدس سره .

رأيت في ليال كثيرة أتوضأ وأصلي بعدها ، ورأيت أيضاً في ليال كثيرة كأنّ الكلاب تقصد إليّ وتنوح على قصد العضّ عليّ بيد أنّهم إذا قصدت عليهم فرّت وتفرّقت مني .

ورأيت في ليلة أخرى كأني أذهب من مكان فلاني ووجدت في تلك البقعة حياة كثيرة فقصدت على قتلهنّ ففرّت كلّهن وقتلت أكبرهنّ بقطع الرأس وكان الرأس المقطوع مثل رأس السِّنَّوْرِ في الكبر ، انتهى .

ورأيت في ليلة أخرى كأني أسير من رأس شاهق مرتفع خائفاً من السقوط فسرت منها وعبرت المكان وزال خوفي .

ورأيت في ليلة أخرى رجلاً واحداً من قريتنا الذي مات قبل هذا بخمسة عشر سنة فنظرت إليه ورأيت متغير اللون بشدة ما عليه من العذاب وكان الرؤية في الواقعة وأشبهته برجل آخر من قريتنا وسألته :« من أنت ؟ » وقال :« أنا فلان » وقلت له :« ما حالك ؟ » فقال :« أنا في العذاب كما ترى » ، وكان رحمه الله يضطرب اضطراباً شديداً مثل المحتضر فقلت له :« يا أخي ألا ينتهي العذاب حتى الآن مع ذهاب مدة كثيرة من موتك ؟ » ، فقال :« لا ينتهي » وقلت له :« بأي ذنب صرت في هذا العذاب الذي لا ينتهي » فقال :« بحقوق الأغيار » وقلت له :« أي حق كان عليك ولأي رجل

هو » فقال :« ليس عليه حق كبير يعتبر بل هو لأجل الحقوق اليسيرة القليلة » وقلت له :« عجبت من كونك في هذا العذاب الأكيد مع كونك رجلاً صالحًا بيننا ، ولم نر منك قط شرّاً ، فإذا كنت هكذا فمن يسلم من العذاب ؟ » فقال :« الأمر كان هكذا » .

ويقع مثل هذا كثير في أكثر الأوقات وأيضاً يقع لي الكشوفات الشيطانية بالاطلاع على معاصي المريدين وما سيقع بعد اليوم ولكن يكون الاطلاع في الواقعة المنامية لا في اليقظة أرجوكم تخليصكم إيانا من هذه الورطة التي هى سبب الانقطاع عن الله عصمنا الله من ذلك ، انتهى من خطه قدس سره العزيز وأعاد علينا من بركاته ، آمين .

ورأيت في ليلة أخرى أسيح في الأنهار الصافية مع شبان مجهولين عندي ، ورأيت مرة أخرى في تلك الليلة رجالاً كثيراً يسيحون في ذلك النهر ويحملهم إلى بعيد ، وكنت خائفاً من حملي مثلهم ، ثم إذا قربت إلى طرف ذلك النهر انضمّ طرفيها من مكان وتخطيت منه وعبرت إلى جهة مقصدي ، انتهى .

ورأيت في ليلة أذهب إلى الحج وإلى بيت الله الحرام ، وكان المريدون خرجوا كلّهم إلى طرف القرية ليرشدوني في الطريق بالتحية والإكرام ، وأنا أودعهم بالمصافحة ، وكنت أقرأ الفاتحة والإخلاص

وأعطي ثوابها إلى أرواح أصحاب النوبة وإلى أرواح سادات الصوفية على قصد رجوعي إلى البيت سالماً وكنت أقرأ (تحصنت بذي الملك والملكوت وتوكلت على الحيّ الذي لا يموت) ، انتهى .

ورأيت مرة اخرى صبح ذلك اليوم في الواقعة كأني في اليقظة أسير من فلاة مستوٍ وكان في طرف الفلاة نهر صافٍ وكان معي رجال كثير فحين كنت أسير في ذلك الفلاة قد قرب النهر لدى ممرّي فخفت من السقوط فيه فظننت وتذكرت كوني أطير فطرت وذهبت إلى مقصدي ، انتهى .

رأيت في المنام أطير في الهوآء أي إلى السمآء ورأيت فيها قرآناً مكتوباً بخط عجيب وحبر بديع ، وكان خلق كثير مجتمعين حوله يقرؤونه ، بيد لم أعرفهم هل هم من الإنس أو غيرهم ، وصارت آيات القرآن يسقط وينزل إلى الأرض ، وكنت ألتقطه واخطفه قبل أن يقع على الأرض بالطيران خلفه ، وكنت أخاف مرةً من الوقوع إلى الأرض وتارةًلا أخاف .

وفي ليلة أخرى أذّنت في قرية فلانية فعرفت سماع ندائي في غير قرية أذّنت فيه من القرى البعيدة منها وكنت أتعجب من سماع ندائي في القرى الحوالية مع صغر صوتي ، انتهى .

رأيت في واقعة في ليلة ٧١ صفر عالمنا وأخانا المرحوم عبد الله مضطجعاً كأنّه مريض ، فقلت له :« ما حالك يا أخي » فأجاب قائلاً :« حالي هكذا كما ترى » ثم قلت له :« هل عذبت بشيء ؟ » فقال :« نعم » ثم تذكرت كون شيخنا أمرني بأن أسأل عن الميت عن إعانة شيخه في القبر فبه سألت عنه وقلت له :« هل نفعك شيخنا محمود أفندي ؟ » فقال :« قد نقع » ثم قلت له :« أي نفع نفعك » فقال :« قد رفع العذاب عنه » فقلت له :« إن كان شيخك رفع العذاب عنك فما مرضك هذا ؟ » ، فأظن أنه قال بأنه ليس هذا بعذاب لكن لم افهم مقوله صريحا والله اعلم .

ثم رأيت في ليلة اخرى اغتسل بالماء و كان رجل اخر يصب الماء على اعضائي و كنت ادلك اعضائي باليد فكلما كررت الغسل و الدلك كانت اثر القاذورات تذهب مثل اثر روث الحيوانات و نقيت الكل و ازلتها و كنت وقت الغسل ادعو الله تعالى قائلا الحمد لله الذي سخرني بهذا المدد الالهي و الفيض الربانى .

و رأيت في ليلة الجمعة ٥١ من ربيع الاول اطوف و ازور في قبور المدينة خاصة في قبور اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم و كان معي رجال من قريتنا و كنت اسعى على القبور بحيث لا اضع قدمي على القبور ادبا ممن تحتها و ادعو برفع الصوت بعد

كل خطوة بسم الله الاخ الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر لا اله الا الله لا اله الا الله لا اله الا الله انتهى .

و رأيت في ليلة اخرى كأني في مسجد هؤر و قال لي واحد قد اتى الكتاب من جهة جمال الدين الغموقي الذي كان يقتدي خلف البلشوكين باعلام انقطاع اعانته للبلشوكين و اعطاني ذلك الواحد اداوة فيه حبر اسود و قال لي اكتب بهذا الحبر شيأ ما بلا قصد منك الى كتبة شيئ معين فإنه لا يكتب به الا اعلام انقطاعه عن اقتداء البلشوكين و كتب بذلك كما قال لكن نسيت ما كتب به انتهى .

« أللهم اغش عنّي أبصار الأشرار والظلمة » إلخ ٦٦ أذكار الطيبة

فوجدت أبانا الحلمي قدس سره قد كتب هذه على هذه الواقعة القبلية ، كاتب .

ورأيت في ليلة أن البَلْشَوِكِينَ قد أحرقوا قرية بلا بقآء بيت ما أظن أنه كان تلك القرية قرية طِلِيقْ وتارة أظن أنها قرية هُؤُرْ أو مِقِهُرْ ، انتهى .

ورأيت في ليلة أخرى كأني والشيخ « ح » . . . حلمي أفندي قدس سره والحاج حبيب الله في مكان فلاني ، فهبّ علينا

الريح مع الثلج ، ثم قال الشيخ المذكور :« إنّ هذا الريح ريح يهبّ من جبال لِبلل » ، ثم صرنا في ظلمة بالريح والغمام ثم رأينا نوراً قد أشرق جدران البيوت الفلانية ، فقال الشيخ :« إنّ هذا النور هو النور الذي يضيئ لنا » فصرنا في بيت فلاني مملوء بذلك النور ، وكان في ذلك البيت ساعة معلّقة بالجدار وكان الشيخ « ح » . . . حلمي أفندي قدس سره يشير بإدارة الساعة إلى أن درجة الحاج حبيب الله دونه بمقامين وأنه معينه في كلّ أموره خاصة في الكلام ، وصار في ذلك البيت عندنا رجل أظنّ أنّه كان رئيسالبَلْشَوِكِينَ ووقع هنا معه كلام كثير بيد أنّي نسيت أكثره ، انتهى .

رأيت في واقعة في يوم الجمعة الثاني من رجب بعد صلاة الصبح مريدنا المرحوم قريبي قربان ولد شعبان العسوي فعلمت كونه ميّتاً ، وكان رحمه الله في لباس كان عليه وقت الموت ، وشاورت فيما أسأله فسألته بأنّي أكون في بعض الأوقات في منع من الذكر بالغفلة والخواطر فما دواءه ؟ فقال :« لعلّك تنام في الليل » فقلت له :« نعم أنام » وقلت له :« ألا يكون لي منك الإعانة لذلك » قال :« نعم » فقلت له :« فما سبب حصول إعانتك لي » قال :« أن تتصدق عنّي » فقلت له :« ألا يكفيك إن قرأت شئاً وتصدّقت ثوابه لك » قال :« بل يكفي له أن تتصدق ما أكلت وما

شربت من الماء الذي حملته النسآء من حوضنا رُعُرُدُقْ » ثم غاب عنّي ، انتهى مقوله .

ففي ليلة كنت نائما بعد أن تصدقت ما أكلت وما شربت إلى روح ذلك المريد المرحوم المذكور في الواقعة القبلية كما أمرني بذلك فرأيته رحمه الله تعالى في تلك الليلة مسروراً ، وأعطاني الخبز المملوء بالجبن للأكل وأكلته ، وفي تلك الليلة المذكروة أعطاني واحد قدراً كثيراً من الفضة البيضاء من الصحاح والمكسر ، فكنت أشق عدّها وأثقل حملها أظن أن المعطي كان هو رحمه الله .

وفي تلك الليلة حصل لي لحم كثير وكان نيئا أظن أن المعطي كان هو ، والله أعلم ، وفي كثير من الليال رأيت أسعي في الأمطار ، والله أعلم .

ورأيت في ليلة أقرأ قوله تعالى (وأمر بالصلاة وأنهى عن المنكر)(ولذكر الله أكبر) ، انتهى .

ورأيت في ليلة أخرى دخلت الجنة وكأنّ زوجتي فيها امرأة معينة من قريتنا ورأيت في ليلة أخرى قد غمّ الدخان والبخور في واد عيسى وملأ به الهوآء وأظنّ أنه تعدّى إلى ناحية هيد بحضوره

من أعلى وادنا ورأيت في واقعة عالمنا المرحوم عبد الله بين رجال كثير من الناس المجهولين عندي ومددته عندي من بينهم حين علمت كونه ميّتا وقلت له :« ما حالك يا أخي وهل برأت من المرض الذي رأيتك قبل » فقال :إنّه الآن في عافيته وراحة » وقلت له :« هل رأيت شيخنا محمود أفندي ؟ » فقال :« إنّه رآه » وقلت له :« هل نفعك بشيء ؟ » فقال :« إنّه كان في حزن وغم وخوف إلى أن يصل لديه وبعد وصوله لديه ذهب الكل وصار في أمن » وقلت له :« هل تظن كون الإعانة لي منه ؟ » فقال :« يكون لك إعانة بلا فرق » وقلت له :« أيّ شيء نفعك من أنواع الطاعات ؟ » فقال نفعه نوافل الطاعات وأما لسائر الناس نفعهم النذور القربية التي تقرّبوا بها إلى الله ، فقلت له :« أيّ شيء أنفع لي من أنواع الطاعات ؟ » قال :« ذكر الله » وقلت له :« أين تكون ؟ » فقال :« إنّه في العليين » وقلت له :« هل رأيت أخانا الحاجي رمضان ؟ » فقال :« رأيته » وقلت :« هل رأيت العابد شَعْبَانِلْ قُرْبَان ؟ » فقال لم يره ، وقلت له :« هل رأيت أبي المرحوم ؟ » فقال لم يره ، وقلت له :« كيف لم ترهم مع أنهم ماتوا قبل موتك ؟ » فقال :« إنّهم في موقف الأرواح الكائنة تحت بحر القلزوم » فقلت له :« ما ذلك المكان أهي سجين ؟ » فقال :« لا وإن أرواح المؤمنين يكونون

في أماكن شتى وتلك المكان من بينها » وقلت له :« كيف يكون أرواح المؤمنين في مكان كائنة تحت بحر القلزوم مع أن مرجعهم في العليين الكائنة تحت العرش وفوق السماء السابعة ؟ » ، فقال :« إنّهم يكونون في أماكن شتى » وقلت له :« ما أحوالهم فيها ؟ » فقال :« إنّهم في راحة وعافية » وقلت له :« هل يكون منك النفع لي حين متُّ وحضرت لديك ؟ » فقال أنه ينفعك ، فطال الكلام بيني وبينه إلى أن قال :« إنّ المرحوم مسلم أفندي في بعض تقريراته عبارة كذا ويكون المراد منه كذا بيد أني نسيت أكثرها ، وكنت أتفكر في نفسي في الأمور المشكلة عندي من الأمور المتعلقة بأحوال الآخرة للسؤال عنه وأسأله بعد التذكر فكنت ظننت أنه لم يبق شيء مشكلاته بيد نسيتها ، انتهى .

رأيت في ليلة كأني في مكان فلاني وكأنّ معي حسنل محمد القحي أو ولد شيخنا محمد حجيو ، وكان عليّ خرقة ملبوسة على جسدي وعليه كذا وكان لون أحدهما خضرآء ولون الأخرى حمرآء بيد أني لم أعرف باليقين أيهما كانت عليّ وعليه ، بل عرفت كون أحدهما خرقة أورثناها من النبي صلى الله عليه وسلم والأخرى من شيخنا العسلي قدس سره ، فأظنّ كون الخرقة التي عليّ أفضل بكون من كان معي يتبرك منها ، ولا يجعل ظهره إلى جهتي بحيائه لجعل

ظهره إلى تلك الخرقة ، وكان عليّ عمامة أيضا يتبرك منها الناس أظن أنها كانت خضرآء ، والله أعلم ، انتهى من خطه قدس سره .

رأيت في الواقعة أو في المنام جثةرجل أو امرأة في قبر فلاني من قبورنا العتيقة ولم أكن أعرف ذلك القبر قبل ذلك قد وُقِدَ عليها النار مثل النفط وكان الصديد والدم يسيل منها مثل الدهن وعليه نار تتلهب ودخان مثل العماد بحيث يزيل رأي من رآه بالفزع منه ، وبعد أيام نظرت في تلك القبور فعرفتها من بين قبورنا ورأيت ذلك هكذا مرتين ، انتهى .

ورأيت في الواقعة أو في المنام في ليلة أخرى عالمنا المرحوم حُمَيْد العَسَوِي رحمه الله في قبره مثل النائم لم يتغيّر لحم جسده وعلى جسده شعور على عادتنا بلا تغير ولحيته كثة بيضآء مدوّر ، ولم يكن على جسده ساتر ببلي الأكفان وكان بيدي وقتئذ عرعر موقد وقال لي :« ما هذا ؟ » وغلب عليه الحياء منّي لكونه عرياناً ونفخ على العرعر على قصد إطفائه ولم ينطفأ ، وقبلت على لحيته ثلاث مرات ، ثم صرت وقتئذ في انتباه بيّن فلم أزل من رؤيته حينئذ مدة طويلة حتى انفتح عيني ، ثم تفحصت حقيقته وصورته من عارفيه بإخفآء ما رأيته فأخبروني كما رأيته بلا فرق ولو في شيء ما ، انتهى من خطه قدس سره .

رأيت ضحوة يوم وقت كوني على المراقبة أقرأ قوله تعالى (فإنّ مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا ، فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب) ، وأقرأ بعد ذلك (بسم الله الرحمن الرحيم ، إنا أنزلناه في ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح) اهـ .

ورأيت في ليلة أخرى في مسجد فلاني أصلي إماماً وخلفي خلقاً كثيراً صفوفاً وأرى في أكثر الليال أتوجه المريدين في المنام وأجد نفسي تعباً من ذلك ، وأجد الألطاف تعباً وليّناً بشدة الارتعاش من الأثر الحاصل من المريدين وقت التوجه في المنام ، فهل يكون التوجه في المنام كذلك ، انتهى كلها من خطه قدس سره وأفاض علينا من بركات أنفاسه ولا حرمنا من فيوضاته ، آمين .

انتهى ما وجد مكتوبا بخط الشيخ النقشبندية و
الشاذلية محمد الخجادي

قدس سره العزيز

مالك الرسالة الشيخ وقطب زمانه محمد عارف
افندي قدس سره العزيز